

موسوعة
شرح أسماء الله الحسنى



موسوعة شرح أسماء الله الحسنى

الجزء الأول

تأليف:

أ.د. نوال بنت عبدالعزيز العيد

شارك في الإعداد والإخراج فريق علمي بإدارة:

أ. وفاء بنت محسن التركي

ح شركة إثراء المعرفة، ١٤٤١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
العيد، نوال بنت عبدالعزيز
موسوعة شرح أسماء الله الحسنى./ نوال بنت عبدالعزيز العيد.
- الرياض، ١٤٤١هـ
٣مج.
ردمك: ٩-٣٨٩٧-٠٣-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
ردمك: ٦-٣٨٩٨-٠٣-٦٠٣-٩٧٨ (ج١)
١- الأسماء والصفات أ. العنوان
ديوي ٢٤١ ١٤٤١/٨١٩٠

رقم الإبداع: ١٤٤١/٨١٩٠
ردمك: ٩-٣٨٩٧-٠٣-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
ردمك: ٦-٣٨٩٨-٠٣-٦٠٣-٩٧٨ (ج١)

الطبعة الأولى: ١٤٤١هـ







المقدمة

موسوعة
شرح أسماء الله الحسنى

رحلة المشروع

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ١﴾ [النساء:١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١][1]، أما بعد:

بدأت فكرة الموسوعة بدروس علمية أسبوعية في جامع عثمان بن عفان في حي الواحة بالرياض في عام ١٤٢٦ من هجرة رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، كل يوم أحد بعد صلاة العشاء، واستمرت قرابة السبع سنين، أنهينا فيها ولله الحمد شرح الأسماء الحسنىٰ.

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه، ح: (١٨٩٢)، قال الألباني: حديث صحيح.

وقامت الفاضلة الأستاذة: نورة الغفيلي بتفريغ الشروح وترتيبها، إلا أنه كان من الصعب طباعتها ككتاب بعد هذا التفريغ؛ لحاجته للمراجعة والتهذيب، وتهيئتها لإخراجها كموسوعة.

وعليه تم تشكيل فريق بحثي قام بدراسة مسحية لجميع كتب شروح الأسماء الحسنىٰ العلمية، وإعطاء وصف لكل كتاب، والإضافة العلمية فيه، واستخرت الله مع الفريق لإخراج موسوعة علمية لشرح أسماء الله الحسنىٰ نرجو أن تكون عملًا صالحًا ممتدًا، يبقىٰ أجره وبره بعد انقطاع الأجل.

ومما لا شك فيه أن في كل الكتب والشروح الخاصة بشرح أسماء الله الحسنىٰ فائدة عظيمة وجليلة، ويكفيها في ذلك شرفًا أنها في أجل العلوم علىٰ الإطلاق، إلا أننا اجتهدنا بعد توفيق الله وتسديده في إضافة بعض المزايا في هذه الموسوعة، ويمكن تصنيف هذه المزايا كالتالي:

١- تقسيم الموسوعة، وأسلوب الكتابة:

أولا: تم تقسيم الأسماء فيها علىٰ طريقة بديعة لم يُسبق إليها، -بحسب ما اطلع عليه الفريق العلمي-، وكانت علىٰ النحو التالي:

* الأسماء التي ثبتت في القرآن والسنة.
* الأسماء التي ثبتت في القرآن دون السنة.
* الأسماء التي ثبتت في السنة دون القرآن.

ثانيا: أسلوب الكتابة في الموسوعة كان الأسلوب السهل الممتنع، إذ أنه يسهل علىٰ كل قارئ فهم الموسوعة، فصياغتها تجمع بين الأسلوب الأدبي البليغ، مع سهولة وسلاسة الألفاظ، وقوة وفخامة التراكيب.

٢- العناية بالجانب العملي التطبيقي المستنبط من فهم أسماء الله الحسنىٰ.

حيث اعتمدت الموسوعة علىٰ حصر جميع الآيات الواردة في الاسم، وربطها بآثارها المسلكية لتنمية ملكة الاستدلال والاستنباط لدىٰ القارئ.

وتم التركيز علىٰ جانب الآثار المسلكية في كل اسم من الأسماء الحسنىٰ، بحيث لا تقل نسبة هذه الآثار عن ٨٠٪ من مجمل شرح الاسم، ويقصد بهذه الآثار: التطبيقات الإيمانية والتربوية والسلوكية المستنبطة من الإيمان بهذه الأسماء الجليلة.

٣- العناية بالجانب القيمي والأخلاقي المستنبط من فهم أسماء الله الحسنىٰ.

فإضافة لتركيز الموسوعة علىٰ جانب الآثار المسلكية التطبيقية، فهي تخصص ملحقات خاصة بكل اسم يمكن أن يكون للعبد حظ منه، كاسم الكريم والرحمن والحيي والستير...الخ، وفي هذا الملحق يتم عرض هذه القيم والأخلاق ببيان معناها وفضلها وكيفية التخلق بها.

٤- خضوع الموسوعة لعمليات عديدة في التقييم والتقويم.

فقد خضعت الموسوعة لعمليات عديدة في التقييم والتقويم، وذلك وفق آليات محددة كالتالي:

* حصر جميع الأعمال التي تقدمت في شرح أسماء الله الحسنىٰ، وتقييم العمل فيها قبل البدء بالموسوعة؛ للاستفادة منها، وتقديم إضافة علمية

حقيقة لما تقدم من مشاريع، وقد حقق الفريق العلمي ولله الحمد هذه الإضافة بشهادة المراجعين من أهل الاختصاص.

* عُرضت جميع البحوث بعد الانتهاء منها علىٰ أستاذات فاضلات، حاصلات علىٰ درجة الدكتوراه في تخصصي: العقيدة واللغة العربية؛ للتدقيق العقدي واللغوي.

وقد تولىٰ كامل الإشراف والمتابعة، والمشاركة في التصنيف الأستاذة الفاضلة: وفاء بنت محسن التركي، التي كانت تعمل ليل نهار من أجل هذا العمل المبارك، ولا تألُ جهدًا في إخراجه، حتىٰ يسر الله التمام، وكتب الله صدور هذه الموسوعة المباركة التي نسأل الله لها القبول، (ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم).

كتبته:

أ.د. نوال العيد



المنهجية المتبعة في تقسيم الأسماء الحسنى



المنهجية الأولىٰ: **قسمت الأسماء الحسنىٰ في هذه الموسوعة إلىٰ ثلاثة أقسام، وهي:**

أ- الأسماء التي ثبتت في القرآن والسنة.

ب-الأسماء التي ثبتت في القرآن دون السنة.

ج- الأسماء التي ثبتت في السنة دون القرآن.

وهذا الشرط مضطردًا إلا في مواضع عشرة -سيأتي تفصيلها-، فقد تم تصنيف الاسم في أحد الأقسام الثلاثة المتقدمة بناء علىٰ الاسم الأول منها، كالخالق الخلاق البارئ المصور وضعناه تحت القسم الأول (الأسماء التي ثبتت في القرآن والسنة)؛ لأن الاسم الأول منها(الخالق) جاءت نصوص تثبته من كتاب الله وسنة رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، أما الخلاق فلم يرد إلا في القرآن دون السنة......، وهكذا في بقية الأسماء العشرة، وتفصيل ذلك ما يلي:

أ- الأسماء التي أثبتت في القرآن والسنة، بناء علىٰ أن الاسم الأول منها ثابت فيهما:

١. الخالق والخلاق والبارئ والمصور.

٢. الرازق والرزاق.

٣. الكريم والأكرم.

٤. الناصر والنصير والغالب.



٥. الملك والمالك والمليك.

٦. القدير والقادر والمقتدر.

٧. القهار والقاهر.

٨. الوكيل والكفيل والكافي.

ب-الأسماء التي أثبتت في القرآن دون السنة، بناء علىٰ ان الاسم الأول منها ثبت في القرآن دون السنة، وهو اسم واحد:

الحسيب والديان.

ج- الأسماء التي أثبتت في السنة دون القرآن، بناء علىٰ أن الاسم الأول منها ثابت في السنة دون القرآن، وهو اسم واحد:

السبوح والقدوس.

المنهجية الثانية: اضطراد العمل في الموسوعة علىٰ إفراد كل اسم بشرح مستقل إن كان مفردًا كالجبار والعفو والرفيق، أما الأسماء المختلفة في اللفظ والدالة علىٰ صفة واحدة كالحافظ الحفيظ، والكريم الأكرم، والمالك الملك...وغير ذلك من الأسماء فتم جمعها في شرح واحد، وكذلك الأسماء التي اختلف لفظها وتقاربت آثارها المسلكية تم جمعها في شرح واحد كالحيي الستير، والحاسب الديان، والقريب المجيب، وغيرها.



تقسيمات البحث



- رحلة المشروع.
- المنهجية المتبعة في تقسيم الأسماء.
- تقسيمات البحث.
- أهمية العيش مع أسماء الله وصفاته، وأثرها على المتدبر.
- قواعد في أسماء الله وصفاته وفق منهج أهل السنة والجماعة.

شرح أسماء الله الحسنى، كالتالي:

أولًا: الأسماء التي ثبتت في القرآن الكريم والسنة النبوية:

١) الأول والآخر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٢) بديع السماوات والأرض سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٣) البصير سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٤) التواب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٥) الجبار سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٦) الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٧) الحكيم والحكم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٨) الحليم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٩) الحميد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

١٠) الحي والقيوم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

١١) الخالق والخلاق والبارئ والمصور سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

١٢) الخبير سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

١٣) ذو الجلال والإكرام سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

١٤) الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

١٥) الرحمن والرحيم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

١٦) الرازق والرزاق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

١٧) الرؤوف سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

١٨) السلام سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

١٩) السميع سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٢٠) الشكور والشاكر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٢١) الشهيد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٢٢) الصمد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٢٣) الظاهر والباطن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٢٤) العزيز سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٢٥) العظيم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٢٦) العفو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٢٧) العلي والأعلىٰ والمتعال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٢٨) العليم والعالم وعلام الغيوب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٢٩) الغفور والغفار سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٣٠) الغني سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٣١) فاطر السماوات والأرض سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٣٢) القدير والقادر والمقتدر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٣٣) القريب والمجيب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٣٤) القهار والقاهر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٣٥) الكبير والمتكبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٣٦) الكريم والأكرم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٣٧) اللطيف سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٣٨) الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٣٩) المجيد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٤٠) المستعان سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٤١) الملك والمالك والمليك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٤٢) الناصر والنصير والغالب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٤٣) نور السماوات والأرض سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٤٤) الواحد والأحد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٤٥) الودود سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٤٦) الوكيل والكفيل، والكافي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

٤٧) الولي والمولىٰ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

٤٨) الوهاب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ثانيًا: الأسماء التي ثبتت في القرآن الكريم فقط

١) البر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

٢) الحسيب والديان سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

٣) الحفيظ والحافظ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

٤) ذو الفضل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

٥) الرقيب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

٦) الفتاح سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

٧) القوي والمتين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

٨) المبين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

٩) المحيط سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

١٠) المهيمن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

١١) المؤمن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

١٢) الهادي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

١٣) الوارث سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

١٤) الواسع سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ثالثًا: الأسماء التي ثبتت في السنة النبوية فقط:

١) الجميل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٢) الحيي والستير سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٣) الرفيق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٤) السبوح والقدوس سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٥) السيد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٦) الشافي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٧) الطيب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٨) القابض والباسط سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٩) المحسن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

١٠) المقدم والمؤخر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

١١) المنان سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

١٢) الوتر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.



أهمية العيش مع أسماء الله وصفاته، وأثرها على المتدبر



إن أهم ما يتضمنّه الإيمان بالله تَعَالَى -الذي هو أول أركان الإيمان- هو التعرف علىٰ الله سُبْحَانَهُ بأسمائه وصفاته، ولهذه المعرفة آثار عظيمة في حياة المؤمن في الدنيا والآخرة، ومن ذلك ما يلي:

١- العلم بأسماء الله وصفاته أشرف العلوم وأفضلها:

«فشرف العلم بشرف المعلوم، وهو الرب، وأن العلم به ثلاث مقامات: العلم بالذات، والصفات، والأفعال»[١]، «وكما أن العلم به تَعَالَى أجل العلوم وأشرفها، فهو أصلها كلها ...، وكل موجود سوىٰ الله فهو مستند في وجوده إليه استناد المصنوع إلىٰ صانعه، والمفعول إلىٰ فاعله، فالعلم بذاته سُبْحَانَهُ وصفاته وأفعاله يستلزم العلم بما سواه، فهو في ذاته رب كل شيء ومليكه، والعلم به أصل كل علم ومنشؤه، فمن عرف الله عرف ما سواه، ومن جهل ربه فهو لما سواه أجهل، يقول تَعَالَى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الحشر:١٩] فتأمل هذه الآية تجد تحتها معنًا شريفًا عظيمًا، وهو أن من نسىٰ ربه أنساه ذاته، ونفسه، فلم يعرف حقيقته ولا مصالحه، بل نسىٰ ما به صلاحه وفلاحه في معاشه»[٢].

(١) النبوات، ابن تيمية، (ص: ٨٩)

(٢) مفتاح دار السعادة، ابن القيم، (١/ ٨٦)

٢- معرفة أسماء الله الحسنىٰ وصفاته العلىٰ هي الطريق الرئيسي إلىٰ معرفة الله:

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «معرفة الله سُبْحَانَهُ نوعان: معرفة إقرار، وهي التي اشترك فيها الناس، البر والفاجر، والمطيع والعاصي، والثاني: معرفة توجب الحياء منه، والمحبة له، وتعلق القلب به، والشوق إلىٰ لقائه، وخشيته والإنابة إليه، والأنس به، والفرار من الخلق إليه، وهذه هي المعرفة الخالصة الجارية علىٰ لسن القوم، وتفاوتهم فيها لا يحصيه إلا الذي عرفهم بنفسه، وكشف لقلوبهم من معرفته ما أخفاه عن سواهم، وكل أشار إلىٰ هذه المعرفة بحسب مقامه، وما كشف له منها، وقد قال أعرف الخلق به: «لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت علىٰ نفسك»(١)، وأخبر أنه سُبْحَانَهُ يفتح عليه يوم القيامة من محامده بما لا يحسنه الآن.

ولهذه المعرفة بابان واسعان: باب التفكر والتأمل في آيات القرآن كلها، والفهم الخاص عن الله ورسوله، والباب الثاني: التفكر في آياته المشهودة وتأمل حكمته فيها وقدرته، ولطفه وإحسانه، وعدله وقيامه بالقسط علىٰ خلقه.

وجماع ذلك: الفقه في معاني أسمائه الحسنىٰ وجلالها وكمالها، وتفرده بذلك، وتعلقها بالخلق والأمر، فيكون فقيهًا في أوامره ونواهيه، فقيهًا في قضائه وقدره، فقيها في أسمائه وصفاته، فقيهًا في الحكم الديني الشرعي والحكم الكوني القدري، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٤٨٦)

(٢) الفوائد، ابن القيم، (ص: ١٧٠)

٣- معرفة أسماء الله الحسنىٰ وصفاته العلىٰ تقوي الإيمان وتحقق التوحيد، وتورث خشية الله:

فهناك تلازم وثيق بين إثبات الأسماء والصفات لله وتوحيد الله تَعَالَىٰ، فكلما حقق العبد أسماء الله وصفاته علمـًا وعملاً كان أعظم وأكمل توحيداً، وفي المقابل: فإن هناك تلازمـًا وطيداً بين إنكار الأسماء أو الصفات، وبين الشرك.

يقول ابن القيم في تقرير هذا التلازم: «كل شرك في العالم فأصله التعطيل، فإنه لولا تعطيل كماله - أو بعضه - وظن السوء به لما أشرك به، كما قال إمام الحنفاء وأهل التوحيد لقومه: ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الصافات:٨٦-٨٧].

أي فما ظنكم به أن يجازيكم، وقد عبدتم معه غيره؟ وما الذي ظننتم به حتىٰ جعلتم معه شركاء؟ أظننتم: أنه محتاج إلىٰ الشركاء والأعوان؟ أم ظننتم: أنه يخفىٰ عليه شيء من أحوال عباده، حتىٰ يحتاج إلىٰ شركاء تعرفه بها كالملوك؟ أم ظننتم أنه لا يقدر وحده علىٰ استقلاله بتدبيرهم وقضاء حوائجهم، أم هو قاس؛ فيحتاج إلىٰ شفعاء يستعطفونه علىٰ عباده؟ أم ذليل؛ فيحتاج إلىٰ ولي يتكثر به من القلة، ويتعزز به من الذلة؟ أم يحتاج إلىٰ الولد؛ فيتخذ صاحبة يكون الولد منها ومنه؟ تَعَالَىٰ الله عن ذلك كله علوا كبيرا، والمقصود: أن التعطيل مبدأ الشرك وأساسه، فلا تجد معطلا إلا وشركه علىٰ حسب تعطيله، فمستقل ومستكثر»[١]

يقول الشيخ السعدي في تقرير التوحيد بالإيمان بأسماء الله وصفاته: «إن

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، (٣/ ٣٢٤)

الإيمان بأسماء الله الحسنىٰ، ومعرفتها يتضمّن أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبيّة، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وهذه الأنواع هي رَوح الإيمان وروحه، وأصله وغايته، فكلّما ازداد العبد معرفة بأسماء الله وصفاته ازداد إيمانه، وقوي يقينه.

ويقول ابن القيم: «إن العلم بالله أصل كل علم، وهو أصل علم العبد بسعادته وكماله، ومصالح دنياه وآخرته، والجهل به مستلزم للجهل بنفسه ومصالحها، وكمالها وما تزكو به، وتفلح به، فالعلم به سعادة العبد، والجهل به أصل شقاوته...، فلا شيء أطيب للعبد، ولا ألذ ولا أهنأ، ولا أنعم لقلبه وعيشه من محبة فاطره وباريه، ودوام ذكره والسعي في مرضاته، وهذا هو الكمال الذي لا كمال للعبد بدونه، وله خلق الخلق، ولأجله نزل الوحي، وأرسلت الرسل، وقامت السماوات والأرض، ووجدت الجنة والنار، ولأجله شرعت الشرائع»[(١)]

ومن قوي إيمانه وعلمه ازدادت خشيته من ربه، يقول تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، وفي الحديث: يقول صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «أما واللهِ إنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وأَتْقَاكُمْ له» [(٢)]، ويقول ابن مَسْعُودٍ في ذلكُ: «كفىٰ بخشية الله علما، وكفىٰ بالاغترار بالله جهلا»[(٣)].

(١) مفتاح دار السعادة، (١/ ٨٦)

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١١٠٨).

(٣) جامع بيان العلم وفضله، أبو عمر القرطبي، (٢/ ٨١٢)

٤- معرفة أسماء الله الحسنىٰ وصفاته العلىٰ أصل كل عبادة:

فمن أراد امتثال أوامر الله تَعَالَىٰ واجتناب نواهيه فلابد أن يعرف ربه أولا، ولذلك كان أول أمرٍ أمرَ النبي صلىٰ الله عليه به معاذ إذا قدم علىٰ أهل اليمن أن يعرفهم بربهم، ففي حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لما بعث معاذا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ علىٰ اليمن قال: «إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَىٰ قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللهِ، فَإِذَا عَرَفُوا اللهَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا فَعَلُوا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَىٰ فُقَرَائِهِمْ، فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا، فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ»(١).

٥- إحصاء أسماء الله الحسنىٰ من أعظم أسباب دخول الجنة:

روىٰ البخاري في صحيحه من حديث أبو هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مائَةً إِلا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»(٢)

يقول ابن القيم في معنىٰ إحصائها: «في بيان مراتب إحصاء أسمائه التي من أحصاها دخل الجنة، وهذا هو قطب السعادة، ومدار النجاة والفلاح.

المرتبة الأولىٰ: إحصاء ألفاظها وعددها.

المرتبة الثانية: فهم معانيها ومدلولها.

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له، رقم الحديث: (١٤٥٨)، ومسلم، رقم الحديث: (١٩).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٧٣٩٢)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٦٧٧).

المرتبة الثالثة: دعاؤه بها كما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠]، وهو مرتبتان، إحداهما: دعاء ثناء وعبادة، والثاني: دعاء طلب ومسألة فلا يثنىٰ عليه إلا بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلىٰ وكذلك لا يسأل إلا بها»[١].

٦- العمل بمقتضىٰ أسماء الله الحسنىٰ:

قال ابن بطال في معنىٰ حديث «من أحصاها دخل الجنة»: «يحتمل أن يكون الإحصاء المراد في هذا الحديث والله أعلم: العمل بالأسماء والتعبد لمن سُمي بها، فإن قال قائل: كيف وجه إحصائها عملًا؟ قيل له وجه ذلك:

أن ما كان من أسماء الله تَعَالَىٰ مما يجب علىٰ المؤمن الاقتداء بالله تَعَالَىٰ فيه: كالرحيم والكريم، والعفو والغفور، والشكور والتواب وشبهها، فإن الله تَعَالَىٰ يُحب أن يرىٰ علىٰ عبده حلاها ويرضىٰ له معناها، والاقتداء به تَعَالَىٰ فيها، فهذا العمل بهذا النوع من الأسماء، وما كان منها مما لا يليق بالعبد معانيها كالله والأحد، والقدوس والجبار، والمتعال والمتكبر، والعظيم والعزيز، والقوي وشبهها، فإنه يجب علىٰ العبد الإقرار بها، والتذلل لها، والإشفاق منها.

وما كان بمعنىٰ الوعيد: كشديد العقاب، وعزيز ذي انتقام، وسريع الحساب وشبهها، فإنه يجب علىٰ العبد الوقوف عند أمره، واجتناب نهيه، واستشعار خشية الله تَعَالَىٰ من أجلها، خوف وعيده، وشديد عقابه، هذا وجه إحصائها عملًا، فهذا يدخل الجنة إن شاء الله، وأخبرني بعض أهل العلم عن

(١) بدائع الفوائد، ابن القيم، (١/ ١٦٤)

أبي محمد الأصيلي أنه أشار إلى هذا المعنى غير أنه لم يشرحه فقال: الإحصاء لأسمائه تَعَالَى هو: العمل بها، لا عدّها وحفظها فقط؛ لأنه قد يعدها المنافق والكافر وذلك غير نافع له»[1].

٧- معرفة أسماء الله الحسنى من أعظم أسباب إجابة الدعاء:

فالله سُبْحَانَهُ أمر عباده أولا بدعائه بأسمائه الحسنى، في قول تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، ووعد بالإجابة في قوله تَعَالَى: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

وفي حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن رَسُولِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ أنه قال: «**مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ ولا حَزَنٌ، فَقَالَ: اللهُمَّ إني عَبْدُك، ابْنُ عَبْدِك، ابْنُ أَمَتِك، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِك، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ القُرْآنَ العَظِيمَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ هَمَّهُ وَحَزَنَهُ وأَبْدَلَ مَكَانَه فَرَحًا**». فَقِيلَ: يَا رَسُولَ الله، أَفَلَا نَتَعَلَّمُها؟ فَقَالَ: «**بَلَىٰ يَنْبَغِي لِكُلِّ مَنْ سَمِعَها أَنْ يَتَعَلَّمَها**»[2].

٨- محبة الله لمن فقه أسماءه الحسنى وأحبها:

ومما يدل على ذلك حديث عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا؛ أنَّ النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ رَجُلًا عَلَىٰ سَرِيَّةٍ، وَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلَاتِهِم، فَيَخْتِمُ بقُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ، فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ للنَّبِي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «**سَلُوهُ لِأَي شَيْءٍ يَصْنَعُ**

---

(١) شرح صحيح البخاري، (١٠/ ٤٢٠)

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٣٠٦)

ذلك؟» فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: لأَنَّها صِفَةُ الرَّحْمَنِ، وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا. فقالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَخْبِرُوه أَنَّ اللهَ يُحِبُّه**»[1]، وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ، قالَ الرَّجُلُ: إِنِّي أُحِبُّها، فَقَالَ: «**حُبُّك إِياها أَدْخَلَكَ الجَنَّةَ**»[2].

٩- معرفة أسماء الله الحسنىٰ تورث حياة طيبة للعبد:

ومن ذلك: الصبر علىٰ المكروهات والمصائب النازلة بالعبد، فهو سُبْحَانَهُ حكيم عليم، حكم عدل، ولا يظلم أحداً فمن عرف ربًا كذلك صبر علىٰ قضائه وقدره، يقول ابن القيم: «من صحت له معرفة ربه والفقه في أسمائه وصفاته علم يقيناً أن المكروهات التي تصيبه والمحن الذي تنزل به فيها ضروب من المصالح والمنافع، التي لا يحصيها علمه ولا فكرته، بل مصلحة العبد فيما يكره أعظم منها فيما يحب»[3].

ومن ذلك أيضًا: حسن الظن بالله والثقة به تَعَالَى، فمعرفة أنه قادر حكيم، فعال لما يريد، يوجب ذلك، يقول ابن القيم: «وأكثر الناس يظنون بالله غير الحق ظن السوء فيما يختص بهم، وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم عن ذلك إلا من عرف الله وعرف أسماءه وصفاته، وعرف موجب حمده وحكمته، فمن قنط من رحمته وأيس من روحه، فقد ظن به ظن السوء، ومن جوز عليه أن يعذب أولياءه مع إحسانهم وإخلاصهم ويسوي بينهم وبين أعدائه، فقد ظن به ظن السوء، ومن ظن به أن يترك خلقه سدىٰ معطلين عن الأمر والنهي،

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث (٧٣٧٥)، ومسلم، رقم الحديث: (٨١٣).

(٢) أخرجه البخاري في مختصره، رقم الحديث: (١٣٠).

(٣) الفوائد، (ص:٩٢)

ولا يرسل إليهم رسله، ولا ينزل عليهم كتبه، بل يتركهم هملا كالأنعام، فقد ظن به ظن السوء...»[1]

ومن ذلك أيضًا: حسن الخلق وسلامة السلوك والسلامة من الآفات كالعجب والكبر والحسد، فمن عرف ربه بأسمائه وصفاته لم يتكبر ولم يحسد أحداً علىٰ ما آتاه الله؛ لأن الحسد في الحقيقة مضاد لله في حكمته، فإنعام الله علىٰ عبده تابع لحكمته والحاسد يكره هذا الإنعام وقد اقتضته حكمة الله، فهو مضاد لله تَعَالَى في حكمته وقضائه وقدره.



---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، (٣/ ٢٠٦)

قواعد في أسماء الله وصفاته
وفق منهج أهل السنة والجماعة[1]



إن من أجل العلوم وأعظمها نفعًا وأكثرها فائدة معرفة القواعد والأصول، والضوابط الكلية الجامعة، وذلك لأن «الأصول والقواعد للعلوم بمنزلة الأساس للبنيان، والأصول للأشجار، لا ثبات لها إلا بها، والأصول تبنىٰ عليها الفروع، والفروع تثبت وتتقوىٰ بالأصول، وبالقواعد والأصول يثبت العلم ويقوىٰ وينمىٰ نماءً مطردًا، وبها تعرف مآخذ الأصول، وبها يحصل الفرقان بين المسائل التي تشتبه كثيرا، كما أنها تجمع النظائر والأشباه التي من جمال العلم جمعها، غير ذلك من الفوائد العظيمة والمنافع الجليلة»[2].

وعليه فإذا ضُبطت هذه القواعد وفهمت الأصول، أمكن الإلمام بكثير من المسائل التي هي بمثابة الفروع لها، وأمن الخلط بين المسائل التي قد تشتبه، وكان فيها تسهيل لفهم العلم وحفظه وضبطه، وبها يكون الكلام مبنيًا علىٰ علم متين وعدل وإنصاف، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في ذلك: «لابد أن يكون مع الإنسان أصول كلية تُرد إليها الجزئيات؛ ليتكلم بعلم وعدل، ثم يعرف الجزئيات كيف وقعت، وإلا فيبقىٰ في كذب وجهل في الجزئيات،

---

(١) المرجع الأساسي: القواعد المثلىٰ في صفات الله وأسمائه الحسنىٰ، ابن عثيمين، بتصرف يسير، وما تم نقله بالنص أضفته بين قوسي تنصيص، وأحلت علىٰ رقم الصفحة من الكتاب في الهامش.

(٢) طريق الوصول إلىٰ العلم المأمول بمعرفة القواعد والضوابط والأصول، السعدي، (ص:٦).

وجهل وظلم في الكليات، فيتولد فساد عظيم»[1].

وفيما يلي جملة من القواعد الأساسية، والضوابط المهمة في فقه أسماء الله الحسنىٰ، مستمدة من الشريعة الإسلامية، معلومة بالاستقراء والتتبع لنصوص الكتاب والسنة، وفي فهمها إعانة لفهم أسماء الله تَعَالَى وصفاته وفق منهج أهل السنة والجماعة، بعيدًا عن أراء أهل البدع والضلال.



(١) الفتاوىٰ، ابن تيمية، (١٩/ ٢٠٣)

أولا: أبرز القواعد في أسماء الله تعالى:

القاعدة الأولى: أسماء الله تَعَالَى كلها حسنى:

أي: بالغة في الحسن غايته، وقد وصف الله سُبْحَانَهُ أسماءه بالحسنى في أربع آيات من القرآن الكريم، وهي:

١. قوله تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف:١٨٠].

٢. قوله تَعَالَى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَـٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾ [الإسراء:١١٠].

٣. قوله تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه:٨].

٤. قوله تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر:٢٤].

وسميت بالحسنى؛ لأنها متضمنة للصفات الكاملة، التي لا نقص فيها بوجه من الوجوه، لا احتمالًا ولا تقديرًا، فمثلًا اسم الله (العليم) متضمن للعلم الكامل الذي لم يسبق بجهل، ولا يلحقه نسيان، يقول تَعَالَى: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَـٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾ [طه:٥١-٥٢]، ويقول سُبْحَانَهُ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام:٥٩]، والحسن في أسماء الله تَعَالَى يكون باعتبار كل اسم على انفراده، ويكون باعتبار جمعه إلى غيره، فيحصل

بجمع الاسم إلىٰ الآخر كمال فوق كمال.

ويشترط في الاسم ليكون من أسماء الله الحسنىٰ اجتماع ثلاثة شروط، وهي:

١. أن يكون قد جاء في الكتاب والسنة، يعني نُص عليه في الكتاب والسنة، نُص عليه بالاسم لا بالفعل، ولا بالمصدر.

٢. أن يكون مما يدعىٰ الله عَزَّوَجَلَّ به.

٣. أن يكون متضمنًا لمدح كامل مطلق غير مخصوص.

القاعدة الثانية: أسماء الله تَعَالَىٰ أعلام وأوصاف:

فهي أعلام باعتبار: دلالتها علىٰ الذات، وبهذا الاعتبار تعد مترادفة؛ لدلالتها علىٰ مسمىٰ واحد، وهو الله عَزَّوَجَلَّ، أما اعتبارها أوصافًا فبما دلت عليه من المعاني، وبهذا الاعتبار تعد متباينة، لدلالة كل واحد منهما علىٰ معناه الخاص.

فمثلا: «الحي، العليم، القدير، السميع، البصير»، كلها أسماء لمسمىٰ واحد وهو الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، لكن معنىٰ الحي غير معنىٰ العليم، ومعنىٰ العليم غير معنىٰ القدير، وهكذا.

القاعدة الثالثة: أسماء الله تَعَالَىٰ إن دلت علىٰ وصف متعد تضمنت ثلاثة أمور:

أحدها: ثبوت ذلك الاسم لله عَزَّوَجَلَّ.

الثاني: ثبوت الصفة التي تضمنها لله عَزَّوَجَلَّ.

الثالث: ثبوت حكمها ومقتضاها.

مثال ذلك: «السميع» يتضمن إثبات السميع اسما لله تَعَالَى وإثبات السمع صفة له، وإثبات حكم ذلك ومقتضاه، وهو أنه يسمع السر والنجوىٰ، كما قال تَعَالَى «والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير».

وإن دلت علىٰ وصف غير متعد تضمنت أمرين:

أحدهما: ثبوت ذلك الاسم لله عَزَّوَجَلَّ.

الثاني: ثبوت الصفة التي تضمنها لله عَزَّوَجَلَّ.

مثال ذلك: «الحي» يتضمن إثبات الحي اسما لله عَزَّوَجَلَّ وإثبات الحياة صفة له.

القاعدة الرابعة: دلالة أسماء الله تَعَالَى علىٰ ذاته وصفاته تكون: بالمطابقة، وبالتضمن، وبالالتزام.

مثال ذلك: «الخالق» يدل علىٰ ذات الله، وعلىٰ صفة الخلق بالمطابقة، ويدل علىٰ الذات وحدها، وعلىٰ صفة الخلق وحدها بالتضمن، ويدل علىٰ صفتي العلم والقدرة بالالتزام.

ولهذا لما ذكر الله خلق السماوات والأرض قال: «لتعلموا أن الله علىٰ كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما».

ودلالة الالتزام مفيدة جدًا لطالب العلم إذا تدبر المعنىٰ، ووفقه الله تَعَالَى فهمًا للتلازم، فإنه بذلك يحصل من الدليل الواحد علىٰ مسائل كثيرة.

القاعدة الخامسة: أسماء الله تَعَالَى توقيفية لا مجال للعقل فيها.

وعليه فيجب الوقوف فيها علىٰ ما جاء به الكتاب والسنة، فلا يزاد فيها ولا ينقص، لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه تَعَالَى من الأسماء، فوجب الوقوف في ذلك علىٰ النص، يقول تَعَالَى في ذلك: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء:٣٦]؛ ولأن تسميته تَعَالَى بما لم يسم به نفسه أو إنكار ما سمىٰ به نفسه جناية في حقه تَعَالَى، ويدخل في الإلحاد في أسمائه تَعَالَى، وقد يقع صاحبه في التشبيه؛ لأن المشبهة وصفوا الله بما لم يأذن به الله تَعَالَى.

يقول الخطابي في ذلك: «ومن علم هذا الباب، أعني: الأسماء والصفات، ومما يدخل في أحكامه، ويتعلق به من شرائط، أنه لا يتجاوز فيها التوقيف، ولا يستعمل فيها القياس؛ فيلحق بالشيء نظيره في ظاهر وضع اللغة ومتعارف الكلام ...، فقد جاء في الأسماء: «القوي»، ولكن لا يقاس عليه الجلد، وإن كانا يتقاربان في نعوت الآدميين؛ لأن باب التجلد يدخله التكلف والاجتهاد، ولا يقاس علىٰ «القادر» المطيق ولا المستطيع؛ لأن الطاقة والاستطاعة إنما تطلقان علىٰ معنىٰ قوة البنية، وتركيب الخلقة، ولا يقاس علىٰ «الرحيم» الرقيق، وإن كانت الرحمة في نعوت الآدميين نوعًا من رقة القلب، وفي صفات الله سُبْحَانَهُ: «الحليم» و «الصبور» فلا يجوز أن يقاس عليها الوقور والرزين»[١].

---

(١) شأن الدعاء، (١/ ١١١)

القاعدة السادسة: أسماء الله تَعَالَى غير محصورة بعدد معين:

لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في دعائه: «أسألُك بكلِّ اسمٍ هو لك سميتَ به نفسَك أوْ علَّمْتَه أحدًا مِنْ خلقِك أو أنزلته في كتابِك أو استأثرتَ به في علمِ الغيبِ»[1]، وما استأثر الله تَعَالَى به في علم الغيب لا يمكن أحدا حصره ولا الإحاطة به.

وفي الجمع بين هذا الحديث وحديث: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»[2]

يقول ابن حجر: «وقد اختلف في هذا العدد -يقصد: حديث «إن لله تسعة وتسعين اسما»- هل المراد به حصر الأسماء الحسنىٰ في هذه العدة؟ أو أنها أكثر من ذلك، ولكن اختصت هذه بأن من أحصاها دخل الجنة؟ فذهب الجمهور إلىٰ الثاني ونقل النووي اتفاق العلماء عليه، فقال: ليس في الحديث حصر أسماء الله تَعَالَى، وليس معناه أنه ليس له اسم غير هذه التسعة والتسعين وإنما مقصود الحديث أن هذه الأسماء من أحصاها دخل الجنة، فالمراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها، لا الإخبار بحصر الأسماء، ويؤيده قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث بن مسعود: «**أسألُك بكلِّ اسمٍ هو لك سميتَ به نفسَك أوْ علَّمْتَه أحدًا مِنْ خلقِك أو أنزلته في كتابِك أو استأثرتَ به في علمِ الغيبِ**»[3]

«فأما قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ**» فلا يدل علىٰ حصر الأسماء بهذا العدد، ولو كان المراد

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٣٠٦)

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٧٣٩٢)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٦٧٧).

(٣) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، (١١/ ٢٢٠)

الحصر لكانت العبارة: إن أسماء الله تسعة وتسعون اسما، من أحصاها دخل الجنة، أو نحو ذلك.

القاعدة السابعة: الإلحاد في أسماء الله تَعَالَى هو الميل بها عما يجب فيها

والإلحاد في أسماء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنواع، وهي:

الأول: أن ينكر شيئًا منها، أو مما دلت عليه من الصفات والأحكام، كما فعل أهل التعطيل من الجهمية وغيرهم.

الثاني: أن يجعلها دالة علىٰ صفات تشابه صفات المخلوقين، كما فعل أهل التشبيه.

الثالث: أن يسمىٰ الله تَعَالَى بما لم يسم به نفسه، كتسمية النصارىٰ له: (الأب)، وتسمية الفلاسفة إياه (العلة الفاعلة).

الرابع: أن يشتق من أسمائه أسماء للأصنام، كما فعل المشركون في اشتقاق العزىٰ من العزيز، واشتقاق اللات من الإله علىٰ أحد القولين، فسموا بها أصنامهم.

والإلحاد بجميع أنواعه محرم؛ لأن الله تَعَالَى هدد الملحدين بقوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٨٠]، ومنه ما يكون شركا أو كفرا حسبما تقتضيه الأدلة الشرعية.

«وقد برأ الله أتباع رسوله وورثته القائمين بسنته عن ذلك كله، فلم يصفوه إلا بما وصف به نفسه، ولم يجحدوا صفاته ولم يشبهوها بصفات خلقه، ولم

يعدلوا بها عما أنزلت عليه لفظًا ولا معنىٰ، بل أثبتوا له الأسماء والصفات، ونفوا عنه مشابهة المخلوقات، فكان إثباتهم بريئًا من التشبيه، وتنزيههم خليًا من التعطيل، لا كمن شبه حتىٰ كأنه يعبد صنمًا، أو عطل حتىٰ كأنه لا يعبد إلا عدمًا»[1]

ثانيا: أبرز القواعد في صفات الله تعالى:

القاعدة الأولىٰ: صفات الله تَعَالَىٰ كلها صفات كمال لا نقص فيها أو ضعف.

فلصفاته سُبْحَانَهُ الكمال المطلق، يقول تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [النحل:٦٠]، والمثل الأعلىٰ: هو الوصف الأعلىٰ، وبالمقابل نزه الله نفسه سُبْحَانَهُ عن كل النقائص، يقول تَعَالَىٰ: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الصافات:١٨٠]

وعليه فكل صفة لا كمال فيها تمتنع في حق الله تَعَالَىٰ، كالموت، والجهل، والنسيان، والعجز، والعمىٰ، ونحوها، وفي هذا آيات وشواهد كثيرة منها: قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان:٥٨]، وقوله تَعَالَىٰ علىٰ لسان موسىٰ: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾ [طه:٥٢]، وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الزخرف:٨٠]، ويقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الدجال: «إِنَّهُ أَعْوَرُ، وإنَّ ربَّكُمْ عَزَّوجلَّ لَيْسَ بأعْورَ»[2]، وقال: «أَيُّها

(١) بدائع الفوائد، ابن القيم، (١/ ١٨٠)

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له، رقم الحديث (٧١٢٧)، ومسلم، رقم الحديث (٢٩٣٣).

النَّاسُ ارْبَعُوا علَىٰ أَنْفُسِكُمْ، إنَّكُمْ ليسَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا»(١).

وإذا كانت الصفة كمالًا في حال، ونقصًا في حال لم تكن جائزة في حق الله تَعَالَى، ولا ممتنعة علىٰ سبيل الإطلاق، فلا تثبت له إثباتًا مطلقًا، ولا تنفىٰ عنه نفيًا مطلقًا، بل لا بد من التفصيل، فتجوز في الحال التي تكون كمالًا، وتمتنع في الحال التي تكون نقصًا، وذلك كالمكر، والكيد، والخداع، ونحوها، فهذه الصفات تكون كمالًا إذا كانت في مقابلة من يعاملون الفاعل بمثلها؛ لأنها حينئذ تدل علىٰ أن فاعلها قادر علىٰ مقابلة عدوه بمثل فعله، أو أشد، وتكون نقصًا في غير هذه الحال، ولهذا لم يذكرها الله تَعَالَى من صفاته علىٰ سبيل الإطلاق، وإنما ذكرها في مقابلة من يعاملونه ورسله بمثلها، كقوله تَعَالَى: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ٥٤﴾ [آل عمران:٥٤]، وقوله: ﴿إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ١٥ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ١٦﴾ [الطارق:١٥-١٦]، وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ١٨٢ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ١٨٣﴾ [الأعراف: ١٨٢-١٨٣]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾ [النساء:١٤٢]، وقوله: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ١٤ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١٥﴾ [البقرة:١٤-١٥]

ولهذا لم يذكر الله أنه خان من خانوه، فقال تَعَالَى: ﴿وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٧١﴾ [الأنفال:٧١]، فقال:

(١) أخرجه مسلم، واللفظ له، رقم الحديث: (٢٧٠٤).

فأمكن منهم، ولم يقل: فخانهم؛ لأن الخيانة خدعة في مقام الائتمان، وهي صفة ذم مطلقا، وبذا عرف أن قول بعض العوام: خان الله من يخون. منكر فاحش يجب النهي عنه.

القاعدة الثانية: باب الصفات أوسع من باب الأسماء، وباب الإخبار أوسع من باب الصفات.

وذلك لأن كل اسم متضمن لصفة؛ ولأن من الصفات ما يتعلق بأفعال الله تَعَالَى، وأفعاله لا منتهىٰ لها، كما أن أقواله لا منتهىٰ لها، قال الله تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [لقمان:٢٧]، ومن أمثلة ذلك: أن من صفات الله تَعَالَى: المجيء، والإتيان، والأخذ، إلىٰ غير ذلك من الصفات التي لا تحصىٰ، كما قال تَعَالَى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر:٢٢]، وقال: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة:٢١٠]، وقال: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾﴾ [آل عمران:١١]، فيوصف الله تَعَالَى بهذه الصفات علىٰ الوجه الوارد، ولا يسمىٰ بها، فلا يقال: إن من أسمائه الجائي، والآتي، والآخذ، ونحو ذلك، وإن كنا نخبر بذلك عنه ونصفه به.

أما ما يتعلق بباب الإخبار عنه تَعَالَى فهو أوسع مما يدخل في باب أسمائه وصفاته، كالموجود، والقائم بنفسه، فإنه يخبر به عنه، ولا يدخل في أسمائه الحسنىٰ، وصفاته العليا.

القاعدة الثالثة: صفات الله تَعَالَىٰ تنقسم إلىٰ قسمين: ثبوتية، وسلبية.

فالثبوتية: ما أثبت الله تَعَالَىٰ لنفسه في كتابه أو علىٰ لسان رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه، كالحياة، والعلم، والقدرة، والاستواء علىٰ العرش، والنزول إلىٰ السماء الدنيا، والوجه، واليدين، ونحو ذلك، فيجب إثباتها لله تَعَالَىٰ، حقيقة علىٰ الوجه اللائق به، يقول تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء:١٣٦]، فالإيمان بالله يتضمن: الإيمان بصفاته، والإيمان بالكتاب الذي نزل علىٰ رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتضمن: الإيمان بكل ما جاء فيه من صفات الله، وكون محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسوله يتضمن: الإيمان بكل ما أخبر به عن مرسله، وهو الله عَزَّوَجَلَّ.

والصفات السلبية: ما نفاها الله سُبْحَانَهُ عن نفسه في كتابه، أو علىٰ لسان رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكلها صفات نقص في حقه، كالموت، والنوم، والجهل، والنسيان، والعجز، والتعب، فيجب نفيها عن الله تَعَالَىٰ مع إثبات ضدها علىٰ الوجه الأكمل، وذلك لأن ما نفاه الله تَعَالَىٰ عن نفسه فالمراد به بيان انتفائه لثبوت كمال ضده لا لمجرد نفيه، لأن النفي ليس بكمال إلا أن يتضمن ما يدل علىٰ الكمال، وذلك لأن النفي عدم، والعدم ليس بشيء فضلا عن أن يكون كمالا، ولأن النفي قد يكون لعدم قابلية المحل له فلا يكون كمالا، كما لو قلت: الجدار لا يظلم. وقد يكون للعجز عن القيام به فيكون نقصا،

مثال ذلك: قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان:٥٨]،

فنفي الموت عنه يتضمن كمال حياته، مثال آخر قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾ [الكهف:٤٩]، فنفي الظلم عنه يتضمن كمال عدله.

القاعدة الرابعة: الصفات الثبوتية صفات مدح وكمال، فكلما كثرت وتنوعت دلالاتها ظهر من كمال الموصوف بها ما هو أكثر:

ولهذا كانت الصفات الثبوتية التي أخبر الله بها عن نفسه أكثر بكثير من الصفات السلبية، التي لاتذكر غالبا إلا في الأحوال التالية:

الأولىٰ: بيان عموم كماله، كما في قوله تَعَالَىٰ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ:١١]، ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾ [الإخلاص:٤]

الثانية: نفي ما ادعاه في حقه الكاذبون، كما في قوله: ﴿أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ٩١ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ٩٢﴾ [مريم:٩١-٩٢]

الثالثة: دفع توهم نقص من كماله فيما يتعلق بهذا الأمر المعين، كما في قوله: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ١٦﴾ [الأنبياء:١٦]، وقوله: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ ٣٨﴾ [ق:٣٨]

القاعدة الخامسة: الصفات الثبوتية تنقسم إلىٰ قسمين: ذاتية، وفعلية.

فالذاتية: هي التي لم يزل ولا يزال متصفا بها، كالعلم والقدرة والسمع والبصر والعزة والحكمة والعلو والعظمة، ومنها الصفات الخبرية: كالوجه واليدين والعينين.

والفعلية: هي التي تتعلق بمشيئته، إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها، كالاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا.

وقد تكون الصفة ذاتية فعلية باعتبارين كالكلام، فإنه باعتبار أصله صفة ذاتية، لأن الله تَعَالَى لم يزل ولا يزال متكلما، وباعتبار آحاد الكلام صفة فعلية، لأن الكلام يتعلق بمشيئته، يتكلم متى شاء بما شاء، كما في قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢﴾ [يس:٨٢]، وكل صفة تعلقت بمشيئته تَعَالَى فإنها تابعة لحكمته.

وقد تكون الحكمة معلومة عند البشر، وقد يعجزون عن إدراكها، رغم يقينهم بأن الله سُبْحَانَهُ لا يشاء شيئا إلا وهو موافق للحكمة، كما يشير إليه قوله تَعَالَى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٣٠﴾ [الإنسان: ٣٠]

القاعدة السادسة: يلزم في إثبات الصفات التخلي عن محذورين عظيمين:

أحدهما: التمثيل، والثاني: التكييف.

فأما التمثيل: فهو اعتقاد المثبت أن ما أثبته من صفات الله تَعَالَى مماثل لصفات المخلوقين، وهذا اعتقاد باطل، يقول تَعَالَى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤﴾ [الإخلاص:٤]

ومن أدلة العقل في ذلك:

١. أنه قد علم بالضرورة أن بين الخالق والمخلوق تباينًا في الذات، وهذا يستلزم أن يكون بينهما تباين في الصفات؛ لأن صفة كل موصوف تليق به، كما هو ظاهر في صفات المخلوقات المتباينة في الذوات، فقوة البعير مثلًا غير قوة

الذرة، فإذا ظهر التباين بين المخلوقات مع اشتراكها في الإمكان والحدوث، فظهور التباين بينها وبين الخالق أجلىٰ وأقوىٰ.

٢. أن يقال: كيف يكون الرب الخالق الكامل من جميع الوجوه مشابهًا في صفاته للمخلوق المربوب الناقص المفتقر إلىٰ من يكمله؟ وهل اعتقاد ذلك إلا تنقص لحق الخالق، فإن تشبيه الكامل بالناقص يجعله ناقصًا.

والتشبيه كالتمثيل، وقد يفرق بينهما بأن التمثيل التسوية في كل الصفات، والتشبيه التسوية في أكثر الصفات، ولكن التعبير بنفي التمثيل أولىٰ لموافقة القرآن: «ليس كمثله شيء».

أما التكييف: فهو أن يعتقد المثبت أن كيفية صفات الله تَعَالَى كذا وكذا، من غير أن يقيدها بمماثل، وهذا اعتقاد باطل، يقول تَعَالَى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه:١١٠]، ويقول أيضا: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء:٣٦]، ومن المعلوم أنه لا علم لنا بكيفية صفات ربنا، لأنه تَعَالَى أخبرنا عنها ولم يخبرنا عن كيفيتها، فيكون تكييفنا وقوفًا لما ليس لنا به علم، وقولًا بما لا يمكننا الإحاطة به.

وأما العقل: فلأن الشيء لا تعرف كيفية صفاته إلا بعد العلم بكيفية ذاته، أو العلم بنظيره المساوي له، أو بالخبر الصادق عنه، وكل هذه الطرق منتفية في كيفية صفات الله عزوجل، فوجب بطلان تكييفها.

وأيضا فإننا نقول: أي كيفية تُقدرها لصفات الله تَعَالَى؟ إن أي كيفية تُقدرها في ذهنك فالله أعظم وأجل من ذلك، وأي كيفية تُقدرها لصفات الله تَعَالَى فإنك ستكون كاذبًا فيها؛ لأنه لا علم لك بذلك.

القاعدة السابعة: صفات الله تَعَالَى توقيفية لا مجال للعقل فيها:

فلا نثبت لله تَعَالَى من الصفات إلا ما دل الكتاب والسنة علىٰ ثبوته[1]، قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى: «لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا يتجاوز القرآن والحديث».

ولدلالة الكتاب والسنة علىٰ ثبوت الصفة ثلاثة أوجه:

الأول: التصريح بالصفة، كالعزة والقوة والرحمة والبطش والوجه واليدين، ونحوها.

الثاني: تضمن الاسم لها، مثل: الغفور متضمن للمغفرة، والسميع متضمن للسمع، ونحو ذلك. انظر: القاعدة الثالثة في الأسماء.

الثالث: التصريح بفعل أو وصف دال عليها، كالاستواء علىٰ العرش، كما في قوله تَعَالَى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه:٥]، والمجيء للفصل بين العباد يوم القيامة، في قول الله تَعَالَى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝٢٢﴾ [الفجر:٢٢]، والانتقام من المجرمين، في قوله: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة:٢٢].



(١) تراجع القاعدة الخامسة من قواعد الأسماء الحسنىٰ



الأسماء التي ثبتت في القرآن الكريم والسنة النبوية

موسوعة
شرح أسماء الله الحسنى

الأول والآخر جَلَّجَلَالُهُ



المعنى اللغوي:

أولًا: المعنىٰ اللغوي لاسم الله (الأول):

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مادة (أ و ل) الهمزة والواو واللام أصلان: ابتداء الأمر، وانتهاؤه، فالأول، هو مبتدأ الشيء، والمؤنثة الأولىٰ، مثل أفعل وفعلىٰ، وجمع الأولىٰ أوليات، مثل الأخرىٰ... قال أبو زيد: كان الجاهلية يسمون يوم الأحد الأول»[(١)].

ثانيًا: المعنىٰ اللغوي لاسم الله (الآخر):

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أخر أخرته فتأخر، واستأخر، مثل تأخر، والآخر: بعد الأول، وهو صفة، تقول: جاء آخرًا، أي: أخيرًا... »[(٢)].

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(أخر) الهمزة والخاء والراء، أصل واحد إليه ترجع فروعه، وهو خلاف التقدم»[(٣)].

---

(١) مقاييس اللغة (١/ ١٥٨-١٥٩).

(٢) الصحاح (٢/ ١٣٧).

(٣) مقاييس اللغة (١/ ٨٨).

ورود اسم الله (الأول والآخِر) في القرآن الكريم:

ورد اسم الله (الأول والآخر) مرة واحدة في كتاب الله، وهي: قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد:٣].

ورود اسم الله (الأول والآخر) في السنة النبوية:

ورد اسم الله (الأول والآخر) في السنة النبوية، في حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «كان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأمرنا إذا أخذ أحدنا مضجعه أن يقول: **اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ وَرَبَّ الأَرَضِينَ، وَرَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الحَبِّ والنَّوَىٰ، وَمُنْزَلَ التَّوْرَاةِ والإِنْجِيلِ والقُرْآنِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتِ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، والظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، والبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ وَأَغْنِنِي مِنَ الفَقْرِ**»[1].

معنى اسم الله (الأول والآخر) في حقه سُبْحَانَهُ:

أولًا: معنىٰ اسم الله الأول[2]:

❁ أحسن التفسيرات في معناه: ما ذكره أعلم البشر بالله تَعَالَىٰ نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ**».

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٧١٣)، واللفظ للترمذي، رقم الحديث: (٣٤٠٠).

(٢) قد جرىٰ علىٰ ألسنة كثير من المتكلمين وبعض أهل السنة- أحيانًا- تسمية (الرب) تَعَالَىٰ (بالقديم)، والقديم ليس من أسماء الله تَعَالَىٰ الحسنىٰ، والتزام تسميته بـ(الأول) هو الموافق للكتاب والسنة واللغة، ويؤدي ما يؤديه (القديم) وزيادة؛ فإن (القديم) يعم كل متقدم علىٰ غيره في الزمان، وأما (الأول) فإنه يدل علىٰ التقدم المطلق علىٰ كل شيء.

❁ **قال الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو (الأول): قبل كل شيء بغير حد»[(١)].

❁ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(الأول) هو السابق للأشياء كلها، الكائن الذي لم يزل قبل وجود الخلق، فاستحق الأولية؛ إذ كان موجودًا ولا شيء قبله ولا معه»[(٢)].

❁ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سبق كل شيء بأوليته، وبقي بعد كل شيء بآخريته»[(٣)].

❁ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(الأول) يدل علىٰ أن كل ما سواه حادث كائن بعد أن لم يكن، ويجب علىٰ العبد أن يلحظ فضل ربه في كل نعمة دينية أو دنيوية؛ إذ السبب والمسبب منه تَعَالَىٰ»[(٤)].

ثانيًا: معنىٰ اسم الله الآخر:

❁ أحسن التفسيرات للمعنىٰ وأكملها: ما فسره أعرف البشر بالله عَزَّوَجَلَّ محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وذلك في قوله: «**وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ**».

❁ **قال الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(الآخر) بعد كل شيء بغير نهاية»[(٥)].

❁ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(الآخر) هو الباقي بعد فناء الخلق، وليس

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٣٨٥).

(٢) شأن الدعاء (ص٦٣).

(٣) مدارج السالكين ٣/ ١١٣).

(٤) شرح الأسماء الحسنىٰ (ص١٦٩).

(٥) تفسير الطبري (٢٧/ ٢١٥).

معنىٰ (الآخر) ما له انتهاء، كما ليس معنىٰ (الأول) ما له ابتداء»[1].

❊ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سبق كل شيء بأوليته، وبقي بعد كل شيء بآخريته»[2].

وقد نظم ابن القيم في نونيته في معنىٰ هذين الاسمين:

هُـوَ أَوَّلٌ هُـو آخِـرٌ هُـوَ ظَاهِـرٌ ... هُـوَ بَاطِـنٌ هِـيَ أَرْبَـعٌ بِـوزَانِ
مَـا قَبْلَـهُ شَـيْءٌ كَـذَا مَـا بَعْـدَهُ ... شَـيْءٌ تَعَـالَى اللهُ ذُو السُّـلْطَانِ
مَـا فَوْقَـهُ شَـيْءٌ كَـذَا مَـا دُونَـهُ ... شَـيْءٌ وَذَا تَفْسِيرُ ذِي البُرْهَـانِ[3]

اقتران اسم الله (الأول والآخر) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ فِي القرآن الكريم:

- اقتران اسمي الله (الأول والآخر) باسميه (الظاهر الباطن):

لم يقترن اسم الله الأول والآخر إلا باسمه الظاهر والباطن، وذلك في موضع واحد، هو قوله تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْأَخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد:٣].

وجه الاقتران:

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **عن هذه الأسماء الأربعة:** «فمدار هذه الأسماء الأربعة علىٰ الإحاطة، وهي إحاطتان: زمانية ومكانية، فأحاطت أوليته وآخريته

(١) شأن الدعاء (ص٨٤).

(٢) مدارج السالكين (٣/ ١١٣).

(٣) النونية (ص٢٠٣).

بالقبل والبعد، فكل سابق انتهىٰ إلىٰ أوليته، وكل آخر انتهىٰ إلىٰ آخريته، فأحاطت أوليته وآخريته بالأوائل والأواخر، وأحاطت ظاهريته وباطنيته بكل ظاهر وباطن، فما من ظاهر إلا والله فوقه، وما من باطن إلا والله دونه، وما من أول إلا والله قبله، وما من آخر إلا والله بعده»[1].

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله الأول والآخِر:

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسمي الله (الأول والآخر) من صفاته سُبْحَانَهُ:

الله سُبْحَانَهُ هو الأول والآخر، فهو المبتدئ بالفضل حيث لا سبب ولا وسيلة، وإليه ينتهىٰ الأمر حيث تنتهىٰ الأسباب والوسائل؛ فهو أول كل شيء وآخره، ذو الفضل والجلال والإكرام، الذي خلق وبرأ وصور في ابتداء خلقه، وأدام رزقه ومنه وكرمه وعطاءه لكل خلقه.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في ذلك**: «فأولية الله عَزَّوَجَلَّ سابقة علىٰ أولية كل ما سواه، وآخريته ثابتة بعد آخرية كل ما سواه، فأوليته: سبقه لكل شيء، وآخريته: بقاؤه بعد كل شيء، وظاهريته سُبْحَانَهُ: فوقيته وعلوه علىٰ كل شيء، ومعنىٰ الظهور يقتضىٰ العلو، وظاهر الشيء هو ما علا منه وأحاط بباطنه، وبطونه سُبْحَانَهُ: إحاطته بكل شيء، بحيث يكون أقرب إليه من نفسه.

وهذا قرب غير قرب المحب من حبيبه، هذا لون وهذا لون، فمدار هذه الأسماء الأربعة علىٰ الإحاطة، وهىٰ إحاطتان: زمانية ومكانية، فأحاطت أوليته

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين، (ص٢٤)، وستتأني تتمه قول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الأثر الأول.

وآخريته بالقبل والبعد، فكل سابق انتهىٰ إلىٰ أوليته، وكل آخر انتهىٰ إلىٰ آخريته، فأحاطت أوليته وآخريته بالأوائل والأواخر، وأحاطت ظاهريته وباطنيته بكل ظاهر وباطن، فما من ظاهر إلا والله فوقه، وما من باطن إلا والله دونه، وما من أول إلا والله قبله، وما من آخر إلا والله بعده؛ فالأول قدمه، والآخر دوامه وبقاؤه والظاهر علوه وعظمته، والباطن قربه ودنوه؛ فسبق كل شيء بأوليته وبقي بعد كل شيء بآخريته، وعلا علىٰ كل شيء بظهوره، ودنا من كل شيء ببطونه، فلا توارىٰ منه سماء سماء ولا أرض أرضًا، ولا يحجب عنه ظاهر باطن، بل الباطن له ظاهر، والغيب عنده شهادة، والبعيد منه قريب، والسر عنده علانية.

فهذه الأسماء الأربعة تشتمل علىٰ أركان التوحيد، فهو الأول في آخريته، والآخر في أوليته، والظاهر في بطونه والباطن في ظهوره، لم يزل أولًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا»[1].

الأثر الثالث: توحيد الله باسميه الأول والآخر:

توحيد الربوبية والألوهية:

«**فعبوديته باسمه الأول**: تقتضي التجرد من مطالعة الأسباب والوقوف عليها والالتفات إليها، وتجريد النظر إلىٰ مجرد سبق فضله ورحمته، وأنه هو المبتدئ بالإحسان من غير وسيلة من العبد؛ إذ لا وسيلة له في العدم قبل وجوده، وأي وسيلة كانت هناك، وإنما هو عدم محض، وقد أتىٰ عليه حين من الدهر لم يكن شيئًا مذكورًا، فمنه سُبْحَانَهُ الإعداد ومنه الإمداد، وفضله سابق علىٰ الوسائل، والوسائل من مجرد فضله وجوده، لم تكن بوسائل أخرىٰ، فمن نزل اسمه الأول علىٰ هذا المعنىٰ أوجب له فقرًا خاصًّا وعبودية خاصة.

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص٢٤).

وعبوديته باسمه الآخر: تقتضي - أيضًا- عدم ركونه ووثوقه بالأسباب والوقوف معها؛ فإنها تعدم لا محالة وتنقضي بالآخرية، ويبقىٰ الدائم الباقي بعدها، فالتعلق بها تعلق بما يعدم وينقضي، والتعلق بالآخر عَزَّوَجَلَّ تعلق بالحي الذي لا يموت ولا يزول، فالمتعلق به حقيق أن لا يزول ولا ينقطع، بخلاف التعلق بغيره مما له آخر يفنىٰ به»[1].

وكما أنه الأول والآخر سُبْحَانَهُ رب كل شيء، وفاعله وخالقه وبارئه، فهو إلهه وغايته التىٰ لا صلاح له ولا فلاح ولا كمال إلا بأن يكون هو غايته، كما أنه لا وجود له إلا بكونه وحده هو ربه وخالقه، وكذلك لا كمال له ولا صلاح إلا بكونه تَعَالَى وحده هو غايته وحده، ونهايته ومقصوده.

فهو الأول الذي ابتدأت منه المخلوقات، والآخر الذي انتهت إليه عبوديتها وإرادتها ومحبتها، فليس وراء الله شيء يقصد ويعبد ويتأله، كما أنه ليس قبله شيء يخلق ويبرأ، فكما كان واحدًا في إيجادك، فاجعله واحدًا في تألهك وعبوديتك، وكما ابتدأ وجودك وخلقك منه، فاجعله نهاية حبك وإرادتك وتألهك إليه؛ لتصح لك عبوديته باسمه الأول والآخر.

وأكثر الخلق تعبدوا له باسمه (الأول)[2]، فالكثير يؤمنون بتوحيد الربوبية وأن الله هو الخالق الرازق المدبر، كما الحال مع مشركي العرب وغيرهم ممن أقر بذلك، يقول تَعَالَى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [لقمان:٢٥]، فهم مقرون بذلك، فلا إشكال كبير في تحقيقه.

---

(١) طريق الهجرتين، وباب السعادتين (ص١٩ - ٢٠).

(٢) يقصد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أن كثيرًا من الخلق يؤمنون بتوحيد الربوبية، وأن الله هو الخالق الرازق المدبر، كما الحال مع مشركي العرب وغيرهم ممن أقر بذلك، يقول تَعَالَى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [لقمان:٢٥] فهم مقرون بذلك، فلا إشكال كبير في تحقيقه.

وإنما الشأن في التعبد له باسمه (الآخر)، فهذه عبودية الرسل وأتباعهم، فهو رب العالمين وإله المرسلين سُبْحَانَهُ وبحمده[1].

توحيد الأسماء والصفات:

وكما أن اسمي الله الأول والآخر دالان علىٰ توحيد الربوبية والألوهية، فكذا هما دالان علىٰ توحيد الأسماء والصفات؛ إذ يدلان علىٰ اسم الله الخالق، والبارئ، والمصور، والكريم، وذو الفضل، وذو الجلال والإكرام، إلىٰ غير ذلك من أسمائه سُبْحَانَهُ وما فيها من صفات.

الأثر الثالث: الأول والآخر سُبْحَانَهُ، مالك الإرادات ومقلب القلوب والنيات:

فعند تحقيق التوحيد في الاسم يعود الموحد بافتقاره إلىٰ ربه، ويجعل المرجعية في فعله إلىٰ ما اختاره لعبده الأول والآخر سُبْحَانَهُ، مالك الإرادات، ومقلب القلوب والنيات، يصرفها كيف شاء، يهدي من يشاء من عباده، ويزيده هداية علىٰ هدايته، وهذا قول الله تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى﴾ [محمد:١٧].

فهو المعد، وهو الممد، وكلما ازداد له العبد شكرًا: زاده فضلًا، وكلما ازداد له طاعة: زاده لمجده مثوبة، وكلما ازداد منه قربًا: لاح له من جلاله وعظمته ما لم يشاهده قبل ذلك، وهكذا أبدًا لا يقف علىٰ غاية ولا نهاية.

ومن شاء أن يثبته ثبته، ولذا كان دعاء الراسخين في العلم: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾ [آل عمران:٨].

(١) انظر: طريق الهجرتين، لابن القيم (ص٢٠).

فلا يأتي بالحسنات إلا هو، ولا يذهب بالسيئات إلا هو، ولا يهدي لأحسن الأعمال والأخلاق إلا هو، ولا يصرف سيئها إلا هو، قال تَعَالَى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس:١٠٧].

فعلىٰ العبد أن يسأل الله الهداية، وأن يسأله الاستدامة عليها.

الأثر الرابع: محبة الأول والآخر:

إن صدق التعبد باسم الله الأول، والآخر؛ يقود إلىٰ مطالعة منة الله ومحبته، والتبرؤ من كل سبب، فالنعم أولها من الله، ودوامها منه، وانتهاؤها إليه، فكيف يحب العبد غير ربه، أو يشقي نفسه مع خلقه، وهو مؤمن بالأول الآخر سُبْحَانَهُ!

الأثر الخامس: قِصر الأمل في الدنيا والزهد في مباحاتها والبعد عن شهواتها:

من علم أنه سُبْحَانَهُ الآخر، وأنه الدائم الحي الذي لا يموت فكل شيء ينتهي إليه، ويعود إليه، فلا يفلت أحد من قبضته ولا يدوم أحد إلا وجهه الكريم، فكل من علىٰ ظهر الأرض فان،كما قال تَعَالَى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٦] فالخلائق كلها مرجعها إليه سُبْحَانَهُ، ومنتهاها إليه جل في علاه، كما قال تَعَالَى: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾ [العلق:٨] وقوله تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم:٤٢].

فهو سُبْحَانَهُ الذي ينتهي إليه سير السائرين ومعارف العارفين، فكل معرفة قبل معرفته سُبْحَانَهُ فهي سلم علىٰ معرفته، وكل رتبة قبل الوصول إليه

والنظر إلىٰ وجهه الكريم فهي رتبة نازلة عند من همتهم. قوله تَعَالَىٰ: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام:٥٢].

فمثل هذا العلم يورث العبد معرفة حقيقة الدنيا، فيقصر أمله فيها؛ لعلمه أنها منقطعة، والكل عنها راحلون، وعن وراثتها زائلون، فعليه أن يجتهد للآخرة، فلا يفرح فيها بموجود، ولا يأسف منها بمفقود، فنعيم الدنيا بحذافيره في جنب نعيم الآخرة أقل من ذرة في جنب جبال الدنيا، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًا ۖ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد:٢٠ - ٢١].

يخبر تَعَالَىٰ عن حقيقة الدنيا وما هي عليه، ويبين غايتها وغاية أهلها، بأنها لعب ولهو، تلعب بها الأبدان، وتلهو بها القلوب، وهذا مصداقه ما هو موجود وواقع من أبناء الدنيا، فإنك تجدهم قد قطعوا أوقات أعمارهم بلهو القلوب، والغفلة عن ذكر الله وعما أمامهم من الوعد والوعيد، وتراهم قد اتخذوا دينهم لعبًا ولهوًا، بخلاف أهل اليقظة وعمال الآخرة، فإن قلوبهم معمورة بذكر الله، ومعرفته ومحبته، وقد أشغلوا أوقاتهم بالأعمال التي تقربهم إلىٰ الله، من النفع القاصر والمتعدي.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الغايات والنهايات كلها إليه تنتهي: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم:٤٢]؛ فانتهت إليه الغايات والنهايات؛ وليس له سُبْحَانَهُ

غاية ولا نهاية؛ لا في وجوده، ولا في مزيد جوده؛ إذ هو (الأول) الذي ليس قبله شيء، و(الآخر) الذي ليس بعده شيء، ولا نهاية لحمده وعطائه؛ بل كلما ازداد له العبد شكرًا: زاده فضلًا، وكلما ازداد له طاعة: زاده لمجده مثوبة، وكلما ازداد منه قربًا: لاح له من جلاله وعظمته ما لم يشاهده قبل ذلك، وهكذا أبدًا لا يقف علىٰ غاية ولا نهاية، ولهذا جاء: إن أهل الجنة في مزيد دائم بلا انتهاء [1].

فإن نعيمهم متصل ممن لا نهاية لفضله ولا لعطائه؛ ولا لمزيده، ولا لأوصافه، فتبارك الله ذو الجلال والإكرام: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ [ص: ٥٤]، (**يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ المِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ البَحْرَ**)[2]»[3].

وقد يبدو في الظاهر أن بقاء أهل الجنة والنار أبدًا، متعارض مع إفراد الله عَزَّوَجَلَّ بالبقاء، وأنه الآخر الذي ليس بعده شيء، لكن هذا التعارض يزول إذا علمنا أنه لا بد أن نفرق في قضية البقاء والآخرية بين ما يبقىٰ ببقاء الله وما يبقي بإبقاء الله، أو نفرق بين بقاء الذات والصفات الإلهية، وبقاء المخلوقات التي أوجدها الله كالجنة والنار وما فيهما؛ فالجنة مثلًا باقية بإبقاء الله وما يتجدد فيها من نعيم متوقف في وجوده علىٰ مشيئة الله، أما ذاته وصفاته فباقية ببقائه، وشتان بين ما يبقي ببقاء الله وما يبقي بإبقائه، فالجنة مخلوقة خلقها الله عَزَّوَجَلَّ وكائنة

(١) مدارج السالكين (٢/ ٢٥٦).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٥٧٧).

(٣) مدارج السالكين (٢/ ٢٦٨).

بأمره ورهن مشيئته وحكمه، فمشيئة الله حاكمة علىٰ ما يبقىٰ وما لا يبقىٰ.

ومِن ثَمَّ فإن السلف الصالح يعتبرون خلود الجنة وأهلها إلىٰ ما لا نهاية إنما هو بإبقاء الله وإرادته، فالبقاء عندهم ليس من طبيعة المخلوقات ولا من خصائصها الذاتية، بل من طبيعتها جميعا الفناء، فالخلود ليس لذات المخلوق أو طبيعته، وإنما هو بمدد دائم من الله تَعَالَىٰ وإبقاء مستمر لا ينقطع، أما صفات الله عَزَّوَجَلَّ ومنها وجهه وعزته وعلوه ورحمته ويده وقدرته وملكه وقوته، فهي صفات باقية ببقائه ملازمة لذاته، حيث البقاء صفة ذاتية لهم، كما أن الأزلية صفة ذاتية له أيضًا.

فلا بد إذًا أن نفرق بين صفات الأفعال الإلهية وأبديتها، ومفعولات الله الأبدية وطبيعتها، وهذا ما جاء به القرآن؛ حيث فرق بين نوعين من البقاء؛ الأول: وهو بقاء الذات بصفاتها، كما في قوله تَعَالَىٰ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٦ - ٢٧]، والثاني: في قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [الأعلىٰ:١٧].

فالآية الأولىٰ دلت علىٰ صفة من صفات الذات، وهىٰ صفة الوجه، ودلت علىٰ بقاء الصفة ببقاء الذات، فأثبتت بقاء الذات بصفاتها، وأثبتت فناء ما دونها أو إمكانية فنائه؛ إذ إن الله هو الأول والآخر، وهو قبل كل شيء وبعد كل شيء.

الأثر السادس: الدعاء باسمي الله الأول والآخر:

عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: «كان رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يأمرنا إذا أخذ أحدنا مضجعه أن يقول: **اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ وَرَبَّ الأَرَضِينَ، وَرَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ**

شَيْءٍ، فَالِقَ الـحَبِّ والنَّوَىٰ، وَمُنْزَلَ التَّوْرَاةِ والإِنْجِيلِ والقُرْآنِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتِ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، والظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، والبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ وَأَغْنِنِي مِنَ الفَقْرِ»[١].

اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، أغننا بحلالك عن حرامك، وبفضلك عمن سواك.



(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٧١٣).

بديع السماوات والأرض جَلَّجَلَالُهُ



المعنى اللغوي:

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أبدعت الشيء: اخترعته لا علىٰ مثال، والله تَعَالَى بديع السموات والارض، والبديع: المبتدع»(١).

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(بدع) الباء والدال والعين أصلان: أحدهما ابتداء الشيء وصنعه، لا عن مثال...»(٢).

ورود اسم الله (بديع السماوات والأرض) في القرآن الكريم:

ورد اسم الله (بديع السماوات والأرض) في كتاب الله مرتين، ووروده كالتالي:

١- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [البقرة:١١٧].

٢- وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام:١٠١].

(١) الصحاح (٣/ ٣١٨)

(٢) مقاييس اللغة (١/ ٢٠٩).

ورود اسم الله (بديع السماوات والأرض) في السنة النبوية:

ورد اسم (بديع السماوات والأرض) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كنت مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جالسًا- يعني: ورجل قائم يصلي- فلما ركع وسجد وتشهد دعا، فقال في دعائه: **اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ، بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجِلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، إِنِّي أَسْأَلُكَ**، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه: **تَدْرُونَ بِمَا دَعَا؟** قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ دَعَا بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى**»[1].

معنى اسم الله (بديع السماوات والأرض) في حقه سُبْحَانَهُ:

❁ **قال الطبري** رَحِمَهُ اللَّهُ: «يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة:١١٧]: مبدعها، ومعنى المبدع: المنشئ والمحدث ما لم يسبقه إلى إنشاء مثله وإحداثه أحد»[2].

❁ **قال الخطابي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «(البديع) هو الذي خلق الخلق، وفطره مبدعًا له مخترعًا، لا على مثال سبق»[3].

❁ **قال الحليمي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومعناه: المبتدع، وهو يحدث ما لم يكن مثله قط، قال الله: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة:١١٧]، أي: مبدعهما،

---

(١) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (١٤٩٥)، والترمذي، رقم الحديث: (٣٥٤٤)، والنسائي، رقم الحديث: (١٣٠٠)، حكم الألباني: صحيح لغيره، التعليقات الحسان، رقم الحديث: (٨٩٠).

(٢) تفسير الطبري (٢/ ٤٦٤).

(٣) شأن الدعاء (ص٩٦).

والمبدع من له إبداع»[1].

❁ **قال القرطبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالله عَزَّوَجَلَّ بديع السموات والأرض، أي: منشئها وموجدها ومبدعها، ومخترعها علىٰ غير حد ولا مثال»[2].

❁ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة:١١٧] أي: خالقهما ومبدعهما في غاية ما يكون من الحسن، والخلق البديع، والنظام العجيب المحكم»[3].

اقتران اسم الله (بديع السماوات والأرض) بأسمائه الحسنى سُبْحَانَهُ في القرآن الكريم:

لم يقترن اسم الله بديع السماوات والأرض بالأسماء الأخرىٰ.

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله بديع السماوات والأرض:

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (بديع السماوات والأرض) من صفاته سُبْحَانَهُ، وتحقيق التوحيد له:

الله سُبْحَانَهُ هو البديع الذي لا مثيل له ولا شبيه، لا في ذاته، ولا في صفاته أو أفعاله، يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال في سورة الأنعام: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾[الأنعام:١٠١]، فسبحان الله أنىٰ يكون له ولد، وهو مالك ما في السموات والأرض، تشهد

(١) المنهاج (١/ ١٩٢).

(٢) تفسير القرطبي (٢/ ٨٦).

(٣) تفسير السعدي (ص٩٤٨).

له جميعًا بدلالتها عليه بالوحدانية، وتقر له بالطاعة؛ وهو بارئها وخالقها، وموجدها من غير أصل، ولا مثال احتذاها عليه، وهذا إعلام من الله جل ثناؤه عباده أن مما يشهد له بذلك المسيح الذي أضافوا إلىٰ الله جل ثناؤه بنوته، وإخبار منه لهم أن الذي ابتدع السموات والأرض من غير أصل وعلىٰ غير مثال هو الذي ابتدع المسيح من غير والد بقدرته»[1].

ومن تأمل في آيات الله الكونية رأىٰ الجلال والإجلال والمهابة لهذا الإله العظيم، خالق هذا الكون علىٰ أحسن صورة.

وقد وردت آيات كثيرة تدعو إلىٰ النظر في الكون، وما فيه من آيات باهرة عظيمة، ومنها:

- **الدعوة للنظر في عجائب السماء**، يقول تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك:٥] ومما ورد في تفسير الآية: «أي: ولقد جملنا ﴿ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا﴾ التي ترونها وتليكم، ﴿بِمَصَٰبِيحَ﴾ وهي: النجوم، علىٰ اختلافها في النور والضياء، فإنه لولا ما فيها من النجوم، لكانت سقفًا مظلمًا، لا حسن فيه ولا جمال، ولكن جعل الله هذه النجوم زينة للسماء، وجمالًا، ونورًا وهداية يهتدىٰ بها في ظلمات البر والبحر، ولا ينافي إخباره أنه زين السماء الدنيا بمصابيح، أن يكون كثير من النجوم فوق السماوات السبع، فإن السماوات شفافة، وبذلك تحصل الزينة للسماء الدنيا، وإن لم تكن الكواكب فيها»[2].

- **الدعوة للنظر في عجائب الأرض**، في قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ

(١) تفسير الطبري (٢/ ٤٦٥).

(٢) تفسير السعدي (ص٨٧٥).

مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الرعد:٤].

«فمن الآيات علىٰ كمال قدرته وبديع صنعته: أن جعل ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ ﴾ فيها أنواع الأشجار ﴿مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ ﴾ وغير ذلك، والنخيل التي بعضها ﴿صِنْوَانٌ﴾ أي: عدة أشجار في أصل واحد، ﴿وَغَيْرُ صِنْوَانٍ ﴾ بأن كان كل شجرة علىٰ حدتها، والجميع ﴿صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ ﴾ وأرضه واحدة ﴿وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ ﴾ لونًا وطعمًا ونفعًا ولذة؛ فهذه أرض طيبة تنبت الكلأ والعشب الكثير والأشجار والزروع، وهذه أرض تلاصقها لا تنبت كلأ ولا تمسك ماء، وهذه تمسك الماء ولا تنبت الكلأ، وهذه تنبت الزرع والأشجار ولا تنبت الكلأ، وهذه الثمرة حلوة، وهذه مُرَّة، وهذه بين ذلك»(١).

- **الدعوة للنظر في عجائب البحار**، ومنه قوله تَعَالَىٰ: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [الرحمن: ١٩-٢١].

«والمراد بالبحرين: البحر العذب، والبحر المالح، فهما يلتقيان كلاهما، فيصب العذب في البحر المالح، ويختلطان ويمتزجان، ولكن الله تَعَالَىٰ جعل بينهما برزخًا من الأرض، حتىٰ لا يبغي أحدهما علىٰ الآخر، ويحصل النفع بكل منهما، فالعذب منه يشربون وتشرب أشجارهم وزروعهم، والملح به يطيب الهواء ويتولد الحوت والسمك، واللؤلؤ والمرجان، ويكون مستقرًّا مسخرًا للسفن والمراكب»(٢).

---

(١) المرجع السابق (ص٤١٢).

(٢) تفسير السعدي (ص٨٣٠).

- **الدعوة للنظر في عجائب الليل والنهار**، يقول تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾ [الإسراء:١٢].

«فمخالفته بين الليل والنهار؛ ليسكنوا في الليل، وينتشروا في النهار للمعايش والصناعات، والأعمال والأسفار، وليعلموا عدد الأيام والجمع والشهور والأعوام، ويعرفوا مضي الآجال المضروبة للديون والعبادات والمعاملات والإجارات وغير ذلك؛ ولهذا قال: ﴿لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: في معايشكم وأسفاركم ونحو ذلك، ﴿وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ فإنه لو كان الزمان كله نسقًا واحدًا وأسلوبًا متساويًا لما عرف شيء من ذلك، كما قال تَعَالَى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القصص:٧١-٧٣]»[١].

ومن المعلوم أن من ازداد تأملًا وتفكرًا في خلق الله تَعَالَى؛ ازداد إيمانًا ويقينًا بكمال قدرة البديع وجماله، وهذا يقر في نفس المؤمن توحيد الله بالألوهية والربوبية.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذلك: «وانفراد الله عَزَّوَجَلَّ بالخلق والإبداع ونفوذ المشيئة، وأن الخلق أعجز من أن يعصوه بغير مشيئته، وهذا شاهد لتفرد

---

(١) تفسير ابن كثير (٥/ ٤٩).

الله بالخلق والإبداع وأنه لا حول ولا قوة إلا به»(١).

ولذلك كانت نسبة الولد إليه مسبة له، كما ثبت في الصحيحين عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: « **قَالَ اللهُ: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ، فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي، كَمَا بَدَأَنِي، وَلَيْسَ أَوَّلُ الخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا وَأَنَا الأَحَدُ الصَّمَدُ، لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفْئًا أَحَدٌ**»(٢).

وكما أن اسم الله البديع دال علىٰ الربوبية والألوهية، فكذا هو دال علىٰ الأسماء والصفات؛ إذ يدل علىٰ اسم الله القدير، والخالق، والبارئ، والمصور، والجميل، إلىٰ غير ذلك من أسمائه سُبْحَانَهُ وما فيها من صفات.

الأثر الثاني: محبة بديع السماوات والأرض سُبْحَانَهُ:

من آمن بأنه سُبْحَانَهُ بديع لا مثيل له ولا شبيه، وأنه المبدع الذي فطر الخلق ابتداء من غير مثال سبق، فهو سُبْحَانَهُ خلق فأبدع في خلقه- مَن عَلِم كل هذا لزمه محبة البديع سُبْحَانَهُ ذي الصفات العلا جل شأنه.

الأثر الثالث: الدعاء باسم الله بديع السماوات والأرض:

فإن من هدي رسولنا كثرة الدعاء وصدق الطلب، ومن دلائل الدعاء باسم الله البديع: ما رواه أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «سمع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجلًا يقول: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت المنان، يا بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم، إني أسألك، فقال

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٨٥).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٤٩٧٤).

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَتَدْرُونَ بِمَا دَعَا اللهَ**؟ قال فقالوا: الله ورسوله أعلم، قال: **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ دَعَا اللهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى**»[1].

اللهم إنا نسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت، الحنان المنان، بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم أن تغفر لنا.



(١) سبق تخريجه.

البَصِيْرُ جَلَّجَلَالُهُ



المعنى اللغوي:

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «البصر: حاسة الرؤية، وأبصرت الشئ: رأيته»[1].

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(بصر) الباء والصاد والراء أصلان، أحدهما: العلم بالشيء؛ يقال: هو بصير به،... وأصل ذلك كله: وضوح الشيء، ويقال: رأيته لمحًا باصرًا، أي: ناظرًا بتحديق شديد، ويقال: بصرت بالشيء إذا صرت به بصيرًا عالمًا، وأبصرته إذا رأيته، وأما الأصل الآخر: فبصر الشيء غلظه»[2].

ورود اسم الله (البصير) في القرآن الكريم:

ورد اسم (البصير) اثنتين وأربعين مرة في كتاب الله، ومن وروده ما يلي:

١- قوله تَعَالَى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة:٢٣٣].

٢- وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ١٥].

٣- وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٧].

---

(١) الصحاح (٢/ ١٥٣)

(٢) مقاييس اللغة (١/ ٢٩٣).

ورود اسم الله (البصير) في السنة النبوية:

ورد اسم الله (البصير) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

عن أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كنا مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سفر، فكنا إذا علونا كبرنا، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أَيُّهَا النَّاسُ، ارْبَعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا، وَلَكِنْ تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا**»[1].

معنى اسم (البصير) في حقه سُبْحَانَهُ:

❁ **قال الطبري** رَحِمَهُ اللَّهُ: «يعني - جل ثناؤه - بقوله: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾[البقرة:٩٦] والله ذو إبصار بما يعملون، لا يخفىٰ عليه شيء من أعمالهم، بل هو بجميعها محيط، ولها حافظ ذاكر»[2].

❁ **قال ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران:٢٠]: أي: هو عليم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الضلالة، وهو الذي لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون، وما ذلك إلا لحكمته ورحمته»[3].

❁ **قال السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «(البصير) الذي يبصر كل شيء وإن دق وصغر، فيبصر دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء علىٰ الصخرة الصماء، ويبصر ما تحت الأرضين السبع كما يبصر ما فوق السموات السبع، وأيضًا سميع بصير

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٣٨٤).

(٢) تفسير الطبري (١/ ٣٤١).

(٣) تفسير ابن كثير (١/ ٣٥٤).

بمن يستحق الجزاء بحسب حكمته، والمعنىٰ الأخير يرجع إلىٰ الحكمة»[1].

❊ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَهُــوَ البَصِيــرُ يَرَىٰ دَبِيــبَ النَّمْلَةِ السَّــ
ــوْدَاءِ تَحْــتَ الصَّخْــرِ وَالصَّــوَّانِ
وَيَــرَىٰ مَجَــارِي القُــوتِ فِــي أَعْضَائِهَا
وَيَــرَىٰ نِيَــاطَ عُرُوقِهَــا بِعيَــانِ
وَيَــرَىٰ خِيَانَــاتِ العُيُــونِ بِلَحْظِهَــا
وَيَــرَىٰ كَــذَاكَ تَقَلُّــبَ الأَجْفَــانِ[2]

اقتران اسم الله (البصير) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ في القرآن الكريم:

أولًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (البصير) باسمه سُبْحَانَهُ (السميع):

ورد هذا الاقتران في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ في إحدىٰ عشرة آية، ومن وروده ما يلي:

قوله تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورىٰ:١١].

وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾[المجادلة:١].

وجه الاقتران:

يمكن أن يقال: «إن اسمي (السميع والبصير) يشيران إلىٰ اتصاف الله سُبْحَانَهُ بكمال السمع والبصر، وإحاطتهما ونفاذهما، فكل منهما صفة كمال له عَزَّوَجَلَّ، ويستفاد من اجتماعهما صفة كمال ثالثة، كما هو الشأن في الصفات

---

(١) تفسير السعدي (٥/ ٢٩٩).

(٢) النونية (ص٢٠٤).

المقترنة.

ويمكن اعتبار هاتين الصفتين مجتمعتين دالتين علىٰ تنزيهه تَعَالَى عن مشابهة المخلوقين، فإن لهم سمعًا وبصرًا لا كسمعه وبصره عَزَّوَجَلَّ، فضلًا عما يوحي به اقتران الصفتين من إحكام الرقابة علىٰ الأقوال والأفعال، والإحاطة التامة للمخلوقات كلها، وأن الله محيط بها لا يفوته شيء منهم، ولا يخفىٰ عليه من أمورهم شيء، بل هم تحت سمعه وبصره.

ثانيًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (البصير) باسمه سُبْحَانَهُ (الخبير):

ورد هذا الاقتران خمس مرات في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، من ذلك قوله تَعَالَى: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: ١٧]، وقوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٌ﴾ [فاطر: ٣١].

وجه الاقتران:

اقتران (الخبير) مع (البصير) يفيد شمول علم الله تَعَالَى للبواطن والحقائق، وكذلك للذوات والمشاهدات والمبصرات.

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (البصير):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم (البصير) من صفات الله سُبْحَانَهُ:

من كمال الله تَعَالَى وجلاله: سعة بصره وعلمه، «فهو سُبْحَانَهُ من تحيرت العقول في عظمته، وسعة متعلقات صفاته، وكمال عظمته ولطفه، وخبرته بالغيب والشهادة، والحاضر والغائب، يرىٰ خائنات الأعين وتقلبات

الأجفان، وحركات الجنان»[1]، فهو سُبْحَانَهُ القائل: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الشعراء:٢١٨].

ومظاهر إبصار الله لعباده كثيرة، يمكن تقسيمها بالتالي:

أولًا: مايتعلق باثبات بصر لله سُبْحَانَهُ، كما يليق بجلاله من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تمثيل، يقول تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ:١١]، ومن مظاهر ذلك:

أن الله سُبْحَانَهُ يبصر كل شيء، وإن دق وإن صغر، يقول تَعَالَىٰ مثنيًا علىٰ نفسه بعظم وكمال سمعه وبصره: ﴿لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ﴾ [الكهف: ٢٦].

يقول الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: «وذلك بمعنىٰ المبالغة في المدح، كأنه قيل: ما أبصره وأسمعه، وتأويل الكلام: ما أبصر الله لكل موجود، وأسمعه لكل مسموع، لا يخفىٰ عليه من ذلك شيء»[2].

فهو سُبْحَانَهُ يبصر ماتحت الأراضي السبع، كما يبصر مافوق السموات السبع، لا يخفىٰ عليه خافية في الأرض ولافي السماء، ولا في الدنيا ولا الآخرة، لا تخالطه الظنون ولا تغيره الحوادث والسنون، لا تواري عنه سماء سماءه، ولا أرض أرضه، ولا جبل ما في وعره، ولا بحر ما في قاعه، يبصر كل شيء ويعلمه، لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، مطلع علىٰ أعمال الناس وخباياهم.

---

(١) الحق الواضح المبين، للسعدي (ص٣٤ - ٣٦).

(٢) تفسير الطبري (١٥/ ٢٣٣).

«فأحاط بصره بجميع المبصرات في أقطار الأرض والسموات، حتىٰ أخفىٰ ما يكون فيها، فيرىٰ دبيب النملة السوداء علىٰ الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، وجميع أعضائها الباطنة والظاهرة، وسريان القوت في أعضائها الدقيقة، ويرىٰ سريان المياه في أغصان الأشجار وعروقها، وجميع النباتات علىٰ اختلاف أنواعها وصغرها ودقتها، ويرىٰ نياط عروق النملة والنحلة والبعوضة وأصغر من ذلك»[1].

ولله در القائل:

يَـا مَـنْ يَـرَىٰ صَـفَّ البَعُـوضِ جَنَاحَهَـا
فِـي ظُلْمَـةِ اللَّيْـلِ البَهِيـمِ الأَلْيَـلِ
وَيَـرَىٰ مَنَـاطَ عُرُوقِهَـا فِـي نَحْرِهَـا
وَالمُـخَّ مِـنْ تِلْـكَ العِظَـامِ النُّحَّـلِ
امْنُـنْ عَلَـيَّ بِتَوْبَـةٍ تَمْحُـو بِهَـا
مَـا كَانَ مِنِّـي فِـي الزَّمَـانِ الأَوَّلِ [2]

ثانيًا: ما يتعلق بإثبات بصر البصيرة بالأشياء، فهو سُبْحَانَهُ **الخبير بها، فيكون متعلقها العلم، ومن مظاهر ذلك:**

- أن الله بصير بمن آمن من عباده ومن كفر، يقول تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [التغابن: ٢].

- والله بصير بما يصلح أحوال خلقه من الغنىٰ والمال، ومن يفسده

(١) الحق الواضح المبين، للسعدي (ص٣٤ - ٣٦).

(٢) ربيع الأبرار، الزمخشري (١/ ١٠).

ذلك، فيعطي كلًّا منهم ما يستحقه، ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الشورىٰ: ٢٧][١].

- والله بصير بما يسر عباده وما يخفونه، يقول تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧].

يقول السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معنىٰ السر: «الكلام الخفي ﴿وَأَخْفَى﴾ من السر الذي في القلب ولم ينطق به، أو السر ما خطر علىٰ القلب ﴿وَأَخْفَى﴾ ما لم يخطر، يعلم تَعَالَىٰ أنه يخطر في وقته وعلىٰ صفته، المعنىٰ: أن علمه تَعَالَىٰ محيط بجميع الأشياء دقيقها وجليلها خفيها وظاهرها، فسواء جهرت بقولك أو أسررته، فالكل سواء بالنسبة لعلمه تَعَالَىٰ»[٢].

- والله بصير بذنوب عباده، السر منها والعلن، ماظهر منها وما بطن، وسيجازيهم عليها سُبْحَانَهُ، يقول تَعَالَىٰ: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: ١٧][٣].

الأثر الثاني: توحيد الله باسمه البصير:

إن إيمان العبد بأن الله سُبْحَانَهُ البصير كما يليق بجلاله من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تكييف ولا تعطيل، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١]، يجعله يحقق التوحيد الخالص لله، فلا معبود كمل بصره وعلمه، فاستحق العبادة وحده إلا الله.

---

(١) وسيأتي مزيد بيان في الأثر الرابع.

(٢) تفسير السعدي (ص٥٠٢).

(٣) وسيأتي مزيد بيان في الآثار المسلكية اللاحقة.

يقول السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في إثبات أنواع التوحيد للبصير سُبْحَانَهُ: «﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ «أي: ليس يشبهه تَعَالَىٰ ولا يماثله شيء من مخلوقاته، لا في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله؛ لأن أسماءه كلها حسنىٰ، وصفاته صفة كمال وعظمة، وأفعاله تَعَالَىٰ أوجد بها المخلوقات العظيمة من غير مشارك، فليس كمثله شيء؛ لانفراده وتوحده بالكمال من كل وجه،... وهذه الآية ونحوها دليل لمذهب أهل السنة والجماعة، من إثبات الصفات، ونفي مماثلة المخلوقات، وفيها رد علىٰ المشبهة في قوله تَعَالَىٰ: «﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، وعلىٰ المعطلة في قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾»[1].

ولذا قال سُبْحَانَهُ موبخًا الكفار ومسفهًا عقولهم؛ لعبادتهم الأصنام، التي هي من الحجارة الجامدة، لا تتحرك ولا تملك سمعًا ولا بصرًا: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ﴾ [الأعراف:١٩٥]، ويقول تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ١٩٧ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٧، ١٩٨].

وأنكر إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ علىٰ أبيه عبادته ما لا يبصر ولا يسمع، يقول تَعَالَىٰ: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾ [مريم:٤٢].

(١) تفسير السعدي (ص٧٥٤).

الأثر الثالث: مراقبة الله تعالىٰ، والحياء منه:

إن لهذا الاسم مقتضياته من الذل والخضوع ودوام المراقبة، والإحسان والإخلاص في العبادة، والبعد عن الذنوب.

فمن علم أن ربه مطلع علىٰ سائر عمله، واستدام هذا العلم في قلبه؛ استحىٰ أن يراه علىٰ معصية أو علىٰ ما لا يحب، وصار أكثر مراقبة لله تَعَالَى، فاستقام سلوكه وسمت روحه، وراقب الله في سره وعلانيته.

ومن تأمل الآيات الواردة في القرآن والمختومة بهذا الاسم؛ أدرك تمامًا كمال هذا الاسم وهيبته، ومن ذلك ما يلي:

١- إبصار الله تَعَالَى لخفايا الخلق، ومعرفته بأزكاهم، وأحقهم للاصطفاء، يقول تَعَالَى: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾ [الحج: ٧٥ - ٧٦].

٢- إبصار الله تَعَالَى لما يحصل في خفايا الليل والنهار، فيرىٰ دبيب النملة السوداء، تحت الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء، يقول تَعَالَى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴾ [الحج: ٦١].

٣- إبصار الله تَعَالَى لما كان وما يكون، وما نبصر وما لا نبصر، وما يعلم العباد وما لا يعلمون، وأحقيته بالعبادة دون سواه.

٤- إبصار الله تَعَالَى لحال عباده بعد أمرهم بالاستقامة، ومدىٰ التزامهم بالأمر، يقول تَعَالَى: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [هود: ١١٢].

٥- إبصار الله تَعَالَى بالملحدين في آياته، يقول تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت:٤٠].

٦- إبصار الله تَعَالَى بالمجادلين في آياته، يقول تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [غافر:٥٦].

٧- إبصار الله تَعَالَى لنية العامل ومقصده، ومجازاته وفقًا لذلك، يقول تَعَالَى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبۡوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٞ فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا ضِعۡفَيۡنِ فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا وَابِلٞ فَطَلّٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة:٢٦٥].

٨- إبصار الله تَعَالَى لأعمال عباده، وعلمه وحفظه لكل خير يقدمونه، يقول تَعَالَى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [البقرة:١١٠].

٩- إبصار الله تَعَالَى لمصارف أموال عباده، وأدائهم للحقوق، يقول تَعَالَى: ﴿فَإِنۡ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٖ مِّنۡهُمَا وَتَشَاوُرٖ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَاۗ وَإِنۡ أَرَدتُّمۡ أَن تَسۡتَرۡضِعُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا سَلَّمۡتُم مَّآ ءَاتَيۡتُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، ويقول: ﴿وَإِن طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدۡ فَرَضۡتُمۡ لَهُنَّ فَرِيضَةٗ فَنِصۡفُ مَا فَرَضۡتُمۡ إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ أَوۡ يَعۡفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة:٢٣٧].

١٠- إبصار الله تَعَالَى وشهادته بأحوال عباده وما يدور بينهم، يقول تَعَالَى: ﴿قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الرعد:٤٣].

وعليه فمن استشعر كمال إبصار الله له واطلاعه علىٰ أعماله؛ سلم حتىٰ من معاصي الخلوات، التي حذر منها النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أصحابه، فعن ثوبان رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ عن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أنه قال: «**لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا الله** عَزَّوَجَلَّ **هَبَاءً مَنْثُورًا**، قال ثوبان: يا رسول الله صفهم لنا، جلِّهم لنا، أن لا نكون منهم ونحن لا نعلم، قال: **أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللهِ انْتَهَكُوهَا**»[١].

وكلما استيقن العبد رؤية البصير سُبۡحَانَهُ لعمله ظاهره وباطنه، أورثه ذلك مزيد عناية في عبادته حتىٰ يصل لمرتبة الإحسان، التي قال عنها النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في تعريفها: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»[٢].

قال النووي رَحِمَهُٱللَّهُ: «هذا من جوامع الكلم التي أوتيها صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ؛ لأنا لو قدرنا أن أحدنا قام في عبادة وهو يعاين ربه، لم يترك شيئًا مما يقدر عليه من الخضوع والخشوع وحسن السمت، واجتماعه بظاهره وباطنه وعلىٰ الاعتناء بتتميمها علىٰ أحسن وجوهها إلا أتىٰ به»[٣].

(١) أخرجه ابن ماجه، رقم الحديث: (٤٢٤٥)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٥٠٥).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٨).

(٣) شرح النووي لصحيح مسلم، (١/ ١٥٧).

ولهذا نجد من تحقق في قلبه الإخلاص، وفهم قوله تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾[الشعراء: ٢١٨ - ٢١٩]، زال من قلبه محبة أن يرىٰ الناس عمله، ويثنون عليه، وهذا الفرق بين المخلص والمرائي، يقول تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبۡوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٞ فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا ضِعۡفَيۡنِ فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا وَابِلٞ فَطَلّٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٦٤ - ٢٦٥].

الأثر الرابع: الله سُبْحَانَهُ بصير بما يصلح عباده، وينفعهم.

فالله سُبْحَانَهُ بصير بأحوال عباده في أمور دنياهم قبل أخراهم، فكثير من العباد لا يصلح حاله إلا إذا كان فقيرًا، ولو اغتنىٰ لفسد، فلطَف الله به من حيث لا يشعر، وكذا من كان عقيمًا، فلعل الذرية في مثل حاله تجعله يطغىٰ، فلطَف به البصير من حيث لا يعلم، يقول تَعَالَىٰ في ذلك: ﴿وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ﴾[الشورىٰ:٢٧].

وهو البصير سُبْحَانَهُ بمن يصلح للهداية ممن لا يصلح لها: يقول تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۖ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ [آل عمران:١٥].

وهو البصير سُبْحَانَهُ بالعباد شهيد عليهم، الصالح منهم والطالح، المؤمن والكافر، يقول تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[التغابن:٢].

وهذا يجعل العبد يلحظ نفسه، فإن رأىٰ توفيقًا للطاعة وتيسيرًا لأسبابها، حمد الله؛ لأنه علم أن ربه قد زكاه، يقول سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[النور:٢١]، ومن رأىٰ أن نفسه تميل عن الطاعة للمعصية، جاهد في إصلاحها؛ لأن هذا دليل علىٰ أن الطاعة منزلة لا يستحقها، يقول عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾[الأنفال:٢٢].

الأثر الخامس: الاطمئنان والثقة بمعية الله وكمال علمه:

من آمن بأن الله بصير؛ امتلأ قلبه طمأنينة، وصبرًا واحتسابًا، وصدق توكله علىٰ ربه؛ لأن البصير سُبْحَانَهُ يعلم ويرىٰ ما يقع فيه العباد من كربات ومصائب، ومواجهات مع شياطين الجن والإنس، ومن شواهد ذلك:

قوله تَعَالَى - في تطمين موسىٰ وأخيه هارون، عندما أرسلهما إلىٰ فرعون، فخافا من أذيته-: ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾[طه:٤٥-٤٦]، وقوله أيضًا: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[التوبة:٤٠].

وعندما يطمئن العبد ويثق بربه يصل لمنزلة السكينة، وهي المنزلة التي قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في وصفها: «هذه المنزلة من منازل المواهب، لا من منازل المكاسب،... وأصل السكينة هي الطمأنينة والوقار والسكون الذي ينزله الله في قلب عبده عند اضطرابه، من شدة المخاوف، فلا ينزعج بعد ذلك لما يرد عليه، ويوجب له زيادة الإيمان، وقوة اليقين والثبات، ولهذا أخبر سُبْحَانَهُ عن إنزالها علىٰ رسوله وعلىٰ المؤمنين في مواضع القلق والاضطراب، كيوم الهجرة إذ هو وصاحبه في الغار، والعدو فوق رءوسهم، لو نظر أحدهم إلىٰ ما تحت قدميه لرآهما، وكيوم حنين حين ولوا مدبرين من شدة بأس الكفار، لا يلوي أحد منهم علىٰ أحد، وكيوم الحديبية حين اضطربت قلوبهم من تحكم الكفار عليهم، ودخولهم تحت شروطهم التي لا تحملها النفوس»[1].

الأثر السادس: محبة البصير سُبْحَانَهُ:

من آمن بأن ربه سُبْحَانَهُ يبصر أعماله، وأحواله، ويرىٰ ضعفه وعجزه وحاجته، ويعلم جميع أمره؛ أحبه سُبْحَانَهُ، ووثق بنصره ومعيته جَلَّجَلَالُهُ.

الأثر السابع: أمر البصير سُبْحَانَهُ لعباده بغض البصر:

فمن عظيم نعم الله تَعَالَى علينا نعمة البصر، وبها امتن الله تَعَالَى علىٰ خلقه في آيات كثيرة، منها قوله سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل:٧٨]، وقوله تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾[المؤمنون:٧٨]، وأمر سُبْحَانَهُ نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يأمر المؤمنين

---

(١) مدارج السالكين في منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٥٠٣).

بغض أبصارهم وحفظ فروجهم، وأن يعلمهم أنه مشاهد لأعمالهم، مطلع عليها، يقول سُبْحَانَهُ: ﴿ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴾ [غافر:١٩]، والمراد بـ ﴿خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ﴾ هي مسارقة النظر إلىٰ ما لا يحل النظر إليه،... قال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «خائنة الأعين: الهمز بالعين فيما لا يحب الله»[1]، قال الضحاك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو قول الإنسان: ما رأيت- وقد رأىٰ-، ورأيت- وما رأىٰ»[2]،... أما ﴿وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴾ أي: من الضمائر، وتسره من معاصي الله، والله يقضي بالحق فيجازي كل أحد بما يستحقه من خير وشر[3].

ولابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلام متين في تسلسل معاصي النظر: من نظرة، لخطرة، للفظة، لخطوة، فيقول في مختصر كلامه:

إن من حفظ اللحظات، والخطرات، واللفظات، والخطوات: أن يكون العبد بواب نفسه علىٰ هذه الأبواب الأربعة، فأكثر المعاصي تدخل منها، فاللحظات هي رائدة الشهوات، وحفظها: أصل حفظ الفرج، فمن أطلق بصره أورده موارد الهلكات، وقد قيل: الصبر علىٰ غض البصر أيسر من الصبر علىٰ ألم ما بعده، وفيه يقول الشاعر:

كُلُّ الحَـوَادِثِ مبْدَاهَـا مِـنَ النَّظَـرِ
وَمُعْظَـمُ النَّـارِ مِـنْ مُسْـتَصْغَرِ الشَّـرَرِ
كَـمْ نَظْـرَةٍ بَلَغَـتْ مِـنْ قَلْـبِ صَاحِبِهَـا
كَمَبْلَـغِ السَّـهْمِ بَيْـنَ القَـوْسِ والوَتَـرِ

---

(١) تفسير الطبري (٢٠/ ٣٠٤).

(٢) تفسير الماوردي (٥/ ١٥٠).

(٣) فتح القدير، الشوكاني (٤/ ٥٥٧).

وَالعَبْـدُ مَـا دَامَ ذَا طَـرْفٍ يُقَلِّبُـهُ
فِـي أَعْيُـنِ العِيـنِ مَوْقُـوفٌ عَلَىٰ الخَطَـرِ
يَسُــرُّ مُقْلَتَـهُ مَـا ضَـرَّ مُهْجَتَـهُ
لَا مَرْحَبًـا بِسُــرورٍ عَـادَ بِالضَّــرَرِ[(١)]

ولقد عني السلف الصالح بغض البصر عناية عظيمة، ومن ذلك قولهم: «من حفظ بصره؛ أورثه الله نورًا في بصيرته»[(٢)]، وكان سفيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا خرج في يوم العيد قال: «إن أول ما نبدأ به اليوم غض أبصارنا»[(٣)]، وقال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «الإثم حواز القلوب (يحز في القلوب)، وما من نظرة إلا وللشيطان فيها مطمع»[(٤)].

وكان الربيع بن خثيم يغض بصره، فمر به نسوة، فأطرق (أي: أمال رأسه إلىٰ صدره) فظن النسوة أنه أعمىٰ، وتعوذن بالله من العمىٰ[(٥)].

ومن الوسائل المعينة علىٰ غض البصر:

١- استحضار اطلاع الله، ومراقبته، يقول تعَالَى: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ﴾[غافر:١٩].

٢- الاستعانة بالله والانطراح بين يديه ودعائه، قال تعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[غافر:٦٠].

(١) انظر: الداء والدواء (١/ ٣٧٠-٣٧٦)
(٢) تفسير ابن كثير (٦/ ٤٣).
(٣) الورع، لابن أبي الدنيا (ص٦٦).
(٤) أخرجه هناد بن السري في الزهد (٢/ ٤٦٥).
(٥) ذم الهوىٰ، لابن الجوزي (ص٩١).

٣- مجاهدة النفس وتعويدها علىٰ غض البصر والصبر علىٰ ذلك، والبعد عن اليأس، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت:٦٩]، يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «...**وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهِ وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ**»(١).

٤- القيام بحقوق الأماكن العامة، كالأسواق والطرقات من غض البصر، وكف الأذىٰ، يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِيَّاكُمْ وَالجُلُوسَ عَلَىٰ الطُّرُقَاتِ**، فقالوا: ما لنا بد، إنما هي مجالسنا نتحدث فيها، قال: **فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا المَجَالِسَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا**، قالوا: وما حق الطريق؟ قال: **غَضُّ البَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَىٰ، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ**»(٢).

٥- الإكثار من نوافل العبادات، فإن الإكثار منها مع المحافظة علىٰ القيام بالفرائض، سبب في حفظ جوارح العبد، قال الله تَعَالَىٰ في الحديث القدسي «**مَنْ عَادَىٰ لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ**»(٣).

٦- تذكر شهادة الأرض التي تمارس عليها المعصية، قال تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة:٤].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (١٤٦٩)، ومسلم، رقم الحديث: (١٠٥٣).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٤٦٥)، ومسلم، رقم الحديث: (٢١٢١).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٦٠٢).

٧- تذكر الملائكة الذين يحصون عليك أعمالك، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠ - ١٢].

٨- أداء الواجبات كما أمر الله، ومنها: الصلاة قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

٩- الزواج، وهو من أنفع العلاج، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنِ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ؛ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ**»[1].

وتجدر الإشارة في نهاية هذا الأثر إلىٰ بيان أن الأنبياء صلوات الله عليهم قد رفعهم الله عن خائنة الأعين، وجعل هذا من صفات النبوة، فعن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «لما كان يوم فتح مكة اختبأ عبد الله بن سعد بن أبي سرح عند عثمان بن عفان، فجاء به حتىٰ أوقفه علىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: يا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بايع عبد الله، فرفع رأسه، فنظر إليه، ثلاثًا، كل ذلك يأبىٰ، فبايعه بعد ثلاث، ثم أقبل علىٰ أصحابه فقال: **أَمَا كَانَ فِيكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ، يَقُومُ إِلَىٰ هَذَا حَيْثُ رَآنِي كَفَفْتُ يَدِي عَنْ بَيْعَتِهِ فَيَقْتُلُهُ؟** فقالوا: ما ندري يا رسول الله ما في نفسك؟ ألا أومأت إلينا بعينك؟ قال: **إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ أَنْ تَكُونَ لَهُ خَائِنَةُ الْأَعْيُنِ**»[2].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (١٩٠٥).

(٢) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٢٦٨٣)، والنسائي، رقم الحديث: (٣٥١٦)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (١٧٢٣).

الأثر الثامن: نعمة البصيرة هي أعظم نعم البصير سُبْحَانَهُ:

إن أعظم نعمة ينعم بها البصير علىٰ عبده حين يرزقه نور البصيرة، وهناك فرق بين البصر والبصيرة: فالبصر يدرك ظواهر الأشياء، بينما البصيرة هي نور في القلب، وهي للقلوب كالضياء للبصر، يفرق به صاحبها بين الحق والباطل، لا تختلط عليه الأمور ولا تتشابه، يعرف الحق فيتبعه، ويعرف الباطل ويفر منه.

ويقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في معنىٰ البصيرة:** «البصيرة هي نور في القلب يبصر به الوعد والوعيد والجنة والنار، وما أعد الله في هذه لأوليائه، وفي هذه لأعدائه، فأبصر الناس وقد خرجوا من قبورهم مهطعين لدعوة الحق وقد نزلت ملائكة السموات فأحاطت بهم، وقد جاء الله وقد نصب كرسيه لفصل القضاء، وقد أشرقت الأرض بنوره، ووضع الكتاب، وجيء بالنبيين والشهداء، وقد نصب الميزان، وتطايرت الصحف، واجتمعت الخصوم، وتعلق كل غريم بغريمه، ولاح الحوض وأكوابه عن كثب، وكثر العطاش وقل الوارد، ونصب الجسر للعبور، وقسمت الأنوار دون ظلمته للعبور عليه، والنار يحطم بعضها بعضًا تحته، والمتساقطون فيها أضعاف أضعاف الناجين.

فالبصيرة نور يقذفه الله في القلب، يرىٰ به حقيقة ما أخبرت به الرسل كأنه يشاهده رأىٰ عين، فيتحقق مع ذلك انتفاعه بما دعت إليه الرسل وتضرره بمخالفتهم، وهذا معنىٰ قول بعض العارفين: البصيرة تحقق الانتفاع بالشيء والتضرر به، وقال بعضهم: البصيرة ما خلصك من الحيرة إما بإيمان وإما بعيان»[١].

---

(١) مدارج السالكين (١/ ١٢٣).

فعندما نتحدث عن نعمة البصيرة نتحدث عن أناس كثر حرمهم الله نور البصر، ولكنه فتح لهم نور البصيرة، وهو الأهم والأنفع، يقول تَعَالَى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ [الحج:٤٦]، فكم من بصير يرى وينظر، ولكنه لم يبصر طريق الهداية والصلاح، فيرى الحق باطلًا والباطل حقًّا، ولا يعرف معروفًا أو ينكر منكرًا، وهذا- والعياذ بالله- يفقد بصره في الدنيا، كما فقده في الآخرة، يقول تَعَالَى: ﴿ وَمَن كَانَ فِى هَـٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء:٧٢]، ويقول سُبْحَانَهُ عن حال من عميت بصيرته يوم القيامة: ﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾ [طه:١٢٥-١٢٦].

ولذا كانت أعظم نعمة يعطيها الله للعبد نور البصيرة ورؤية الحق واتباعه، ورؤية الباطل واجتنابه.

وهو ما يمثله قصة يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مع امرأة العزيز، وكانت ذات منصب وجمال، وهي التي دعته وغلقت الأبواب، ولكن ماذا فعل؟ يقول تَعَالَى: ﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [يوسف:٢٣-٢٤].

وقد ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ثلاث درجات للبصيرة، من استكملها فقد استكمل البصيرة، وهي: بصيرة في الأسماء والصفات، وبصيرة في الأمر والنهي، وبصيرة في الوعد والوعيد.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالبصيرة في الأسماء والصفات: أن لا يتأثر إيمانك بشبهة تعارض ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله، بل تكون الشبه المعارضة لذلك عندك بمنزلة الشبه والشكوك في وجود الله، فكلاهما سواء في البلاء عند أهل البصائر.

أما المرتبة الثانية من البصيرة: البصيرة في الأمر والنهي، وهي تجريده عن المعارضة بتأويل أو تقليد أو هوىٰ، فلا يقوم بقلبه شبهة تعارض العلم بأمر الله ونهيه، ولا شهوة تمنع من تنفيذه وامتثاله والأخذ به، ولا تقليد يريحه عن بذل الجهد في تلقىٰ الأحكام من مشكاة النصوص، وقد علمت بهذا أهل البصائر من العلماء من غيره.

أما المرتبة الثالثة من البصيرة: البصيرة في الوعد والوعيد، وهي أن تشهد قيام الله علىٰ كل نفس بما كسبت في الخير والشر عاجلًا وآجلًا، في دار العمل ودار الجزاء، وأن ذلك هو موجب إلهيته وربوبيته وعدله وحكمته؛ فإن الشك في ذلك شك في إلهيته وربوبيته، بل شك في وجوده؛ فإنه يستحيل عليه خلاف ذلك، ولا يليق أن ينسب إليه تعطيل الخليقة وإرسالها هملًا وتركها سدًىٰ، تَعَالَىٰ الله عن هذا الحسبان علوًّا كبيرًا، فشهادة العقل بالجزاء كشهادته بالوحدانية»[1].

الأثر التاسع: الدعاء باسم الله البصير:

الدعاء باسم الله (البصير) من الأدعية التي تؤمن الخائف ممن يخيفه، وتقي المظلوم من ظالمه، وهو دعاء مؤمن آل فرعون، يقول تَعَالَىٰ علىٰ

(١) مدارج السالكين (١/ ١٢٦).

لسانه: ﴿وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ [غافر: ٤١ - ٤٤].

ودعــاء موسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ؛ يقول تَعَالَىٰ علىٰ لسانه: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴿٣١﴾ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴿٣٢﴾ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ٢٥ - ٣٦]، أحسَن في الدعــاء، فأناله الله تَعَالَىٰ ما سأل.

اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقواتنا ما أبقيتنا، واستعمل جوارحنا في طاعتك، يا سميع يا بصير.



التَّوَّابُ جَلَّجَلَالُهُ

المعنى اللغوي:

قال الجوهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التوبة: الرجوع من الذنب، وفي الحديث: **(النَّدَمُ تَوْبَةٌ)**[1]،... وتاب إلىٰ الله توبة ومتابًا، وقد تاب الله عليه: وفقه لها»[2].

قال ابن فارس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التاء والواو والباء، كلمة واحدة تدل علىٰ الرجوع، يقال: تاب من ذنبه، أي: رجع عنه، يتوب إلىٰ الله توبةً ومتابًا، فهو تائب، والتوب: التوبة، قال الله تَعَالَىٰ: ﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ [غافر: ٣]»[3].

ورود اسم الله (التَّوَّاب) في القرآن الكريم:

ورد اسم الله (التواب) إحدىٰ عشرة مرة في كتاب الله، ومن وروده ما يلي:

١- قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧].

٢- وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ [النور:١٠].

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث (٣٥٦٨)، وابن ماجه، رقم الحديث (٣٥٦٨)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث (٦٨٠٢).

(٢) الصحاح (١/ ١٠٥).

(٣) مقاييس اللغة (١/ ٣٥٧).

٣- وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ [النصر: ٣].

ورود اسم الله (التوَّاب) في السنة النبوية:

ورد اسم الله (التواب) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

١- عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: «إن كنا لنعد لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المجلس الواحد مائة مرة: **رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**»(١).

٢- وعن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «وكان يعلمنا كلمات ولم يكن يعلمناهن كما يعلمنا التشهد: **اللهُمَّ أَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِنَا، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَاهْدِنَا سُبُلَ السَّلَامِ، وَنَجِّنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَىٰ النُّورِ، وَجَنِّبْنَا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَبَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُلُوبِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا، وَتُبْ عَلَيْنَا، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ، وَاجْعَلْنَا شَاكِرِينَ لِنِعْمَتِكَ، مُثْنِينَ بِهَا، قَابِلِيهَا، وَأَتِمَّهَا عَلَيْنَا**»(٢).

٣- وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «صلىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الضحىٰ، ثم قال: **اللهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الْغَفُورُ**»، حتىٰ قالها مائة مرة(٣).

---

(١) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (١٥١٦)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٣٨١٤)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (١٥١٦).

(٢) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٩٦٩)، والبيهقي في القضاء والقدر، رقم الحديث: (٣٧٥)، حكم الألباني: «حديث عبد الله: كنا لا ندري ...، فذكر نحوه» صحيح، «قول شريك: وحدثنا جامع..... وأتمها علينا» ضعيف، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٩٦٩).

(٣) أخرجه النسائي في الكبرىٰ، رقم الحديث: (٩٨٥٥)، والبخاري في الأدب المفرد، رقم الحديث: (٦١٩)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الأدب المفرد، رقم الحديث: (٦١٩).

معنى اسم الله (التوَّاب) في حقه سُبْحَانَهُ:

❁ **قال قتادة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:٣٧] «إن الله هو الوهابُ لعباده الإنابةَ إلىٰ طاعته، الموفق من أحب توفيقه منهم لما يرضيه عنه»[١].

❁ **قال الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند قوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:٣٧]: «إن الله- جل ثناؤه- هو التواب علىٰ من تاب إليه من عباده المذنبين من ذنوبه، التارك مجازاته بإنابته إلىٰ طاعته بعد معصيته بما سلف من ذنبه،... وتوبة الله علىٰ عبده هو أن يرزقه ذلك، ويؤوب من غضبه عليه إلىٰ الرضا عنه، ومن العقوبة إلىٰ العفو والصفح عنه»[٢].

❁ **قال الزجاج** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في قوله تعالىٰ**: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ﴾ [غافر:٣]: «يقبل رجوع عبده إليه، ومن هذا قيل: التوبة كأنه رجوع إلىٰ الطاعة، وترك المعصية»[٣].

❁ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو الذي يتوب علىٰ عبده، ويقبل توبته كلما تكررت التوبة، تكرر القبول،... ومعنىٰ التوبة: عود العبد إلىٰ الطاعة بعد المعصية»[٤].

❁ **قال الحَليمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التواب هو المعيد إلىٰ عبده فضل رحمته إذا هو رجع إلىٰ رحمته، وندم علىٰ معصيته، ولا يحبط بما قدم من خير، ولا

---

(١) تفسير الطبري (١٢/ ٥٤).

(٢) تفسير الطبري (١/ ١٩٥).

(٣) تفسير أسماء الله (ص٦٢).

(٤) شأن الدعاء (ص٩٠).

يمنعه ما وعد المطيعين من الإحسان»[1].

❊ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فتوبة العبد محفوفة بتوبة قبلها عليه من الله إذنًا وتوفيقًا، وتوبة ثانية منه عليه قبولًا ورضًا؛ فله الفضل في التوبة والكرم أولًا وآخرًا لا إله إلا هو»[2].

❊ **قال الشيخ السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التواب الذي لم يزل يتوب علىٰ التائبين، ويغفر ذنوب المنيبين، فكل من تاب إلىٰ الله توبة نصوحًا؛ تاب الله عليه، فهو التائب علىٰ التائبين أولًا بتوفيقهم للتوبة والإقبال بقلوبهم إليه، وهو التائب عليهم بعد توبتهم قبولًا لها، وعفوًا عن خطاياهم»[3].

- **قال ابن القيم في نونيته:**

وَكَذَلِـكَ التَّـوَّابُ مِـنْ أَوْصَافِـهِ وَالتَّـوْبُ فِـي أَوْصَافِـهِ نَوْعَـانِ
إِذْنٌ بِتَوْبَـةِ عَبْـدِهِ وَقَبُولِهَـا بَعْـدَ المَتَـابِ بِمِنَّـةِ المَنَّـانِ[4]

اقتران اسم الله (التوّاب) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ فِي القرآن الكريم:

أولًا: اقتران اسم الله (التوّاب) باسم الله الرحيم:

جاء اسم الله التواب مقترنًا باسم الله الرحيم، في تسعة مواضع من كتاب الله، ومنها: قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:٣٧].

(١) المنهاج (١/ ٢٠٦).

(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٩١).

(٣) تفسير السعدي (١/ ٩٤٦).

(٤) النونية (١/ ٢٠٩).

وجه الاقتران:

قرن الله عَزَّوَجَلَّ التواب بالرحيم؛ لحكم جليلة، منها:

١- أن الرحيم يدل علىٰ تفضله عَزَّوَجَلَّ علىٰ عبده- مع التوبة- بالرحمة، ورحمته إياه إقالة عثرته، وصفحه عن عقوبة جرمه، فقبول التوبة سببه رحمة الله لعبده.

٢- أن في الجمع بينهما وعدًا بليغًا للتائب بالإحسان مع العفو والغفران.

يقول ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال قتادة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾[الحجرات:١٢]: إن الله هو الوهاب لعباده الإنابة إلىٰ طاعته، الموفق من أحب توفيقه منهم لما يرضيه عنه، (الرحيم) بهم أن يعاقبهم بعد التوبة، أو يخذل من أراد منهم التوبة والإنابة ولا يتوب عليه»[(١)].

ثانيًا: اقتران اسم الله التواب باسم الله الحكيم:

جاء اسم الله التواب مقترنًا باسم الله الحكيم في موضع واحد، وهو قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾[النور:١٠].

وجه الاقتران:

قرن الله عَزَّوَجَلَّ اسم التواب بالحكيم في هذه الآية، حيث جاء بعد ذكر حد الزنا، وحد قذف المحصنات وأحكام الملاعنة، وفي مناسبة ختمها بهذين الاسمين الكريمين.

يقول ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا تذييل لما مر من الأحكام العظيمة المشتملة علىٰ التفضل من الله والرحمة منه، والمؤذنة بأنه تواب علىٰ من تاب

---

(١) تفسير الطبري (١٢/ ٥٤).

من عباده، والمثبتة بكمال حكمته تَعَالَىٰ؛ إذ وضع الشدة موضعها، والرفق موضعه، وكف بعض الناس عن بعض، فلما دخلت تلك الأحكام تحت كل هذه الصفات كان ذكر الصفات تذييلًا، وفي ذكر وصف (الحكيم) هنا مع وصف (تواب) إشارة إلىٰ أن في هذه التوبة حكمة، وهي استصلاح الناس»[1].

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (التوّاب):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (التواب) من صفات الله تعالىٰ:

الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هو التواب، «قابل الدعاء بالعطاء، والاعتذار بالاغتفار، والإنابة بالإجابة، والتوبة بغفران الحوبة، وإذا تاب العبد إلىٰ الله بسؤاله، تاب الله عليه بنواله»[2].

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في لطائف أسرار التوبة**: «أن يعرف- أي: العبد- عزته سُبْحَانَهُ في قضائه، وبره في ستره، وحلمه في إمهال راكبه، وكرمه في قبول العذر منه، وفضله في مغفرته...

- فإذا عرف العبد عز سيده ولاحظه بقلبه، وتمكن شهوده منه؛ كان الاشتغال به عن ذل المعصية أولىٰ به وأنفع له؛ لأنه يصير مع الله، لا مع نفسه...

- ومن شهود عزته أيضًا في قضائه: أن يشهد أن الكمال والحمد، والغناء التام، والعزة كلها لله، وأن العبد نفسه أولىٰ بالتقصير والذم، والعيب والظلم والحاجة، وكلما ازداد شهوده لذله ونقصه وعيبه وفقره؛ ازداد شهوده لعزة

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٩/ ١٦٨).

(٢) الأسنىٰ في شرح أسماء الله الحسنىٰ، للقرطبي (١/ ٤١٣).

الله وكماله، وحمده وغناه، وكذلك بالعكس، فنقص الذنب وذلته يطلعه علىٰ مشهد العزة...

- ومنها: أن يعرف بره سُبْحَانَهُ في ستره عليه حال ارتكاب المعصية، مع كمال رؤيته له، ولو شاء لفضحه بين خلقه فحذروه، وهذا من كمال بره، ومن أسمائه: البَرُّ، وهذا البِرُّ من سيده كان عن كمال غناه عنه، وكمال فقر العبد إليه، فيشتغل بمطالعة هذه المنة، ومشاهدة هذا البر والإحسان والكرم، فيذهل عن ذكر الخطيئة، فيبقىٰ مع الله سُبْحَانَهُ، وذلك أنفع له من الاشتغال بجنايته، وشهود ذل معصيته؛ فإن الاشتغال بالله والغفلة عما سواه هو المطلب الأعلىٰ، والمقصد الأسنىٰ، ولا يوجب هذا نسيان الخطيئة مطلقًا، بل في هذه الحال، فإذا فقدها فليرجع إلىٰ مطالعة الخطيئة، وذكر الجناية، ولكل وقت ومقام عبودية تليق به.

- ومنها: شهود حلم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في إمهال راكب الخطيئة، ولو شاء لعاجله بالعقوبة، ولكنه الحليم الذي لا يعجل، فيحدث له ذلك معرفة ربه سُبْحَانَهُ باسمه الحليم، ومشاهدة صفة الحلم، والتعبد بهذا الاسم، والحكمة والمصلحة الحاصلة من ذلك بتوسط الذنب أحب إلىٰ الله، وأصلح للعبد، وأنفع من فوتها، ووجود الملزوم بدون لازمه ممتنع عَزَّوَجَلَّ.

- ومنها: معرفة العبد كرم ربه في قبول العذر منه، إذا اعتذر إليه بنحو ما تقدم من الاعتذار، لا بالقدر، فإنه مخاصمة ومحاجة، كما تقدم، فيقبل عذره بكرمه وجوده، فيوجب له ذلك اشتغالًا بذكره وشكره، ومحبة أخرىٰ لم تكن حاصلة له قبل ذلك، فإن محبتك لمن شكرك علىٰ إحسانك وجازاك به، ثم غفر لك إساءتك ولم يؤاخذك بها أضعاف محبتك علىٰ شكر الإحسان وحده،

والواقع شاهد بذلك، فعبودية التوبة بعد الذنب لون، وهذا لون آخر.

- ومنها: أن يشهد فضله في مغفرته، فإن المغفرة فضل من الله، وإلا فلو أخذك بمحض حقه، كان عادلًا محمودًا، وإنما عفوه بفضله لا باستحقاقك، فيوجب لك ذلك- أيضًا- شكرًا له ومحبة، وإنابة إليه، وفرحًا وابتهاجًا به، ومعرفة له باسمه الغفار ومشاهدة لهذه الصفة، وتعبدًا بمقتضاها، وذلك أكمل في العبودية، والمحبة والمعرفة.

- ومنها: أن يكمل لعبده مراتب الذل والخضوع والانكسار بين يديه، والافتقار إليه»[1].

وبذلك يتضح تضمن اسم الله التواب لعدد كبير من أسماء الله وصفاته.

الأثر الثاني: دلالة اسم الله (التواب) علىٰ التوحيد:

من تأمل في اسم الله (التواب) علم أن الألوهية والربوبية لا تكون إلا له سُبْحَانَهُ، «فالتوبة عبادة لله وحده شأنها شأن العبادات الأخرىٰ: كالصلاة، والاستغاثة، والاستعانة، والاستغفار؛ لا يجوز صرفها إلا إلىٰ الله وحده، فلا يتاب إلىٰ نبي مرسل ولا ملك مقرب، وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ لرسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾[آل عمران: ١٢٨].

وعليه فلا يطلب العفو والغفران إلا منه سُبْحَانَهُ، ولا يقدر ولا يوفق إلىٰ التوبة ويقبلها إلا هو، يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورىٰ:٢٥]، ويقول سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:١٣٥].

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٢٢٣).

وقد نصب بعض رهبان النصارىٰ وغلاة الصوفية أنفسهم شركاء لله عَزَّوَجَلَّ، فزعموا أن لديهم صلاحية غفران الذنوب والتوبة علىٰ العباد، وهذا من إفكهم وضلالهم.

وكما أن اسم الله التواب دال علىٰ الربوبية والألوهية، فكذا هو دال علىٰ الأسماء والصفات؛ إذ يدل علىٰ اسم الله الغفور، والبَر، والشكور، والرحيم، والكريم، والحليم، إلىٰ غير ذلك من أسمائه سُبْحَانَهُ وما فيها من صفات.

الأثر الثالث: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْ﴾ [التوبة:١١٨]:

إن إقبال العبد علىٰ ربه بالتوبة هو محض توفيق، ومنة من الباري سُبْحَانَهُ؛ وفيه يذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن توبة العبد إلىٰ ربه محفوفة بتوبة من الله عليه قبلها، وتوبة منه بعدها، فتوبته بين توبتين من الله: سابقة ولاحقة، فإنه تاب عليه أولًا إذنًا وتوفيقًا وإلهامًا، فتاب العبد فتاب الله عليه ثانيًا قبولًا وإثابة، قال تَعَالَى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة:١١٨]، فأخبر سُبْحَانَهُ أن توبته عليهم سبقت توبتهم، وأنها هي التي جعلتهم تائبين، فكانت سببًا ومقتضيًا لتوبتهم، فدل علىٰ أنهم ما تابوا حتىٰ تاب الله عليهم، والحكم ينتفي لانتفاء علته، فالعبد تواب والله تواب، فتوبة العبد رجوعه إلىٰ سيده بعد الإباق، وتوبة الله نوعان: إذن وتوفيق، وقبول وإمداد[1].

---

(١) ينظر: مدارج السالكين (١/ ٣٣٩).

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نونيته:

وَكَذَلِكَ التَّوَّابُ مِنْ أَوْصَافِهِ وَالتَّوْبُ فِي أَوْصَافِهِ نَوْعَانِ
إِذْنٌ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ وَقَبُولِهَا بَعْدَ المَتَابِ بِمِنَّةِ المَنَّانِ

الأثر الرابع: تأخير التوبة يحتاج لتوبة أخرىٰ:

علىٰ العبد أن يسارع إلىٰ التوبة النصوح عند الوقوع في المعصية مباشرة، مهما كان عظمها؛ فإن تأخير التوبة من المعصية معصية أخرىٰ.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في ذلك**: «إن المبادرة إلىٰ التوبة من الذنب فرض علىٰ الفور، ولا يجوز تأخيرها، فمتىٰ أخرها عصىٰ بالتأخير، فإذا تاب من الذنب بقي عليه توبة أخرىٰ، وهي توبته من تأخير التوبة، وقل أن تخطر هذه ببال التائب، بل عنده أنه إذا تاب من الذنب لم يبق عليه شيء آخر، وقد بقي عليه التوبة من تأخير التوبة، ولا ينجي من هذا إلا توبة عامة، مما يعلم من ذنوبه ومما لا يعلم، فإن ما لا يعلمه العبد من ذنوبه أكثر مما يعلمه، ولا ينفعه في عدم المؤاخذة بها جهله إذا كان متمكنًا من العلم، فإنه عاص بترك العلم والعمل، فالمعصية في حقه أشد، وفي مسند أبي يعلىٰ أن النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**الشِّرْكُ فِيكُمْ أَخْفَىٰ مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ**، قال: قلنا: يا رسول الله، وهل الشرك إلا ما عبد من دون الله، أو دعي مع الله؟ قال: **ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا صِدِّيقُ، الشِّرْكُ فِيكُمْ أَخْفَىٰ مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ، أَلَا أُخْبِرُكَ بِقَوْلٍ يُذْهِبُ صِغَارَهُ وَكِبَارَهُ، أَوْ صَغِيرَهُ وَكَبِيرَهُ**، قال: **تَقُولُ كُلَّ يَوْمٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ، وَالشِّرْكَ أَنْ يَقُولَ: أَعْطَانِي الله وَفُلَانٌ، وَالنِّدُّ أَنْ**

يَقُولَ الْإِنْسَانُ: لَوْلَا فُلَانٌ قَتَلَنِي فُلَانٌ»[1]، فهذا طلب الاستغفار مما يعلمه الله أنه ذنب، ولا يعلمه العبد.

وفي الصحيح عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أنه كان يدعو بهذا الدعاء: (**اللهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي، وَخَطَئِي وَعَمْدِي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**)[2]، وفي الحديث الآخر: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول في سجوده: (**اللهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ، دِقَّهُ، وَجِلَّهُ، وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ وَعَلَانِيَتَهُ وَسِرَّهُ**)[3]، فهذا التعميم وهذا الشمول لتأتي التوبة علىٰ ما علمه العبد من ذنوبه وما لم يعلمه»[4].

الأثر الخامس: محبة التواب سُبْحَانَهُ:

حري بمن عرف اسم الله التواب، وأدرك سعه فضله، ولطفه بعباده، وتوفيقه لمن شاء إلىٰ التوبة وتيسير أسبابها، وقبولها منهم، بل وفرحه أشد الفرح بها، كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَلهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَىٰ رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَىٰ شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ،**

---

(١) أخرجه أبو يعلىٰ، رقم الحديث: (٥٨)، وأبو نعيم في الحلية (٧/ ١١٢)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٣٧٧١).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٣٩٨)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٧١٩).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٤٨٣).

(٤) مدارج السالكين (١/ ٢٨٣).

فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا، قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ»[1]، فحري بمن عرف هذا كله أن يحب التواب الحبَّ كله، وأن تظهر آثار هذه المحبة في دينه ودنياه.

الأثر السادس: وجوب التوبة لله:

فالتوبة فرض علىٰ كل مسلم ومسلمة، يقول تَعَالَىٰ: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [النور:٣١].

ويقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذلك: «ومنزل التوبة أول المنازل، وأوسطها، وآخرها، فلا يفارقه العبد السالك، ولا يزال فيه إلىٰ الممات، وإن ارتحل إلىٰ منزل آخر ارتحل به، واستصحبه معه ونزل به، فالتوبة هي بداية العبد ونهايته، وحاجته إليها في النهاية ضرورية، كما أن حاجته إليها في البداية كذلك، وقد قال الله تَعَالَىٰ: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [النور:٣١].

وهذه الآية في سورة مدنية، خاطب الله بها أهل الإيمان وخيار خلقه أن يتوبوا إليه، بعد إيمانهم وصبرهم، وهجرتهم وجهادهم، ثم علق الفلاح بالتوبة تعليق المسبب بسببه، وأتىٰ بأداة لعل المشعرة بالترجي؛ إيذانًا بأنكم إذا تبتم كنتم علىٰ رجاء الفلاح، فلا يرجو الفلاح إلا التائبون، جعلنا الله منهم.

وقال تَعَالَىٰ في سورة الحجرات: ﴿وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات:١١]، فقسم العباد إلىٰ تائب وظالم، وما ثم قسم ثالث البتة، وأوقع اسم الظالم علىٰ من لم يتب، ولا أظلم منه، لجهله بربه وبحقه، وبعيب

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٧٤٧).

نفسه وآفات أعماله، وفي الصحيح عنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَىٰ اللهِ؛ فَإِنِّي أَتُوبُ فِي اليَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّة**)[1]، وكان أصحابه يعدون له في المجلس الواحد قبل أن يقوم (**رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الْغَفُورُ**)[2] مائة مرة، وما صلىٰ صلاة قط بعد إذ أنزلت عليه ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ [النصر:١] إلىٰ آخرها، إلا قال فيها: (**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي**)، وصح عنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: (**لَنْ يَنْجُوَ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ**، قالوا: يا رسول الله ولا أنت؟ قال: **وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ**)[3]»[4].

وفي الملحق مزيد بيان وتفصيل عن التوبة والتائبين.

الأثر السابع: ﴿فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا﴾ [النساء:١٦]:

التواب سُبۡحَانَهُ يأمر عباده بالتسامح فيما بينهم لمن أذنب سلفًا ثم تاب وأصلح، يقول سُبۡحَانَهُ: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ١٥ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا﴾[النساء:١٥ - ١٦].

ومن المعلوم أن هذا التسامح ليس تسامحًا في الجريمة، أو رحمة

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٧٠٢).

(٢) سبق تخريجه (ص ٤٣).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٨١٦).

(٤) مدارج السالكين (١/ ١٩٦).

بالفاحشين، ولكن سماحة ورحمة بالتائبين المتطهرين المصلحين، وقبولهم في المجتمع، وعدم تذكيرهم وتعييرهم بما كان منهم من ذنب تابوا عنه، وتطهروا منه، وأصلحوا حالهم بعده، فينبغي مساعدتهم علىٰ استئناف حياة طيبة نظيفة كريمة، ونسيان جريمتهم حتىٰ لا تثير في نفوسهم التأذي كلما واجهوا المجتمع بها؛ مما قد يحمل بعضهم علىٰ الانتكاس والارتكاس، واللجاج في الخطيئة، وخسارة أنفسهم في الدنيا والآخرة.

الأثر الثامن: الدعاء باسم الله التواب:

فقد أمر الله تَعَالَىٰ عباده المؤمنين بتطهير أنفسهم بالتوبة، ومن ذلك قوله تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[التحريم:٨]، ويقول تَعَالَىٰ: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[النور:٣١].

وهذا منهج الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، ومنهم ما يلي:

- آدم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ حين نهاه الله عن الأكل من شجرة من شجر الجنة، فعصاه بالأكل منها، يقول تَعَالَىٰ: ﴿فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ١٢٠ فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ١٢١ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ﴾[طه:١٢٠].

- دعاء إبراهيم وإسماعيل عَلَيۡهِمَا ٱلسَّلَامُ في قوله تَعَالَىٰ: ﴿رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا

مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[البقرة:١٢٨].

- دعاء موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ في قوله تَعالَى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[الأعراف:١٤٣].

- أمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه وأمته بالتوبة والاستغفار، ففي الحديث: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَىٰ اللهِ، فَإِنِّي أَتُوبُ، فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ**»[(١)].

فعلىٰ المؤمن أن يكثر من الاستغفار وطلب التوبة اقتداء بنبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **وأنبياء الله ورسله.**



(١) سبق تخريجه (ص ٥٢).

«التواب يحب التوابين»



في موضوع التوبة سنتطرق لعدة مسائل، وهي:

أولًا: تعريف التوبة:

«التوبة: هي الندم بالقلب، وترك المعصية في الحال، والعزم علىٰ ألا يعود إلىٰ مثلها، وأن يكون ذلك حياءً من الله»[1].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكثير من الناس إنما يفسر التوبة بالعزم علىٰ أن لا يعاود الذنب، وبالإقلاع عنه في الحال، وبالندم عليه في الماضي، وإن كان في حق آدمي؛ فلا بد من أمر رابع وهو التحلل منه، وهذا الذي ذكروه بعض مسمىٰ التوبة بل شرطها، وإلا فالتوبة في كلام الله ورسوله كما تتضمن ذلك، تتضمن العزم علىٰ فعل المأمور والتزامه، فلا يكون بمجرد الإقلاع والعزم والندم تائبًا حتىٰ يوجد منه العزم الجازم علىٰ فعل المأمور والإتيان به، هذا حقيقة التوبة، وهي اسم لمجموع الأمرين...»[2].

ثانيًا: فضائل التوبة:

للتوبة إلىٰ الله فضائل عديدة، ومنافع عظيمة، منها:

١- **التوبة هدي الأنبياء والمرسلين**، يقول تَعَالَىٰ عن آدم: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:٣٧]، وقد فسرت هذه الكلمات

---

(١) تفسير القرطبي (٥/ ٩١).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٣٠٥).

في سورة الأعراف: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾[الأعراف:٢٣]، وقال عن نوح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ في قصته مع ابنه في سورة هود: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾[هود:٤٧]، وقال عن إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ﴾ [هود:٧٥]، وقال عن موسىٰ بعد قتله النفس خطأ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [القصص:١٦]، وأخرج ابن حبان في صحيحه من حديث أنس قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**إِنِّي لَأَتُوبُ فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً**»(١).

٢- **توبة الله علىٰ التائبين**، يقول تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة:٣٩]، وأخرج البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حادثة الإفك أنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قال: «**فَإِنَّ العَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ، ثُمَّ تَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ**»(٢).

وأخرج مسلم في حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، تَابَ اللهُ عَلَيْهِ**»(٣)، بل من رحمته سُبۡحَانَهُ وفضله أنه: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا**»(٤).

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرىٰ، رقم الحديث: (١٠١٩٣)، وابن حبان، رقم الحديث: (٩٢٤)، حكم الألباني: صحيح، التعليقات الحسان علىٰ صحيح ابن حبان، رقم الحديث: (٩٢٠).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٦٦١).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٧٠٣).

(٤) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٧٥٩).

٣- **فرحة الله بتوبة العبد**، يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «منها السر الأعظم الذي لا تقتحمه العبارة، ولا تجسر عليه الإشارة، ولا ينادي عليه منادي الإيمان علىٰ رؤوس الأشهاد، بل شهدته قلوب خواص العباد فازدادت به معرفة لربها، ومحبة له، وطمأنينة به، وشوقًا إليه، ولهجًا بذكره، وشهودًا لبره، ولطفه، وكرمه، وإحسانه، ومطالعة لسر العبودية، وإشرافًا علىٰ حقيقة الإلهية، وهو ما ثبت في الصحيحين من حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(للهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَىٰ رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَىٰ شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا، قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ)**[١][٢].

٤- **محبة الله للتوابين**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة:٢٢٢]، فالطهر في حقيقته طهران: طهر بالماء من الأحداث والنجاسات، وطهر بالتوبة من الشرك والمعاصي، وهذا الطهور أصل لطهور الماء، وطهور الماء لا ينفع بدونه، بل هو مكمل له، معد مهيأ بحصوله، فكان أولىٰ بالتقديم.

٥- **تبديل السيئات حسنات**: وذلك من فضل الرب سُبْحَانَهُ علىٰ عباده، ورحمته بهم، فطوبىٰ للتائب قبول الرب لتوبته، وفرحه بها، وتبديل خطاياه إلىٰ

---

(١) سبق تخريجه (ص ٥١).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٢٠٩).

حسنات، يقول تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦٨ - ٧٠].

واختلف أهل العلم في معنىٰ تبديل السيئات إلىٰ حسنات، علىٰ أقوال، منها:

أ- أنهم بدلوا مكان عمل السيئات عمل الحسنات، قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا في الآية، أنه قال: «هم المؤمنون، كانوا من قبل إيمانهم علىٰ السيئات، فرغب الله بهم عن السيئات، فحولهم إلىٰ الحسنات، فأبدلهم مكان السيئات الحسنات»[1].

ب- إن تلك السيئات الماضية تنقلب بنفس التوبة النصوح حسنات، وما ذاك إلا لأنه كلما تذكر ما مضىٰ ندم واسترجع واستغفر، فينقلب الذنب طاعة بهذا الاعتبار، فيوم القيامة وإن وجده مكتوبًا عليه فإنه لا يضر به، وينقلب حسنة في صحيفته، واستدلوا علىٰ هذا بما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخُولًا الجَنَّةَ، وآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، رَجُلٌ يُؤْتَىٰ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُقَالُ: اعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ، وَارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَهَا، فَتُعْرَضُ عَلَيْهِ صِغَارُ ذُنُوبِهِ، فَيُقَالُ: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا، وَعَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِ ذُنُوبِهِ أَنْ تُعْرَضَ**

(١) تفسير القاسمي (٧/ ٤٣٨).

عَلَيْهِ، فَيُقَالُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً، فَيَقُولُ: رَبِّ، قَدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لَا أَرَاهَا هَا هُنَا، فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّىٰ بَدَتْ نَوَاجِذُهُ»[1].

٦- **الفلاح والفوز إنما يكون بالتوبة**، يقول الله تعالَى: ﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ﴾ [القصص:٦٧]، والذنوب سبب تسليط الأعادي علىٰ العبد، يقول تعالَى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورىٰ:٣٠]، وقال لخير الخلق وهم أصحاب نبيه ﷺ: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾[آل عمران:١٦٥].

فما سلط علىٰ العبد من يؤذيه إلا بذنب يعلمه أو لا يعلمه، وما لا يعلمه العبد من ذنوبه أضعاف ما يعلمه منها، وفي الدعاء المشهور الذي أخرجه البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الأدب المفرد: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ**»[2].

٧- **المتاع الحسن**: يقول الله تعالَى: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾[هود:٣].

يقول الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والظاهر أن المراد بالمتاع الحسن: سعة الرزق، ورغد العيش، والعافية في الدنيا، وأن المراد بالأجل المسمىٰ: الموت، ويدل لذلك قوله تعالَى في هذه السورة الكريمة- يعني: سورة هود- عن نبيه

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٩٠).

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، رقم الحديث: (٧١٦)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الأدب المفرد، رقم الحديث: (٧١٦).

هود عليه وعلىٰ نبينا الصلاة والسلام: ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ﴾ [هود:٥٢]»[١].

٨- **الخروج من الدرع الضيقة التي يلبسها العاصي**، فإن المذنب تحيط به ذنوبه من جميع الجهات حتىٰ تهلكه، ولا ينفك المؤمن منها إلا بالتوبة النصوح، وإبدال السيئة حسنة، قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**إِنَّ مَثَلَ الَّذِي يَعْمَلُ السِّيِّئَاتِ، ثُمَّ يَعْمَلُ الحَسَنَاتِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ كَانَتْ عَلَيْهِ دِرْعٌ ضَيِّقَةٌ قَدْ خَنَقَتْهُ، ثُمَّ عَمِلَ حَسَنَةً، فَانْفَكَّتْ حَلْقَةٌ، ثُمَّ عَمِلَ حَسَنَةً أُخْرَىٰ، فَانْفَكَّتْ حَلْقَةٌ أُخْرَىٰ، حَتَّىٰ يَخْرُجَ إِلَىٰ الأَرْضِ**»[٢].

ثالثًا: شروط التوبة:

للتوبة شروط ثلاثة، وهي: «الإقلاع، والندم، والعزم علىٰ أن لا يعود، والتعبير بالرجوع عن الذنب لا يفيد معنىٰ الندم، بل هو إلىٰ معنىٰ الإقلاع أقرب، وقال بعضهم: يكفي في التوبة تحقق الندم علىٰ وقوعه منه، فإنه يستلزم الإقلاع عنه، والعزم علىٰ عدم العود، فهما ناشئان عن الندم لا أصلان معه، ومن ثم جاء الحديث (**النَّدَمُ تَوْبَةٌ**)[٣]»[٤].

---

(١) أضواء البيان (٢/ ١٧٠).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٧٣٠٧)، حكم الألباني: حسن، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٢١٩٢).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) فتح الباري، ابن حجر (١٣/ ٤٧١).

ولا بد أن تكون التوبة صادقة نصوحًا حتىٰ يقبلها الله عَزَّوَجَلَّ وينتفع بها العبد، وقد ذكر العلماء تفصيلًا لهذه الشروط، ومن ذلك ما ذكره الراغب الأصفهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المفردات، حيث يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «التوبة هي ترك الذنب علىٰ أجمل الوجوه، وهو أبلغ وجوه الاعتذار؛ فإن الاعتذار علىٰ ثلاثة أوجه: إما أن يقول المعتذر: لم أفعل، أو يقول: فعلت لأجل كذا، أو فعلت وأسأت وقد أقلعت، ولا رابع لذلك، وهذا الأخير هو التوبة»[1].

رابعًا: تحقيق مرتبة التوبة النصوح لله تعالى:

لا بد للعبد- ليكون من التائبين- أن يستحضر عدة أمور ويستشعرها، ويحرص أن لا تغيب عن ذهنه، ومنها:

١- معرفة الرب سُبْحَانَهُ:

ومعرفته تَعَالَىٰ نوعان، وهما:

الأول: معرفة إقرار، وهي التي اشترك فيها الناس: البر والفاجر والمطيع والعاصي، والثاني: معرفة توجب الحياء منه، والمحبة له، وتعلق القلب به، والشوق إلىٰ لقائه، وخشيته، والإنابة إليه، والأنس به، والفرار من الخلق إليه.

ولهذه المعرفة بابان واسعان، وهما: التفكر والتأمل في آيات القرآن كلها، والفهم الخاص عن الله ورسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، والتفكر في آياته المشهودة، وتأمل حكمته فيها وقدرته ولطفه وإحسانه وعدله وقيامه بالقسط، وجماع ذلك الفقه في معاني أسمائه الحسنىٰ وجلالها وكمالها[2].

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن، الأصفهاني (١/ ١٤٩).

(٢))) ينظر: الفوائد، لابن القيم (ص١٧٠).

٢- الاستعظام لا الاستحقار:

فالذنوب في حقيقتها استجابة لداعي الشيطان الذي تحدىٰ سيدك ومولاك، فقال: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف:١٦]، فقال الرب سُبْحَانَهُ: ﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأعراف:١٨].

واحتقار الذنب- بل والفرح به- دليل علىٰ شدة الرغبة فيه، والجهل بقدر من عصي، والجهل بسوء عاقبة المعصية، وعظم خطرها، فالفرح بالمعصية أشد ضررًا من مواقعتها، والمؤمن لا تتم له لذة بمعصية أبدًا، ولا يكمل بها فرحه، بل لا يباشرها إلا والحزن مخالط لقلبه، ولكن سكر الشهوة يحجبه عن الشعور به، ومتىٰ خلا قلبه من هذا الحزن، واشتدت غبطته وسروره فليتهم إيمانه، وليبك علىٰ موت قلبه، فإنه لو كان حيًّا لأحزنه ارتكابه الذنب، وغاظه، وصعب عليه، ولذا يقول الله تَعَالَىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام:١٢٨].

والمتأمل في قوله: ﴿ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ يدرك أن الإنس تطيع شياطين الجن وتنقاد إليها، حتىٰ صار الجن كالرؤساء والإنس كالأتباع والخادمين، ولا شك أن هذا الرئيس قد انتفع بهذا الخادم، فهذا استمتاع الجن بالإنس، وأما استمتاع الإنس بالجن، فهو أن الجن كانوا يدلونهم علىٰ أنواع الشهوات واللذات المحرمة، ويسهلون تلك الأمور عليهم، وهذا استمتاع

الإنس[1]، والشيطان يريد أن يظفر بالإنسان في عقبة من سبع عقبات بعضها أصعب من بعض، لا ينزل منه من العقبة الشاقة إلىٰ ما دونها إلا إذا عجز عن الظفر به فيها، وهذه العقبات هي:

العقبة الأولىٰ: الكفر بالله وبدينه، وإن ظفر بالإنسان في هذه العقبة؛ بردت نار عداوته واستراح.

العقبة الثانية: البدعة إما باعتقاد خلاف الحق الذي أرسل الله به رسوله، وإما بالتعبد بما لم يأذن به الله من الأوضاع والأمور المحدثة في الدين، والبدعتان في الغالب متلازمتان قل أن تنفك إحداهما عن الأخرىٰ، فإن قطع هذه العقبة وخلص منها بنور السنة، واعتصم منها بحقيقة المتابعة، انتقل به إلىٰ العقبة الثالثة.

العقبة الثالثة: الكبائر، فإن ظفر به فيها زينها له، وحسنها في عينه، وسوَّف به. فترىٰ العبد يشرب الخمر لا يبالي، ثم هو يزني، ثم هو يقتل النفس التي حرم الله وهكذا دواليك، فإن قطع هذه العقبة بعصمة من الله، أو بتوبة نصوح تنجيه منها؛ طلبه علىٰ العقبة الرابعة.

العقبة الرابعة: الصغائر، فيقول له: ما عليك إذا اجتنبت الكبائر ما غشيت من اللمم، أو ما علمت بأنها تكفر باجتناب الكبائر، وبالحسنات، ولا يزال يهون عليه أمرها حتىٰ يصر عليها؛ فيكون مرتكب الكبيرة الخائف الوجل النادم أحسن حالًا منه، فالإصرار علىٰ الذنب أقبح منه، فمن المعلوم أنه لا كبيرة مع استغفار، ولا صغيرة مع الإصرار.

---

(١))) في قوله: ﴿ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ أقوال آخر. ينظر: التفسير الكبير (١٣/ ١٥٧)، الدر المنثور (٣/ ٣٥٧).

أخرج الإمام أحمد في المسند، من حديث سهل بن سعد قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّمَا مَثَلُ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كَقَوْمٍ نَزَلُوا فِي بَطْنِ وَادٍ، فَجَاءَ ذَا بِعُودٍ، وَجَاءَ ذَا بِعُودٍ حَتَّىٰ أَنْضَجُوا خُبْزَتَهُمْ، وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَىٰ يُؤْخَذْ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكْهُ»**[١]، فإن نجا العبد من هذه العقبة بالتحرز والتحفظ ودوام التوبة والاستغفار، وأتبع السيئة الحسنة؛ طلبه الشيطان علىٰ العقبة الخامسة.

العقبة الخامسة: المباحات التي لا حرج علىٰ فاعلها، فشغله بها عن الاستكثار من الطاعات، وعن الاجتهاد في التزود لمعاده، ثم طمع فيه أن يستدرجه منها إلىٰ ترك السنن، ثم من ترك السنن إلىٰ ترك الواجبات، فإن نجا من هذه العقبة ببصيرة تامة، ونور هاد، ومعرفة بقدر الطاعات والاستكثار منها، فبخل بأوقاته، وضنَّ بأنفاسه أن تذهب في غير ربح، طلبه العدو علىٰ العقبة التي تليها.

العقبة السادسة: الأعمال المرجوحة المفضولة من الطاعات، فأمره بها، وحسنها في عينه، وزينها له، وأراه ما فيها من الفضل والربح ليشغله بها عما هو أفضل منها، وأعظم كسبًا ورجاءً؛ لأنه لما عجز عن تخسيره أصل الثواب طمع في تخسيره كماله وفضله ودرجاته العالية، فشغله بالمفضول عن الفاضل.

العقبة السابعة: تسليط جنده عليه بأنواع الأذىٰ باليد واللسان والقلب علىٰ حسب مرتبته في الخير، فكلما علت مرتبة أجلب عليه العدو بخيله ورجله، وظاهر عليه بجنده، وسلط عليه حزبه[٢].

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢٢٨٠٨)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٢٦٨٦).

(٢)) ينظر: مدارج السالكين (١/ ٢١٢-٢٢٦).

٣- إحكام الإغلاق:

فلشيطان مداخل علىٰ الإنسان، جماعها أربعة أبواب، لا بد من إغلاقها وتعاهدها أيضًا، فإنه متىٰ فتح الباب؛ ولج الشيطان معه ليفسد دين المرء.

وهذه الأبواب هي: النظرة، والخطرة، واللفظة، والخطوة[١].

٤- مجالسة الأخيار:

فالتائب حديث عهد بتوبة، وللشهوات طغياتها، وللأهواء مغرياتها، فوجود الصاحب أمر ضروري، ليذكره إذا نسي، ويعظه إذا هم بسوء، ويعينه علىٰ طاعة ربه ومرضاته، ثم إن مجالسة الأخيار حماية للتائب من الخلوة والوقوع في أسر الخواطر، وهي ميدان للمنافسة في الخيرات، والمسابقة لصنوف الطاعات.

والصديق له تأثير كبير علىٰ صديقه؛ لكثرة مخالطته، وشدة ملازمته، وصحبته تمتد مع العبد في دنياه وآخرته، فكما أنه ليس كل بيت يصلح للسكنىٰ، ولا كل راحلة تصلح للركوب، فكذلك أبناء آدم لا يصلح كلهم للصحبة، قال رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّمَا النَّاسُ كَالإِبِلِ المِائَةِ، لَا تَكَادُ تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً**»[٢].

يقول ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «... فالمعنىٰ: لا تجد في مائة إبل راحلة تصلح للركوب؛ لأن الذي يصلح للركوب ينبغي أن يكون وطيئًا سهل الانقياد،

---

(١) سبق بيانها في اسم الله البصير، فتراجع.

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٤٩٨)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٥٤٧).

وكذا لا تجد في مائة من الناس من يصلح للصحبة بأن يعاون رفيقه، ويلين جانبه...»[1].

وأخبر الرب سُبْحَانَهُ في كتابه أن الابتعادَ عن سبيل الرسول، والضلالةَ إنما يكون بسبب صحبة السوء، فيعض الظالم علىٰ يديه يوم القيامة حسرة وأسفًا، يقول سُبْحَانَهُ: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾[الفرقان:٢٧ - ٢٩]، بل إن الرابطة بين أهل الشر تمتد حتىٰ بعد دخول النار؛ لكن تنقلب إلىٰ عداوة وبغضاء، يقول الله تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾[فصلت:٢٩].

وإذا كان ما مضىٰ من الأدلة فيه تحذير من صحبة الأشرار؛ فإن الشرع حث علىٰ صبر النفس مع الأخيار، ونهىٰ عن أن تعدو عين المسلم عنهم، يقول الله تَعَالَىٰ: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾[الكهف:٢٨].

ومن صحب أهل الخير علا ذكره، وارتفع شأنه في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا يقول الله تَعَالَىٰ: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ﴾[الكهف:٢٢]، فرفع الله ذكر الكلب لما صحب أهل الخير.

---

(١) فتح الباري (١١/ ٣٣٥).

أما في الآخرة، فهم أهل الوفاء ولا غرو، أخرج مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري مطولًا، وفيه أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**حَتَّىٰ إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ، فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَىٰ النَّارِ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا...**»[1].

٥- مفارقة دواعي المعصية:

لا بد للتائب من مفارقة دواعي المعصية أيًّا كانت؛ صديقًا، أو مجلسًا، أو آلة! ذلك أن وجود التائب في مكان المعصية، يذكره بها، ويحرك في نفسه الداعي إليها، فيقع في حبال الشهوة، ويدخل أسر الشيطان بعد أن خرج منه، ولا تزال نفسه الأمارة بالسوء تراوده حتىٰ يعصي ربه، يقول تَعَالَىٰ في ذلك: ﴿وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفًا﴾[طه:٩٧] يقول الشيخ السعدي في تفسيره: «ففعل موسىٰ ذلك، فلو كان إلهًا لامتنع ممن يريده بأذىٰ، ويسعىٰ له بالإتلاف، وكان قد أشرب العجل في قلوب بني إسرائيل، فأراد موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إتلافه وهم ينظرون علىٰ وجه لا تمكن إعادته بالحرق والسحق وذره في اليم ونسفه؛ ليزول ما في قلوبهم من حبه كما زال شخصه، ولأن في إبقائه محنة»[2]، مع أن العجل كان من الحلي، إلا أن موسىٰ لم يتردد في إزالته؛ لما في بقائه من الفتنة.

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٨٣).

(٢) تفسير السعدي (١/ ٥١٢).

وكذا في دعوة يوسف: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٣٣ فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [يوسف:٣٣ - ٣٤]، فاختار عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ السجن علىٰ المعصية، ولجأ إلىٰ الله، واحتمىٰ بحماه، وسأله أن يخلصه من أسباب المعاصي، فاستجاب له السميع العليم سُبۡحَانَهُۥ.

ومن ذلك- أيضًا- حديث أبي سعيد، أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَىٰ رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَىٰ رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَىٰ أَرْضِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللهَ فَاعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَىٰ أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ، فَانْطَلَقَ حَتَّىٰ إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَىٰ اللهِ، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ، فَإِلَىٰ أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَىٰ فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَىٰ إِلَىٰ الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ»[(١)].

فالحديث يشير إلىٰ أن هجر التائب للبيئة السيئة أمر لا بد له منه، وذلك حرصًا علىٰ التائب، وخوفًا عليه من الانحدار إلىٰ قاع الرذيلة، بعد أن رفعه الله لقمَّة الطهر.

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٧٦٦).

٦- محاسبة النفس:

فلا بد للتائب أن يعيش بين محاسبتين، محاسبة قبل توبته تقتضي وجوبها، ومحاسبة بعدها تقتضي حفظها، فالتوبة محفوظة بمحاسبتين، وقد دل عليها قوله تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖ﴾ [الحشر:١٨].

فأمر سُبْحَانَهُ العبد أن ينظر ما قدم لغد، والمقصود من هذا النظر هو ما يوجبه ويقتضيه من كمال الاستعداد ليوم المعاد، وتقديم ما ينجيه من عذاب الله، ويبيض وجهه عند الله، قال عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وتزينوا للعرض الأكبر، يومئذ تعرضون لا تخفىٰ منكم خافية»[١].

٧- التزام العمل الصالح:

فقد نص القرآن الكريم في آيات كثيرة علىٰ العمل الصالح وقرنه بالتوبة، يقول تَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا﴾ [مريم:٦٠]، وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ﴾ [طه:٨٢]، وقال أيضا: ﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلۡمُفۡلِحِينَ﴾ [القصص:٦٧]، وأمر الرب سُبْحَانَهُ خليله ومصطفاه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: ﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب﴾ [الشرح:٧ - ٨].

يقول ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: إذا فرغت من أمور الدنيا وأشغالها، وقطعت

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة، رقم الحديث: (٣٤٤٥٩)، حكم الألباني: موقوف، السلسلة الضعيفة، رقم الحديث: (١٢٠١).

علائقها فانصب إلىٰ العبادة، وقم إليها نشيطًا فارغ البال، وأخلص لربك النية والرغبة...»[(١)]، ومن المعلوم أن العمل الصالح يعين التائب علىٰ الاستمرار علىٰ توبته، وذلك لأسباب، منها:

١- أن العمل الصالح بديل عملي لما كان يقترفه من الذنوب، وينشئ في النفس تعويضًا إيجابيًّا للإقلاع عن المعصية، وإلا حنت النفس إلىٰ الخطيئة بتأثير الفراغ الذي تحسه بعد الإقلاع، وقديمًا قيل: النفس إن لم تشغلها بالطاعة شغلتك بالمعصية.

٢- من المتقرر أن المعصية تضعف القلب عن إرادة الخير، والطاعة ضدها تقوي القلب علىٰ إرادة الخير، فبالعمل الصالح تقوىٰ إرادة الطاعات عند التائب، ويشعر بلذة المناجاة، وتصير الطاعة في قلبه هيئة راسخة، وصفة لازمة، وملكة ثابتة، فلو عطل المحسن الطاعة ضاقت عليه نفسه، وضاقت عليه الأرض بما رحبت، وأحس من نفسه بأنه كالحوت، إذا فارق الماء حتىٰ يعاودها، فتسكن نفسه، وتقر عينه.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا يزال العبد يعاني الطاعة ويألفها ويحبها ويؤثرها، حتىٰ يرسل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ برحمته عليه الملائكة تؤزه إليها أزًّا، وتحرضه عليها، وتزعجه من فراشه ومجلسه إليها، ولا يزال يألف المعاصي، ويحبها، ويؤثرها حتىٰ يرسل الله عليه الشياطين، فتؤزه إليها أزًّا، فالأول قوىٰ جند الطاعة بالمدد، فصاروا من أكبر أعوانه، وهذا قوىٰ جند المعصية بالمدد، فكانوا أعوانًا عليه»[(٢)].

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٢٧).

(٢) الجواب الكافي (ص٥٦).

٨- مداومة الاستغفار:

فالذنوب والخطايا إن أحاطت بقلب أيها الإنسان سودَّته، والاستغفار أداة فعالة في تنقيته وتطهيره، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا قال: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ، صُقِلَ قَلْبُهُ، فَإِنْ زَادَ، زَادَتْ، فَذَلِكَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ:** ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[المطففين:١٤]»[1].

والعبد إذا استغفر ربه وكان صادقًا في استغفاره غفر الله تَعَالَى له، يقول تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:١٣٥]، فضلًا على أن كثرة الاستغفار تولد القوة في نفس التائب، وبذلك يصبح قوي الإرادة، يقول الله تَعَالَى: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾[هود:٥٢]، وإطلاق القوة في الآية: يشمل الروحية والجسمية، كذلك كثرته تفتح أبواب الرزق، وتبعد الهم والحزن، يقول تَعَالَى في سورة نوح: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾[نوح:١٠ - ١٢].

ولذلك كان من هديه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثرة الاستغفار، وهو الذي غفر له ربه ما تقدم من ذنبه وما تأخر، يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَىٰ قَلْبِي، وَإِنِّي**

---

(١) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٣٣٣٤)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٤٢٤٤)، حكم الألباني: حسن، صحيح سنن ابن ماجه، رقم الحديث: (٤٢٤٤).

لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ، فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ»(١).

٩- الدعاء:

فالدعاء من أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء، يدافعه ويعالجه، ويمنع نزوله، ويرفعه، أو يخففه إذا نزل، وهو سلاح المؤمن، ومن ألهم الدعاء فقد أريد به الإجابة، فإن الله سُبْحَانَهُ يقول: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠] ويقول: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦]، ويقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّهُ مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ**»(٢).

١٠- الحذر من الشماته بالآخرين:

فكل معصية عيرت بها فهي إليك، يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأيضًا ففي التعيير ضرب خفي من الشماتة بالمعير، وفي الترمذي أيضًا- مرفوعًا: «**لَا تُظْهِرِ الشَّمَاتَةَ لِأَخِيكَ، فَيَرْحَمهُ اللهُ وَيَبْتَلِيكَ**»(٣)، ويحتمل أن يريد تعييرك لأخيك بذنبه أعظم إثمًا من ذنبه، وأشد من معصيته؛ لما فيه من صولة الطاعة، وتزكية النفس وشكرها، والمناداة عليها بالبراءة من الذنب، وإن أخاك باء به، ولعل كسرته بذنبه، وما أحدث له من الذلة والخضوع والإزراء علىٰ نفسه، والتخلص من مرض الدعوىٰ والكبر والعجب، ووقوفه بين يدي الله ناكس الرأس، خاشع

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٧٠٢).

(٢) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٣٣٧٣)، حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٣٣٧٣).

(٣))) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٢٥٠٦)، وأبو نعيم في الحلية (٥/ ١٦٨)، حكم الألباني: ضعيف، السلسلة الضعيفة، رقم الحديث: (٥٤٢٦).

الطرف، منكسر القلب، أنفع له وخير من صولة طاعتك، وتكثرك بها، والاعتداد بها، والمنة علىٰ الله وخلقه بها، فما أقرب هذا العاصي من رحمة الله، وما أقرب هذا المدل من مقت الله، فذنب تذل به لديه أحب إليه من طاعة تدل بها عليه، وإنك إن تبت نائمًا وتصبح نادمًا، خير من أن تبت قائمًا وتصبح معجبًا، فإن المعجب لا يصعد له عمل، وإنك إن تضحك وأنت معترف خير من أن تبكي وأنت مدل، وأنين المذنبين أحب إلىٰ الله من زجل المسبحين المدلين، ولعل الله أسقاه بهذا الذنب دواء استخرج به داء قاتلًا هو فيك، فلا تشعر»[1].

١١- قراءة سير الصالحين:

فقد قص الله في كتابه كثيرًا من قصص الأنبياء والصالحين، وأمر بأخذ العظة والعبرة من أحوالهم، وما جرىٰ لهم، فقال تعَالَى: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [يوسف:١١١]، وقال تعَالَى: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدۡ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبۡلِكَ﴾ [فصلت:٤٣]، وقال تعَالَى: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف:٣٥]، وقال تعَالَى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾ [الأنعام:٩٠]، فقراءة سير الصالحين تبعث الهمة، وتوقظ العزيمة، وتدعو العبد أن يقتدي بهم في المتاب.

«ومن أراد خير الآخرة، وحكمة الدنيا، وعدل السيرة، والاحتواء علىٰ محاسن الأخلاق كلها، واستحقاق الفضائل بأسرها، فليقتد بمحمد رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وليستعمل أخلاقه وسيره ما أمكنه، أعاننا الله علىٰ الاتساء به بمنِّه، آمين»[2].

---

(١) مدارج السالكين (١/ ١٧٧).

(٢) قاله ابن حزم في الأخلاق والسير (ص٢٤).

١٢- حسن الظن بالله:

لقد حث الرب سُبْحَانَهُ عباده علىٰ الرجاء وحسن الظن به وعدم اليأس من رحمته، فقال تَعَالَى في كتابه: ﴿وَلَا تَا۟يْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[يوسف:٨٧]، وقال تَعَالَى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[الزمر:٥٣].

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمن كان رجاؤه هاديًا له إلىٰ الطاعة، وزاجرًا له عن المعصية فهو رجاء صحيح، ومن كانت بطالته رجاء، ورجاؤه بطالة وتفريطًا فهو المغرور، ولو أن رجلًا كانت له أرض يؤمل أن يعود عليه من مغلها ما ينفعه، فأهملها ولم يبذرها ولم يحرثها، وحسن ظنه بأنه يأتي من مغلها ما يأتي من حرث وبذر وسقىٰ وتعاهد الأرض، لعده الناس من أسفه السفهاء.

وكذلك لو حسن ظنه، وقوي رجاؤه، بأن يجيئه ولد من غير جماع، أو يصير أعلم أهل زمانه من غير طلب للعلم وحرص تام عليه، وأمثال ذلك، فكذلك من حسن ظنه، وقوي رجاؤه في الفوز بالدرجات العلا والنعيم من غير تقرب إلىٰ الله تَعَالَى بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، وبالله التوفيق»[1].

اللهم تب علينا، واغفر لنا خطايانا وجهلنا وإسرافنا في أمرنا، اللهم اغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا، وما أعلنَّا وما أسررنا، وما أنت أعلم به منا، أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت علىٰ كل شيء قدير.



(١) الجواب الكافي (ص٤١).

الجبَّار جَلَّجَلَالُهُ

المعنى اللغوي:

❁ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الجبر: أن تغني الرجل من فقر، أو تصلح عظمه من كسر. يقال: جبرت العظم جبرًا، وجبر العظم بنفسه جبورًا، أي: انجبر»(١).

❁ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(جبر) الجيم والباء والراء أصل واحد، وهو جنس من العظمة والعلو والاستقامة، فالجبار: الذي طال وفات اليد، يقال: فرس جبار، ونخلة جبارة، وذو الجبورة وذو الجبروت: الله جل ثناؤه» (٢).

ورود اسم الله (الجبار) في القرآن الكريم:

ورد اسم الله (الجبار) في حق الله مرة واحدة في القرآن، وهي:

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[الحشر:٢٣].

---

(١) الصحاح (٢/ ١٧٠).

(٢) مقاييس اللغة (١/ ٥٠١).

ورود اسم (الجبار) في السنة النبوية:

ورد اسم الله (الجبار) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

١- عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تَكُونُ الأَرْضُ يَوْمَ القِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً، يَتَكَفَّؤُهَا الجَبَّارُ بِيَدِهِ كَمَا يَكْفَأُ أَحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ فِي السَّفَرِ، نُزُلًا لِأَهْلِ الجَنَّةِ**، فأتىٰ رجل من اليهود فقال: بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم، ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة؟ قال: **بَلَىٰ**، قال: تكون الأرض خبزةً واحدةً، كما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فنظر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلينا، ثم ضحك حتىٰ بدت نواجذه، ثم قال: ألا أخبرك بإدامهم؟ قال: إدامهم بالام ونون، قالوا: وما هذا؟ قال: ثور ونون، يأكل من زائدة كبدهما سبعون ألفًا»[1].

٢- وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قال: «رأيت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ المنبر، وهو يقول: **يَأْخُذُ الجبار** عَزَّ وَجَلَّ **سَمَاوَاتِهِ وَأَرَضِيهِ بِيَدَيْهِ**...»[2].

معنى اسم الله (الجبار) في حقه سُبْحَانَهُ:

۞ **قال الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر:٢٣]: «المصلح أمور خلقه، المصرفهم فيما فيه صلاحهم»[3].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٥٢٠)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٧٩٢).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٧٨٨).

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٥٤).

❁ **قال الشوكاني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الجبار جبروت الله: عظمته، والعرب تسمي الملك الجبار»[1].

❁ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الجبار هو بمعنىٰ العلي الأعلىٰ، وبمعنىٰ القهار، وبمعنىٰ الرؤوف الجابر للقلوب المنكسرة، وللضعيف العاجز، ولمن لاذ به ولجأ إليه»[2].

❁ **قال ابن عثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الجبار له ثلاثة معان:

الأول: جبر القوة، فهو الجبار الذي يقهر الجبابرة ويغلبهم بجبروته وعظمته، فكل جبار وإن عظم فهو تحت قهر الله عَزَّوَجَلَّ وجبروته وفي يده وقبضته.

الثاني: جبر الرحمة، فإنه سُبْحَانَهُ يجبر الضعيف بالغنىٰ والقوة، ويجبر الكسير بالسلامة، ويجبر المنكسرة قلوبهم بإزالة كسرها، وإحلال الفرج والطمأنينة فيها، وما يحصل لهم من الثواب والعاقبة الحميدة إذا صبروا علىٰ ذلك من أجله.

الثالث: جبر العلو فإنه سُبْحَانَهُ فوق خلقه عال عليهم، وهو مع علوه عليهم قريب منهم يسمع أقوالهم، ويرىٰ أفعالهم، ويعلم ما توسوس به نفوسهم[3].

---

(١) فتح القدير (٥/ ٢٠٨).

(٢) تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن (٥/ ٣٠١).

(٣) مجموع فتاوىٰ ورسائل ابن عثمين (١/ ١٠٦).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَكَذَلِكَ الجَبَّارُ مِنْ أَوْصَافِهِ
وَالجَبْرُ فِي أَوْصَافِهِ نَوْعَانِ
جَبْرُ الضَّعِيفِ وَكُلِّ قَلْبٍ قَدْ غَدَا
ذَا كَسْرَةٍ فَالجَبْرُ مِنْهُ دَانِ
والثَّانِي جَبْرُ القَهْرِ بِالعِزِّ الَّذِي
لَا يَنْبَغِي لِسِوَاهُ مِنْ إِنْسَانِ
وَلَهُ مُسَمًّى ثَالِثٌ وَهُوَ العُـ
ـلُوُّ فَلَيْسَ يَدْنُو مِنْهُ مِنْ إِنْسَانِ
مِنْ قَوْلِهِمْ جَبَّارَةٌ لِلنَّخْلَةِ العُلْيَـ
ـا الَّتِي فَاتَتْ لِكُلِّ بَنَانِ[1]

اقتران اسم الله الجبار بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ في القرآن الكريم:

- اقتران الجبار باسمي العزيز والمتكبر:

اقرن بهما في موضع واحد، وهو قوله تعَالَى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾[الحشر:٢٣].

(١) النونية (ص٢٠٩).

وجه الاقتران:

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالجبار اسم من أسماء التعظيم كالمتكبر والملك، والعظيم والقهار، قال ابن عباس في هذه الآية: هو العظيم وجبروت الله عظمته»[1]، فكلها من أسماء التعظيم لله سُبْحَانَهُ.

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله الجبار:

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (الجبار) من الصفات، ودلالته علىٰ التوحيد:

الله تَعَالَىٰ هو الجبار القهار العزيز العلي، الذي له العلو والعزة علىٰ خلقه، لا يدنو منه الخلق، ولا يشفعون ولا يتكلمون إلا من بعد إذنه، لن يبلغوا ضره فيضروه ولن يبلغوا نفعه فينفعوه، فالجبار من أوصافه يرجع إلىٰ كمال القدرة والعزة والملك، ولهذا كان من أسمائه الحسنىٰ.

وقد مدح الله بهذا الاسم نفسه، وأما في حق الخلق فهو مذموم؛ فالله سُبْحَانَهُ قهر الجبابرة وعلاهم بعظمته، فلا يجري عليه حكم حاكم فينقاد، ولا أمر آمر فيلزمه الامتثال، بل هو آمر غير مأمور، قاهر غير مقهور، ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

ينقسم جبروت الجبار سُبْحَانَهُ بحسب الزمان إلىٰ قسمين: جبروت في الدنيا، وجبروت في الآخرة.

---

(١) شفاء العليل (ص١٢١).

أولًا: جبروته سُبْحَانَهُ في الدنيا:

الجبار سُبْحَانَهُ قهر الظالمين، وقصم الجبابرة المعتدين، فكل من طغىٰ وبغىٰ، وعصىٰ ربه وغوىٰ، فاستحق من الجبار العقاب، يقول سُبْحَانَهُ في حال الأقوام السابقة: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٠]، وفي سورة القمر جاء تفصيل العذاب لبعضهم، فيقول تَعَالَىٰ: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُواْ عَبْدَنَا وَقَالُواْ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ٩ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ١٠ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ١١ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ١٢ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ١٣ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ١٤ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ١٥ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ١٦ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ١٧ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ١٨ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ١٩ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ٢٠ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ٢١ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ٢٢ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ٢٣ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِي ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾ [القمر: ٩ – ٢٤].

أما قهر الجبار لأعيان الجبابرة، فمن شواهد ذلك:

١ – فرعون:

الذي طفق في قتل أبناء بني إسرائيل؛ ليحافظ علىٰ ملكه، ولكن الجبار أراد أن يتربىٰ موسىٰ أحد أبناء بني إسرائيل في قصره، ويكبر تحت عينه ورعايته، ويكون عدوًّا وحزنًا عليه، ويكون هلاك فرعون علىٰ يده، يقول تَعَالَىٰ: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا

تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٧ فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًاۗ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ ﴾ [القصص:٧ - ٨].

٢- النمرود:

الذي قال عنه سُبْحَانَهُ: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة:٢٥٨]، فهذا الجبار قال عنه زيد بن أسلم: «بعث الله عليه بعوضة، فدخلت في منخره، فمكث أربعمائة سنة يضرب رأسه بالمطارق، وأرحم الناس به من جمع يديه وضرب بهما رأسه، وكان جبارًا أربعمائة عام، فعذبه الله أربعمائة سنة كملكه، وأماته الله»[١].

٣- أخوة يوسف:

أرادوا رميه في الجب، ولكن الجبار أراد أن يكون عزيز مصر، يقول تَعَالَى: ﴿ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴾ [يوسف:١٠].

٤- كفار قريش:

حين أخرجوا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مكة وهي أحب البقاع إليه، ولكن الجبار رزقه بالمدينة وأهلها، وفتح له مكة، يقول تَعَالَى: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾ [النصر:١].

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٦٦).

وما زال جبروت الجبار للجبابرة يتكرر وإن اختلفت أشخاصهم وأماكنهم، والسعيد من اعتبر بغيره.

ثانيًا: جبروته تَعَالَى في الآخرة:

من تأمل في جبروت الله سُبْحَانَهُ ازدادت عظمة الله في قلبه، فالأرض كلها بجبالها وأنهارها، وبحارها وأرضها، وأشجارها وأحجارها، وبيوتها وقصورها، كلها خبزة بيد الجبار يوم القيامة!

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تَكُونُ الأَرْضُ يَوْمَ القِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً، يَتَكَفَّؤُهَا الجَبَّارُ بِيَدِهِ، كَمَا يَكْفَأُ أَحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ فِي السَّفَرِ، نُزُلًا لِأَهْلِ الجَنَّةِ**»[1]، وفي حديث عبد الله بن عمر أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر:٦٧]، ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول هكذا بيده، ويحركها، يقبل بها ويدبر: **يُمَجِّدُ الرَّبُّ نَفْسَهُ، أَنَا الجَبَّارُ، أَنَا المُتَكَبِّرُ، أَنَا المَلِكُ، أَنَا العَزِيزُ، أَنَا الكَرِيمُ**، فرجف برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المنبر حتى قلنا: ليخرن به»[2].

وهذا الجبروت والقهر للكفار والمكذبين أعظم وأكبر من جبروته تَعَالَى في الدنيا، فقد توعد سُبْحَانَهُ الجبابرة بالعذاب الشديد؛ فقال: ﴿**وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾**

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢٤١٤)، والنسائي في الكبرى، رقم الحديث: (٧٦٩٦)، حكم الألباني: صحيح، التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، رقم الحديث: (٧٢٨).

يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٞ ﴾ [إبراهيم: ١٥ - ١٦]، ولن يعرف العبد هذا حتىٰ يعلم أن نار جهنم هي أعظم مايعذب الجبار بها أعداءه- أجارنا الله وإياكم منها-.

ومن صور العذاب بتلك النار[1]:

١- إنضاج الجلود:

فنار الجبار تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ تحرق جلود أهلها، والجلد موضع الإحساس بألم الاحتراق، ولذلك فإن الله يبدل لهم جلودًا أخرىٰ غير تلك التي احترقت، لتحترق من جديد، وهكذا، قال تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴾[النساء: ٥٦].

٢- الصهر:

وهو صب الحميم فوق رؤوسهم، والحميم هو ذلك الماء الذي انتهىٰ حره، فلشدة حره تذوب أمعاؤهم وما حوته بطونهم، يقول تَعَالَىٰ: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ﴾[الحج: ١٩].

٣- اللفح:

فالنار تلفح وجوههم إهانة لهم، وتغشاها أبدًا، لا يجدون حائلًا يحول بينهم وبينها، يقول سُبۡحَانَهُ: ﴿ لَوۡ يَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمۡ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٩]،

---

(١) انظر: اليوم الآخر، لعمر الأشقر (٣/ ٩٧-١٠٥).

وقال: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾ [الأحزاب:٦٦].

٤- السحب:

فسحب الكفار علىٰ وجوههم في النار، يقول تَعَالَىٰ: ﴿فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِي ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾[القمر:٢٤].

٥- تسويد الوجوه:

فيسود الله وجوه أهل النار، يقول تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [آل عمران:١٠٦].

٦- اطلاع النار علىٰ الأفئدة:

فالنار تدخل في أجسادهم حتىٰ تصل إلىٰ أعمق شيء فيهم، قال تَعَالَىٰ: ﴿كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾[الهمزة:٤ - ٧].

٧- قيود أهل النار وأغلالهم وسلاسلهم ومطارقهم:

أعد الجبار لأهل النار سلاسلًا وأغلالًا وقيودًا ومطارق، قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا﴾ [الإنسان:٤]، والأغلال توضع في الأعناق ﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِيٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[سبأ:٣٣]، والأنكال: القيود، سميت أنكالًا؛ لأن الله يعذبهم وينكل بهم بها، ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا﴾ [المزمل:١٢]، والسلاسل نوع آخر من ألوان العذاب التي يقيد بها المجرمون كما يقيد المجرمون في الدنيا، وأعد الله لهؤلاء

مقامع من حديد، وهي المطارق التي تهوي علىٰ المجرمين وهم يحاولون الخروج من النار، فإذا بها تطيح بهم مرة أخرىٰ إلىٰ سواء الجحيم، قال تَعَالَى: ﴿وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ٢١ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾[الحج: ٢١ – ٢٢].

٨- قرن معبوداتهم وشياطينهم بهم في النار:

فقد كان الكفار والمشركون يعظمون الآلهة التي يعبدونها من دون الله، ويدافعون عنها، ويبذلون في سبيل ذلك النفس والمال، وفي يوم القيامة يدخل الحق تلك الآلهة التي كانوا يعبدونها من دونه للنار؛ إهانة لعابديها وإذلالًا لهم، ليعلموا أنهم كانوا ضالين، قال تَعَالَى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾[الأنبياء:٩٨].

وشواهد القرآن ملأىٰ بجبروته سُبْحَانَهُ في الآخرة لمن تجبر، فعلىٰ المرء أن يتعوذ بالله من عذابه، وأن يتقيه.

وحري بمن عرف اسم الله الجبار، وآمن به أن يوحده سُبْحَانَهُ بألوهيته وربوبيته ويستغني بجبره وقوته وعزته وكرمه وعدله عن سائر الخلق، ويسأله وحده سُبْحَانَهُ جبر الدنيا والآخرة.

كما أن اسم الله الجبار دال علىٰ الربوبية والألوهية، فكذا هو دال علىٰ الأسماء والصفات؛ إذ يدل علىٰ اسم الله القوي، والعزيز، والكبير المتكبر إلىٰ غير ذلك من أسمائه سُبْحَانَهُ وما فيها من صفات.

الأثر الثاني: لا راد لأمر الله:

فالله تَعَالَى لا يقع في ملكه إلا ما يريد وما يشاء؛ فهو الجبار الذي تنفذ مشيئته جبرًا، وتظهر أحكامه قهرًا، ولا يخرج أحد عن قبضة تقديره ولا ينفذ أحد من مشيئته في تقديره وأحكامه، وليس ذلك إلا لله، ذي العزة والمنعة في القدر والقهر، يقول تَعَالَى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢]، ويقصد بالإرادة هنا: الإرادة الكونية.

ولذا لا بد من الإشارة إلىٰ الفرق بين الإرادة الكونية القدرية، والإرادة الشرعية الدينية باختصار، كالتالي:

١- الإرادة الكونية:

وهي مطابقة للمشيئة، والمقصود بها: أن كل ما يحصل في هذا الكون فهو بمشيئة الله وقدره وخلقه، ومن هنا سميت بالإرادة الكونية والقدرية والخلقية، وهذه الإرادة لا يخرج عنها شيء مهما كان صغيرًا؛ قال تَعَالَى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢]، فهي تشمل النفع والضر، الطاعة والمعصية؛ يقول تَعَالَى: ﴿قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ ضَرًّا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ نَفۡعَۢاۚ بَلۡ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [الفتح:١١]، ويقول أيضًا: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام:١٢٥].

٢- الإرادة الشرعية:

وهي مطابقة للمحبة، والمقصود بها: أن كل ما يشرعه الله من الأحكام ويأمر به فهو مراد لله، بمعنىٰ: محبوب له تَعَالَى، ويمثل دينه الذي ارتضاه،

ومن هنا سميت بالشرعية والأمرية والدينية، وهذه الإرادة قد تتحقق كحصول الإيمان من المؤمن، وقد لا تتحقق كحصول الكفر من الكافر، فالله تَعَالَى لا يريد الكفر، بمعنىٰ: لا يحبه ولا يرضيه ذلك، ومع ذلك أوقعه بإرادته الكونية؛ قال تَعَالَى في الإرادة الشرعية: ﴿إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَۖ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾[الزمر:٧].

- وعلىٰ هذا فإن قال قائل: هل أراد الله الكفر؟ الجواب: بالإرادة الكونية نعم، أراده، ولو لم يرده الله لم يقع، فالإرادة الكونية يلزم فيها وقوع المراد، والشرعية لا يلزم، أيضًا الإرادة الكونية عامة فيما يحبه تَعَالَى وما لا يحبه، أما الشرعية فتختص فيما يحبه الله سُبْحَانَهُ فقط[1].

فالله سُبْحَانَهُ جبر خلقه علىٰ ما شاء من أمر أو نهي، بمعنىٰ: أنه شرع لهم من الدين ما ارتضاه هو، فشرع لهم الشرائع، وأمرهم باتباعها ونهاهم عن العدول عنها، فمن أطاع فله الجنة، ومن عصىٰ فله النار، ولم يجبر أحدًا من خلقه علىٰ إيمان أو كفر، بل ترك لهم المشيئة في ذلك.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالجبر معناه: القهر والقدرة، وأنه سُبْحَانَهُ قادر علىٰ أن يفعل بعبده ما شاء، وإذا شاء منه شيئًا وقع ولا بد، وإن لم يشأ لم يكن، ليس كالعاجز الذي يشاء ما لا يكون ويكون ما لا يشاء، والفرق بين هذا الجبر وجبر المخلوق لغيره من وجوه:

أحدها: أن المخلوق لا قدرة له علىٰ جعل الغير مريدًا للفعل محبًّا له، والرب تَعَالَى قادر علىٰ جعل عبده كذلك.

---

(١) ينظر: شرح العقيدة الواسطية، لابن عثيمين (ص٢٢٢).

الثاني: أن المخلوق قد يجبر غيره إجبارًا يكون به ظالمًا معتديًا عليه، والرب أعدل من ذلك؛ فإنه لا يظلم أحدًا من خلقه، بل مشيئته نافذة فيهم بالعدل والإحسان»[1].

فحين يستشعر العبد هذا المعنىٰ كان عبد الله الطائع له، المتبع لما شرعه، المؤتمر بأمره، والمنتهي عن نهيه، وسلَّم لقضاء الله وقدره، متيقنًا أن ما أراده الله له هو خير لا شك في ذلك، يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حال المؤمن: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**»[2].

الأثر الثالث: الجبار سُبْحَانَهُ جابر كل كسير:

الجبار سُبْحَانَهُ ملاذ لكل عباده، كل بحسب ضعفه وحاجته وفقره، لا ناصر غيره، ولا مؤمن سواه سُبْحَانَهُ، يجبر المرض بالعافية، والفقد بالعوض، والعسر باليسر، ويجبر كل محتاج بحسب حاجته.

ومن شواهد جبر الجبار لعباده ما يلي:

- جبره سُبْحَانَهُ لحرقة قلب المظلوم، وأخذ حقه ولو بعد حين، ففي الحديث يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ**، قال: ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود:١٠٢]»[3].

---

(١) شفاء العليل (ص١٢٩).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٩٩٩).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٤٦٨٦)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٥٨٣).

- جبره سُبْحَانَهُ للمنكسرة قلوبهم بالفقد، وتعويضهم بالعاقبة الحسنة والثواب الجزيل إن صبروا واحتسبوا، فيقول سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾[البقرة:١٥٥ - ١٥٧].

وعن أم سلمة، زوج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تقول: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقول: «**مَا مِنْ عَبْدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ**: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦]، **اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَجَرَهُ اللهُ فِي مُصِيبَتِهِ، وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا**»، قالت: فلما توفي أبو سلمة، قلت كما أمرني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأخلف الله لي خيرًا منه، رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[(١)].

- جبره سُبْحَانَهُ للتائبين بأن يقبل توبتهم، ويقيل عثرتهم، ويغفر زلتهم، يقول سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[النساء:١٧].

- جبره سُبْحَانَهُ لقلوب اليتامىٰ حتىٰ يهون عليهم ألم الفقد، فيقول سُبْحَانَهُ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾ [البقرة:٢٢٠].

- جبره سُبْحَانَهُ لخاطر الخدم والعمال، بأن فرض لهم حقوقًا، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الأرقاء: «**أَرِقَّاءَكُمْ أَرِقَّاءَكُمْ أَرِقَّاءَكُمْ، أَطْعِمُوهُمْ مِمَّا**

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٩١٨).

تَأْكُلُونَ، وَاكْسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ، فَإِنْ جَاءُوا بِذَنْبٍ لَا تُرِيدُونَ أَنْ تَغْفِرُوهُ فَبِيعُوا عِبَادَ اللهِ، وَلَا تُعَذِّبُوهُمْ»(١).

ومن آمن بكل ما تقدم علم أن الجبار جَلَّجَلَالُهُ يدعوك كل ليلة ليجبرك، ويقضي حاجتك، ويعطيك مرادك، ففي الحديث يقول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**يَنْزِلُ اللهُ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ، حِينَ يُمْضِي ثُلُثُ اللَّيْلِ الأَوَّلِ، فَيَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَنَا المَلِكُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ، فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّىٰ يُضِيءَ الفَجْرُ**»(٢).

الأثر الرابع: محبة الجبار سُبْحَانَهُ:

من آمن بأنه سُبْحَانَهُ الجبار القوي الذي لا يغلبه أحد، والجبار الذي يجبر الضعيف بالغنىٰ، ويجبر الكسير بالسلامة، ويجبر المنكسرة قلوبهم بإزالة كسرها، وإحلال الفرج والطمأنينة فيها، والجبار العالي علىٰ خلقه، القريب منهم، يجيب دعاءهم، ويعلم حالهم- من آمن بهذه المعاني العظيمة استقرت محبة الله في قلبه، وقوي رجاؤه به جَلَّجَلَالُهُ.

الأثر الخامس: الجبروت صفة لله وحده:

إن العبد إذا علم أن الجبروت صفة لله وحده؛ أدرك ضعفه وعجزه وخاف ربه، ففي الحديث القدسي: «**قَالَ اللهُ** عَزَّوَجَلَّ: **الكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، والعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ**»(٣).

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٦٤٠٩)، والطبراني في الكبير، رقم الحديث: (٦٣٦)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٩٠٧).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٧٥٨).

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٩٣٥٩)، وأبو داود، رقم الحديث: (٤٠٩٠)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٤٣١١).

ولذا أنكرت الرسل علىٰ أقوامهم صفة التجبر والتكبر في الأرض بغير الحق، كما قال سُبْحَانَهُ حكاية عن هود عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [الشعراء: ١٣٠ - ١٤٠]، ولكنهم عاندوا واتبعوا أمر جبابرتهم، فهلكوا أجمعين؛ قال تَعَالَى: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [هود: ٥٩].

وحذر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أيضًا - من العذاب العظيم الذي يلحق كل من تجبر وتكبر، فقال: «**يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُوَرِ الرِّجَالِ، يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، فَيُسَاقُونَ إِلَىٰ سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّىٰ بُولَسَ تَعْلُوهُمْ نَارُ الْأَنْيَارِ، يُسْقَوْنَ مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ طِينَةَ الْخَبَالِ**»(١)، وفي الحديث الآخر: «**يَخْرُجُ عُنُقٌ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَهُ عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا، وَأُذُنَانِ يَسْمَعُ بِهِمَا، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ بِهِ، فَيَقُولُ: إِنِّي وُكِّلْتُ بِثَلَاثَةٍ: بِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، وَبِكُلِّ مَنِ ادَّعَىٰ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ، وَبِالْمُصَوِّرِينَ**»(٢).

بل أخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن محاورة الجنة والنار في شأن الجبابرة المتكبرين، ففي الحديث: «**احْتَجَّتِ النَّارُ، وَالْجَنَّةُ، فَقَالَتْ: هَذِهِ يَدْخُلُنِي الْجَبَّارُونَ، وَالْمُتَكَبِّرُونَ، وَقَالَتْ: هَذِهِ يَدْخُلُنِي الضُّعَفَاءُ، وَالْمَسَاكِينُ، فَقَالَ اللهُ** عَزَّ وَجَلَّ **لِهَذِهِ: أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ - وَرُبَّمَا قَالَ: أُصِيبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ - وَقَالَ لِهَذِهِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا**»(٣).

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٦٦٧٧)، والترمذي، رقم الحديث: (٢٤٩٢)، حكم الألباني: حسن، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٨٠٤٠).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٨٤٣٠)، والترمذي، رقم الحديث: (٢٥٧٤)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٥١٢).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٨٤٦).

فحري بالمؤمن بعد هذه الأدلة أن يتواضع لخلق الله ويساعدهم، ويقتدي بنبيه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فقد كان أشد الناس تواضعًا، خافضًا لجناحه، رحيمًا بأصحابه، كان يركب الحمار، ويتفقد خادمة المسجد، بل وقصد قبرها فصلىٰ عليها، وكان يباشر الفقراء والمساكين، ويخالط الأعراب لأجل تعليمهم وإرشادهم، ويسلم علىٰ الصبيان ويلاطفهم، وكان متواضعًا في طعامه وهيئته ومسكنه، يأكل علىٰ الأرض ويفترش الحصير، ويتوسد الرمل، ليس له حاجب يمنع الناس عنه، وكان صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يقول: «**إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَّي وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي يَوْمَ القِيَامَةِ: الثَّرْثَارُونَ، والمُتَشَدِّقُونَ، والمُتَفَيْهِقُونَ**، قالوا: يارسول الله ما المتفيهقون؟ قال: **المُتَكَبِّرُونَ**»[(١)]، ومن وصايا سلمان رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: «تواضع لله؛ فإنه من تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيامة»[(٢)].

وقد كان السلف الصالح يجاهدون أنفسهم لنزع الكبر والتعالي من قلوبهم منذ البداية، لأنهم يعلمون أنه إن تمكن من قلوبهم وطبع عليها فإنها ستصبح لا تعرف معروفًا، ولا تنكر منكرًا؛ بدلالة قوله تَعَالَىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ﴾ [غافر:٣٥].

فمما روي من حالهم: ما رواه عروة بن الزبير عن عمر بن الخطاب، فقال: «رأيت عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ علىٰ عاتقه قربة ماء، فقلت: يا أمير

---

(١) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٢٠١٨)، والخرائطي في مساوئ الأخلاق، رقم الحديث: (٥٩)، حكم الألباني :صحيح، صحيح وضعيف الترمذي، رقم الحديث: (٢٠١٨).

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية، رقم الحديث: (١/ ٢٠٢)، والبيهقي في البعث والنشور، رقم الحديث: (٢٨٨)، حكم الألباني: صحيح لغيره، صحيح الترغيب والترهيب، رقم الحديث: (٣٧٣٣).

المؤمنين، ألا ينبغي لك هذا، فقال: لما أتاني الوفود سامعين مطيعين القبائل بأمرائها وعظمائها دخلت نفسي نخوة، فأردت أن أكسرها»[1].

و عن عبد الله بن مسعود، عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**، قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنة، قال: **إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ، الكِبْرُ بَطَرُ الحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ**»[2].

اللهم يا جبار اجبر كسرنا، وآمن خوفنا، وأعذنا من التجبر والكبر.



---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٣١٥).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٩١).

الحقُّ جَلَّجَلَالُهُ

المعنى اللغوي:

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحق: خلاف الباطل، والحق: واحد الحقوق»[1].

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحاء والقاف أصل واحد، وهو يدل على إحكام الشيء وصحته، فالحق نقيض الباطل، ثم يرجع كل فرع إليه بجودة الاستخراج وحسن التلفيق، ويقال حق الشيء: وجب»[2].

ورود اسم الله (الحق) في القرآن الكريم:

ورد اسمه سُبْحَانَهُ (الحق) في كتاب الله في عشر آيات، ومن وروده ما يلي:

١- قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾ [الأنعام:٦٢].

٢- وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٣٠].

(١) الصحاح (٤/ ١٤٦).

(٢) مقاييس اللغة (٢/ ١٥).

٣- وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: ٣٢].

ورود اسم الله (الحق) في السنة النبوية:

ورد اسم الله (الحق) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: «كان النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إذا قام من الليل يتهجد، قال: **اللهمَّ لَكَ الحَمْدُ، أَنْتَ نُورُ السماوات وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ، أَنْتَ قَيِّمُ السماوات وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ، أَنْتَ الحقُّ، وَوَعْدُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ حَقٌّ، اللهمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ المُقَدِّمُ وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ، لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**- أو: **لاَ إِلَهَ غَيْرُكَ**»[1].

معنى اسم الله (الحق) في حقه سُبْحَانَهُ:

❁ **قال الطبري** رَحِمَهُٱللَّهُ في تفسير قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ [يونس: ٣٠]: «ورجع هؤلاء المشركون يومئذ إلىٰ الله الذي هو ربهم ومالكهم الحق لا شك فيه، دون ما كانوا يزعمون أنهم لهم أرباب من الآلهة والأنداد»[2].

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٣١٧)، ومسلم، رقم الحديث: (٧٦٩).

(٢) تفسير الطبري (١٢/ ١٧٥).

❁ **قال الزجاجي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالله الحق، أي: هو الحق، وما عبد من دونه باطل، والله عَزَّوَجَلَّ الحق، أي: ذو الحق في أمره ونهيه، ووعده ووعيده، وجميع ما أنزله علىٰ لسان رسله وأنبيائه»(١).

❁ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فكما أن ذاته (الحق) فقوله الحق، ووعده الحق، وأمره الحق، وأفعاله كلها حق، وجزاؤه المستلزم لشرعه ودينه ولليوم الآخر حق، فمن أنكر شيئًا من ذلك فما وصف الله بأنه (الحق) المطلق من كل وجه، وبكل اعتبار فكونه حقًّا يستلزم شرعه ودينه وثوابه وعقابه»(٢).

❁ **قال ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في تفسيره لقوله تَعَالَىٰ: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّ﴾ [المؤمنون: ١١٦]-: «أي: تنزه وتقدس الملك الحق الذي هو حق ووعده حق، ووعيده حق ورسله حق، والجنة حق والنار حق، وكل شيء منه حق»(٣).

❁ **قال الشيخ السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحق في ذاته وصفاته فهو واجب الوجود، كامل الصفات والنعوت، وجوده من لوازم ذاته، ولا وجود لشيء من الأشياء إلا به، فهو الذي لم يزل ولا يزال بالجلال والجمال والكمال موصوفًا، ولم يزل ولا يزال بالإحسان معروفًا، فقوله حق، وفعله حق، ولقاؤه حق، ورسله حق، وكتبه حق، ودينه هو الحق، وعبادته وحده لا شريك له هي الحق، وكل شيء ينسب إليه فهو حق ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾[الحج: ٦٢]، وقال عَزَّوَجَلَّ:

---

(١) اشتقاق أسماء الله (ص١٧٨).

(٢) بدائع الفوائد (٤/ ١٦٥).

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٠٣)

﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾[الكهف:٢٩]، وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾[يونس:٣٢]، وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء:٨١]»[1].

اقتران اسم الله (الحق) بأسمائه الأخرى في القرآن الكريم:

أولًا: اقتران اسم الله (الحق) باسم الله (الـملك):

ورد اقتران هذين الاسمين الجليلين في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ في موضعين، هما:

١- قوله تَعَالَى: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾ [المؤمنون:١١٦].

٢- وقوله تَعَالَى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ [طه:١١٤].

وجه الاقتران:

اقترانهما فيه إشارة إلىٰ أن ملكه سُبْحَانَهُ حق، من جهتين:

١- دوام ملكه وكماله، فملكه سُبْحَانَهُ دائم، فلا يزال، ولا يزول، وليس فيه شائبة عجز ولا خضوع لغيره.

وفي هذا تعريض بأن ملك غيره زائف، فغيره من الخلق وإن كان له ملك ففي بعض الأوقات، علىٰ بعض الأشياء، وملكه مع ذلك زائل قاصر يشوبه العجز والخضوع للغير، فهو مالك من جهة ومملوك من جهة أخرىٰ؛ لما فيه

---

(١) تفسير السعدي (ص٩٤٩).

من نقص واحتياج[(١)].

٢- المدبر لأمور مملكته علىٰ أتم وجوه الكمال، فلا يتصرف فيه إلا بما هو مقتضىٰ الحكمة[(٢)].

والآية الأولىٰ سبقت بالخلق، وأنه تَعَالَىٰ لم يخلق الإنسان عبثًا، بل كان بحق وحكمة، والثانية سبقت بالحديث عن القرآن، وأنه نزل من عند الله الحق، فالملك الحق هو صاحب الملك الكامل، والذي يتصرف بمقتضىٰ الحكمة، والملك الحق هو الذي أنزل القرآن حقًّا من عنده؛ ليقيم به حياة الناس في دينهم ودنياهم.

ثانيًا: اقتران اسم الله (الحق) باسم الله (المبين):

جاء ذلك مرة واحدة في القرآن الكريم، وذلك في قوله تَعَالَىٰ: ﴿يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ﴾ [النور:٢٥].

وجه الاقتران:

يقول الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقوله: ﴿وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ﴾، يقول: ويعلمون أن الله هو الحق الذي يبين لهم حقائق ما كان يعدهم في الدنيا من العذاب، ويزول حينئذ الشك فيه عند أهل النفاق الذين كانوا فيما كان يعدهم في الدنيا يمترون»[(٣)].

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص٥١٤).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٦/ ٣١٦).

(٣) تفسير الطبري (١٧/ ٢٣٢).

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (الحقّ):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (الحق) من الصفات:

الله هو الحق جَلَّجَلَالُهُ، ويظهر ذلك من عدة وجوه، منها:

الأول: هو الحق في وجوده تَبَارَكَوَتَعَالَى، فله تَعَالَى الوجود الحق، فالله لا يزول ولا يحول بخلاف غيره، فالخلق كلهم يزولون ويحولون، وحياته سُبْحَانَهُ الحياة الأزلية، فهو الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، ووجوده كامل فلا تأخذه سنة ولا نوم، ولا يأخذه مرض ولا تعب، فهذا هو الحق في وجوده تَبَارَكَوَتَعَالَى.

الثاني: هو الحق في ربوبيته وألوهيته، فهو الرب الحق في تدبيره وتصريفه ورزقه، وغيره مربوب مملوك مصرف مدبَّر، وهو المعبود الحق لكل مألوه ومعبود ومربوب قام علىٰ إلهيته برهان الفطرة وحجة العقل، وشهد بها ما في الوجود جميعًا من ناطق وصامت، قال تَعَالَى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: ٣١ - ٣٢]، فعبادة من هذا وصفه حق، وعبادة ما دونه ممن ليس له من وجوده إلا العدم، ولا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا، ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا ضلال وزيغ وباطل(١)، قال تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص٣٦٣).

الثالث: هو الحق في أسمائه وصفاته، فأسماؤه وصفاته كلها حق، فليس فيها شيء باطل لا في علمه، ولا قدرته، ولا عزته، ولا حكمته، فهو الإله الحق الكامل في ذاته، وأسمائه وصفاته، ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾[المؤمنون:١١٦].

الرابع: هو الحق في أفعاله وخبره وشرعه، فأفعاله كلها حق ومقتضىٰ الحكمة، وأخباره كلها حق وصدق، وشرعه حق وعدل، فكل ما أمر الله عَزَّوَجَلَّ به أو نهىٰ عنه فإنه حق ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[الأنعام:١١٥].

والله خلق تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ السماوات والأرض بالحق، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام:٧٣]، وقوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الحجر:٨٥].

ونزل الكتاب بالحق، قال تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ [البقرة:١٧٦]، وقال تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ [البقرة:٢١٣].

وقص تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ القصص بالحق، قال تَعَالَىٰ: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ [الكهف:١٣]، وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾ [آل عمران:٦٢]، فكل ما حدث الله به من القصص لم يكن كذبًا ولا باطلًا، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف:١١١].

بخلاف بعض قصص البشر، فهو كذب كله مختلق، أو صدق خالطه الكذب، والحق الصرف في القصص قليل.

وأرسل رسله بالحق، قال تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [البقرة:١١٩]، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ [التوبة:٣٣]، وقوله تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾[الأعراف:٤٣].

ووعد الله حق لا يمكن أن يخلف، ولا يغير، ولا يبدل، قال تَعَالَى: ﴿أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾[يونس:٥٥]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [فاطر:٥]، وَعَدَ أمَّ موسىٰ، فقال: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص:٧]، وحقق وعده ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص:١٣]، ووعد المؤمنين بالنصر ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم:٤٧]، فنصرهم ببدر وهم أذلة، ونصرهم في الأحزاب وهم قلة، ونصرهم في ساعة العسرة.

الأثر الثاني: محبة الله الحق:

الحق سُبْحَانَهُ هو الموجود الحق، والرب الحق والإله الحق، وكل ما سواه فهو مربوب، ووجوده مستمد من وجوده سُبْحَانَهُ؛ لأنه الأول الذي ليس قبله شيء، فمنه سُبْحَانَهُ الإيجاد، والإعداد، والإمداد، وما سواه فهي أسباب مخلوقة صادرة من مسبب الأسباب الإله الحق، فحري بمن هذه صفاته أن يحَب ويعظَّم ويؤلَّه وتوجَّه العبادة له وحده دون ما سواه.

الأثر الثالث: التصديق الذي لا يخالطه شَك في ما أخبر به الحق سُبْحَانَهُ:

الله حق في أسمائه وصفاته- كما تقدم-، ومن ذلك: كلامه وخبره جَلَّجَلَالُهُ، فكلامه حق ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزاب:٤]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ﴾ [ص:٨٤]، وقال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «وَقَوْلُكَ الْحَقُّ»[1].

أنزل القرآن بالحق، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ [الإسراء:١٠٥]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [آل عمران:٣].

قال السعدي رَحِمَهُٱللَّهُ: «المشتمل علىٰ الحق في إخباره وأوامره ونواهيه، فما أخبر به صدق، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء:٨٧] ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء:١٢٢]، وما حكم به فهو العدل، وأنزله بالحق ليقوم الخلق بعبادة ربهم ويتعلموا كتابه»[2].

واعتقاد المؤمن بهذا يدعوه إلىٰ القبول التام، والتصديق الجازم الذي لا يخالطه أدنىٰ شك لما ما جاء فيه من أخبار، أو جاء علىٰ لسان رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ولو زعم العقل إحالته أو لم يتصوره.

وهكذا كان الصحابة- رضوان الله عليهم- يتلقون أخبار الوحي بالتصديق الكامل والإذعان التام، فهذا رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يخبر عن

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٧٤٤٢)، ومسلم، رقم الحديث: (٧٦٩).

(٢) تفسير السعدي (ص١٢١).

الدجال، فيقول: «**إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّأْمِ وَالْعِرَاقِ، فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا، يَا عِبَادَ اللهِ فَاثْبُتُوا**، قلنا: يا رسول الله وما لبثه في الأرض؟ قال: **أَرْبَعُونَ يَوْمًا، يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ**، قلنا: يا رسول الله وما لبثه في الأرض؟ قال: **أربعونَ يومًا؛ يومٌ كسَنَةٍ، ويومٌ كَشَهْرٍ، ويومٌ كجُمُعُةٍ، وسائِرُ أيامِهِ كأيَّامِكُم**، قلنا: يا رسول الله، فذلك اليوم الذي كالسنة، تكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: **فَاقْدُرُوا له قَدْرَهُ...**»[1].

فكان همهم السؤال عن الصلاة فقط، وكأن ما أخبرهم به عن الدجال قد عرفوه من قبل؛ وذلك لأنهم جعلوا الشرع التام هو الميزان الثابت للعقل الناقص فقبلوا وسَلَّموا.

وهذا أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يبلغه خبر الإسراء والمعراج، فيبادر للتصديق ويقول: «إني لأصدقه في خبر السماء بكرة وعشية، أفلا أصدقه في بيت المقدس!»[2].

وقد نفىٰ الله عَزَّوَجَلَّ الشك والريب عن كتابه، في مواضع عدة، منها: قوله تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:٢]، وقول سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس:٣٧]، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [يونس:٩٤]، وقال متحديًا من

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٩٣٧).

(٢) ينظر: البداية والنهاية، لابن كثير (٣/ ١٣٧).

يشك فيه: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:٢٣، ٢٤].

وقال تَعَالَىٰ: ﴿كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف:٢] «أي: ضيق وشك واشتباه، بل لتعلم أنه تنزيل من حكيم حميد قوله تَعَالَىٰ: ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:٤٢]، وأنه أصدق الكلام فلينشرح له صدرك، ولتطمئن به نفسك، ولتصدع بأوامره ونواهيه، ولا تخش لائمًا ومعارضًا»[١].

وقال صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين رأىٰ مع عمر صحيفةً فيها شيء من التوراة: **«أَمُتَهَوِّكُونَ[٢] فِيهَا يَا ابْنَ الخَطَّابِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً»**[٣].

الأثر الرابع: التسليم التام لأحكام الحق سُبْحَانَهُ، والتحاكم إليه دون ما سواه:

معرفة أن الله الحق تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ تورث القلب اليقين بأن أحكام الله تَعَالَىٰ كلها حق وخير، وتورثه -أيضًا- الطمأنينة لحكم الله وشرعه؛ لأنها من الله

---

(١) تفسير السعدي (ص٢٨٣).

(٢) أمتهوكون، أي: متحيرون في كتابكم وفي دينكم حتىٰ تأخذوا العلم من غير كتابكم ونبيكم كما تهوكت اليهود والنصارىٰ، أي: كتحيرهم حيث نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم واتبعوا أهواءهم. الفتح الرباني، للساعاتي (١/ ١٧٥).

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٥١٥٦)، حكم الألباني: حسن، إرواء الغليل، رقم الحديث: (١٥٨٩).

الحق الذي لا يصدر منه إلا الحق ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾ [الأنعام:١١٥].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «صدقًا في الأخبار وعدلًا في الطلب، فكل ما أخبر به فحق لا مرية فيه ولا شك، وكل ما أمر به فهو العدل الذي لا عدل سواه، وكل ما نهىٰ عنه فباطل، فإنه لا ينهىٰ إلا عن مفسدة»(١).

فينشأ من ذلك القبول التام، والإذعان والتسليم ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [البقرة:٢٨٥]، سواء علمت الحكمة أو لم تعلم فالأمر سواء لليقين بأنها كلها حق؛ لأنها من عند الحق سُبْحَانَهُ.

والتسليم لله عَزَّوَجَلَّ من أخص أركان الدين، وبه يجوز العبد الصراط، وتثقل به الموازين، وهو من أوجب الواجبات، وأعلىٰ القربات؛ بل «إن مبنىٰ العبودية والإيمان بالله وكتبه ورسله علىٰ التسليم، وعدم الخوض في تفاصيل الحكمة في الأوامر، والنواهي، والشرائع؛ ولهذا لم يحك الله سُبْحَانَهُ عن أمة نبي صدقت نبيها وآمنت بما جاء به، أنها سألته عن تفاصيل الحكمة فيما أمرها به، ونهاها عنه، ولو فعلت ذلك لما كانت مؤمنة بنبيها، بل انقادت، وسلمت، وأذعنت، وما عرفت من الحكمة عرفته، وما خفي عنها لم تتوقف في انقيادها، وإيمانها، واستسلامها علىٰ معرفته، ولا جعلت طلبه من شأنها»(٢).

وقد علَّم رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمته الانقياد التام والاستلام لأمر الله، فحينما نزل قوله سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٢٢).

(٢) الصواعق المرسلة، لابن القيم (٤/ ١٥٦٠).

﴿يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:٢٨٤] غم الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ غمًّا شديدًا، واشتد ذلك عليهم، فأتوا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ ثم بركوا على الركب، فقالوا: أي رسول الله، كلفنا من الأعمال ما نطيق، الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها، قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الكِتَابَيْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ: سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا؟ بَلْ قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا، غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ المَصِيرُ**»، قالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، فلما اقترأها القوم، وذلت بها ألسنتهم، فأنزل الله في إثرها: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة:٢٨٥]، فلما فعلوا ذلك نسخها الله تَعَالَىٰ، فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَا﴾ [البقرة:٢٨٦] قال: **نَعَمْ** ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَا﴾ [البقرة:٢٨٦]، قال: **نعم** ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ [البقرة:٢٨٦]، قال: **نعم**، ﴿وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٢٨٦] قال: **نَعَمْ**»(١).

فتجوز لهم عن حديث النفس، وأخذوا بالأعمال.

وينشأ من ذلك -أيضًا- الاغتباط بأحكام الله وشرعه، والسعي لتحكيمها وإقرارها بين الناس؛ حتى ينعموا بما فيها من الحق والخير والأمن والسلام والقسط؛ لأنها حكم الحق، وحكم ﴿خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾[يونس:١٠٩].

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٢٥).

وقد جعل الله عَزَّوَجَلَّ التحاكم إلىٰ ما شرع وأنزل علىٰ لسان رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شرطًا للإيمان، فقال سُبْحَانَهُ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٣٥]، وقال: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

وأنكر علىٰ من خرج عن حكمه المحكم المشتمل علىٰ كل خير، الناهي عن كل شر وعدل إلىٰ ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات، التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعته وإنما بمحض الأهواء والآراء[1]، فقال سُبْحَانَهُ: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

«فلا ثم إلا حكم الله ورسوله أو حكم الجاهلية، فمن أعرض عن الأول ابتلي بالثاني المبني علىٰ الجهل والظلم والغي، ولهذا أضافه الله للجاهلية، وأما حكم الله تَعَالَى فمبني علىٰ العلم، والعدل والقسط، والنور والهدىٰ»[2].

الأثر الخامس: الشعور بالغبطة والسرور بالهداية إلىٰ دين الإسلام الحق، والثبات عليه:

الإسلام هو دين الله الحق، قال تَعَالَى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/ ١٣١).

(٢) تفسير السعدي (ص٢٣٥).

ومن هدي إليه واستقام عليه اطمأنت نفسه، وانشرح صدره، وسلم من التشتت والاضطراب والحيرة التي تكون من نصيب المبطل المعرض عن الله عَزَّوَجَلَّ وعن دينه، قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر:٢٩]، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام:١٢٥].

واستشعار المسلم لمنة الله عليه بالهداية للدين الحق يبعث في النفس السرور والغبطة بفضل الله عليه ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس:٥٨].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ﴾ الذي هو القرآن، الذي هو أعظم نعمة ومنة، وفضل تفضل الله به علىٰ عباده ﴿وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾ الدين والإيمان، وعبادة الله ومحبته ومعرفته ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ من متاع الدنيا ولذاتها.

فنعمة الدين المتصلة بسعادة الدارين، لا نسبة بينها، وبين جميع ما في الدنيا، مما هو مضمحل زائل عن قريب»(١).

وهذا الفرح بالهداية للحق يوجب التمسك به، والثبات عليه، والصبر علىٰ القيام بشرائعه، والصبر عن محارمه، والصبر - أيضًا - علىٰ ما ينال المرء من المصائب والمحن من جرائه، لا سيما مع تأخر الزمان وكثرة الفتن، فقد

---

(١) تفسير السعدي (ص٣٦٧).

جاء في الحديث عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَأْتِي عَلَىٰ النَّاسِ زَمَانٌ، الصَّابِرُ فِيهِمْ عَلَىٰ دِينِهِ كَالقَابِضِ عَلَىٰ الجَمْرِ**»[1].

الأثر السادس: صدق التوكل علىٰ (الحقِّ):

من كان علىٰ الحق وَثقَ في الله عَزَّوَجَلَّ واعتمد عليه في تأييده ونصره، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴾ [النمل:٧٩].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن كون العبد علىٰ الحق يقتضي تحقيق مقام التوكل علىٰ الله، والاكتفاء به، والإيواء إلىٰ ركنه الشديد، فإن الله هو الحق وهو ولي الحق، وناصره، ومؤيده، وكافي من قام به، فما لصاحب الحق ألا يتوكل عليه؟ وكيف يخاف وهو علىٰ الحق؟ كما قالت الرسل لقومهم: ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [إبراهيم:١٢]»[2].

الأثر السابع: الثقة بنصر الله عَزَّوَجَلَّ لدينه الحق ولأوليائه:

الله الحق عَزَّوَجَلَّ تكفل بنصر دينه، وإتمام الحق الذي أرسل به رسله، وإشاعة نوره علىٰ سائر الأقطار، ولو كره الكافرون، وبذلوا بسبب كراهتهم كل سبب يتوصلون به إلىٰ إطفاء نور الله؛ فإنهم مغلوبون، وحالهم حال من ينفخ عين الشمس بفيه ليطفئها، فلا علىٰ مرادهم حصلوا، ولا سلمت عقولهم من النقص والقدح فيها: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ

---

(١) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٢٢٦٠)، وابن بطة في الإبانة الكبرىٰ، رقم الحديث: (٣١)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٩٥٧).

(٢) طريق الهجرتين، لابن القيم (ص٢٥٧).

ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [الصف:٨، ٩]، أي: ليعليه علىٰ سائر الأديان، بالحجة والبرهان، ويظهر أهله القائمين به بالسيف والسنان.

فأما نفس الدين، فهذا الوصف ملازم له في كل وقت، فلا يمكن أن يغالبه مغالب، أو يخاصمه مخاصم إلا فلجه وبلسه، وصار له الظهور والقهر.

وأما المنتسبون إليه، فإنهم إذا قاموا به، واستناروا بنوره، واهتدوا بهديه، في مصالح دينهم ودنياهم، فكذلك لا يقوم لهم أحد، ولا بد أن يظهروا علىٰ أهل الأديان، إلا أن الله قد يبتليهم في وقت من الأوقات؛ ليعلم المؤمن الصادق الثابت علىٰ الحق من المنافق أو ضعيف الإيمان، قال تعَالَىٰ: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ [العنكبوت:٢].

أما إذا ضيعوه واكتفوا منه بمجرد الانتساب إليه؛ لم ينفعهم ذلك، وصار إهمالهم له سبب تسليط الأعداء عليهم[١].

فإذا علم هذا فعلىٰ المسلمين أن يقوموا بالدين ويتمسكوا به ويثقوا بنصر الله ووعده ولو عظم البلاء واشتد، فهذا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم الأحزاب، وقد عظم البلاء علىٰ المؤمنين، واشتد الخوف، فأتاهم عدوهم من فوقهم، ومن أسفل منهم، حتىٰ ظن المؤمنون كل ظن، وإذا به صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُفَرَّجَنَّ عَنْكُمْ مَا تَرَوْنَ مِنَ الشِّدَّةِ وَالْبَلَاءِ، فَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَطُوفَ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ آمِنًا، وَأَنْ يَدْفَعَ اللهُ** عَزَّوَجَلَّ **مَفَاتِحَ الْكَعْبَةِ، وَلَيُهْلِكَنَّ اللهُ**

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص٨٥٩).

اكِسْرَىٰ وَقَيْصَرَ، وَلَتُنْفَقَنَّ كُنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللهِ»[1]، قالها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شدة الكرب، وتحالف أهل الكفر والشرك، ولكنها الثقة بوعد الله ونصره، واليقين فيما عنده عَزَّ وَجَلَّ.

الأثر الثامن: التواضع للحق، والانقياد له بعد تبينه:

إذا علم العبد أن الخير كله في الحق، وما بعد الحق إلا الضلال والشر والشقاء، تواضع له وأنقاد، ومتىٰ ما ظهر له وبان رجع إليه مهما كان شأنه، ومهما ارتفع قدره، ومهما علت منزلته، فهذا عبدالرحمن بن مهدي رَحِمَهُ اللهُ يقول: «كنا في جنازة فيها عبيد الله بن الحسن، وهو علىٰ القضاء، فلما وضع السرير جلس، وجلس الناس حوله، قال: فسألته عن مسألة؛ فغلط فيها، فقلت: أصلحك الله! القول في هذه المسألة كذا وكذا، إلا أني لم أرد هذه، إنما أردت أن أرفعك إلىٰ ما هو أكبر منها، فأطرق ساعة، ثم رفع رأسه، فقال: إذن أرجع وأنا صاغر!! إذن أرجع وأنا صاغر!!؛ لأن أكون ذنبًا في الحق أحب إلي من أن أكون رأسًا في الباطل!»[2].

ومن رد الحق بعد بيانه فهو المتكبر الظالم لنفسه؛ قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الكبرُ بَطَرُ الحقِّ، وغَمْطُ النّاسِ**[3]»[4].

---

(١) أخرجه البيهقي في الكبرىٰ، رقم الحديث: (١٧٨٦٣)، وفي دلائل النبوة (٣/ ٤٠٢).

(٢) تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي (١٠/ ٣٠٨).

(٣) بطر الحق، أي: دفعه وإنكاره ترفعًا وتجبرًا، وغمط الناس، أي: احتقارهم، شرح النووي علىٰ مسلم (٢/ ٩٠).

(٤) سبق تخريجه.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كما أن من تواضع لله رفعه، فكذلك من تكبر عن الانقياد للحق أذله الله ووضعه، وصغره وحقره، ومن تكبر عن الانقياد للحق- ولو جاء على يد صغير، أو من يبغضه أو يعاديه- فإنما تكبره على الله؛ فإن الله هو الحق وكلامه حق؛ ودينه حق، والحق صفته ومنه وله، فإذا رده العبد وتكبر عن قبوله فإنما رد على الله وتكبر عليه»(١)، واستحق بهذا الوعيد الوارد في قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [البقرة:٢٠٦].

وقال صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مبينًا قبح التكبر عن الحق: «**وَإِنَّ أَبْغَضَ الكَلَامِ إِلَى اللهِ** عَزَّوَجَلَّ **أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ لِلرَّجُلِ: اتَّقِ اللهَ، فَيَقُولُ: عَلَيْكَ بِنَفْسِكَ**»(٢).

الأثر التاسع: عدم الحياء في إظهار الحق:

الله هو الحق، ويحب الحق، ويأمر بالحق، ولا يستحي من بيانه للناس، وإظهاره لهم بأنواع الأمثلة الحسية، التي تعين على فهمه وقبوله، والإعراض عما سواه من الباطل، قال تَعَالَىٰ: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ**﴾[البقرة:٢٦](٣).

---

(١) مدارج السالكين، لابن القيم (٢/ ٣١٧).

(٢) أخرجه النسائي في الكبرىٰ، رقم الحديث: (١٠٦١٩)، والبيهقي في شعب الإيمان، رقم الحديث: (٦٢١)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٢٥٩٨).

(٣) ينظر: النهج الأسمىٰ، للنجدي (٢/ ١٤).

وهكذا ينبغي للمؤمن ألا يستحي من الحق وإظهاره، ولما في تركه حياءًا وخوفًا أو مداهنة من تفويت المصالح وتحقيق المفاسد، ومن ذلك: العلم؛ فإنه لا يناله مستحي ولا مستكبر، ولذا أثنىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ نساء الأنصار، فقال: «**نِعْمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الأَنْصَارِ، لَمْ يَمْنَعْهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ**»[1].

الأثر العاشر: الاستعداد للقاء الحق:

وعد تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عباده بلقائه، قال سُبْحَانَهُ: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ [يونس:٤]، فلقاؤه حق حاصل لا محالة، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾ [الأنعام:٦٢]، وقال: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾[الأنبياء:١٠٤]، وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ**»[2].

وأخبر سُبْحَانَهُ عن خسارة المكذبين بلقائه، فقال سُبْحَانَهُ: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [الأنعام:٣١]، وقال: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾[يونس:٤٥].

ووعد بالجنة والنار، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [التوبة:٧٢]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾[الرعد:٣٥].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣١٤-٣١٥)، ومسلم، رقم الحديث: (٣٣٢).

(٢) سبق تخريجه.

وقال تَعَالَى عن النار: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ [التوبة:٦٨]، وقال تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [غافر:٦].

ووعد بالساعة فهي حق واقعة لا ريب فيها ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ [الحج:٧]، وقال سُبۡحَانَهُ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾ [النبأ:٣٩].

فإذا استقرت هذه الحقائق في قلب العبد المؤمن حمله ذلك علىٰ الاستعداد للقاء ربه، والشوق إلىٰ جنته، والخوف من عذابه، وهذا يثمر التقوىٰ في القلب، والتي علامتها امتثال أوامر الله عَزَّوَجَلَّ وترك مناهيه بإخلاص ومتابعة، والاستقامة علىٰ ذلك.

روىٰ الطبراني عن الحارث بن مالك الأنصاري، «أنه مر برسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فقال له: **كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا حَارِثُ**؟ قال: أصبحت مؤمنًا حقًّا، فقال: **انْظُرْ مَا تَقُولُ؟ فَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ حَقِيقَةً، فَمَا حَقِيقَةُ إِيمَانِكَ**؟ فقال: قد عزفت نفسي عن الدنيا، وأسهرت لذلك ليلي، واطمأن نهاري، وكأني أنظر إلىٰ عرش ربي بارزًا، وكأني أنظر إلىٰ أهل الجنة يتزاورون فيها، وكأني أنظر إلىٰ أهل النار يتضاغون فيها، فقال: **يَا حَارِثُ عَرَفْتَ فَالْزَمْ**، ثلاثًا»[(١)].

وكان رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يستفتح صلاته من الليل بذكر هذا المعنىٰ، كما في حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، «كان النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إذا قام من الليل يتهجد قال: **اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الحَمْدُ، أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَكَ الحَمْدُ**

(١) أخرجه الطبراني في الكبير، رقم الحديث: (٣٣٦٧)، والبيهقي في شعب الإيمان، رقم الحديث: (١٠١٠٧)، حكم الألباني: ضعيف، تحقيق الإيمان، لابن أبي شيبة (ص٤٣).

أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، أَنْتَ الحَقُّ، وَقَوْلُكَ الحَقُّ، وَوَعْدُكَ الحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ الحَقُّ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ خَاصَمْتُ، وَبِكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»[1]؛ وذلك أن قيام الليل أمر شاق على النفس، فيحتاج الإنسان لقيامه لتصديق جازم بما ورد فيه من عظيم الأجر، فكان الاستفتاح به تذكير للنفس بوعد الله عَزَّوَجَلَّ.

الأثر الحادي عشر: أعط كل صاحب حق حقه:

إذا عرف العبد أن الله الحق، أحب أن يكون له حظ من اسم ربه، وأن يتحقق به، وذلك بأن:

١- يعطي كل ذي حق حقه، فيبدأ بأعظم الحقوق عليه؛ حق الله تَعَالَى، وهو عبادته وحده لا شريك له، ثم حق نبيه، ثم يؤدي الحقوق لأصحابها، الأحق فالأحق، فيبدأ بحق الوالدين، ثم الأبناء، والزوجة، ثم الأرحام، والجيران، ثم حق أمته عليه، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَأَعْطِ كلَّ ذي حقٍّ حقَّهُ**»[2].

٢- يرد الحقوق لأهلها، فلا يأخذ من حق الغير شيئًا بغير حقه ولو قلَّ، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يَحِلُّ لِامْرِئٍ أَنْ يَأْخُذَ عَصَا أَخِيهِ بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ مِنْهُ**»[3].

---

(١) سبق تخريجه (٨٩).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (١٩٦٨).

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢٣٦٠٥)، وابن حبان، رقم الحديث: (٥٩٧٨)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الترغيب والترهيب، رقم الحديث: (١٨٧١).

٣- يشهد بالحق، ولو كان ذلك على الأحباب، بل حتى على النفس، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ ...﴾ [النساء: ١٣٥].

٤- يعدل في القضاء والحكم، كما قال تعالى لنبي الله داود عليه السلام: ﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص:٢٦][1].

وقد علَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته إقامة الحق والحكم به، فعندما سرقت المرأة المخزومية بعث قريش للنبي صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد لكي يشفع لها، فكلمه أسامة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ؟** ثم قام فاختطب، فقال: **أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَايْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا**»[2].

ولا بد أن يعلم أن لكل شيء حقًّا، فالحق تبارك وتعالى له حق، ولكتابه حق، ولرسوله صلى الله عليه وسلم حق، والنفس لها حق، وللأهل حق، وللجار حق، وللضيف حق، وللصديق حق، وللعمل حق، وللمكان حق، وللطريق حق، كما قال صلى الله عليه وسلم: «**إِيَّاكُمْ وَالجُلُوسَ عَلَىٰ الطُّرُقَاتِ**، فقالوا: ما لنا بُدٌّ، إنما

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص٢٠٨).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣٤٧٥)، ومسلم، رقم الحديث: (١٦٨٨).

هي مجالسنا نتحدث فيها، قال: **فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا المَجَالِسَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا،** قالوا: وما حق الطريق؟ قال: **غَضُّ البَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَىٰ، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَأَمْرٌ بالمَعْرُوفِ، وَنَهْيٌ عَنِ المُنْكَرِ**»[1]، وللوقت حق، فعلىٰ المسلم أن يحرص علىٰ أن يعطي كل ذي حق حقه، مستعينًا بربه، سائلًا توفيقه لذلك.

فاللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدنا لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلىٰ صراط مستقيم.



---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٤٦٥)، ومسلم، رقم الحديث: (٢١٢١).

الحَكَمُ الحَكِيمُ جَلَّجَلَالُهُ



المعنى اللغوي:

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحكم: مصدر قولك: حكم بينهم، يحكم، أي: قضىٰ، وحكم له وحكم عليه، والحكم أيضًا: الحكمة من العلم، والحكيم: العالم، وصاحب الحكمة، والحكيم: المتقن للأمور.

وقد حكم بضم الكاف، أي: صار حكيمًا... وأحكمت الشيء فاستحكم، أي صار محكمًا، والحكم، بالتحريك: الحاكم... وحكمت الرجل تحكيمًا، إذا منعته مما أراد، ويقال أيضًا: حكمته في مالي، إذا جعلت إليه الحكم فيه، فاحتكم علَيَّ في ذلك، واحتكموا إلىٰ الحاكم وتحاكموا بمعنًىٰ»[1].

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(حكم) الحاء والكاف والميم أصل واحد، وهو المنع، وأول ذلك الحكم، وهو المنع من الظلم؛ وسميت حكمة الدابة لأنها تمنعها، يقال: حكمت الدابة وأحكمتها، ويقال: حكمت السفيه وأحكمته، إذا أخذت علىٰ يديه... وحكم فلان في كذا، إذا جعل أمره إليه، والمحكم: المجرب المنسوب إلىٰ الحكمة»[2].

---

(١) الصحاح (٥/ ١٩٠١).

(٢) مقاييس اللغة (٢/ ٩١).

ورود اسمي الله (الحَكَم الحكيم) في القرآن الكريم:

ورد اسمه (الحَكَم) في آية واحدة، هي:

قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا﴾[الأنعام:١١٤].

وأما اسم الله (الحكيم)؛ فقد ورد في أربع وتسعين مرة، ومن وروده ما يلي:

١- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[البقرة: ٢٢٨].
٢- وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[التوبة:١٥].
٣- وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾[سبأ:١].

ورود اسمي الله (الحَكِيم، الحَكَم) في السنة النبوية:

ورد اسمي الله (الحَكيم) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

عن مصعب بن سعد عن أبيه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: «جاء أعرابي إلىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: علمني كلامًا أقوله، قال: **قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، والحَمْدُ للهِ كَثِيرًا، سُبْحَانَ اللهِ رَبِّ العَالَمِينَ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا باللهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ**، قال: فهؤلاء لربي، فما لي؟ قال: **قُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي واهْدِنِي وارْزُقْنِي**»[(١)].

ورد اسمي الله (الحَكم) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

عن شريح عن أبيه هانئ: «أنه لما وفد إلىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع قومه سمعهم يكنونه بأبي الحكم، فدعاه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: **إِنَّ اللهَ هُوَ الحَكَمُ، وَإِلَيْهِ الحَكَمُ، فَلَمْ تُكْنَىٰ أَبَا الحَكَمِ؟** فقال: إن قومي إذا

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٦٩٦).

اختلفوا في شيء أتوني، فحكمت بينهم، فرضي كلا الفريقين، فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **مَا أَحْسَنَ هَذَا، فَمَا لَكَ مِنَ الوَلَدِ؟** قال: لي شريح، ومسلم، وعبد الله، قال: **فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟** قلت: شريح، قال: **فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ**»(١).

معنى اسمي الله (الحكيم، الحَكم) في حقه سُبْحَانَهُ:

يدور اسمي (الحَكيم الحَكم) علىٰ معنيين:

١- من له كمال الحكم بين العباد، سواء كان حكمًا كونيًّا قدريًّا، أو دينيًّا شرعيًّا، أو جزائيًّا.

٢- من له كمال الحكمة، سواء كانت في خلقه وتدبيره أو شرعه وأمره.

وحول هذين المعنيين تدور أقوال العلماء:

من الأقوال في المعنىٰ الأول:

❁ **قال الزجاج** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالله تَعَالَى هو الحاكم وهو الحكم بين الخلق؛ لأنه الحكم في الآخرة، ولا حكم غيره»(٢).

❁ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحكم الحاكم، ومنه المثل: (في بيته يؤتىٰ الحكم) وحقيقته هو: الذي سلم له الحكم ورد إليه فيه الأمر، كقوله تَعَالَى: ﴿لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨]، وقوله: ﴿أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الزمر:٤٦]»(٣).

---

(١) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٤٩٥٥)، والنسائي، رقم الحديث:(٥٣٨٧)، حكم الألباني: صحيح، إرواء الغليل، رقم الحديث: (٢٦١٥).

(٢) تفسير أسماء الله الحسنىٰ (ص٤٤).

(٣) شأن الدعاء (ص٦١).

❊ **قال القرطبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالحكم من له الحكم: وهو تنفيذ القضايا وإمضاء الأوامر والنواهي، وذلك بالحقيقة هو الله تَعَالَىٰ، فهذا الاسم يرجع تارة إلىٰ معنىٰ الإرادة، وتارة إلىٰ معنىٰ الكلام، وتارة إلىٰ الفعل، فأما رجوعه إلىٰ الإرادة، فإن الله تَعَالَىٰ حكم في الأزل بما اقتضته إرادته، ونفذ القضاء في اللوح المحفوظ، يجري القلم فيه علىٰ وفاق حكم الله، ثم جرت الأقدار في الوجود بالخير والشر، والعرف والنكر علىٰ وفاق القضاء والحكم، وإذا كان راجعًا إلىٰ معنىٰ الكلام فيكون معناه: المبين لعباده في كتابه ما يطالبهم به من أحكامه، كما يقال- لمن يبين للناس الأحكام وينهج لهم معاني الحلال والحرام-: حكم، وعلىٰ هذا فلا يكون في الوجود حكم إلا كتابه، فعنده يوقف؛ إذ هو الحكم العدل، وإذا كان راجعًا إلىٰ الفعل فيكون معناه الحكم الذي ينفذ أحكامه في عباده بإشقائه إياهم وإسعاده وتقريبه إياهم، وإبعاده علىٰ وفق مراده»[1].

❊ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(الحكيم):... الذي له الحكم في الأولىٰ والآخرة، وله الأحكام الثلاثة لا يشاركه فيها مشارك، فيحكم بين عباده في شرعه، وفي قدره، وجزائه» [2].

❊ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نونيته:

«وَهوَ الحَكِيمُ وَذَاكَ مِنْ أَوْصَافِهِ ... نَوْعَانِ أَيْضًا مَا هُمَا عَدَمَانِ
حُكْمٌ وَإِحْكَامٌ فَكُلٌّ مِنْهُمَا ... نَوْعَانِ أَيْضًا ثَابِتَا البُرْهَانِ

---

(١) الأسنىٰ في شرح أسماء الله الحسنىٰ (١/ ٤٣٨).

(٢) تفسير السعدي (ص٩٤٥-٩٤٦).

وَالحُكْمُ شَـرْعِيٌّ وَكَوْنِـيٌّ وَلَا   يَتَلَازَمَـانِ وَمَـا هُمَـا سِـيَّانِ
بَـلْ ذَاكَ يُوجَـدُ دُونَ هَـذَا مُفْـرَدًا   وَالعَكْـسُ أَيْضًـا ثُـمَّ يَجْتَمِعَـانِ

من الأقوال في المعنىٰ الثاني:

❁ **قال الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والحكيم: الذي لا يدخل تدبيره خلل ولا زلل»[(١)]، **وقال أيضًا**: «والحكيم: هو ذو الحكمة»[(٢)].

❁ **قال الزجاجي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحكيم: الذي أفعاله محكمة متقنة، لا تفاوت فيها ولا اضطراب، ومنه قيل: (بناء محكم)، أي: قد أتقن وأحكم، فالله عَزَّوَجَلَّ حكيم كما وصف نفسه بذلك، لإتقان أفعاله واتساقها وانتظامها وتعلق بعضها ببعض... وقد يكون حكيم بمعنىٰ: عليم؛ لأن الفاعل للأشياء المتقنة المحكمة لا يجوز أن يكون جاهلًا بها؛ فيكون (حكيم) علىٰ هذا بتأويل المبالغة في الوصف بالعلم والحكمة»[(٣)].

❁ **قال الحليمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحكيم: قال الله تَعَالَىٰ: ﴿**إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ**﴾ [الأنعام:١٣٩] ومعناه: الذي لا يقول ولا يفعل إلا الصواب، وإنما أن يوصف بذلك لأن أفعاله سديدة، وصنعه متقن، ولا يظهر الفعل المتقن السديد إلا من حكيم»[(٤)].

❁ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(حكيم) لا يفعل شيئًا عبثًا، ولا لغير معنىٰ ومصلحة وحكمة هي الغاية المقصودة بالفعل، بل أفعاله سُبْحَانَهُ صادرة عن

---

(١) تفسير ابن جرير (٢/ ٥٧٨).

(٢) المرجع السابق (١/ ٤٩٦).

(٣) اشتقاق أسماء الله (ص٦٠).

(٤) المنهاج في شعب الإيمان (١/ ١٩١-١٩٢).

حكمة بالغة لأجلها فعل كما فعل، كما هي ناشئة عن أسباب بها فعل»(١).

❊ **قال ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحكيم في أفعاله وأقواله، فيضع الأشياء في محالها؛ لعلمه وحكمته وعدله»(٢).

❊ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(الحكيم): هو الذي له الحكمة العليا في خلقه وأمره، الذي أحسن كل شيء خلقه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠] فلا يخلق شيئًا عبثًا، ولا يشرع سدىً»(٣).

قال أيضًا: «الحكيم الذي يضع الأشياء مواضعها، فلا يشرع ما يشرعه إلا لحكمة ومصلحة، ولا يخلق ما يخلقه إلا لفائدة ومنفعة»(٤).

❊ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في النونية:**

وَالحِكْمَةُ العُلْيَا عَلَىٰ نَوْعَيْنِ أَيْـ ـضًا حَصَلَا بِقَوَاطِعِ البُرْهَانِ
إِحْدَاهُمَا فِي خَلْقِهِ سُبْحَانَهُ نَوْعَانِ أَيْضًا لَيْسَ يَفْتَرِقَانِ
إِحْكَامُ هَذَا الخَلْقِ إِذْ إِيجَادُهُ فِي غَايَةِ الإِحْكَامِ والإِتْقَانِ
وَصُدُورُهُ مِنْ أَجْلِ غَايَاتٍ لَهُ وَلَهُ عَلَيْهَا حَمْدُ كُلِّ لِسَانِ
وَالحِكْمَةُ الأُخْرَىٰ فَحِكْمَةُ شَرْعِهِ أَيْضًا وَفِيهَا ذَانِكَ الوَصْفَانِ
غَايَاتُهَا اللَّائِي حُمِدْنَ وَكَوْنُهَا فِي غَايَةِ الإِتْقَانِ وَالإِحْسَانِ»(٥).

---

(١) شفاء العليل (ص١٩٠).

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٣١٨).

(٣) تفسير السعدي (ص٩٤٥-٩٤٦).

(٤) ()المرجع السابق (ص٧٧٩).

(٥) النونية (ص٢٠٥، ٢٠٦).

الفرق بين الحكم والحاكم:

الحكم أبلغ من الحاكم، من جهتين:

١- «لا يستحق التسمية بحكم إلا من يحكم بالحق؛ لأنها صفة تعظيم في مدح، والحاكم جارية على الفعل، فقد يسمى بها من يحكم بغير الحق»[١]؛ لذا قيد الله في القرآن اسمه الحاكم بالخيرية، فقال: ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [الأعراف:٨٧]، والإحكام، فقال تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [التين:٨].

٢- الحاكم يطلق على من يحكم بين الناس، قال الله تعالى: ﴿وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ﴾ [البقرة: ١٨٨]، أما الحكم فيطلق على المتخصص بذلك[٢].

اقتران اسمي الله (الحكيم والحَكَم) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ في القرآن الكريم:

١- اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (الحكيم)، باسمه عَزَّوَجَلَّ (العزيز):

ورد اقتران اسمه الحكيم باسمه العزيز، في نحو ستة وأربعين موضعًا، قدم فيها العزيز على الحكيم، منها:

قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الصف: ١]، وقوله: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران:١٨].

---

(١) تفسير القرطبي (٧/ ٧٠).

(٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني (ص٢٤٩).

وجه الاقتران:

١- «العزة: كمال القدرة، والحكمة: كمال العلم، وبهاتين الصفتين يقضي ما يشاء، ويأمر وينهىٰ، ويثني، ويعاقب، فهاتان الصفتان: مصدر الخلق والأمر»[١].

٢- لدلالة علىٰ «أن عزته تَعَالَىٰ مقرونة بالحكمة، فعزته لا تقتضي ظلمًا وجورًا وسوء فعل، كما قد يكون من أعزاء المخلوقين، فإن العزيز قد تأخذه العزة بالإثم فيظلم ويجور ويسيء التصرف، وكذلك حكمه تَعَالَىٰ وحكمته مقرونان بالعز الكامل، بخلاف حكم المخلوق وحكمته؛ فإنها يعتريها الذل»[٢].

ولعل سائلًا يسأل: ما سر تقديم اسم الله العزيز علىٰ الحكيم في جميع المواضع؟

وقد أجاب عن هذا التساؤل ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أوجه ثلاثة:

١- أن العزة: كمال القدرة، والحكمة: كمال العلم، فقدم وصف القدرة؛ لأن متعلقه أقرب إلىٰ مشاهدة الخلق؛ وهو مفعولاته تَعَالَىٰ وآياته، وأما الحكمة فمتعلقها بالنظر والفكر والاعتبار -غالبًا- فكانت متأخرة عن متعلق القدرة.

٢- أن النظر في الحكمة يكون بعد النظر في المفعول والعلم به، فإذا نظر في المفعول انتقل بعد ذلك للنظر فيما أودع فيه من الحكم والمعاني.

---

(١) الجواب الكافي، لابن القيم (ص١١٦).

(٢) القواعد المثلىٰ، لابن عثيمين (ص٨).

٣- أن الحكمة غاية الفعل، فهي متأخرة عنه تأخر الغايات عن وسائلها؛ فالقدرة تتعلق بإيجاده، والحكمة تتعلق بغايته؛ فقدم الوسيلة علىٰ الغاية؛ لأنها أسبق في الترتيب الخارجي(١).

٢- اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (الحكيم) باسمه عَزَّوَجَلَّ (الخبير):

ورد اقتران اسمه الحكيم باسمه الخبير في أربع آيات من القرآن، منها: قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾[الأنعام: ١٨]، وقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [سبأ:١].

وجه الاقتران:

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **عن وجه اقتران هذين الاسمين الجليلين، أنهما دالَّان:** «علىٰ كمال الإرادة، وأنها لا تتعلق بمراد إلا لحكمة بالغة، وعلىٰ كمال العلم، وأنه كما يتعلق بظواهر المعلومات، فهو متعلق ببواطنها التي لا تدرك إلا بالخبرة، فنسبة الحكمة إلىٰ الإرادة كنسبة الخبرة إلىٰ العلم؛ فالمراد ظاهر، والحكمة باطنة، والعلم ظاهر والخبرة باطنة، فكمال الإرادة أن تكون واقعة علىٰ وجه الحكمة، وكمال العلم أن يكون كاشفًا عن الخبرة، فالخبرة باطن العلم وكماله، والحكمة باطن الإرادة وكمالها»(٢).

---

(١) ينظر: بدائع الفوائد، لابن القيم (١/ ٦٨).

(٢) بدائع الفوائد (١/ ٧٩).

٣- اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (الحكيم) باسمه سُبْحَانَهُ (العلي):

ورد اقتران اسم الله الحكيم باسمه العلي في آية واحدة، وذلك في قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورىٰ: ٥١].

قال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العلو في صفة (العلي) علو عظمة فائقة لا تناسبها النفوس البشرية التي لم تحظ من جانب القدسية بالتصفية، فما كان لها أن تتلقىٰ من الله مراده مباشرة، فاقتضىٰ علوه أن يكون توجيه خطابه إلىٰ البشر بوسائط يفضي بعضها إلىٰ بعض... وأما وصف (الحكيم)؛ فلأن معناه: المتقن للصنع، العالم بدقائقه وما خطابه البشر إلا لحكمة إصلاحهم ونظام عالمهم، وما وقوعه علىٰ تلك الكيفيات الثلاث إلا من أثر الحكمة لتيسير تلقي خطابه، ووعيه دون اختلال فيه، ولا خروج عن طاقة المتلقين»[(١)].

٤- اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (الحكيم) باسمه سُبْحَانَهُ (التواب):

تقدم بيانه في اسم الله التواب.

٥- اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (الحكيم) باسمه سُبْحَانَهُ (الحميد):

ورد اقتران اسمه الحكيم باسمه الحميد في آية واحدة، وذلك في قوله تَعَالَىٰ: ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ﴾ في خلقه وأمره، يضع كل شيء موضعه، وينزله منازله، ﴿حَمِيدٍ﴾ علىٰ ما له من صفات الكمال ونعوت

---

(١) التحرير والتنوير (٢٥/ ١٥٠).

الجلال، وعلىٰ ما له من العدل والإفضال؛ فلهذا كان كتابه مشتملًا علىٰ تمام الحكمة، وعلىٰ تحصيل المصالح والمنافع، ودفع المفاسد والمضار التي يحمد عليها»(١).

٦- اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (الحكيم) باسمه سُبْحَانَهُ (الواسع):

ورد اقتران اسمه الحكيم باسمه الواسع في آية واحدة، وذلك في قوله تَعَالَى: ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٣٠].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا﴾[النساء:١٣٠] أي: كثير الفضل واسع الرحمة، وصلت رحمته وإحسانه حيث وصل إليه علمه، وكان مع ذلك ﴿حَكِيمًا ﴾ أي: يعطي بحكمته ويمنع لحكمته؛ فإذا اقتضت حكمته منع بعض عبده من إحسانه بسبب في العبد لا يستحق معه الإحسان، حرمه عدلًا وحكمة»(٢).

٧- اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (الحكيم) باسمه سُبْحَانَهُ (العليم):

اقترن اسمه الحكيم باسمه العليم في نحو سبعة وثلاثين موضعًا، منها: قوله تَعَالَى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾[الأنعام: ٨٣].

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الزخرف:٨٤].

---

(١) تفسير السعدي (ص٧٥٠).

(٢) المرجع السابق (ص٢٠٧).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العلم والحكمة متضمنان لجميع صفات الكمال، فالعلم يتضمن الحياة ولوازم كمالها من: القيومية والقدرة، والبقاء، والسمع، والبصر، وسائر الصفات التي يستلزمها العلم التام.

والحكمة تتضمن كمال الإرادة والعدل، والرحمة، والإحسان، والجود، والبر، ووضع الأشياء مواضعها علىٰ أحسن وجوهها، ويتضمن إرسال الرسل، وإثبات الثواب والعقاب»[1].

وقال: «خلقه وأمره صدرا عن حكمته وعلمه، وحكمته وعلمه اقتضيا ظهور خلقه وأمره، فمصدر الخلق والأمر عن هذين المتضمنين لهاتين الصفتين؛ ولهذا يقرن سُبْحَانَهُ بينهما عند ذكر إنزال كتابه، وعند ذكر ملكه وربوبيته؛ إذ هما مصدر الخلق والأمر»[2].

ويلاحظ أن الله عَزَّوَجَلَّ تارة يقدم اسمه العليم علىٰ الحكيم، وتارة عكس ذلك.

فإن سأل سائل: ما السر في ذلك؟

أجيب: بأن الآيات التي تقدم فيها العليم علىٰ الحكيم منوطة بمقام العلم أولًا، ثم بالحكمة: «ففي مقام الاعتراف بالعجز وقصور العلم يقابله -ولا بد- الإقرار والتسليم للعليم؛ فإذا كان (العليم) هو (الحكيم) فذلك هو العلم البالغ حد الكمال، فيكون الاعتراف مصحوبًا بغاية الرضا والتسليم، كما في قوله تَعَالَى عن الملائكة: ﴿قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾[البقرة: ٣٢].

---

(١) الرسالة التبوكية (ص٦٩).

(٢) الصواعق المرسلة في الرد علىٰ الجهمية والمعطلة (٤/ ١٥٦٤).

وفي مقام ارتباط الصبر وانتظار الفرج باسم (العليم) ارتباط قوي، وذلك أن العبد إذا كان عظيم الإيمان، عميق الصلة بربه، واستلبث عليه الفرج لم يتزعزع يقينه؛ لأنه معتمد علىٰ علم الله عَزَّوَجَلَّ في اختيار الزمان الأنسب لما يرجوه من الفرج، معول علىٰ حكمته في تهيئة الأسباب له؛ ليقع علىٰ أحسن ما يكون، كما في قوله تعَالَى: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾[يوسف: ٨٣].

ومثل ذلك يقال في مقام التواضع والتحدث بنعمة الله وفضله؛ لأن قوامه أحداث ترجع إلىٰ علم ﴿العليم﴾ وحكمة ﴿الحكيم﴾، كما في قوله تعَالَى عند يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾[يوسف: ١٠٠].

أما مقام التشريع وإقرار الحكم فالأمر فيه راجع إلىٰ العلم الشامل أولًا؛ لأن العلم هو أساس بناء الأحكام، ثم تأتي الحكمة لتنزل الحكم علىٰ الواقع، كما في قوله تعَالَى: ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [التحريم: ٢].

أما المقامات التي يتقدم فيها اسم (الحكيم) علىٰ اسم (العليم)، فهي منوطة بمقام التوحيد، كما في قوله تعَالَى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾[الأنعام: ٨٣].

ومقام إجراء المعجزات، كما في قوله تعَالَى: ﴿كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾[الذاريات: ٣٠]؛ وذلك أن مضمون الألوهية في مقام التوحيد قهر وقوة وغلبة، يقابلها من العباد طاعة وعبادة وخضوع، فتقديم

الحكمة في هذا المقام- والله أعلم- ليعلم أن ألوهيته عَزَّوَجَلَّ السارية علىٰ من في السماوات والأرض مسارها الحكمة»[1].

الآثار المسلكية للإيمان باسمي الله (الحكيم، الحَكَم):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسمي الله (الحكم، الحكيم) من صفات الله سُبْحَانَهُ:

الله سُبْحَانَهُ الحكم الحكيم الذي كمل في حكمه، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [الأعراف:٨٧]، وقال: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [التين:٨]، وكمل في حكمته، قال سُبْحَانَهُ: ﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ﴾ [القمر:٥]، ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾[الأنعام:١٨].

أ- فأما كمال حكمه:

فهو الحكيم الذي يحكم في الدارين بالحكم الكوني القدري، والحكم الديني الشرعي، والحكم الجزائي، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[القصص:٧٠][2].

١- الحكم الكوني القدري:

الله سُبْحَانَهُ الحاكم في خلقه علىٰ وفق ما قضاء وقدر؛ فإنه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كتب مقادير كل شيء:

- كتب في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين

---

(١) ينظر: مطابقة أسماء الله الحسنىٰ مقتضىٰ المقام، لنجلاء كردي (ص٥٥٦).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص٦٢٢).

ألف سنة، قال تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠]، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقول: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ بِخَمْسِينَ أَلْف سَنَةٍ**»(١).

- وكتب عند خلق الجنين؛ فعن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: حدثنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو الصادق المصدوق: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِك، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يَنْفَخُ فِيهِ الرُّوح، فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ**»(٢).

- وكتب ويكتب في ليلة القدر كل ما يكون في السنة، كما قال تَعَالَى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [الدخان: ٤، ٥](٣).

فيجري الله سُبْحَانَهُ علىٰ العباد من الأحكام والأقدار والإيجاد والإعداد والإحياء والإماتة وغير ذلك، علىٰ مقتضىٰ قضائه وقدره، لا يخرج شيء عنه: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨].

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٦٥٣).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣٢٠٨)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٦٤٣).

(٣) ينظر: شرح الطحاوية، لابن أبي العز (ص٢٤٣-٢٤٤)، شرح الطحاوية، لصالح آل الشيخ (ص٢٥٣).

٢- الحكم الديني الشرعي:

الله سُبْحَانَهُ الحاكم في خلقه بدينه وشرعه، أرسل رسله وأنزل كتبه وشرع شرائعه، وأمر الخلق أن يسيروا وفق حكمه في عقائدهم وأخلاقهم، وأقوالهم وأفعالهم، وظاهرهم وباطنهم، قال تَعَالَى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [يوسف:٤٠]، وقال: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٨، ١٩]، وقال: ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الممتحنة:١٠].

ولم يجعل لأحد من خلقه أن يحكم في شرعه، بل الحكم له وحده، قال تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل:١١٦، ١١٧]، وقال: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [يونس:٥٩، ٦٠].

٣- الحكم الجزائي:

الله سُبْحَانَهُ الحاكم بالجزاء على الأعمال خيرها وشرها، قال سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾ [الأنعام:٥٧].

فـ«إذا استمررتم على تكذيبكم، فاعلموا أن العذاب واقع بكم لا محالة، وهو عند الله، هو الذي ينزله عليكم، إذا شاء، وكيف شاء، وإن استعجلتم به،

فليس بيدي من الأمر شيء ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام:٥٧]، فكما أنه هو الذي حكم بالحكم الشرعي، فأمر ونهىٰ، فإنه سيحكم بالحكم الجزائي، فيثيب ويعاقب، بحسب ما تقتضيه حكمته»[١].

وأعظم ما يكون حكمه الجزائي وضوحًا وظهورًا: يوم الدين، قال تعالَى: ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُواْ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْكَبِيرِ﴾ [غافر:١١، ١٢]، وقال: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾ [الأنعام:٦١، ٦٢] فيتولىٰ سُبْحَانَهُ الحكم في عباده فيثيبهم علىٰ ما عملوا من الخيرات، ويعاقبهم علىٰ الشرور والسيئات جزاء وفاقًا[٢]، قال تعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [لقمان:٨]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:٥٦]، وقال: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام:١٢٨].

---

(١) تفسير السعدي (ص٢٥٨).

(٢) ينظر: المرجع السابق (ص٢٥٩).

وأحكامه **الثلاثة كلها** قائمة علىٰ العدل والقسط ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [هود:٥٦].

- قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: علىٰ عدل وقسط وحكمة وحمد في قضائه وقدره، وفي شرعه وأمره، وفي جزائه وثوابه وعقابه، لا تخرج أفعاله عن الصراط المستقيم التي يحمد ويثنىٰ عليه بها - ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [سبأ:١] -»[1].

كما أن أحكامه الثلاثة نافذة لا محالة، يحكم بما يشاء، ويقضي بما يريد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة:١]، فيقع حكمه كما شاء ولو عدمت الأسباب، حكم لإبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ولزوجه سارة بالولد، مع ما هم فيه من الكبر والعقم، قال تَعَالَىٰ: ﴿فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا وَقَالَتۡ عَجُوزٌ عَقِيمٞ ٢٩ قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [الذاريات:٢٩، ٣٠]، وكذا زكريا عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٣٩ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَقَدۡ بَلَغَنِيَ ٱلۡكِبَرُ وَٱمۡرَأَتِي عَاقِرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [آل عمران:٣٩، ٤٠]، وحكم لمريم بالولد من غير ما زوج، قال تَعَالَىٰ: ﴿قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ٢٠ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞۖ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا﴾ [مريم:٢٠، ٢١] لا راد لقضائه، ولا ناقض لحكمه، ولا معقب له ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَاۚ وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ [الرعد:٤١]،

---

(١) تفسير السعدي (ص٣٨٤).

﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء:٢٣] كمل وحسن حكمه، فلا خلل ولا إخلال ولا جور ولا حيف؛ فلا يتوجه إليه سؤال، ولا يتعقبه متعقب، ولا يقدح فيه قادح[(١)].

ب- وأما كمال حكمته:

فهو الحكيم الذي وسعت حكمته كل شيء، فلا يخلق ولا يأمر أمرًا كونيًّا ولا شرعيًّا إلا لحكمة بالغة ﴿حِكْمَةُۢ بَـٰلِغَةٌۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾ [القمر:٥].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحكيم: من له الحكمة التامة التي لا يخرج عنها مخلوق، ولا يشذ عنها مأمور، فما خلق شيئًا إلا لحكمة، ولا أمر بشيء إلا لحكمة، والحكمةُ: وضع الشيء في موضعه اللائق به»[(٢)].

فتبين من هذا أن حكمته سُبْحَانَهُ ثلاثة أنواع:

الأول: حكمته سُبْحَانَهُ **في خلقه وصنعه.**

الثاني: حكمته في قضائه وقدره.

الثالث: حكمته سُبْحَانَهُ **في دينه وشرعه.**

حكمته سُبْحَانَهُ **في خلقه وصنعه:**

الله سُبْحَانَهُ الحكيم في خلقه، خلق خلقه جميعًا لحكمة، لا عبثًا ولا سدىً، قال تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر:٢٤]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَـٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّآ

---

(١) ينظر: المرجع السابق (ص٤٢٠، ٥٢١).

(٢) تفسير السعدي (ص٤٩).

﴿إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٦، ١٧]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا﴾ [ص: ٢٧]، وقال: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ١١٥ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ [المؤمنون: ١١٥، ١١٦].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «خلق الخلق بالحق، ومشتملًا علىٰ الحق، وكان غايته والمقصود به الحق، خلق المخلوقات كلها بأحسن نظام، ورتبها أكمل ترتيب، وأعطىٰ كل مخلوق خلقه اللائق به، بل أعطىٰ كل جزء من أجزاء المخلوقات، وكل عضو من أعضاء الحيوانات خلقته، وهيئته، فلا يرىٰ أحد في خلقه خللًا، ولا نقصًا، ولا فطورًا، فلو اجتمعت عقول الخلق من أولهم إلىٰ آخرهم ليقترحوا مثل خلق الرحمن أو ما يقارب ما أودعه في الكائنات من الحسن، والانتظام، والإتقان لم يقدروا، وأنىٰ لهم القدرة علىٰ شيء من ذلك!

وحسب العقلاء الحكماء منهم أن يعرفوا كثيرًا من حِكَمِه، ويطلعوا علىٰ بعض ما فيها من الحسن والإتقان، وهذا أمر معلوم قطعًا بما يعلم من عظمته، وكمال صفاته، وتتبع حكمه في الخلق، والأمر.

وقد تحدىٰ عباده، وأمرهم أن ينظروا، ويكرروا النظر، والتأمل هل يجدون في خلقه خللًا أو نقصًا، وأنه لا بد أن ترجع الأبصار كليلة عاجزة عن الانتقاد علىٰ شيء من مخلوقاته»[1].

حكمته في قضائه وقدره:

يحكم الله سُبْحَانَهُ في عباده بقضائه وقدره علىٰ وفق ما تقتضيه حكمته، فلا يصدر حكم عار عن حكمه ولا قضاء من غير علة، قال تَعَالَىٰ

---

(١) الحق الواضح المبين (ص٥١-٥٢).

عن ليلة القدر: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [الدخان:٤، ٥].

فيهدي من يشاء ويضل من يشاء لحكمة، قال تعالَى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم:٤]، وقال: ﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ﴾ [القمر:٥] قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: في هدايته تعالَى لمن هداه، وإضلاله لمن أضله»[١].

ويتوب علىٰ من اقتضت حكمته ورحمته التوبة عليه، ويخذل من اقتضت حكمته وعدله من لا يصلح للتوبة، قال تعالَى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النساء:٢٦]، وقال: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:١٠٦][٢].

ويعطي ويمنع ويغني ويفقر لحكمة تامة، قال تعالَى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [فاطر:٢]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:٢٨][٣].

---

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٤٧٥).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص١٧٥).

(٣) ينظر: المرجع السابق (ص٣٣٣).

ويجعل لكل شيء قدرًا، ولكل أمر منتهىٰ، بحسب ما تقتضيه حكمته الربانية: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾[يوسف:٨٣][1].

حكمته سُبْحَانَهُ في دينه وشرعه:

يحكم الله سُبْحَانَهُ في عباده بشرعه أمرًا ونهيًا، وتحليلًا وتحريمًا لحكمة ومصلحة عائدة علىٰ العباد في الدارين، قال تَعَالَى في آيات الأحكام: ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الممتحنة:١٠]، وقال: ﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[النور:١٨].

اقتضت حكمته سُبْحَانَهُ أن لا يترك عباده هملًا ولا سدىٰ، بل يبعث فيهم الرسل وينزل الكتب، فيأمرهم وينهاهم، قال تَعَالَى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٦٥]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الجمعة:٢ - ٤][2].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «شرع الشرائع، وأنزل الكتب وأرسل الرسل ليعرفه العباد، ويعبدوه، فأي حكمة أجلُّ من هذا، وأي فضل، وكرم أعظم من هذا؛ فإن معرفته تَعَالَى، وعبادته وحده لا شريك له، وإخلاص العمل

(١) ينظر: المرجع السابق (ص ٤٠٤).

(٢) ينظر: المرجع السابق (ص٦٠١، ٨٦٢).

له وحده، وشكره، والثناء عليه أفضل العطايا منه لعباده علىٰ الإطلاق، وأَجَلُّ الفضائل لمن مَنَّ الله عليه بها، وأكمل سعادة، وسرورًا للقلوب، والأرواح، كما أنها هي السبب الوحيد للوصول إلىٰ السعادة الأبدية، والنعيم الدائم.

فلو لم يكن في أمره، وشرعه إلا هذه الحكمة العظيمة التي هي أصل الخيرات، وأكمل اللذات، ولأجلها خلقت الخليقة، وحق الجزاء، وخلقت الجنة، والنار؛ لكانت كافية شافية.

هذا وقد اشتمل شرعه ودينه علىٰ كل خير، فأخباره تملأ القلوب علمًا، ويقينًا، وإيمانًا، وعقائد صحيحة تستقيم بها القلوب، ويزول انحرافها، وتثمر كل خلق جميل، وعمل صالح، وهدىٰ، ورشد، وأوامره ونواهيه محتوية علىٰ عناية الحكمة، والصلاح والإصلاح للدين والدنيا؛ فإنه لا يأمر إلا بما مصلحته خالصة أو راجحة، ولا ينهىٰ إلا عما مضرته خالصة أو راجحة»(١).

وقد أكد سُبْحَانَهُ هذا المعنىٰ عند ذكره لبعض الأحكام، منها:

١- الزكاة ومصارفها، قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[التوبة:٦٠].

٢- الطلاق وأحكامه، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[البقرة:٢٢٨].

---

(١) الحق الواضح المبين (ص٥١-٥٢).

٣- عدة المتوفى عنها زوجها وأحكامها، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة:٢٤٠].

٤- الحدود وأحكامها، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة:٣٨].

٥- المواريث وأحكامها، قال تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١١].

فسبحان من بحكمته خلق الخلق، و ابتدأه بالحكمة، وجعل غايته و المقصود منه الحكمة، وسبحان من بالحكمة أوجد الأمر والنهي في قضائه وشرعه، وكانت غايته المقصودة: الحكمة[١]، وسبحان من لحكمته وعزته سبح من في السموات والأرض بحمده، قال تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحديد:١]، وقال: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الجمعة:١][٢].

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص٦٥١).

(٢) ينظر: المرجع السابق (ص٨٤٩).

الأثر الثاني: دلالة اسمي الله (الحكم، الحكيم) علىٰ التوحيد:

إذا تأمل العبد في اسمي الله (الحكم، والحكيم) وما يتضمنهما من كمال الحكم الصادر عن ملك مطلق، وعلم تام، وخبرة كاملة، وحكمة عظيمة، وعدل لا جور معه، ورحمة بلغت أن كانت أرحم من الوالدة بولدها، بل صدرت ممن له الكمال المطلق الذي لا شيء يقربه ولا يماثله لا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ:١١][(١)] فلا نقص في حكمه ولا عيب ولا خلل ولا إخلال، ولو فرضت العقول وقدرت أكمل ما يكون من الأحكام لكان حكمُه أجلَّ وأعظمَ.

إذا تأمل العبد ذلك كله؛ ساقه لتوحيد الحاكم الحكيم في الحكم، فانقاد لحكمه، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [النور:٥١]، وقال كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ»[(٢)] ولم يرض حاكمًا سواه، ولا حكمًا غير حكمه، قال سُبْحَانَهُ: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا﴾ [الأنعام:١١٤]، «أحاكم إليه، وأتقيد بأوامره ونواهيه؛ فإن غير الله محكوم عليه لا حاكم، وكل تدبير وحكم للمخلوق فإنه مشتمل علىٰ النقص، والعيب، والجور»[(٣)].

وقد قرر سُبْحَانَهُ أن الحكم كله له وحده لا شريك له، في مواضع عدة من كتابه بأساليب مختلفة، منها:

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/ ١٣١)، تفسير السعدي (ص٧٥٤).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (١١٢٠)، ومسلم، رقم الحديث: (٧٦٩) عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) تفسير السعدي (ص٢٧٠).

١- بيان اختصاصه بالحكم، قال تعَالَى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾ [الأنعام:٥٧]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص:٨٨]، وقال: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾ [الأنعام:٦٢].

٢- بيان كمال حكمه، قال تعَالَى: ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [الأعراف:٨٧]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:٥٠]، وقال: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [التين:٨].

٣- الأمر برد الحكم إليه ولرسوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال تعَالَى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء:٥٩]، وقال: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [الشورى:١٠].

٤- الأمر بتحكيم كتابه، قال تعَالَى: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة:٤٩].

٥- نفي أن يكون له شريك في الحكم، قال تعَالَى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف:٢٦].

٦- الإنكار والتشنيع علىٰ من اتخذ حكمًا غير حكمه، قال تعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ

ضَلَٰلًا بَعِيدًا ﴾[النساء:٦٠]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[المائدة:٥٠].

قال العلامة ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ينكر تَعَالَى علىٰ من خرج عن حكم الله- المحكم المشتمل علىٰ كل خير، الناهي عن كل شر- وعدل إلىٰ ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات، التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات، مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية»(١).

٧- التحذير من الحكم بغير ما أنزل، قال تَعَالَى: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة:٤٩، ٥٠]، فحذر من عدم تحكيم شرع الله في القليل والكثير والصغير والكبير، وبيَّن أن التولي عن حكمه وعدم قبول شيء منه ذنب عظيم موجب للعقاب الأليم.

فتبين مما سبق: أن توحيد الله سُبْحَانَهُ في الحكم، وتحكيم شرعه واجب وفرض متعين علىٰ الفرد، والمجتمع، ومن لم ير الكفاية في شرع الله تَعَالَى فأعرض عنه أو بدله بغيره ولو في بعضه؛ فإن هذا العمل شرك في الطاعة والاتباع، وشرك في توحيد الربوبية أيضًا؛ لأن من خصائصها السيادة، والحكم والتشريع، وكلها حق لله تَعَالَى لا يجوز صرفها لغيره سُبْحَانَهُ(٢).

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ١٣١).

(٢) ينظر: حاشية كتاب التوحيد، لابن قاسم (ص٢٧٦، وما بعدها)، والقول المفيد شرح كتاب التوحيد، لابن العثيمين (٢/ ١٤٩، وما بعدها).

ومن تأمل في وحدانية الله بالحكم المشتمل علىٰ الحكمة؛ دله ذلك علىٰ نوع آخر من التوحيد، ألا وهو توحيد الألوهية، فعلم أن من بيده الحكم وإليه الأمر والشرع هو المستحق وحده أن يفرد بالعبادة؛ فإن كل من دونه محكوم عليه لا حاكم، ليس له من الأمر شيء، قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف:٤٠][1]، وقال: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص:٨٨]، وقال: ﴿قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [سبأ:٢٧].

ودله- أيضًا- علىٰ توحيد الأسماء والصفات، فعلم أن من له الحكم لا بد أن يكون سميعًا بصيرًا عليمًا خبيرًا متكلمًا قادرًا مدبرًا، إلىٰ غير ذلك من أسماء وصفات كماله سُبْحَانَهُ، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [النحل:٦٠]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الروم:٢٧]

الأثر الثالث: التدبر في كتاب الله الحكيم:

القرآن كتاب الله المنزل من لدن حكيم خبير، قال تَعَالَىٰ: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الزمر:١]، وقال: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل:٦]، فإذا كان من عند الحكيم الخبير تكلم به وأنزله حكمًا وهدىٰ ورحمة ونورًا وموعظة وذكرىٰ للعالمين، فلا ريب أن يكون في غاية الإحكام والاتقان، مشتملًا علىٰ الحكمة البالغة، والرحمة الواسعة،

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص٢٧٠).

قال تعالى: ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [يونس:١]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [يس:١، ٢]، وقال: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [فصلت:١] فأتقن وأحسن ونظم نظما محكما لا يلحقه تناقض ولا خلل ولا نقص ولا باطل: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:٤٢].

وإحكام الكتاب له أوجه عدة، منها:

١- أن آياته جاءت بأجل الألفاظ وأفصحها، وأبينها وأدقها دلالة.

٢- أن كل كلمة وكل عبارة مقصودة، وكل معنىٰ فيها وكل توجيه مطلوب، وكل إيماءة وكل إشارة ذات هدف معلوم؛ فلا حشو فيه ولا زيادة.

٣- أن آياته محفوظة من التغيير والتبديل، والزيادة والنقص، والتحريف.

٤- أن جميع ما فيها من الأخبار السابقة واللاحقة، والأمور الغيبية كلها، مطابقة للواقع، مطابق لها الواقع، لم يخالفها كتاب من الكتب الإلهية، ولم يخبر بخلافها نبي من الأنبياء، ولم يأت ولن يأتي علم محسوس ولا معقول صحيح يناقض ما دلت عليه.

٥- أنه حكيم في هدايته وأمره ونهيه؛ فآياته جاءت موافقة للحكمة، فما أمر بشيء إلا وهو خالص المصلحة، أو راجحها، وما نهىٰ عن شيء إلا وهو خالص المفسدة أو راجحها، وكثيرًا ما يجمع بين ذكر الحكم وحكمته، فينبه العقول علىٰ المناسبات والأوصاف المقتضية لترتيب الحكم عليها.

٦- أن آياته جمعت بين الترغيب والترهيب، والوعظ البليغ، الذي تعتدل به النفوس الخيرة، وتحتكم، فتعمل بالحزم.

٧- أن آياته المتكررة، كالقصص، والأحكام ونحوها، قد اتفقت كلها وتواطأت، فليس فيها تناقض، ولا اختلاف.

٨- أن آياته لا ناسخ لها من غيرها، قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «لم ينسخها كتاب، بخلاف التوراة والإنجيل»[١].

فعلىٰ العبد أن يتدبر هذه الأوجه ويتأملها في كتاب ربه، ويعمل عقله فيه متفكرًا؛ حتىٰ تنفتح له من أسراره وعجائبه ما يبهر عقله ويذهل لبه، فيجزم جزمًا لا مرية فيه أنه تنزيل من حكيم حميد[٢].

ثم إذا تقرر إحكام الكتاب، فما معنىٰ قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ﴾[آل عمران:٧]؟

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يخبر تَعَالَى أن في القرآن آيات محكمات هن أم الكتاب، أي: بينات واضحات الدلالة، لا التباس فيها علىٰ أحد من الناس، ومنه آيات أخر فيها اشتباه في الدلالة علىٰ كثير من الناس أو بعضهم، فمن رد ما اشتبه عليه إلىٰ الواضح منه، وحكم محكمه علىٰ متشابهه عنده، فقد اهتدىٰ، ومن عكس انعكس؛ ولهذا قال تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ [آل عمران:٧] أي: أصله الذي يرجع إليه عند الاشتباه ﴿وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ﴾ [آل عمران:٧] أي: تحتمل دلالتها موافقة المحكم، وقد تحتمل شيئًا آخر من حيث اللفظ والتركيب، لا من حيث المراد.

وقد اختلفوا في المحكم والمتشابه: فروي عن السلف عبارات كثيرة... وأحسن ما قيل فيه: الذي قدمناه، وهو الذي نص عليه محمد بن إسحاق

---

(١) تفسير القرطبي (٩/ ٢).

(٢) ينظر: تفسير القرطبي (٩/ ٢)، وتفسير ابن كثير (٤/ ٣٠٣)، وتفسير السعدي (ص٦٤٦، ٦٩٢).

بن يسار رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [آل عمران:٧] فيهن حجة الرب، وعصمة العباد، ودفع الخصوم والباطل، ليس لهن تصريف ولا تحريف عما وضعن عليه.

قال: والمتشابهات في الصدق، لهن تصريف وتحريف وتأويل، ابتلىٰ الله فيهن العباد، كما ابتلاهم في الحلال والحرام ألا يصرفن إلىٰ الباطل، ولا يحرفن عن الحق»[1].

الأثر الرابع: التأمل في إحكام الحكيم لخلقه:

إذا عرف العبد اسم الله (الحكم- الحكيم) وما فيهما من حكمة تقتضي إحسان الخلق واتقانه وإحكامه؛ سعىٰ في التأمل في خلق الله ومشاهدة عجيب صنعه، مستشعرًا قوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران:١٩٠].

فإذا نظر وتأمل وجد خلقًا عجيبًا وصنعًا بديعًا لا ثغرة ولا خلة، و لا نقص، ولا تفاوت ولا نسيان.

الصغير والكبير، والجليل والحقير، كل شيء خُلق بحكمة، فوُضع في موضعه الذي لا يليق به سواه، وخُص من الصفات والإشكال والهيئات والمقادير ما يناسبه، قال تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر:٢٤]، وقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[الروم:٢٧].

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٦-٧).

خلق السماء بحكمة فتناسبت من كل وجه، في لونها وهيئتها وارتفاعها، وما فيها من القمر والشمس والكواكب النيرات الثوابت منهن والسيارات، فكمل حسنها، وانتفىٰ عنها النقص والعيب، حتىٰ أمر الله بتكرار النظر إليها والتأمل في أرجائها، قال: ﴿فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ۝٣ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ﴾ [الملك:٣] عاجزًا عن أن يرىٰ خللًا أو فطورًا، ولو حرص غاية الحرص[(١)].

وخلق الإنسان بحكمة، فبدأ خلقه من طين، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، ثم سواه ونفخ فيه من روحه، وجعل له السمع والأبصار والأفئدة، قال تعالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [آل عمران:٦]، وقال: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾[المؤمنون:١٢ - ١٤].

خلق الليل، والنهار، والبحار، والجبال، والأشجار وألوان الثمار إلىٰ غير ذلك من مخلوقاته، كل ذلك بإحكام وإتقان يدهش العقول ويحير الألباب، فتبارك الله الحكيم الخبير.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن له نظر صحيح وفكر مستقيم وأعطىٰ التأمل حقه؛ شهد بذلك فيما رآه وعلمه، واستدل بما شاهده علىٰ ما خفي عنه؛ فإن الكل صنع الحكيم العليم، ويكفي في هذا ما يعلمه من حكمة خلق

(١) تفسير السعدي (ص٨٧٥).

الحيوان وأعضائه وصفاته وهيئاته ومنافعه، واشتماله علىٰ الحكمة المطلوبة منه أتم اشتمال، وقد ندب سُبْحَانَهُ عباده إلىٰ ذلك؛ فقال: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات:٢٢]، وقال: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية:١٧]... إلىٰ آخرها.

وكذلك جميع ما يشاهد من مخلوقاته عاليها وسافلها، وما بين ذلك، إذا تأملها صحيح التأمل والنظر؛ وجدها مؤسسة علىٰ غاية الحكمة، مغشاة بالحكمة، فقرأ سطور الحكمة علىٰ صفحاتها، وينادي عليها هذا صنع العليم الحكيم، وتقدير العزيز العليم...

ومن نظر في هذا العالم وتأمل أمره حق التأمل علم قطعًا أن خالقه أتقنه وأحكمه غاية الإتقان والإحكام؛ فإنه إذا تأمله وجده كالبيت المبني المعد فيه جميع عتاده، فالسماء مرفوعة كالسقف، والأرض ممدودة كالبساط، والنجوم منضودة كالمصابيح، والمنافع مخزونة كالذخائر، كل شيء منها لأمر يصلح له، والإنسان كالمالك المخول فيه، وضروب النبات مهيأة لمآربه، وصنوف الحيوان مصرفة في مصالحه، فمنها ما هو للدر والنسل والغذاء فقط، ومنها ما هو للركوب والحمولة فقط، ومنها ما هو للجمال والزينة، ومنها ما يجمع ذلك كله كالإبل، وجعل أجوافها خزائن لما هو شراب وغذاء ودواء وشفاء، ففيها عبرة للناظرين وآيات للمتوسمين، وفي الطير واختلاف أنواعها وإشكالها وألوانها ومقاديرها ومنافعها وأصواتها، صافات وقابضات وغاديات ورائحات ومقيمات وظاعنات؛ أعظم عبرة، وأبين دلالة علىٰ حكمة الخلاق العليم»[1].

---

(١) الصواعق المرسلة في الرد علىٰ الجهمية والمعطلة (٤/ ١٥٦٦- ١٥٦٧).

الأثر الخامس: محبة الله تَعَالَىٰ الحكم الحكيم:

إذا تعرف العبد علىٰ اسم ربه الحكم الحكيم وشاهد آثارهما من إنزال الكتاب الحكيم الذي به يخرج العبد من الظلمات إلىٰ النور ويهدىٰ به الصراط المستقيم، وشهد الخلق البديع والصنع المتقن للكون حوله، وتسخير ذلك كله له ولبني جنسه؛ فطابت بذلك حياتهم ونعمت، وشهد حكمه البالغة في أقداره، والمصالح الكبرىٰ في شرعه التي حفظ بها للإنسان دينه، ونفسه، وعقله، وماله، وعرضه، وكفل له بها الحياة السعيدة في الدنيا والآخرة؛ ساق ذلك كله قلبه للتعلق به والتوجه له بالمحبة والذل.

الأثر السادس: التعامل مع أحكام الحكيم بما يحب:

إذا تأمل العبد في اسم الله (الحكم- الحكيم) وشهد آثارهما في خلقه وشرعه، تعامل مع أحكامهسُبْحَانَهُ بما يجب عليه تجاهها، وقد أوضح ذلك ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقال:

«الأحكام ثلاثة:

الأول: حكم شرعي ديني: فهذا حقه أن يُتَلَقَّىٰ بالمسالمة والتسليم، وترك المنازعة، بل الانقياد المحض، وهذا تسليم العبودية المحضة، فلا يعارَض بذوق ولا وجد، ولا سياسة، ولا قياس ولا تقليد، ولا يرىٰ إلىٰ خلافه سبيلًا ألبتة، وإنما هو الانقياد المحض والتسليم والإذعان والقبول، فإذا تلقىٰ بهذا التسليم والمسالمة إقرارًا وتصديقًا؛ بقي هناك انقياد آخر وتسليم آخر له، إرادة وتنفيذًا وعملًا، فلا تكون له شهوة تنازع مراد الله من تنفيذ حكمه، كما لم تكن له شبهة تعارض إيمانه وإقراره، وهذا حقيقة القلب السليم الذي سلم

من شبهة تعارض الحق، وشهوة تعارض الأمر.

ومن التسليم: عدم السؤال عن تفاصيل الحكمة؛ ولهذا لم يحك الله سُبْحَانَهُ عن أمة نبي صدقت نبيها، وآمنت بما جاء به، أنها سألته عن تفاصيل الحكمة فيما أمرها به، ونهاها عنه، وبلغها عن ربها، بل انقادت، وسلمت، وما عرفت من الحكمة عرفته، وما خفي عنها لم تتوقف في انقيادها، وإيمانها، واستسلامها علىٰ معرفته، ولا جعلت طلبه من شأنها... بل يسلم لأمر الله وحكمته، ممتثلًا ما أمر به، سواء ظهرت له حكمته أو لم تظهر، فإن ورد الشرع بذكر حكمة الأمر، أو فقهها العقل، كانت زيادة في البصيرة والداعية في الامتثال، وإن لم تظهر له حكمته لم يوهن ذلك انقياده، ولم يقدح في امتثاله»[1].

«**الحكم الثاني: الحكم الكوني القدري**: الذي للعبد فيه كسب واختيار وإرادة، والذي إذا حكم به يسخطه ويبغضه ويذم عليه، فهذا حقه أن ينازع ويدافع بكل ممكن، ولا يسالم ألبتة، بل ينازع بالحكم الكوني- أيضًا- فينازع حكم الحق بالحق للحق فيدافع به وله، فإن ضاق ذرعك عن هذا الكلام وفهمه، فتأمل قول عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وقد عوتب علىٰ فراره من الطاعون، فقيل له: أتفر من قدر الله؟ فقال: (نفر من قدر الله إلىٰ قدر الله)[2].

ثم كيف ينكر هذا الكلام من لا بقاء له في هذا العالم إلا به، ولا تتم له مصلحة إلا بموجبه، فإنه إذا جاءه قدر من الجوع والعطش أو البرد نازعه وترك الانقياد له ومسالمته، ودفعه بقدر آخر من الأكل والشرب واللباس، فقد

---

(١) الصواعق المرسلة في الرد علىٰ الجهمية والمعطلة (٤/ ١٥٦٠- ١٥٦١).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٧٢٩)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٢١٩).

دفع قدر الله بقدره، وهكذا إذا وقع الحريق في داره فهو بقدر الله، فما باله لا يستسلم له ويسالمه ويتلقاه بالإذعان؟ بل ينازعه ويدافعه بالماء والتراب وغيره حتىٰ يطفئ قدر الله بقدر الله، وما خرج في ذلك عن قدر الله، هكذا إذا أصابه مرض بقدر الله دافع هذا القدر ونازعه بقدر آخر يستعمل فيه الأدوية الدافعة للمرض، فحق هذا الحكم الكوني أن يحرص العبد علىٰ مدافعته ومنازعته بكل ما يمكنه، فإذا غلبه وقهره حرص علىٰ دفع آثاره وموجباته بالأسباب التي نصبها الله لذلك، فيكون قد دفع القدر بالقدر، ونازع الحكم بالحكم، وبهذا أُمِر، بل هذا حقيقة الشرع والقدر.

الحكم الثالث: وهو الحكم القدري الكوني: الذي يجري علىٰ العبد بغير اختياره، ولا طاقة له بدفعه ولا حيلة له في منازعته؛ فهذا حقه أن يتلقىٰ بالاستسلام والمسالمة، وترك المخاصمة، وأن يكون فيه كالميت بين يدي الغاسل، وكمن انكسر به المركب في لجة البحر، وعجز عن السباحة وعن سبب يدنيه من النجاة، فها هنا يحسن الاستسلام والمسالمة، مع أن عليه في هذا الحكم عبوديات أخر سوىٰ التسليم والمسالمة، وهي: أن يشهد عزة الحاكم في حكمه، وعدله في قضائه، وحكمته في جريانه عليه، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن الكتاب الأول سبق بذلك قبل بدء الخليقة، فقد جف القلم بما يلقاه كل عبد، فمن رضي فله الرضىٰ، ومن سخط فله السخط، ويشهد أن القدر ما أصابه إلا لحكمة اقتضاها اسم (الحكيم) جَلَّجَلَالُهُ، وصفته الحكمة، وأن القدر قد أصاب مواقعه وحل في المحل الذي ينبغي له أن ينزل به، وأن ذلك أوجبه عدل الله وحكمته وعزته

وعلمه وملكه العادل، فهو موجب أسمائه الحسنىٰ وصفاته العلىٰ، فله عليه أكمل حمد وأتمه، كما له الحمد علىٰ جميع أفعاله وأوامره»[1].

الأثر السابع: الأسباب المعينة علىٰ الرضىٰ بحكم الحكيم:

إذا تيقن العبد اسم ربه (الحكم- الحكيم) قاده ذلك لتسليم والرضىٰ بالقضاء والقدر؛ لعلمه أن ما قدر عليه حكم الحكيم الذي هو أرحم به من نفسه، وأعلم بالعواقب منه، وأخبر بما فيه صلاحه في الدنيا والآخرة ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١٦][2].

وهنا جملة من الأمور تعين العبد علىٰ الرضىٰ بالقضاء والقدر:

١- الإيمان بالقضاء والقدر: كل ما زاد إيمان العبد ويقينه بقضاء الله وقدره زاده ذلك رضىٰ وتسليمًا؛ فإذا تيقن أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأنا ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن الكل لم يخرج عن كتاب الله الذي كتب فيه المقادير، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآ﴾ [الحديد:٢٢]، وقال: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة:٥١]، وقال صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ والأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**»[3] اطمأنَّ قلبه وانشرح لحكم الله، فرضي به، وسلَّم، قال تَعَالَىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [التغابن:١١].

---

(١) طريق الهجرتين، لابن القيم (ص٣٧-٣٨).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (١/ ٥٧٣)، وتفسير السعدي (ص٩٧).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٦٥٣).

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن يصدق بالله فيعلم أنه لا أحد تصيبه مصيبة إلا بإذن الله بذلك يهد قلبه: يقول: يوفق الله قلبه بالتسليم لأمره والرضا بقضائه»[(١)].

وروىٰ مسلم من حديث صهيب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ** »[(٢)].

٢- استشعار ما يترتب عليها من ثواب وتكفير للسيئات: جاء في النصوص ما يدل علىٰ عظيم الأجر لأصحاب البلاء، لا سيما إذا صبروا وسلموا لحكم الله، قال تعالَىٰ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة:١٥٥ - ١٥٧]، وجاء في حديث جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يودُّ أهلُ العَافِيةِ يَوْمَ القِيَامَةِ حِينَ يُعطَىٰ أهلُ البلاءِ الثوابَ لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ كَانَتْ قُرِضَتْ فِي الدُّنْيَا بِالمَقَارِيضِ**»[(٣)]، وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما يُصِيبُ المُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَذًىٰ وَلَا غَمٍّ، حَتَّىٰ الشَّوْكَةُ يُشَاكُّهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ**»[(٤)]،

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٤٢١).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٩٩٩).

(٣) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٢٤٠٢)، والبيهقي في شعب الإيمان، رقم الحديث: (٩٤٥١)، حكم الألباني: حسن، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٨١٧٧).

(٤) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٦٤١).

وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّىٰ يَلْقَىٰ اللهَ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ»(١).

٣- معرفة حقيقة الدنيا: فالعبد إذا تيقن أن الدنيا طبعت علىٰ كدر، والإنسان فيها كادح ومكابد، وأنها لا تصفو لأحد، ولو صفت لصفة للخليلين إبراهيم ومحمد صلىٰ الله عليهما وسلم، وأنها سجن المؤمن، كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ»(٢)، وأن المؤمن إذا مات استراح من نصبها وشدتها، كما روىٰ البخاري ومسلم عن أبي قتادة بن ربعي الأنصاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه كان يحدث: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُرَّ عَلَيْهِ بِجِنَازَةٍ، فَقَالَ: مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْمُسْتَرِيحُ وَالْمُسْتَرَاحُ مِنْهُ؟ قَالَ: الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا إِلَىٰ رَحْمَةِ اللهِ، وَالْعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ وَالْبِلَادُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ»(٣)؛ قاده ذلك كله للتسليم والرضىٰ.

٤- الدعاء: الثبات والتثبيت عند نزول المصاب هو من الله عَزَّوَجَلَّ وحده، فالمثبت من ثبته الله، والراضي من أرضاه الله، والصابر من صبره الله، قال تَعَالَىٰ: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ﴾ [إبراهيم:٢٧]، وقال عن أم موسىٰ: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [القصص:١٠]،

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٧٤٧٩)، والترمذي، رقم الحديث: (٢٣٩٩)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٥٨١٥).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٩٥٦).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٥١٢)، ومسلم، رقم الحديث: (٩٥٠).

وحكىٰ عن قوم طالوت سؤالهم الثبات، فقال سُبْحَانَهُ: ﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٢٥٠]؛ فكانت العاقبة النصر: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ﴾ [البقرة:٢٥١]، ومن هنا كان الدعاء من أهم الأسباب المحصلة للرضىٰ والتسليم، وقد علمنا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سؤال الله الرضىٰ بقوله: «**وَأَسْأَلُكَ الرِّضَاءَ بَعْدَ الْقَضَاءِ**»(١).

والدعاء يكون وقاية ويكون علاجًا، ودعاء الوقاية يكون قبل وقوع المكروه، ومن ذلك: دعوة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ﴾ [إبراهيم:٤٠]، وقول أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «كنت أخدم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكنت كثيرًا ما أسمعه يقول: **اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ**»(٢).

وأما العلاج فيكون بعد الوقوع، ومنه: دعوة أيوب: ﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٣]، ويونس: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[الأنبياء:٨٧]، وغيرهما من الأنبياء.

٥- **الصلاة**: إذا نزلت الأقدار والمصائب علىٰ العبد ثم توجه لصلاة؛

---

(١) أخرجه النسائي، رقم الحديث: (١٣٠٤)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن النسائي، رقم الحديث :(١٣٠٥).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٤٢٥)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٧٠٦).

نهته صلاته عن الاعتراض علىٰ أحكام الله والتسخط عليها، وأورثت قلبه الطمأنينة والسكينة، فقاده ذلك لتسليم والرضىٰ، لذا أمر الله عباده أن يستعينوا بها علىٰ شؤونهم كلها، فقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة:٤٥]، وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا حزبه أمر فزع إليها[١].

٦- التفكُّر والتدبُّر:

أ- التفكر في نعم الله علىٰ العبد، ومصائب الناس من حوله؛ قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**انْظُرُوا إِلَىٰ مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَىٰ مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ قَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ: عَلَيْكُمْ**»[٢].

ب- التفكر في المصيبة، متأملًا ومستشعرًا قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٢١٦].

هذه الآية التي من تأملها وتدبرها ساقت قلبه للاطمئنان والسكون، فيرضىٰ ويقنع، فلعل وراء المكروه خير، ولعل وراء المحبوب شر؛ فالإنسان لا يدري أين يكون الخير وأين يكون الشر!

خرج المسلمون يوم بدر يطلبون عير قريش وتجارتها، ويرجون أن تكون الفئة التي وعدهم الله إياها هي فئة العير والتجارة، لا فئة الحامية المقاتلة من قريش، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ

---

(١) عن حذيفة، قال: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّىٰ»، أخرجه أبو داود رقم الحديث: (١٣١٩) حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (١٣١٩).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٤٩٠)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٩٦٣) واللفظ له.

أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأنفال:٧]، لكن الله جعل القافلة تفلت، ولقاهم المقاتلة من قريش، فكان النصر الذي دوىٰ في الجزيرة العربية ورفع راية الإسلام، فأين تكون القافلة من هذا الخير الضخم الذي أراده الله للمسلمين؟ وأين يكون اختيار المسلمين لأنفسهم من اختيار الله لهم؟ والله يعلم والناس لا يعلمون! ولقد نسي فتىٰ موسىٰ ما كانا قد أعداه لطعامهما- وهو الحوت- فتسرب في البحر عند الصخرة ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [الكهف:٦٢ - ٦٤]، وكان هذا هو الذي خرج له موسىٰ، ولو لم يقع حادث الحوت ما ارتدَّا، ولفاتهما ما خرجا لأجله في الرحلة كلها!

وكل إنسان- في تجاربه الخاصة- يستطيع حين يتأمل أن يجد في حياته مكروهات كثيرة كان من ورائها الخير العميم، ولذات كثيرة كان من ورائها الشر العظيم، وكم من مطلوب كاد الإنسان يذهب نفسه حسرات علىٰ فوته، ثم تبين له بعد فترة أنه كان إنقاذًا من الله أن فوَّت عليه هذا المطلوب في حينه.

وكم من محنة تجرعها الإنسان لاهثًا يكاد يتقطع لفظاعتها، ثم ينظر بعد فترة فإذا هي تنشئ له في حياته من الخير ما لم ينشئه الرخاء الطويل، إن الإنسان لا يعلم، والله وحده يعلم.

الأثر الثامن: الحكم بما أنزل الحكيم:

إذا علم العبد أن ربه الحكم الحكيم، الذي من رحمته وحكمته أن جعل التحاكم بين العباد بشرعه ووحيه؛ لأنه المنزه عما يصيب البشر من الضعف والهوىٰ والعجز والجهل؛ سعىٰ لتحكيم شرعه في نفسه وحياته كلها، لسان حاله ومقاله: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ يَقُصُّ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰصِلِينَ﴾[الأنعام:٥٧].

وتحكيم شرع الله يعني: إعمال شريعة الإسلام في كل ما يتعلق بأمر الفرد والمجتمع والدولة، من معاملات وجنايات وعلاقات دولية وتجارية وشخصية.

فيشمل ذلك:

١-تطبيق شريعة الإسلام في كل ما يتعلق بأمور البلاد والعباد.

٢- سياسة الناس والقضاء بينهم وتدبير أمورهم؛ طبقًا للأحكام الشرعية، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ٤٩ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾[المائدة:٤٩، ٥٠].

الأثر التاسع: عدم التسمي باسم الحكيم:

الله سُبۡحَانَهُۥ هو الحكم الحق الذي لا يليق أن يوصف غيره بهذا الاسم؛ فعن هانئ بن يزيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، أنه لما وفد إلىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ مع قومه سمعهم يكنونه بأبي الحكم، فدعاه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، فقال: «**إِنَّ اللهَ هُوَ الْحَكَمُ وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ، فَلِمَ تُكَنَّىٰ أَبَا الْحَكَمِ فَقَالَ: إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ**

أَتَوْنِي فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ، فَرَضِيَ كِلَا الْفَرِيقَيْنِ . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا أَحْسَنَ هَذَا، فَمَا لَكَ مِنَ الْوَلَدِ ؟ قَالَ : لِي شُرَيْحٌ، وَمُسْلِمٌ، وَعَبْدُ اللهِ . قَالَ : فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ ؟ قُلْتُ : شُرَيْحٌ . قَالَ : فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ»[1]، فغيَّر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كنيته (أبا الحكم)؛ كراهية لتكنيه بهذا الاسم والتسمي به[2].

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «غيره النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأمرين: الأول: أن الحكم هو الله، فإذا قيل: يا أبا الحكم! كأنه قيل: يا أبا الله!

الثاني: أن هذا الاسم، الذي جعل كنية لهذا الرجل، لوحظ فيه معنىٰ الصفة وهي الحكم؛ فصار بذلك مطابقًا لاسم الله، وليس لمجرد العلمية المحضة، بل للعلمية المتضمنة للمعنىٰ، وبهذا يكون مشاركًا لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في ذلك، ولهذا كناه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما ينبغي أن يكنىٰ به»[3].

الأثر العاشر: السعي للاتصاف بالحكمة:

الحكمة من أفضل الهبات والعطايا، وصاحبها أوتي خيرًا كثيرًا، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]؛ لأنه خرج بها من ظلمة الجهالات إلىٰ نور الهدىٰ، ومن حمق الانحراف في الأقوال والأفعال، إلىٰ إصابة الصواب فيها، وحصول السداد، ولأنه كمل نفسه بهذا الخير العظيم، واستعد لنفع الخلق أعظم نفع، في دينهم ودنياهم،

---

(١) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٤٩٥٥)، والنسائي، رقم الحديث: (٥٤٠٢)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن النسائي، رقم الحديث: (٥٣٨٧).

(٢) ينظر: النهج الأسمىٰ، للنجدي (١/ ٢٥٧-٢٥٨).

(٣) القول المفيد علىٰ كتاب التوحيد (٢/ ٢٦٣).

ولأن جميع الأمور لا تصلح ولا تستقيم إلا بالحكمة، التي هي: وضع الأشياء في مواضعها، وتنزيل الأمور منازلها، والإقدام في محل الإقدام، والإحجام في موضع الإحجام[1].

فعلىٰ المسلم أن يسعىٰ لتحصيلها وتحقيقها في نفسه، متخذًا الأسباب التي أقامها الله، وجعلها أسبابًا لنيل هذا الخير العظيم، وقد تناولها الملحق الآتي، ما يعين علىٰ ذلك- بإذن الله-.



(١) ينظر: تفسير السعدي (ص٩٥٧).

«حكيم يحب الحكماء»



سنتطرق في موضوع الحكمة لعدة مسائل، وهي:

أولًا: تعريف الحكمة:

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحكمة: فعل ما ينبغي، علىٰ الوجه الذي ينبغي، في الوقت الذي ينبغي»[1].

ثانيًا: منزلة الحكمة وفضلها:

الحكمة من الخصال الحميدة والأخلاق الكريمة التي رفع الشارع منزلتها وأعلىٰ من شأنها وبين فضيلتها، ومن ذلك:

١- أن الله قرن الخير الكثير بها، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩].

٢- أن الله امتنَّ بها علىٰ عبده الفاضل لقمان وأمره بشكره عليها، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان:١٢].

٣- أن النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شرع تمنيها والغبطة عليها، قال صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَىٰ [١/ ٢٦] هَلَكَتِهِ فِي

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٤٤٩).

الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا»(١).

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما الحسد المذكور في الحديث فهو الغبطة، وأطلق الحسد عليها مجازًا، وهي أن يتمنىٰ أن يكون له مثل ما لغيره، من غير أن يزول عنه... فكأنه قال في الحديث: لا غبطة أعظم أو أفضل من الغبطة في هذين الأمرين»(٢).

أ- أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعا بها لابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، فقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الْحِكْمَةَ**»(٣)، ومعلوم أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يختار من الدعاء إلا أفضله.

ب- أن الله جعلها أول مراتب الدعوة إليه، فقال: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ [النحل:١٢٥].

ثالثًا: وسائل تحقيق الحكمة(٤):

الحكمة من الصفات الفطرية التي يمنُّ بها الحكيم علىٰ من يشاء من عباده، إلا أنه سُبْحَانَهُ من رحمته وكرمه أقام أسبابًا تكتسب بها وتنمىٰ، والتي منها:

١- **الدعاء**: لأن الله عَزَّوَجَلَّ مسديها والممتن بها علىٰ من يشاء، قال تَعَالَىٰ: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٧٣)، ومسلم، رقم الحديث: (٨١٦).

(٢) فتح الباري، لابن حجر (١/ ١٦٧).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣٧٥٦).

(٤) ينظر: الرئاسة العامة للبحوث العلمية والافتاء، مجلة البحوث الإسلامية.

﴿يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة:٢٦٩]، وقد دعاء رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بها لابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، فقال: «اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الْحِكْمَةَ».

٢- **العلم**: وأساسه وأهمه: العلم بالكتاب والسنة؛ لذا جاء في تفسير قوله تَعَالَى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة:٢٦٩] بأن الحكمة: فهم القرآن والفقه فيه، وجاء في تفسير قوله تَعَالَى: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب:٣٤] بأن الحكمة: السنة.

ثم سائر العلوم النافعة التي تثري الثقافة، وتزيد المعرفة، وتوسع الأفق، وتنمي الإدراك، وتطور الفكر.

٣- **البعد عن الذنوب والمعاصي**: لأن الحكمة هبة من الله ونور منه، ونوره لا يهدىٰ لعاص، إضافة إلىٰ أن المعاصي تزيل النعم، وتجلب النقم، وتورث الذل وتفسد العقل، فلا يوفَّق صاحبها لا في أقواله ولا أفعاله.

٤- **الصدقة**: قال تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [البقرة:٢٦٧ - ٢٧٠]... الآيات.

فيلاحظ أن الله أدخل الحكمة بين آيات الصدقة والإنفاق، وكأن الصدقة سبب من أسباب تحصيل الحكمة والإصابة في القول والعمل.

٥- **الحلم**: وهو: ضبط النفس والطبع عند هيجان الغضب.

٦- **الأناة**: وهي: التثبت والتروي والتبصر في الأمور، وعدم العجلة فيها.

فمن رُزِق هاتين الصفتين كانتا سببًا من أسباب انضباط أفعاله وأقواله وحسن تدبيره، فتحصل بهما الحكمة.

٧- **الصمت**: فهو صفة من صفات الحكماء كما جاء عن السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ:

قال وهب بن منبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أجمعت الاطباء علىٰ أن رأس الطب: الحمية، وأجمع الحكماء علىٰ أن رأس الحكمة: الصمت»(١).

وقال عمر بن عبد العزيز رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «إذا رأيتم الرجل يطيل الصمت، ويهرب من الناس فاقتربوا منه، فإنه يلقي الحكمة»(٢).

قال وهيب بن الورد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان يقال: «الحكمة عشرة أجزاء: فتسعة منها في الصمت، والعاشرة عزلة الناس»(٣).

قال الربيع بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مكتوب في الحكمة: من يصحب صاحب السوء لا يسلم، ومن يدخل في مداخل السوء يتهم، ومن لا يملك لسانه يندم»(٤).

نسأل الله أن يرزقنا الحكمة؛ فإنه من يؤتَ الحكمةَ فقد أوتي خيرًا كثيرًا.



---

(١) الصمت، لابن أبي الدنيا (ص٢٧٨).

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

الحَليمُ جَلَّ جَلَالُهُ



المعنى اللغوي:

❁ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «... والحلم بالكسر: الأناة، تقول منه: حلم الرجل بالضم، وتحلَّم: تكلف الحلم... »[1].

❁ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(حلم) الحاء واللام والميم، أصول ثلاثة: الأول ترك العجلة...

فالأول: الحلم خلاف الطيش، يقال: حلمت عنه أحلم؛ فأنا حليم»[2].

ورود اسم الله (الحليم) في القرآن الكريم:

ورد اسم (الحَليم) إحدىٰ عشرة مرة في كتاب الله، ومن وروده ما يلي:

١- قوله تَعَالَى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٣٥].

٢- قوله تَعَالَى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦٣].

٣- قوله تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥١].

---

(١) الصحاح (٥/ ١٩٠٣).

(٢) مقاييس اللغة (٢/ ٩٣).

ورود اسم الله (الحليم) في السنة النبوية:

ورد اسم الله (الحليم) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

١- عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو عند الكرب: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ»(١).

٢- وعن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال لي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ إِذَا قُلْتَهُنَّ غُفِرَ لَكَ عَلَىٰ أَنَّهُ مَغْفُورٌ لَكَ ؟ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ، سُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**»(٢).

معنى اسم الله (الحليم) في حقه سُبْحَانَهُ:

❁ **قال الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٢٥]-: «يعني: أنه ذو أناة، لا يعجل علىٰ عباده بعقوبتهم علىٰ ذنوبهم»(٣).

وقال - أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تَعَالَى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء:٤٤]-: «إن الله كان حليمًا لا يعجل علىٰ خلقه الذين يخالفون أمره، ويكفرون به، ولولا ذلك لعاجل هؤلاء المشركين الذين يدعون معه الآلهة والأنداد بالعقوبة»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٣٤٥)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٧٣٠).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٣٨٠)، والنسائي في الكبرىٰ، رقم الحديث: (٧٦٣٠)، حكم الألباني: صحيح لغيره، التعليقات الحسان، رقم الحديث: (٦٨٨٩).

(٣) تفسير الطبري (٤/ ٢٨٦).

(٤) المرجع السابق (١٩/ ٦٠٧).

❁ **قال الزجاج** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحليم هو الذي لا يعاجل بالعقوبة»[١].

❁ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحليم: هو ذو الصفح، والأناة، الذي لا يستفزه غضب ولا يستخفه جهل جاهل، ولا عصيان عاص»[٢].

❁ **قال الحليمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومنها: الحليم، لأن معناه: الذي لا يحبس أنعامه وأفضاله عن عباده لأجل ذنوبهم، ولكن يرزق العاصي كما يرزق المطيع وهو منهمك في معاصيه»[٣].

❁ **قال ابن الأثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(الحليم) هو الذي لا يستخفه شيء من عصيان العباد، ولا يستفزه الغضب عليهم، ولكنه جعل لكل شيء مقدارًا فهو منته إليه»[٤].

❁ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واسم (الحليم) من حلمه عن الجناة والعصاة، وعدم معاجلتهم»[٥].

❁ **قال ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحليم الذي يرىٰ عباده وهم يكفرون به ويعصونه، وهو يحلم، فيؤخر وينظر ويؤجل ولا يعجل، ويستر آخرين ويغفر؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر: ٤١]»[٦].

---

(١) تفسير أسماء الله الحسنىٰ (ص٤٥).

(٢) شأن الدعاء (١/ ٦٣).

(٣) المنهاج في شعب الإيمان (١/ ٢٠٠-٢٠١).

(٤) النهاية في غريب الحديث (١/ ٤٣٣-٤٣٤).

(٥) مدارج السالكين (٣/ ٣٣١).

(٦) تفسير ابن كثير (٦/ ٥٥٧).

❊ **قال الشيخ السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحليم الذي يدرُّ علىٰ خلقه النعم الظاهرة والباطنة، مع معاصيهم وكثرة زلاتهم، فيحلم عن مقابلة العاصين بعصيانهم، ويستعتبهم كي يتوبوا، ويمهلهم كي ينيبوا»(١).

❊ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في نونيته:**

وَهْـوُ الحَلِيـمُ فَـلَا يُعَاجِـلُ عَبْـدَهُ بِعُقُوبَـةٍ لِيَتُـوبَ مِـنْ عِصْيَـانِ(٢)

اقتران اسم الله (الحليم) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ فِي القرآن الكريم:

أولًا: اقتران اسم الله (الحليم) باسم الله (العليم):

اقترن اسم الله الحليم باسمه العليم في ثلاث آيات من كتاب الله، منها:

قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٞ﴾ [النساء:١٢]، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمٗا﴾ [الأحزاب:٥١].

وجه الاقتران:

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولهذا جاء اسمه (الحليم) في القرآن في أكثر من موضع، ولسعته يقرنه سُبْحَانَهُ باسم (العليم) كقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمٗا﴾ [الأحزاب:٥١]، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٞ﴾ [النساء:١٢]... فإن المخلوق يحلم عن جهل، ويعفو عن عجز، والرب تَعَالَىٰ يحلم مع كمال علمه، ويعفو مع تمام قدرته، وما أضيف شيء إلىٰ شيء أزين من حلم إلىٰ علم ومن عفو إلىٰ اقتدار» (٣).

---

(١) تفسير السعدي (ص٩٤٨).

(٢) النونية (ص٢٠٧).

(٣) عدة الصابرين (ص٢٧٦).

ثانيًا: اقتران اسم الله (الحليم) باسم الله (الغفور):

اقترن اسم الله الحليم باسمه الغفور في ست آيات من كتاب الله، من وروده:

قوله تَعَالَى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٢٥]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [آل عمران:١٥٥].

وجه الاقتران:

قال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفي مناسبة اقتران وصف (الغفور) (بالحليم) هنا، دون (الرحيم)؛ لأن هذه مغفرة لذنب هو من قبيل التقصير في الأدب مع الله تَعَالَى؛ فلذلك وصف الله نفسه بالحليم؛ لأن الحليم هو الذي لا يستفزه التقصير في جانبه، ولا يغضب للفعلة، ويقبل المعذرة»(١).

ثالثًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (الحليم) باسمه سُبْحَانَهُ (الغني):

اقترن اسم الله الحليم باسمه الغني في قوله تَعَالَى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦٣]؛ لدلالة علىٰ أن حلمه ليس عن عجز أو فقر أو حاجة بل عن غنىٰ تام، وقدرة كاملة.

وجه الاقتران:

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان هذا الاقتران في الآية الكريمة: «أنه مع غناه التام من كل وجه فهو الموصوف بالحلم والتجاوز والصفح، مع عطائه

---

(١) التحرير والتنوير (٢/ ٣٨٤).

الواسع وصدقاته العميمة، فكيف يؤذي أحدكم بمنه وأذاه مع قلة ما يعطي ونزارته وفقره!»[1].

رابعًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (الحليم) باسمه سُبْحَانَهُ (الشكور):

اقترن اسم الله الحليم باسمه الشكور في قوله تَعَالَىٰ: ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَـٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن:١٧]

وجه الاقتران:

لدلالة علىٰ أنه يشكر لعبده طاعته وإحسانه، مع حلمه عليه إذا قصر في عبادة الله.

خامسًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (الحليم) باسمه سُبْحَانَهُ (العظيم):

اقترن اسم الله الحليم باسمه العظيم في قوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في دعاء الكرب: «**لَا إِلَهَ إِلَّا الله العَظِيمُ الحَلِيمُ،...** »[2].

وجه الاقتران:

١- أن حلمه سُبْحَانَهُ عن قوة وعظمة، وليس عن عجز وحاجة.

٢- أن عظمته يزينها الحلم؛ لأن الغالب في عظماء البشر وملوكهم ضعف الحلم عندهم؛ لأنهم يغترون بعظمتهم، ويبطشون بمن خالفهم ولا يحلمون عليهم، فبين تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ أن عظمته مقرونة بحلمه.

---

(١) طريق الهجرتين (ص٣٦٧).

(٢) سبق تخريجه (ص ١٥٣).

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (الحليم):

الأثر الأول: اثبات ما يتضمنه اسم الله (الحليم) من صفاته تعالىٰ:

الله سُبْحَانَهُ الحليم الذي له كمال الحلم وسعته، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[البقرة:٢٣٥]، وقال: ﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾[البقرة:٢٦٣].

فأما كمال حلمه:

فهو **الحليم العليم** الذي صدر حلمه عن علم تام، فأحاط بكل شيء علمًا، لم يغب عنه معصية العاصي، ولا شرك المشرك، ولا كفر الكافر ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾[الحج:٥٩].

وهو **الحليم العظيم** الذي صدر حلمه عن عظمة وقوة وقدرة تامة، فلم يعجزه ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء «**لا إله إلا اللهُ العظيمُ الحليمُ**»[١].

وهو **الحليم الغني** الذي صدر حلمه عن غنىٰ، فلم يحتج ويفتقر إلىٰ أحد كائن من كان ﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾[البقرة:٢٦٣][٢].

وهو **الحليم الحكيم** الذي صدر حلمه عن حكمة كاملة لا سفه معها، يقدر الأمور ويضعها في مواضعها ﴿حِكۡمَةُۢ بَٰلِغَةٞۖ فَمَا تُغۡنِ ٱلنُّذُرُ﴾[القمر:٥].

وهو **الحليم الغفور الشكور** الذي صدر حلمه عن مغفرة وشكر، فيغفر الكثير من الزلل، ويقبل القليل من العمل، ويضاعفه بغير حساب، فيجعل

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) ينظر: النهج الأسمىٰ، للنجدي (١/ ٢٧٧).

القليل كثيرًا، والصغير كبيرًا ﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن:١٧].

يرىٰ عباده وهم يكفرون به، ويراهم وهم يبارزونه بالعصيان ليل نهار، وهو قادر علىٰ أن ينتقم منهم ويبادرهم بالعقاب، مع غناه عنهم وعدم حاجته إليهم، ومع ذلك كله يحلم بهم؛ لحكمة، فيؤخر وينظر ويؤجل، ولا يعاجلهم بالعقاب، لعلهم يرجعون وينيبون، فإذا رجعوا قبل توبتهم وغفر خطيئتهم وشكر لهم سعيهم ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٣٥].

قال الزجاجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالله عَزَّوَجَلَّ حليم عن عباده؛ لأنه يعفو عن كثير من سيئاتهم ويمهلهم بعد المعصية، ولا يعاجلهم بالعقوبة والانتقام، ويقبل توبتهم بعد ذلك»[١].

وهو **الحليم** الذي لا يقطع نعمته عمن غفل عنها وقصر في شكرها، بل لربما نسبها لغيره وشكره عليها، ونسي واهبها ومسديها، فيحلم عليه، ويمده منها.

وهو **الحليم** الذي لا يمنع نعمته عمن عصاه، يواليهم بالنعم، ويغدق عليهم بالمنن مع معاصيهم وكثرة ذنوبهم، بل إن العاصي لا يمكنه أن يعصي إلا أن يتقوىٰ عليها بنعم الله عليه سمعًا وبصرًا ويدًا وقدمًا وصحة ومالًا ونحو ذلك، فيحلم به فلا يسلبها منه، ولا يحرمه منها، بل لربما زاده منها.

قال الحليمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الذي لا يحبس إحسانه وأفضاله عن عباده لأجل ذنوبهم، ولكن يرزق العاصي كما يرزق المطيع وهو منهمك في معاصيه، كما

---

(١) ينظر: اشتقاق أسماء الله الحسنىٰ (ص٩٦).

يبقي البر التقي وقد يقيه الآفات والبلايا وهو غافل لا يذكره، فضلًا عن أن يدعوه، كما يقيها الناسك الذي يسأله، وربما شغلته العبادة عن المسألة »[1].

بل من عظيم حلمه- جل في علاه- أن يعصي العاصي فيحلم به فيستره، ولا يفضحه، ويقيض له الأسباب لستره، ويكره منه أن يذيع معصيته ويشهر بها، حتىٰ قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمَجَانَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللهُ، فَيَقُولَ: يَا فُلَانُ، عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهِ عَنْهُ**»[2].

ومن عظيم حلمه به: أن أمر عباده بستره وعدم فضحه، ورتب علىٰ ذلك الثواب العظيم، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[3].

وهو **الحليم** الذي لولا حلمه لهلك العباد، قال تعالَى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [فاطر:٤٥]، وقال: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا﴾ [الكهف:٥٨].

وهو **الحليم** الذي يمسك السماء أن تقع علىٰ الأرض، وأمسكهما من أن تزولا من كثرة ذنوب بني آدم، قال تعالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾ [فاطر: ٤١].

---

(١) المنهاج في شعب الإيمان (١/ ٢٠٠-٢٠١).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٠٦٩)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٩٩٠).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٤٤٢).

وأما سعة حلمه:

فهو الحليم الذي وسع حلمه كل شيء، حلم علىٰ من أشرك به وعبد غيره، وحلم علىٰ من كفر به وعادىٰ أوليائه ورسله، وحلم علىٰ من حارب دينه وسعىٰ في إطفاء نوره، حلم علىٰ من شتمه وكذبه، كما قال صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يرويه عن ربه عَزَّوَجَلَّ: «**يَشْتُمُنِي وَتكَذِّبَنِي وَمَا يَنْبَغِي لَهُ. أَمَّا شَتْمُهُ فَقَوْلُهُ: إِنَّ لِي وَلَدًا وَأَمَّا تَكْذِيبُهُ فَقَوْلُهُ: لَيْسَ يُعِيدُنِي كَمَا بَدَأَنِي**»(١)(٢).

وَسِعَ حلمُه من قال فيه قولًا تكاد السماوات والأرض تنفطر منه وتخر له الجبال هدًّا، أن دعوا للرحمن ولدًا، فصبر عليهم وأمهلهم وأنعم عليهم وعافاهم ورزقهم، كما جاء في حديث أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا أَحَدٌ أَصْبَرُ عَلَىٰ أَذًىٰ سَمِعَهُ مِنَ اللهِ، يَدْعُونَ لَهُ الْوَلَدَ، ثُمَّ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ**»(٣).

ويدعوهم إلىٰ بابه بخطاب في غاية اللطف واللين؛ ليتوبوا من هذا الذنب العظيم، فيجازيهم بالثواب الجزيل ويغفره لهم، قال تَعَالَىٰ: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٣ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[المائدة:٧٣، ٧٤](٤).

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣١٩٣).

(٢) ينظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لابن القيم (ص٢٣٨).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٧٣٧٨)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٨٠٤).

(٤) ينظر: تفسير السعدي (ص٤٥٩).

وسع حلمُه فرعونَ مع شدة طغيانه وعتوه، وإفساده في الأرض، حتىٰ قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾، وقال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾، فحلم عليه، فلم يعاجله بالعقاب، وأمر رسله بالرفق معه في القول، فقال: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[طه:٤٤]، وقال: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾[النازعات:١٨].

ووسع أصحابَ الأخدود، كفروا به وراودوا المؤمنين للرجوع عن دينهم ومتابعتهم علىٰ كفرهم، فامتنعوا، فشقوا الأخدود في الأرض وأججوا فيه النار، ثم فتنوا المؤمنين وعرضوهم علىٰ النار، فمن استجاب لهم أطلقوه، ومن امتنع قذفوه، وهذا في غاية المحاربة والمحادة لله وأوليائه، ومع ذلك كله حلم بهم ودعاهم للتوبة والرجوع، قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾[البروج:١٠] قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «انظروا إلىٰ هذا الكرم والجود، قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلىٰ التوبة والمغفرة»[1].

ووسع حلمُه من استعجل عقابه ودعا بنزوله، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[الأنفال:٣٢-٣٣]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾[ص:١٦، ١٧].

وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾[يونس:١١].

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٣٦٦، ٢٧١)، وتفسير السعدي (ص٩١٩).

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يخبر تَعَالَى عن حلمه ولطفه بعباده: أنه لا يستجيب لهم إذا دعوا علىٰ أنفسهم أو أموالهم أو أولادهم في حال ضجرهم وغضبهم، وأنه يعلم منهم عدم القصد إلىٰ إرادة ذلك، فلهذا لا يستجيب لهم -والحالة هذه- لطفًا ورحمة، كما يستجيب لهم إذا دعوا لأنفسهم أو لأموالهم وأولادهم بالخير والبركة والنماء؛ ولهذا قال: ﴿وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡ﴾ [يونس:١١] أي: لو استجاب لهم كل ما دعوه به في ذلك، لأهلكهم، ولكن لا ينبغي الإكثار من ذلك، كما جاء في الحديث: حدثنا جابر قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَدْعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَىٰ أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَىٰ أَمْوَالِكُمْ، لَا تُوَافِقُوا مِنَ اللهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ**»[(١)(٢)].

فما أعظم حلمه، وما أوسع فضله، وما أجزل عطاءه ومننه[(٣)].

الأثر الثاني: دلالة اسم الله (الحليم) علىٰ التوحيد:

إذا علم العبد أن الله جَلَّ جَلَالُهُ له الكمال التام في أسمائه وصفاته الذي لا يلحقه نقص بوجه من الوجوه، ومن ذلك: اسمه الحليم: فحلم لا عن جهل، بل عن علم تام، وحلم لا عن حاجة، بل عن غنىٰ تام، وحلم لا عن عجز، بل عن قدرة تامة، حلم مع عظمته وجلاله، حلم فأمهل، وحلم فستر، وحلم فأنعم، وسع حلمه كل شيء؛ تيقن أنه لا شبيه له ولا يماثله شيء من مخلوقاته

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٥١).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٣٠١٤).

(٣) ينظر: الحق الواضح المبين، للسعدي (ص٥٦-٥٧).

﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[الشورى:١١]، فلا يستحق أن يشرك معه غيره ويعبد أحد سواه، بل هو الواحد الأحد جل في علاه.

الأثر الثالث: محبة الله تَعَالَىٰ الحليم:

إذا نظر العبد وتأمل في كثرة ذنوبه ومعاصيه، وكيف أن ربه الحليم ستره، فلم يفضحه، ولم يقطع عنه نعمه، فضلًا عن كونه لم يعاجله بالعقوبة، ثم التفت عن يمينه ويساره فوجد فلانًا قريبه علىٰ معصية، وصديقه فلانًا علىٰ معصية أخرىٰ، والكل ينعَم بحلم الله، ولولا حلمه لهلك، وهلك أحبابه والناس أجمعون! قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ [فاطر:٤٥]؛ قاده ذلك التأمل والنظر إلىٰ محبته تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ حق المحبة وأعظمها.

الأثر الرابع: عدم الاغترار بحلم الله:

إذا تيقن العبد معنىٰ اسم الله (الحليم) وما فيه من كمال وسعة، فعليه أن يضم لهذا اليقين يقينًا آخر، فالله الحليم حسيب يحفظ عمل العبد ولا يخفىٰ عليه شيء منه، والله الحليم قدير لا يعجزه أحد من خلقه ولا يفوته، بل الكل في قبضته، والله الحليم قوي عزيز لا يغلبه أحد ولا يمتنع عليه ممتنع، والله الحليم شديد العقاب، والله الحليم منتقم، والله الحليم بطشه شديد، يمهل ولا يهمل، فإذا أَخَذَ أَخَذَ أَخْذَ عزيزٍ مقتدرٍ، قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ**، قال: ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ﴾[هود:١٠٢]»[1].

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٤٦٨٦)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٥٨٣).

حلم علىٰ قوم نوح وما هم فيه من الشرك والكفر به ألف سنة إلا خمسين عامًا، فلم يزدهم حلمه وإمهاله لهم إلا عنادًا وطغيانًا، وقدحًا في نبيهم، فقالوا: مجنون، وزجروه وعنفوه أن دعاهم إلىٰ الله، فلم يكفهم الكفر والتكذيب حتىٰ أوصلوا إليه من أذيتهم ما قدروا عليه، فانتقم الحليم منهم، فقال: ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ [القمر: ١١ - ١٦][1].

حلم علىٰ عاد وثمود علىٰ ما هم فيه من الشرك والكفر والطغيان، فأعطاهم من القوة وعظم الأجسام ما أعطاهم، والقدرة علىٰ البناء الشيء العجيب، وأرسل إليهم الرسل وأيدهم بالآيات والبراهين، فلما لم تنفع فيهم الآيات والعبر، ولم تُجْدِ شيئًا؛ انتقم الحليم منهم، فقال سُبْحَانَهُ: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٤ - ٨].

حلم علىٰ فرعون وقومه مع شدة بطشهم وطغيانهم، فأرسل إليهم موسىٰ الكليم، وأيده بالآيات الباهرات، والمعجزات القاهرات وأشهدهم من العبر ما لم يشهد عليه أحدًا غيرهم، فلما كذبوا بآيات الله كلها، وبيتوا القضاء علىٰ موسىٰ ومن معه؛ فأخذهم أخذ عزيز مقتدر، قال تَعَالَىٰ: ﴿فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا﴾ [الإسراء: ١٠٣][2].

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص٨٢٥).

(٢) ينظر: المرجع السابق (ص٨٢٧).

فالله حليم ولم يزل ولا يزال حليمًا، ولا يغضب إلا علىٰ من لا يستحق الرحمة ولا يصلح في حقه الحلم، وذلك بعد أن يعطيه المهلة والوقت الكافي؛ ليتوب ويهتدي، فإذا لم يرجع أخذه أخذ عزيز مقتدر.

وقد يمهله- أيضًا- ويتأنىٰ به ويرزقه ولا يعجله بعقوبة في الدنيا، لكن موعده الساعة، قال تعَالَى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم:٤٢]، وقال: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ﴾ [القمر:٤٣ - ٤٨].

فإذا تيقن العبد سعة حلم الله تعَالَى، وتيقن شدة عذابه، وجمع بين اليقينين، ولاحظ كلًّا منهما؛ سار علىٰ الصراط المستقيم، ولم يغتر بحلم الله عليه، وقام في قلبه المقامان العظيمان: مقام الخوف ومقام الرجاء اللذين جمع الله بينهما في كتابه، حتىٰ لا يغفل غافل عن أحدهما، فيحصل الإفراط أو التفريط، قال تعَالَى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر:٤٩، ٥٠]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام:١٦٥]، وقال: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة:٩٨] إلىٰ غير ذلك من الآيات.

وجمع بينهما رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «**لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ**»(١).

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٧٥٥).

الأثر الخامس: الحذر من الغفلة:

إذا علم العبد أن الله (حليم)، فليعلم أنه سُبْحَانَهُ يحلم ولا يعاجل بالعقوبة ليتوب العباد وينيبوا، لا لأن يغفلوا ويتمادوا في الكفر والعصيان كما هو مشاهد في كثير من الناس، قال تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾[يونس:٩٢].

والغفلة من أعظم أمراض القلوب وأخطرها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الغفلة والهوىٰ أصل الشر، قال تَعَالَى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف:٢٨]، والهوىٰ وحده لا يستقل بفعل السيئات إلا مع الجهل - أي: الغفلة-»(١).

وقد حذر الله منها، ونوَّع الأساليب في ذلك مبالغةً في التحذير منها، ومن ذلك:

١- ذم الغافلين عن الآخرة، فقال تَعَالَى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾[الروم:٧].

٢- قرن الغفلة بالتكذيب، قال تَعَالَى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾[الأعراف:١٤٦].

٣- عاقب من أصيب بالغفلة الكاملة، بالختم علىٰ قلبه، وسمعه، وبصره، قال تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ

(١) الحسنة والسيئة، لابن تيمية (ص٦١).

لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾[الأعراف:١٧٩].

٤- عاقب صاحبها- أيضًا- بأن أغفله عن ذكره، وجعله متبعًا لهواه، فكان أمره ضائعًا معطلًا، قال تَعَالَى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾[الكهف:٢٨].

٥- جعل الغفلة سببًا للهلاك في الدنيا، فقال في قوم فرعون: ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾[الأعراف:١٣٥، ١٣٦].

٦- بين أن أهل الغفلة يتحسرون يوم القيامة علىٰ غفلتهم عن الآخرة، قال تَعَالَى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾[الأنبياء:٩٦].

٧- جعل الغفلة سببًا لدخول النار- والعياذ بالله-، قال تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾[يونس:٧، ٨].

وللغفلة أسباب أوقعت كثيرًا من الناس فيها، منها:

١- الجهل بالله تَعَالَى: بأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وشرعه.

٢- مخالطة أهل الغفلة، قال تَعَالَى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ

رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾[الكهف:٢٨].

٣- ترك صلاة الجماعة: فعن ابن عباس، وابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، أنهما سمعا النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: «**لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الْجَمَاعَاتِ، أَوْ لَيَخْتِمَنَّ اللهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ، ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ**»(١).

٤- طول الأمل، قال تَعَالَىٰ: ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾[الحجر:٣].

٥- قلة ذكر الموت، قال تَعَالَىٰ: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[ق:٢٢].

٦- عدم التدبر في آيات الله الكونية، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾[يوسف:١٠٥].

٧- الحرص علىٰ الدنيا وملذاتها والاستكثار منها، قال تَعَالَىٰ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾[التكاثر:١].

٨- الاشتغال بالملهيات التي حذر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من الانغماس فيها، فعن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**مَنْ سَكَنَ الْبَادِيَةَ جَفَا، وَمَنِ اتَّبَعَ الصَّيْدَ غَفَلَ، وَمَنْ أَتَىٰ السُّلْطَانَ افْتُتِنَ**»(٢).

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٥٦٢٨)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٧٩٤)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، رقم الحديث: (٧٩٤).

(٢) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٢٨٥٩)، والترمذي، رقم الحديث: (٢٢٥٦)، والنسائي، رقم الحديث: (٤٣٢٠) حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢٢٥٦).

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو محمول علىٰ من واظب علىٰ ذلك، حتىٰ يشغله عن غيره من المصالح الدينية وغيرها»[1] فإذا كان هذا في الصيد الذي فيه من المنافع ما فيه من تقوية البدن والإعانة علىٰ جهاد الأعداء، فما بالك بما دونه؟!

وكما أن للغفلة أسبابًا، فلها طرق علاج، منها:

١- العلم بالله وشرعه، قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[فاطر:٢٨].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنىٰ- كلما كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل، كانت الخشية له أعظم وأكثر»[2].

٢- التقوىٰ، قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾[الأعراف:٢٠١].

٣- قراءة القرآن وتدبره، قال الله تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحۡمَةٌ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[يونس:٥٧]، وقال: ﴿وَهَٰذَا ذِكۡرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلۡنَٰهُۚ أَفَأَنتُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾[الأنبياء:٥٠].

٤- ذكر الله تَعَالَىٰ علىٰ كل حال، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف:٢٠٥].

---

(١) فتح الباري، لابن حجر (٩/ ٦٦٢).

(٢) تفسير ابن كثير (٦/ ٥٤٤).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنه - أي: الذكر - يورث جلاء القلب من صداه... وصدأ القلب: الغفلة والهوىٰ، وجلاؤه: الذكر والتوبة والاستغفار»[١].

٥- المحافظة علىٰ الصلوات الخمس؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ حَافَظَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ**»[٢].

٦- قيام الليل؛ فعن عبدالله بن عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ، وَمَنْ قَامَ بِمِائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْقَانِتِينَ، وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْمُقَنْطِرِينَ**»[٣].

٧- صيام التطوع، لا سيما عند غفلة الناس؛ فعن أسامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَمْ أَرَكَ تَصُومُ شَهْرًا مِنَ الشُّهُورِ مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ! قَالَ: ذَلِكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ، وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الْأَعْمَالُ إِلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ»[٤].

٨- الدعاء بزوال الغفلة، ومنه: الاستعاذة بالله من مصدرها - الشيطان -، والاستعاذة بالله منها، لا سيما بما ورد عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فعن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو، يقول: **اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ**

---

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص٤٢-٤٣).

(٢) أخرجه ابن خزيمة، رقم الحديث: (١١٤٢)، والحاكم رقم الحديث: (١١٦٤)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٦٥٧).

(٣) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (١٣٩٨)، حكم الألباني، صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (١٣٩٨).

(٤) أخرجه النسائي، رقم الحديث: (٢٣٥٦)، حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف سنن النسائي رقم الحديث: (٢٣٥٧).

الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ وَالْهَرَمِ، وَالْقَسْوَةِ وَالْغَفْلَةِ، وَالذِّلَّةِ وَالْمَسْكَنَةِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ وَالْكُفْرِ، وَالشِّرْكِ وَالنِّفَاقِ، وَالسُّمْعَةِ وَالرِّيَاءِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الصَّمَمِ وَالْبَكَمِ، وَالْجُنُونِ، وَالْبَرَصِ وَالْجُذَامِ، وَسَيِّيءِ الْأَسْقَامِ»[1].

٩- تدبر حال الدنيا وأن مصيرها ومصير ملذاتها إلىٰ الفناء والزوال، قال الله تَعَالَى: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا﴾ [الكهف:٤٥].

١٠- تذكر الموت والبلىٰ؛ فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا ؛ فَإِنَّ فِي زِيَارَتِهَا تَذْكِرَةً**»[2]، وقال في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ**»[3] يعني: الموت.

الأثر السادس: اتصاف العبد بالحلم:

الله الحليم يحب أن يتصف عبده بصفة الحلم؛ لذا مدح أنبيائه به، فقال: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ﴾ [التوبة:١١٤]، وقال: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ﴾ [هود:٧٥]، وقال عن إسماعيل: ﴿فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ﴾ [الصافات:١٠١]، وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لأشج عبد القيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: «**إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ، وَالْأَنَاةُ**»[4].

---

(١) أخرجه ابن حبان، رقم الحديث: (١٠٢٣)، والحاكم، رقم الحديث: (١٩٥٠)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (١٢٨٥).

(٢) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٣٢٣٥)، والترمذي، رقم الحديث: (١٠٥٤)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٣٢٣٥).

(٣) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٢٣٠٧)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٤٢٥٨)، حكم الألباني: حسن صحيح، صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، رقم الحديث: (٤٢٥٨).

(٤) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٧).

فإذا علم العبد ذلك فعليه أن يجاهد نفسه علىٰ التخلق بهذه الخلة والخصلة الكريمة، فيحلم علىٰ من عصا أمره ومن خالفه، ويحلم علىٰ خدمه ومن تحت أمرته كما حلم الله عليه، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ﴾ [القصص:٧٧].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمن الواجب علىٰ من عرف أن ربه حليم علىٰ من عصاه، أن يحلم هو علىٰ من خالف أمره، فذاك به أولىٰ حتىٰ يكون حليمًا، فينال من هذا الوصف بمقدار ما يكسر سورة غضبه، ويرفع الانتقام عمن أساء إليه، بل يتعود الصفح حتىٰ يعود الحلم له سجية.

وكما تحب أن يحلم عنك المالك، فاحلم أنت عمن تملك؛ لأنك متعبد بالحلم، مثاب عليه، قال الله تَعَالَىٰ: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورىٰ: ٤٠]، وقال ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [الشورىٰ:٤٣]».[1]

وفي الملحق التالي ما يعين -بإذن الله- علىٰ التخلق بخلق الحلم والاتصاف به.



(١) الأسنىٰ، القرطبي (١/ ٩٧-٩٨).

«حليم يحب الحلماء»



في موضوع الحلم سنتطرق للمسائل التالية:

أولًا: تعريف الحلم:

قال الجرجاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحلم هو الطمأنينة عند سورة الغضب، وقيل: تأخير مكافأة الظالم - أي: مجازاته علىٰ ظلمه-»[(١)].

وقال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحلم هو احتمال الأعلىٰ الأذىٰ من الأدنىٰ، أو رفع المؤاخذة عن مستحقها بالجناية في حق مستعظم، أو هو رزانة في البدن يقتضيها وفور العقل»[(٢)(٣)].

ثانيًا: فضائل الحلم:

الحلم من الصفات المحمودة التي رغب فيها الإسلام، وبيَّن فضلها في الكتاب والسنة، ومن هذه الفضائل:

١- أن الحلم من صفات عباد الله الصالحين، قال الله تَعَالَىٰ: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ [الفرقان:٦٣]،

---

(١) التعريفات (ص٩٢).

(٢) التوقيف علىٰ مهمات التعاريف (ص١٤٦).

(٣) ينظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، لابن حميد (٥/ ١٧٣٦).

قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «حلماء لا يجهلون، وإن جهل عليهم حلموا»[1].

٢- أن الحلم من الصفات التي يحبها الله؛ فعن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله لأشج عبد القيس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ، وَالْأَنَاةُ**»[2]، وعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَىٰ الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَىٰ الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَىٰ مَا سِوَاهُ**»[3].

٣- أن الحلم سبب لإعانة الله للعبد؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ «**يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ فَقَالَ: لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ**[4]**، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَىٰ ذَلِكَ**»[5].

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومعناه: كأنما تطعمهم الرماد الحار، وهو تشبيه لما يلحقهم من الألم بما يلحق آكل الرماد الحار من الألم، ولا شيء علىٰ هذا المحسن، بل ينالهم الإثم العظيم في قطيعته وإدخالهم الأذىٰ عليه، وقيل: معناه إنك بالإحسان إليهم تخزيهم وتحقرهم في أنفسهم؛ لكثرة إحسانك

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ١٢٢).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٩٢٧)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٥٩٣)، واللفظ له.

(٤) تسفهم: من السف، أي: تذر الشيء عليهم.
الملّ: الرماد الحار. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٣٧٥)، شرح النووي علىٰ مسلم (١٦/ ١١٥).

(٥) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٥٥٨).

وقبيح فعلهم من الخزي والحقارة عند أنفسهم كمن يسف المل، وقيل: ذلك الذي يأكلونه من إحسانك كالمل يحرق أحشاءهم»[1].

٤- أن الحلم سبب لدفاع الملائكة عن صاحبه؛ فعن سعيد بن المسيب، أنه قال: «بينما رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جالس ومعه أصحابه وقع رجل بأبي بكر، فآذاه، فصمت عنه أبو بكر ثم آذاه الثانية، فصمت عنه أبو بكر، ثم آذاه الثالثة، فانتصر منه أبو بكر، فقام رسول الله حين انتصر أبو بكر، فقال أبو بكر: أوجدت علي يا رسول الله؟ فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **نَزَلَ مَلَكٌ مِنَ السَّمَاءِ يُكَذِّبُهُ بِمَا قَالَ لَكَ، فَلَمَّا انْتَصَرْتَ وَقَعَ الشَّيْطَانُ، فَلَمْ أَكُنْ لِأَجْلِسَ إِذْ وَقَعَ الشَّيْطَانُ**»[2].

٥- أن من أوتي الحلم- الذي من أعلىٰ صوره وأجلها: العفو عن المسيء مع الإحسان إليه- أوتي حظًّا عظيمًا، قال تَعَالَى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[فصلت:٣٤، ٣٥].

٦- أن الحلم سبب لنيل الدرجات العلىٰ والجزاء الأوفىٰ في الآخرة، قال تَعَالَى: ﴿**وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [آل عمران:١٣٣، ١٣٤] إلىٰ

(١) شرح النووي علىٰ مسلم (١٦/ ١١٥).

(٢) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٤٨٩٦)، حكم الألباني: حسن لغيره، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٢٣٧٦).

أن قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾ [آل عمران:١٣٦].

وقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ في حديث معاذ بن أنس الجهني رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ: «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنْفِذَهُ دَعَاهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ، حَتَّىٰ يُخَيِّرَهُ مِنْ أَيِّ الْحُورِ شَاءَ»(١).

٧- أن الحلم من خلق الأنبياء عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ، قال تَعَالَىٰ عن إبراهيم: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ﴾ [التوبة:١١٤]، وقال عن إسماعيل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ﴾ [الصافات:١٠١]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد انطوت البشارة علىٰ ثلاث: علىٰ أن الولد غلام ذكر، وأنه يبلغ الحلم، وأنه يكون حليمًا، وأي حلم أعظم من حلمه حين عرض عليه أبوه الذبح، فقال: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات:١٠٢]؟

وقيل: لم ينعت الله الأنبياء بأقل من الحلم؛ وذلك لعزة وجوده، ولقد نعت إبراهيم به في قوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ﴾ [التوبة:١١٤] ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ﴾ [هود:٧٥]؛ لأن الحادثة شهدت بحلمهما: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات:١٠٢](٢).

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٥٨٧٧)، وأبو داود، رقم الحديث: (٤٧٧٧)، والترمذي، رقم الحديث: (٢٠٢١)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٤١٨٦)، حكم الألباني: حسن، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٦٥٢٢).

(٢) مجموع الفتاوىٰ، لابن تيمية (٤/ ٣٣٢).

وقال عن شعيب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حكاية لقول قومه له: ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ [هود:٨٧]، وقال عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[القلم:٤].

ومنه الحلم الذي نطقت به سيرته وشهدت به مواقفه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن ذلك:

١- ما رواه أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَذَهُ بِرِدَائِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً، حَتَّىٰ نَظَرْتُ إِلَىٰ صَفْحَةِ عَاتِقِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الْبُرْدِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ ضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ»(١).

٢- ما روته أم المؤمنين عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا «أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلْ أَتَىٰ عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ ؟ قَالَ : لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَىٰ ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَىٰ مَا أَرَدْتُ فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَىٰ وَجْهِي فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي فَقَالَ : إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ فَقَالَ : ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ؟

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٨٠٩)، ومسلم، رقم الحديث: (١٠٥٧).

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»(١).

٣- عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: « دَخَلَ رَهْطٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكُمْ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَفَهِمْتُهَا فَقُلْتُ: وَعَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ قَالَتْ، **فَقَالَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **مَهْلًا يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ**، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَدْ **قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ**»(٢).

ثالثًا: وسائل تعين على الاتصاف بصفة الحلم:

الحلم من الصفات الجبلية التي يمتن الله بها علىٰ بعض عباده، كما امتن بها علىٰ الأشج رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فقد قال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ فِيكَ خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ**، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَا أَتَخَلَّقُ بِهِمَا، أَم اللهُ جَبَلَنِي عَلَيْهِمَا؟ **قَالَ: بَلِ اللهُ جَبَلَكَ عَلَيْهِمَا**، قَالَ: الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي جَبَلَنِي عَلَىٰ خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ وَرَسُولُهُ»(٣).

ومع ذلك فالحلم من الصفات المكتسبة- أيضًا- لذا جاء في حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ، مَنْ يَتَحَرَّىٰ الْخَيْرَ يُعْطَهُ، وَمَنْ يَتَّقِ الشَّرَّ يُوقَهُ**»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣٢٣١)، ومسلم، رقم الحديث: (١٧٩٥).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٠٢٤)، ومسلم، رقم الحديث: (٢١٦٥).

(٣) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٥٢٢٥)، والطبراني في الكبير، رقم الحديث: (٥٣١٣)، حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٥٢٢٥).

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، رقم الحديث: (٢٦٦٣)، وابن شاهين في الترغيب في فضائل الأعمال، رقم الحديث: (٢٤٣)، حكم الألباني: حسن، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٢٣٢٨).

وهذا ذكر لبعض الوسائل التي تعين علىٰ هذا الخلق الكريم:

١- تذكر كثرة حلم الله علىٰ العبد:

قال أبُو حاتم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الواجب علىٰ العاقل إذا غضب واحتد: أن يذكر كثرة حلم الله عنه، مع تواتر انتهاكه محارمه، وتعديه حرماته، ثم يحلم ولا يخرجه غيظه إلىٰ الدخول في أسباب المعاصي»[1].

٢- تذكر الفضل والثواب المترتب علىٰ الحلم.

٣- استشعار أن مقابلة المسيء بجنس عمله لا تفيد شيئًا، ولا تزيد العداوة إلا شدة، وبضد ذلك الحلم عليه والإحسان إليه فإنه يقلب العداوة مودة، كما قال أصدق القائلين: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤][2].

٤- ترويض النفس علىٰ الصبر والتخلق به؛ فقد بين الله عَزَّوَجَلَّ أن السبيل للعفو عن المسيء ومقابلة إساءته بالإحسان الذي هو من أعظم صور الحلم سبيله الصبر، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾ [فصلت: ٣٤، ٣٥] قال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالصابر مرتاض بتحمل المكاره وتجرع الشدائد وكظم الغيظ، فيهون عليه ترك الانتقام»[3].

---

(١) روضة العقلاء، لابن حبان (ص٢١٢).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص٧٤٩).

(٣) التحرير والتنوير (٢٤/ ٢٩٥).

٥- الابتعاد عن الغضب وأسبابه، ومعالجته إذا وقع؛ وذلك لأنه يدفع صاحبه إلىٰ الحقد والانتقام ومقابلة السوء بالسوء، ويصعب معه الحلم، قال لقمان الحكيم: «ثلاثة لا يعرفون إلا عند ثلاثة: لا يعرف الحليم إلا عند الغضب، ولا يعرف الشجاع إلا عند الحرب، ولا يعرف الأخ إلا عند الحاجة»[1].

وقد أرشد النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ ذلك، فأوصىٰ بالابتعاد عنه، كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن رجلًا قال للنبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أوصني، قال: «**لَا تَغْضَبْ**»، فَرَدَّدَ مِرَارًا قَالَ: «**لَا تَغْضَبْ**»[2].

وبين الطرق العملية لمعالجته إذا وقع، فمنها:

١- الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم؛ فعن سليمان بن صرد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: «كنت جالسًا مع النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورجلان يستبان، فأحدهما احمر وجهه، وانتفخت أوداجه، فقال النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ**»،[3] وذلك لأن الغضب من نزغه[4].

٢- الوضوء؛ فعن عطية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الْغَضَبَ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنَ النَّارِ، وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالْمَاءِ، فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ**»[5].

---

(١) إحياء علوم الدين (٣/ ١٧٩).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦١١٦).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣٢٨٢)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٦١٠).

(٤) ينظر: شرح النووي علىٰ مسلم (١٦/ ١٦٣).

(٥) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٨٢٦٨)، وأبو داود، رقم الحديث: (٤٧٨٤)، حكم الألباني: ضعيف، ضعيف الجامع الصغير، رقم الحديث: (١٥١٠).

٣- السكوت؛ فعن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه قال: «**عَلِّمُوا، وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْكُتْ**»[١].

٤- تغير الحال الذي يكون عليه؛ فعن أبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ، فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ وَإِلَّا فَلْيَضْطَجِعْ**»[٢]. قال الخطابي رَحِمَهُٱللَّهُ: «القائم متهيئ للحركة والبطش، والقاعد دونه في هذا المعنىٰ، والمضطجع ممنوع منهما، فيشبه أن يكون النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إنما أمره بالقعود والاضطجاع؛ لئلا يبدر منه في حال قيامه وقعوده بادرة يندم عليها في ما بعد»[٣].

اللهمَّ يا حليمُ يا غفورُ سبحانِكَ وبحمدِكَ، أسألُكَ حِلْمَكَ ومَغْفرَتَكَ.



---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢١٦٨)، والبخاري في الأدب المفرد، رقم الحديث: (٢٤٥)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع، رقم الحديث: (٤٠٢٧).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢١٧٤٤)، وأبو داود، رقم الحديث: (٤٧٨٢)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٤٧٨٢).

(٣) معالم السنن (٤/ ١٠٨).

الحَمِيْدُ جَلَّجَلَالُهُ



المعنى اللغوي:

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحمد: نقيض الذم، تقول: حمدت الرجل، أحمده حمدًا ومحمدة، فهو حميد ومحمود، والتحميد أبلغ من الحمد، والحمد أعم من الشكر، والمحمد: الذي كثرت خصاله المحمودة»[1].

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(حمد) الحاء والميم والدال كلمة واحدة وأصل واحد، يدل على خلاف الذم، يقال: حمدت فلانًا أحمده، ورجل محمود ومحمد: إذا كثرت خصاله المحمودة غير المذمومة، ويقول العرب: حماداك أن تفعل كذا، أي: غايتك وفعلك المحمود منك غير المذموم، ويقال: أحمدت فلانًا، إذا وجدته محمودًا»[2].

ورود اسم الله (الحَمِيد) في القرآن الكريم:

ورد اسم (الحَمِيد) سبع عشرة مرة في كتاب الله، ومن وروده ما يلي:

١- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾[البقرة:٢٦٧].

(١) الصحاح (٢/ ٢٨).

(٢) مقاييس اللغة (٢/ ١٠٠).

٢- وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود:٧٣].

٣- وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [الحج:٢٤].

ورود اسم الله (الحَمِيد) في السنة النبوية:

ورد اسم الله (الحَمِيد) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

عن أبي حميد الساعدي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنهم قالوا: «يا رسول الله كيف نصلي عليك؟ فقال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا بَارَكْتَ عَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**»(١).

معنى اسم الله (الحَمِيد) في حقه سُبْحَانَهُ:

❊ **قال الطبري** رَحِمَهُٱللَّهُ: «هو المحمود عند خلقه بما أولاهم من نعمه، وبسط لهم من فضله»(٢)، وقال- في موضع آخر-: «والحميد الذي استوجب عليكم- أيها الخلق- الحمد بصنائعه الحميدة إليكم وآلائه الجميلة لديكم، فاستديموا ذلك- أيها الناس- باتقائه، والمسارعة إلىٰ طاعته فيما يأمركم به وينهاكم عنه»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣٣٦٩).

(٢) تفسير الطبري (٤/ ٧١١).

(٣) المرجع السابق (٧/ ٥٧٩).

❊ **قال الزَّجّاج** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحميد هو فعيل في معنىٰ: مفعول، والله تَعَالَى هو المحمود بكل لسان وعلىٰ كل حال، كما يقال في الدعاء: الحمد لله الذي لا يحمد علىٰ الأحوال كلها سواه»(١).

❊ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(والحميد) هو المحمود الذي استحق الحمد بأفعاله، وهو فعيل بمعنىٰ: مفعول، وهو الذي يحمد في السراء والضراء، وفي الشدة والرخاء؛ لأنه حكيم لا يجري في أفعاله الغلط، ولا يعترضه الخطأ، فهو محمود علىٰ كل حال»(٢).

❊ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحميد هو الذي له من الصفات وأسباب الحمد ما يقتضي أن يكون محمودًا، وإن لم يحمده غيره، فهو حميد في نفسه، والمحمود من تعلق به حمد الحامدين»(٣).

❊ **قال ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهو (الحميد) أي: المحمود في جميع أفعاله وأقواله، وشرعه وقدره لا إله إلا هو ولا رب سواه»(٤).

❊ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحميد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، فله من الأسماء أحسنها، ومن الصفات أكملها، ومن الأفعال أتمها وأحسنها؛ فإن أفعاله تَعَالَى دائرة بين الفضل والعدل»(٥).

---

(١) تفسير أسماء الله الحسنىٰ (ص٥٥).

(٢) شأن الدعاء (ص٧٨).

(٣) جلاء الأفهام (ص٣١٦).

(٤) تفسير ابن كثير (١/ ٣٢١).

(٥) تفسير السعدي (ص٩٤٦).

❁ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في النونية:**

وَهْـوَ الحَمِيـدُ فَـكُلُّ حَمْـدٍ وَاقِـعٍ ... أَوْ كَانَ مَفْرُوضًـا مَـدَىٰ الأَزْمَـانِ
مَـلَأَ الوُجُـودَ جَمِيعَـهُ وَنَظِيـرَهُ ... مِـنْ غَيْـرِ مَـا عَـدٍّ وَلَا حُسْـبَانِ
هُـوَ أَهْلُـهُ سُـبْحَانَهُ وَبِحَمْـدِهِ ... كُلُّ المَحَامِدِ وَصْفُ ذِي الإِحْسَانِ[1]

الفرق بين الحمد والشكر:

الشكر أعم من جهة أنواعه وأسبابه، وأخص من جهة متعلقاته، والحمد أعم من جهة المتعلقات، وأخص من جهة الأسباب.

ومعنىٰ هذا: أن الشكر يكون بالقلب خضوعًا واستكانة، وباللسان ثناء واعترافًا، وبالجوارح طاعة وانقيادًا.

ومتعلقه: النعم، دون الأوصاف الذاتية، فلا يقال: شكرنا الله علىٰ حياته وسمعه وبصره وعلمه- وهو المحمود عليها- كما هو محمود علىٰ إحسانه وعدله، والشكر يكون علىٰ الإحسان والنعم.

فكل ما يتعلق به الشكر يتعلق به الحمد من غير عكس، وكل ما يقع به الحمد يقع به الشكر من غير عكس؛ فإن الشكر يقع بالجوارح، والحمد يقع بالقلب واللسان[2].

---

(١) النونية (ص٢٠٤).

(٢) مدارج السالكين، لابن القيم (٢/ ٢٣٧).

اقتران اسم الله (الحَمِيد) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ فِي القرآن الكريم:

أولًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (الحميد) باسمه سُبْحَانَهُ (العزيز):

وذلك في ثلاثة مواضع، ومنها: قوله تَعَالَى: ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [البروج: ٨].

وجه الاقتران:

يقال: «العزة صفة كمال لله عَزَّوَجَلَّ، والحمد صفة كمال أخرىٰ، واقتران العزة بالحمد صفة كمال ثالثة لله تَعَالَى، فله الحمد علىٰ عزته وغلبته، وعلىٰ إعزازه لأوليائه، ونصره لحزبه وجنده»(١).

ويتلخص من هذا معنيان:

- أن له الحمد علىٰ عزته وغلبته، وعلىٰ إعزازه لأوليائه، ونصره لجنده وحزبه.

- أن العزة تحمل- في الغالب- علىٰ التعسف والظلم والقهر، أما الله عَزَّوَجَلَّ فمع عزته الكاملة إلا أنه محمود في هذه العزة؛ فهي عزة تحمله علىٰ كمال العدل.

ثانيًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (الحميد) باسمه سُبْحَانَهُ (الغني):

وذلك في عشرة مواضع في كتاب الله، ومن وروده: قوله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَلَا

---

(١) مطابقة أسماء الله الحسنىٰ مقتضىٰ المقام في القرآن الكريم، لنجلاء الكردي (ص٢٠٨).

تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة:٢٦٧].

وجه الاقتران:

يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإنه سُبْحَانَهُ طيب لا يقبل إلا طيبًا، ثم ختم الآيتين بصفتين يقتضيهما سياقهما، فقال: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة:٢٦٧]، فغناه وحمده يأبىٰ قبول الرديء، فإن قابل الرديء الخبيث، إما أن يقبله لحاجته إليه، وإما أن نفسه لا تأباه لعدم كمالها وشرفها، وأما الغني عنه الشريف القدر الكامل الأوصاف؛ فإنه لا يقبله»[1].

وكذلك يقال في وجه هذا الاقتران مثل ما قيل في اقتران اسمي الله العزيز والحميد؛ فإن الغنىٰ في العادة يقود إلىٰ الطغيان والبطر، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ﴾ [العلق: ٦-٧] أما غنىٰ الرب المحمود بأفعاله؛ فهو غنىٰ مع البذل والعطاء، الذي يستوجب الحمد والثناء.

ثالثًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (الحميد) باسمه سُبْحَانَهُ (الحكيم):

وذلك مرة واحدة في كتاب الله: في قوله تَعَالَىٰ: ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾ [فصلت: ٤٢].

وجه الاقتران:

يقول الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ﴾ في خلقه وأمره، يضع كل شيء موضعه وينزله منازله، ﴿حميد﴾ علىٰ ما له من صفات الكمال

(١) طريق الهجرتين، لابن القيم (ص٣٧٤).

ونعوت الجلال، وعلىٰ ما له من العدل والإفضال؛ فلهذا كان كتابه مشتملًا علىٰ تمام الحكمة، وعلىٰ تحصيل المصالح والمنافع، ودفع المفاسد والمضار التي يحمد عليها»[1].

رابعًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (الحميد) باسمه سُبْحَانَهُ (المجيد):

وذلك مرة واحدة في كتاب الله: في قوله تَعَالَى: ﴿ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَـٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾ [هود: ٧٣].

وجه الاقتران:

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والحمد والمجد إليهما يرجع الكمال كله؛ فإن الحمد يستلزم الثناء والمحبة للمحمود، فمن أحببته ولم تثن عليه لم تكن حامدًا له، وكذا من أثنيت عليه- لغرض ما- ولم تحبه لم تكن حامدًا له حتىٰ تكون مثنيًا عليه محبًّا، وهذا الثناء والحب تبع للأسباب المقتضية له، وهو ما عليه المحمود من صفات الكمال ونعوت الجلال، والإحسان إلىٰ الغير، فإن هذه هي أسباب المحبة، وكلما كانت هذه الصفات أجمع وأكمل، كان الحمد والحب أتم وأعظم، والله سُبْحَانَهُ له الكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه ما، والإحسان كله له ومنه، فهو أحق بكل حمد، وبكل حب من كل جهة، فهو أهل أن يحب لذاته، ولصفاته، ولأفعاله، ولأسمائه، ولإحسانه، ولكل ما صدر منه سُبْحَانَهُ، وأما المجد فهو مستلزم للعظمة، والسعة، والجلال، كما يدل عليه موضوعه في اللغة، فهو دال علىٰ صفات العظمة والجلال، والحمد يدل علىٰ صفات الإكرام»[2].

---

(١) تفسير السعدي (ص٧٥٠).

(٢) جلاء الأفهام (ص٣١٦).

خامسًا: اقترن اسمه سُبْحَانَهُ (الحميد) باسمه سُبْحَانَهُ (الولي):

وذلك مرة واحدة في كتاب الله: في قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الشورىٰ: ٢٨].

وجه الاقتران:

يقول السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو الولي الذي يتولىٰ عباده بأنواع التدبير، ويتولىٰ القيام بمصالح دينهم ودنياهم، الحميد في ولايته وتدبيره، الحميد علىٰ ما له من الكمال، وما أوصله إلىٰ خلقه من أنواع الإفضال»[1].

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (الحَمِيد):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (الحميد) من الصفات:

الله سُبْحَانَهُ هو له الحمد كاملًا تامًّا، وذلك من وجهين، يقول السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**والله** سُبْحَانَهُ **حميد من وجهين:**

أحدهما: أن جميع المخلوقات ناطقة بحمده، فكل حمد وقع من أهل السماوات والأرض الأولين منهم والآخرين، وكل حمد يقع منهم في الدنيا والآخرة، وكل حمد- لم يقع منهم، بل كان مفروضًا ومقدرًا؛ حيثما تسلسلت الأزمان واتصلت الأوقات حمدًا يملأ الوجود كله، العالم العلوي والسفلي، ويملأ نظير الوجود من غير عد ولا إحصاء؛ فإن الله تَعَالَىٰ مستحقه كله لا غيره.

ثانيهما: أنه يحمد علىٰ ماله من الأسماء الحسنىٰ والصفات الكاملة العليا، والمدائح والمحامد والنعوت الجليلة الجميلة، فله كل صفة كمال،

---

(١) تفسير السعدي (١/ ٧٥٨).

وله من تلك الصفة أكملها وأعظمها، فكل صفة من صفاته يستحق عليها أكمل الحمد والثناء، فكيف بجميع الأوصاف المقدسة، فله الحمد لذاته، وله الحمد لصفاته، وله الحمد لأفعاله؛ لأنها دائرة بين أفعال الفضل والإحسان، وبين أفعال العدل والحكمة التي يستحق عليها كمال الحمد، وله الحمد علىٰ خلقه، وعلىٰ شرعه، وعلىٰ أحكامه القدرية، وأحكامه الشرعية، وأحكام الجزاء في الأولىٰ والآخرة، وتفاصيل حمده وما يحمد عليه لا تحيط بها الأفكار، ولا تحصيها الأقلام»(١).

الأثر الثاني: دلالة اسم الله (الحميد) علىٰ التوحيد:

من تأمل في اسم الله الحميد، وما فيه من دلائل كمال الذات والأسماء والصفات؛ علم أنه لا إله تنبغي له الألوهية والربوبية غيره.

- وقد مدح الله نفسه علىٰ تفرده في الألوهية، وامتناعه عن الاتصاف بما لا يليق به من اتخاذ الولد والشريك، أو موالاة أحد من الخلق لحاجة له، فقال تَعَالَىٰ: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴾[الإسراء:١١١].

- ومدح الله نفسه علىٰ تفرده في الربوبية، فقال: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الجاثية:٣٦، ٣٧] وقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[الفاتحة:٢].

وكما أن اسم الله الحميد دال علىٰ الربوبية والألوهية، فكذا هو دال علىٰ الأسماء والصفات؛ إذ كل أسمائه وصفاته حمد تَعَالَىٰ سُبْحَانَهُ وتقدس.

---

(١) تفسير أسماء الله الحسنىٰ (ص١٩٠).

الأثر الثالث: كل ما في الكون يحمد الله سُبْحَانَهُ:

يقول السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ- عند تفسيره لقوله تَعَالَى-: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡ﴾ [الإسراء:٤٤]، «أي: من حيوان ناطق وغير ناطق، ومن أشجار ونبات وجامد، وحي وميت ﴿إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ﴾ بلسان الحال، ولسان المقال، ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡ﴾ أي: تسبيح باقي المخلوقات التي علىٰ غير لغتكم، بل يحيط بها علام الغيوب»[(١)].

كما ثبت في صحيح البخاري عن ابن مسعود أنه قال: «وَلَقَدْ كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وَهُوَ يُؤْكَلُ»[(٢)]، ويقول سُبْحَانَهُ- في موضع آخر-: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُۤ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُ﴾ [الحج:١٨]، ومن تأمل هذه الآية بقلبه علم أن الخلائق كلها ما أدركناه وما لم ندركه، والأفلاك والأجرام جميعها ماعلمناه، وما لم نعلمه، والجبال والأشجار والدواب، كل تلك الحشود تسير في موكب واحد خاشع تسجد كلها لله، وتتجه له وحده دون سواه، إلا ذلك الإنسان، فهو وحده الذي اختلف حاله وانقسم مصيره، ﴿وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُ﴾ [الحج:١٨].

وإنما كان كل ما في الكون حامدًا لله؛ لأنه ملك له، فعمومية الحمد بعمومية الملك.

---

(١) تفسير السعدي (١/ ٤٥٨).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣٥٧٩).

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في هذا-: «الملك والحمد في حقه متلازمان، فكل ما شمله ملكه وقدرته شمل حمده، فهو محمود في ملكه، وله الملك والقدرة مع حمده، فكما يستحيل خروج شيء من الموجودات عن ملكه وقدرته يستحيل خروجها عن حمده وحكمته؛ ولهذا يحمد سُبْحَانَهُ نفسه عند خلقه وأمره، لينبه عباده علىٰ أن مصدر خلقه وأمره عن حمده، فهو محمود علىٰ كل ما خلقه وأمر به حمد شكر وعبودية، وحمد ثناء ومدح، ويجمعهما التبارك، فتبارك الله يشمل ذلك كله؛ ولهذا ذكر هذه الكلمة عقيب قوله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤].

فالحمد أوسع الصفات، وأعم المدائح والطرق إلىٰ العلم به في غاية الكثرة، والسبيل إلىٰ اعتباره في ذرات العالم وجزئياته، وتفاصيل الأمر والنهىٰ واسعة جدًا؛ لأن جميع أسمائه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ حمد، وصفاته حمد، وأفعاله حمد، وأحكامه حمد، وعدله حمد، وانتقامه من أعدائه حمد، وفضله في إحسانه إلىٰ أوليائه حمد، والخلق والأمر إنما قام بحمده، ووجد بحمده، وظهر بحمده، وكان الغاية هي حمده، فحمده سبب ذلك وغايته ومظهره وحامله، فحمده روح كل شيء، وقيام كل شيء بحمده، وسريان حمده في الموجودات، وظهور آثاره فيه أمر مشهود بالأبصار والبصائر»[1].

والحمد لله سُبْحَانَهُ ممتد في الدنيا والآخرة، يقول سُبْحَانَهُ: ﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [القصص:٧٠]، وممتد كذلك في السماء والأرض، يقول تَعَالَىٰ: ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ [الروم:١٨]،

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص١٤- ١٩).

وممتد عبر الزمان يقول سُبْحَانَهُ: ﴿ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ [الروم:١٧].

الأثر الرابع: الحمد المطلق لله وحده:

فالحمد من أوله إلىٰ آخره مستحق لله تَعَالَىٰ، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الزمر:٧٥]، فالألف واللام في الحمد تدل علىٰ الاستغراق، أي: هو الذي له جميع المحامد بأسرها، ولا يكون ذلك لأحد إلا لله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ فهو حميد في ذاته، وفي أسمائه، وفي صفاته، وفي أفعاله، وفي كل شأن من شؤونه.

يقول ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ- في معنىٰ قول: (الحمد كله لله)-: «فإذا قيل: الحمد كله لله، فهذا له معنيان:

أحدهما: أنه محمود علىٰ كل شيء، وهو مايحمد به رسله وأنبياؤه وأتباعهم، فذلك من حمده عَزَّوَجَلَّ، بل هو المحمود بالقصد الأول، والمحمود أولًا وآخرًا، ظاهرًا وباطنًا...

أما المعنىٰ الثاني: أن يقال: (لك الحمد كله) أي: الحمد التام الكامل، وهذا مختص بالله ليس لغيره فيه شركة، والتحقيق: أن له الحمد بالمعنيين جميعًا، فله عموم الحمد وكماله، وهذا من خصائصه سُبْحَانَهُ»(١).

الأثر الخامس: افتتاح كل أمر بحمده تعالىٰ، واختتامه به:

- افتتح الله الخلق بالحمد في قوله سُبْحَانَهُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام:١]،

(١) أسماء الله الحسنىٰ (ص٢٠٧).

واختتمه بالحمد- أيضًا- في قوله: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الزمر:٧٥]».

- أهل الجنة يفتتحون دخولهم الجنة بالحمد، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف:٤٣]، وآخر دعواهم في الجنة: الحمد لله، يقول عَزَّوَجَلَّ: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس:١٠].

- خطبة الحاجة مفتتحة بالحمد لله، وقد كان النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يبدأ بها كل خطاب، وهي: «**إِنَّ الْحَمْدَ لِلهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ**»[١].

كل تفاصيل حياة المؤمن تبدأ بالحمد وتختم به، ومن ذلك: النوم[٢]، فقد كان النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إذا أوىٰ إلىٰ فراشه، قال: «**الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا، وَسَقَانَا، وَكَفَانَا، وَآوَانَا فَكَمْ مِمَّنْ لَا كَافِيَ لَهُ، وَلَا مُؤْوِيَ**»[٣]، فإذا استيقظ قال: «**الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**»[٤].

---

(١) أخرجه ابن ماجه، رقم الحديث: (١٨٩٢)، والدارمي، رقم الحديث: (١٨٩٢)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف ابن ماجه رقم الحديث: (١٨٩٢).

(٢) سنذكر في الملحق الكثير من مواضع الحمد؛ لذا فقد اكتفينا هنا بالإشارة إلىٰ موضع واحد.

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٧١٥).

(٤) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٣٢٥)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٧١١).

الأثر السادس: لا نحصي ثناء علىٰ الحميد سُبْحَانَهُ:

من تأمل الشواهد القرآنية وجد أن الحميد سُبْحَانَهُ نوَّع حمده، وأسباب حمده، فجمعها تارةً وفرقها أخرىٰ؛ ليتعرف العبيد علىٰ ربهم، ويتعلموا كيف يحمدوه ويثنوا عليه.

ويمكن تقسيم هذه المحامد والنعم إلىٰ قسمين:

محامد ونعم دينية:

١- حمده علىٰ وحدانيته، وتعاليه عن الشريك والنظير والمثيل:

فإن من أعظم نعم الحميد سُبْحَانَهُ أن جعلنا عبيدًا له خاصة، ولم يجعلنا منقسمين بين شركاء متشاكسين، فالحميد سُبْحَانَهُ حمد نفسه علىٰ ربوبيته للعالمين، فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس:١٠]، وعلىٰ تفرده وامتناعه عما ينافي الكمال من اتخاذ الولد والشريك، فقال تَعَالَىٰ: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾ [الإسراء:١١١].

وحمد نفسه بكونه حيًّا لا يموت؛ لتضمنه كمال حياته، فقال تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [غافر:٦٥]، ولنعلم بأن حقيقة الحمد تابعة لإثبات أوصاف الكمال، ولهذا لا يحمد نفسه سُبْحَانَهُ بعدم إلا إذا كان متضمنًا لثبوت كمال.

٢- حمده علىٰ كمال ملكه:

يقول الله -حامدًا نفسه علىٰ كمال ملكه-: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى

ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴾ [سبأ:١-٢].

وكيف لا يحمد سُبْحَانَهُ علىٰ كمال خلقه، وهو: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [السجدة:٧]، وعلىٰ صنعه وقد أتقنه ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ [النمل:٨٨].

٣- حمده علىٰ نور التوحيد، وجعله وسيلة النجاة لسائر العبيد:

فمن محامد الرب سُبْحَانَهُ: أن هدىٰ عباده المتقين إلىٰ سبيل دار السلام، وحبب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان، وجعلهم من الراشدين، وكتب في قلوبهم الإيمان، وأيدهم بروح منه، وسماهم المسلمين قبل أن يخلقهم، وذكرهم قبل أن يذكروه، وأعطاهم قبل أن يسألوه، وتحبب إليهم بنعمه مع غناه عنهم، وفقرهم إليه، ومع هذا كله فقد جعل لهم دارًا وأعد لهم فيها من كل ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين، وملأها من جميع الخيرات، وأودعها من النعيم والسرور والبهجة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علىٰ قلب بشر، ثم يسر لهم الأسباب التي توصلهم إليها وأعانهم عليها.

وضمن لهم إن أحسنوا أن يثيبهم بالحسنة عشرًا، وإن أساءوا واستغفروه أن يغفر لهم، ووعدهم أن يمحو ما جنوه من السيئات بما يفعلونه بعدها من الحسنات، وذكرهم بآلائه، وتعرف إليهم بأسمائه، وأمرهم بما أمرهم به رحمة منه بهم وإحسانًا، لا حاجة منه إليهم، ونهاهم عما نهاهم عنه حماية وصيانة لهم، لا بخلًا منه عليهم، وأمرهم بأشرف الخصال، ونهاهم عن أقبح الأقوال والأعمال.

وصرف لهم الآيات، وضرب لهم الأمثال، ووسع لهم طرق العمل به ومعرفته، وفتح لهم أبواب الهداية، وعرفهم الأسباب التي تدنيهم من رضاه، وتبعدهم عن غضبه، وخاطبهم بألطف الخطاب وأحلاه، ونصحهم بأحسن النصائح، ووصاهم بأكمل الوصايا، وسماهم بأحسن أسمائهم.

ومن أمثلة ذلك: قوله سُبْحَانَهُ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم:٨]، وقوله: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور:٣١]، وقوله: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]، ﴿قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَـٰلٌ﴾ [إبراهيم:٣١]، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة:١٨٦].

٤- حمده علىٰ إنزال القرآن وإرسال الرسل:

يقول الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ- عند تفسيره لقوله تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الكهف:١-٢]-:

«إن أجلَّ نعمه علىٰ الإطلاق: إنزاله الكتاب العظيم علىٰ عبده ورسوله محمد

صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فحمد نفسه، وفي ضمنه إرشاد العباد ليحمدوه علىٰ إرسال الرسول إليهم، وإنزال الكتاب عليهم»[1].

محامد ونعم دنيوية:

١- حمده علىٰ تسخير الكون لخدمة عبيده:

ولعل من أفضل ماقيل في ذلك: **قول ابن القيم** رَحِمَهُٱللَّهُ: «الدنيا قرية، والمؤمن رئيسها، والكل مشغول به، ساع في مصالحه، والكل قد أقيم في خدمته وحوائجه؛ فالملائكة الذين هم حملة عرش الرحمن ومن حوله يستغفرون له، والملائكة الموكلون به يحفظونه، والموكلون بالقطر والنبات يسعون في رزقه ويعملون فيه، والأفلاك سخرت منقادة دائرة بما فيه مصالحه، والشمس والقمر والنجوم مسخرات جاريات بحساب أزمنته وأوقاته وإصلاح رواتب أقواته.

والعالم الجوي مسخر له برياحه وهوائه وسحابه وطيره، وما أودع فيه، والعالم السفلي كله مسخر له مخلوق لمصالحه أرضه وجباله، وبحاره وأنهاره، وأشجاره وثماره، ونباته وحيوانه، وكل ما فيه، كما قال سُبۡحَانَهُۥ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقًا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِىَ فِى ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾ [إبراهيم:٣٢-٣٤]، فالسائر في معرفة آلاء الله وتأمل حكمته وبديع صفاته أطول باعًا، وأملأ صواعًا من اللصيق بمكانه، المقيم في بلد عادته وطبعه»[2].

---

(١) تفسير السعدي (١/ ٤٦٩).

(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٦٣).

٢- حمده علىٰ سائر النعم الظاهرة والباطنة:

من تأمل في نعم الله والكرامات التي ميز بها بني آدم عن غيرهم من المخلوقات وجد عجبًا، فقد فضل بنو آدم بالعقل والعلم، والبيان والنطق، والشكل والصورة الحسنة، والهيئة الشريفة، واكتساب العلوم بالاستدلال والفكر، والاستنباط والبحث والاستدلال، فضلًا عن الهداية والرزق والكسوة، وفي ذلك يقول الله تَعَالَىٰ في الحديث القدسي: «**يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَىٰ نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ**»(١).

ويقول سُبْحَانَهُ- في بيان نعمه: ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ [لقمان:٢٠] ويقول- كذلك-: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف:٢٦]، وغيرها من الشواهد كثير جدًّا.

الأثر السابع: محبة الحميد سُبْحَانَهُ:

معرفة اسم الله الحميد وآثاره ومعانيه، تورث في قلب العبد محبة عظيمة صادقة لله عَزَّوَجَلَّ، لا يشاركه فيها أحد من الخلق، وهذه المحبة بدورها تثمر

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٥٧٧).

عبوديات أخرىٰ، كالإخلاص لله تَعَالَى والحياء والأدب مع الله عَزَّوَجَلَّ، والقيام بأوامره تَعَالَى واجتناب نواهيه والتقرب إليه بطاعته، فالحمد يميز المؤمن عن غيره؛ فغير المؤمن يقف حبيس النعمة يتمتع بها غافلًا عن المنعم، أما المؤمن فينتقل مباشرة من شهود النعم والعطايا إلىٰ المنعم سُبْحَانَهُ وعظمته ورحمته ولطفه وبره وإحسانه وحكمته.

الأثر الثامن: (حمد الله علىٰ كل حال):

أقدار الله علىٰ العباد كلها محمودة، فالله عَزَّوَجَلَّ محمود علىٰ ما خلق وشرع ووهب ونزع، وكل أفعاله تَعَالَى إنما هي نعم ومنن في حق العبد، إن قابلها بما يجب لها من رضا وإحسان.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في ذلك-: «والرضا وإن كان من أعمال القلوب، فكماله هو الحمد، حتىٰ إن بعضهم فسر الحمد بالرضا؛ ولهذا جاء في الكتاب والسنة حمد الله علىٰ كل حال، وذلك بتضمن الرضا بقضائه، وفي الحديث: **(أَوَّلُ مَنْ يُدْعَىٰ إِلَىٰ الْجَنَّةِ الْحَمَّادُونَ الَّذِينَ يَحْمَدُونَ اللهَ عَلَىٰ السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ)**[1]».

وروت عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا: (كَانَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَتَاهُ الْأَمْرُ يَسُرُّهُ قَالَ: **الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ**»، وَإِذَا أَتَاهُ الْأَمْرُ يَكْرَهُهُ قَالَ: «**الْحَمْدُ لِلهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ**)[2].

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير، رقم الحديث: (١٢٣٤٥)، وأبو نعيم في الحلية (٥/ ٦٩)، حكم الألباني: ضعيف، ضعيف الجامع الصغير، رقم الحديث: (٤٩٥٦).

(٢) أخرجه ابن ماجه، رقم الحديث: (٣٨٠٣)، والحاكم، رقم الحديث: (١٨٤٦)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٨٧٦٩).

وعن أبي موسىٰ الأشعري أن رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (**إِذَا مَاتَ وَلَدُ الْعَبْدِ قَالَ اللهُ لِمَلَائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي! فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ! فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ، فَيَقُولُ اللهُ: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ**)[1].

ونبينا محمد صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو صاحب لواء الحمد، وأمته هم الحمادون الذين يحمدون الله علىٰ السراء والضراء.

والحمد علىٰ الضراء يوجبه مشهدان:

أحدهما: علم العبد بأن الله سُبْحَانَهُ مستوجب لذلك، مستحق له لنفسه؛ فإنه أحسن كل شيء خلقه، وأتقن كل شيء، وهو العليم الحكيم، الخبير الرحيم.

والثاني: علمه بأن اختيار الله لعبده المؤمن خير من اختياره لنفسه، فقد قال النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ -وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ- إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**»[2].

فأخبر النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن كل قضاء يقضيه الله للمؤمن الذي يصبر علىٰ البلاء ويشكر علىٰ السراء فهو خير له.

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢٠٠٣٩)، والترمذي، رقم الحديث: (١٠٢١)، حكم الألباني: حسن، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (١٤٠٨).

(٢) سبق تخريجه.

الأثر التاسع: ذكر حمد الحميد سُبْحَانَهُ في كل شعائر الدين:

من تأمل اسم الله الحميد وجد أن الله سُبْحَانَهُ بدأ أم الكتاب (سورة الفاتحة) بالحمد، وكذا كانت سيرة نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكان يفتح خطابه بالحمد دائمًا بخطبة الحاجة، وهي: «**إِنَّ الْحَمْدَ لِلهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ**»(١)، وفي الحديث: «**كُلُّ كَلَامٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِحَمْدِ اللهِ فَهُوَ أَجْذَمُ**»(٢)، وما من شعيرة من شعائر الدين إلا وتبدأ بحمد الحميد سُبْحَانَهُ(٣)، ومن ذلك:

١- أعظم كلمة وهي كلمة التوحيد تقرن كثيرًا بالحمد، ومن ذلك قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**»(٤).

٢- الصلاة وهي عمود الدين تبدأ بالحمد: «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ**

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٨٩٢)، والدارمي (١٨٩٢)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف ابن ماجه رقم الحديث: (١٨٩٢).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٨٧١٢)، وأبو داود، رقم الحديث: (٤٨٤٠)، والنسائي في الكبرىٰ، رقم الحديث: (١٠٢٥٢)، حكم الألباني: ضعيف، ضعيف الجامع الصغير، رقم الحديث: (٤٢٤٥).

(٣) سنقتصر هنا علىٰ إيراد بعض الشعائر، أما فضل الحمد والأذكار الخاصة به فهي في الملحق الخاص بهذا الاسم (الحميد).

(٤) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٣٨٥).

تَبَارَكَ اسْمُكَ وَتَعَالَىٰ جَدُّكَ وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ»[1]، ثم قراءة الفاتحة، وأول آياتها: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس:١٠]، ثم في الركوع والسجود، لحديث عقبة بن عامر: «كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا ركع قال: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ (ثلاثًا)، وَإِذَا سَجَدَ قَالَ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَىٰ وَبِحَمْدِهِ (ثلاثًا)»[2]، وكذا عند الرفع من الركوع؛ فعن علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أنه كان إذا رفع رأسه من الركوع قال: **سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّمَاوَاتِ وَمِلْءَ الْأَرْضِ وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ»**[3]، وفي التشهد- أيضًا-: «**إِنَّكَ حَمِيْدٌ مَجِيْدٌ**»، بل وكان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول- في دبر كل صلاة مكتوبة-: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ**»[4].

٣- الحج والعمرة، ففيهما يقول الحاج والمعتمر: «**لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ**»[5]، وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا قَفَلَ مِنْ غَزْوٍ أَوْ حَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ يُكَبِّرُ عَلَىٰ كُلِّ شَرَفٍ مِنَ الْأَرْضِ ثَلَاثَ تَكْبِيرَاتٍ، ثُمَّ

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٣٩٩).

(٢) أخرجه أبو داود رقم الحديث: (٨٧٠)، وابن ماجه رقم الحديث: (٨٧٠)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٤٧٣٤).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٧٧٦).

(٤) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٨٤٤)، ومسلم، رقم الحديث: (٥٩٣).

(٥) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (١٥٤٩)، ومسلم، رقم الحديث: (١٢١٨).



يَقُولُ: **لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ سَاجِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ، صَدَقَ اللهُ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ**»[1].



(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (١٧٩٧)، ومسلم، رقم الحديث: (١٣٤٤).

«الحميد يحب الحامدين»



في موضوع الحمد سنتطرق لعدة مسائل:

أولًا: تعريف الحمد:

الحمد: هو الثناء علىٰ الجميل من جهة التعظيم من نعمة وغيرها.

ثانيًا: من فضائل الحمد:

للحمد فضائل عدة، منها:

١- (الحمد لله) من أفضل الدعاء: يقول صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الْحَمْدُ لِلهِ**»[١]، «وسمىٰ الحمد لله دعاءً - وهو ثناء محض- لأن الحمد يتضمن الحب والثناء، والحب أعلىٰ أنواع الطلب للمحبوب، فالحامد طالب لمحبوبه؛ فهو أحق أن يسمىٰ داعيًا من السائل الطالب من ربه حاجة»[٢].

٢- (الحمد لله) هو خير الكلام وأحبه إلىٰ الله: يقول النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ أَحَبَّ الْكَلَامِ إِلَىٰ اللهِ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ**»[٣].

٣- (الحمد لله) سبب لمغفرة الذنوب: يقول النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ لِلهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللهَ**

---

(١) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٣٣٨٣)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٣٨٠٠)، حكم الألباني: حسن، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (١١٠٤).

(٢) بدائع الفوائد، لابن القيم (٣/ ٥٢١).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٧٣١).

تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَىٰ حَاجَتِكُمْ، قَالَ: فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ: مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالُوا: يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ .... فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ »[1].

٤- (الحمد لله) غراس الجنة: يقول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ عَذْبَةُ الْمَاءِ، وَأَنَّهَا قِيعَانٌ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ»[2].

٥- (الحمد لله) من الأذكار العظيمة التي تسابقت الملائكة لكتابتها؛ فعن رفاعة بن رافع ، قال: «كنا نصلي وراء النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فلما رفع رأسه من الركعة قال: سمع الله لمن حمده، فقال رجل وراءه: ربنا ولك الحمد، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، فلما انصرف قال: مَنِ الْمُتَكَلِّمُ آنِفًا؟ قال: أنا، قال: رَأَيْتُ بِضْعَةً وَثَلَاثِينَ مَلَكًا يَبْتَدِرُونَهَا، أَيُّهُمْ يَكْتُبُهَا أَوَّلَ»[3].

٦- بحمد الله تنال الرحمة: يقول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إِذَا قَالَ العَبْدُ: الْحَمْدُ لله كَثِيرًا، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: اكْتُبُوا لِعَبْدِي رَحْمَتِي كَثِيرًا»[4].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٤٠٨).

(٢) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٣٤٦٢)، والطبراني في الكبير، رقم الحديث: (١٠٣٦٣) حكم الألباني: حسن، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٥١٥٢).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٧٩٩)، ومسلم، رقم الحديث: (٦٠٠).

(٤) أخرجه الطبراني في الدعاء (١٦٨٥)، والأصبهاني في الترغيب والترهيب (٢٥١١)، حكم الألباني: حسن، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٣٤٥٢).

٧- بحمد الله ينال العبد رضا الله تَعَالَى: يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ لَيَرْضَىٰ عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا**»[١].

٨- بالحمد تستجلب النعم: يقول تَعَالَى: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ﴾ [النساء:١٤٧].

٩- الحمد لله صدقة من الصدقات: يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ**»[٢].

ثالثًا: كيف تكون من الحامدين؟

الأمر الأول لتكون من الحامدين: أن تكون محمودًا في كل أحوالك:

فالعبد إذا علم أن ربه تَعَالَى هو الحميد ويحب المحامد؛ اشتاقت نفسه وتطلعت أن يتخلق بما يحمد عليه؛ فيكون محمودًا في كل أقواله وأفعاله وأحواله، محمودًا عند الله وعند المؤمنين، فهذا هو التحقق باسم الله الحميد.

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: «خَرَجَ مُعَاوِيَةُ عَلَىٰ حَلْقَةٍ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: مَا أَجْلَسَكُمْ؟ قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ، قَالَ: آللهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟ قَالُوا: وَاللهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ، قَالَ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَمَا كَانَ أَحَدٌ بِمَنْزِلَتِي مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقَلَّ عَنْهُ حَدِيثًا مِنِّي، وَإِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ عَلَىٰ حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: **مَا أَجْلَسَكُمْ؟** قَالُوا: جَلَسْنَا

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٧٣٤).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٠٠٦).

نَذْكُرُ اللهَ، وَنَحْمَدُهُ عَلَىٰ مَا هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ، وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا قَالَ: **آللهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟** قَالُوا: وَاللهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ، قَالَ: **أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللهَ** عَزَّوَجَلَّ **يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلَائِكَةَ**»[1].

فلله تَعَالَىٰ الحمد والشكر والثناء، حيث أعطىٰ العباد من مصالحهم ومنافعهم فوق مايطلبون، وأعلىٰ ما يتمنون، وآتاهم من كل ما سألوه، لا نحصي ثناءً عليه، بل هو كما أثنىٰ علىٰ نفسه.

الأمر الثاني لتكون من الحامدين: أَكْثِرْ من حمد الحميد سُبْحَانَهُ:

المؤمن يستشعر جيدًا أن حمد النعم عند الله سُبْحَانَهُ أهم وأفضل وأعظم من النعم نفسها، ففي الحديث الصحيح يقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَىٰ عَبْدٍ، فَحَمِدَ اللهَ عَلَيْهَا إِلَّا كَانَ ذَلِكَ الْحَمْدُ أَفْضَلَ مِنْ تِلْكَ النِّعْمَةِ، وَإِنْ عَظُمَتْ**»[2].

وهناك مواطنُ عِدَّةٌ يتأكَّدُ فيها الحمدُ، ومنها:

١- **عند النوم**: فقد كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أوىٰ إلىٰ فراشه قال: «**الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا، وَسَقَانَا، وَكَفَانَا، وَآوَانَا فَكَمْ مِمَّنْ لَا كَافِيَ لَهُ، وَلَا مُؤْوِيَ**»[3].

٢- **عند الانتباه ليلًا**: يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ، فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ،**

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٧٠١).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير، رقم الحديث: (٧٧٩٤)، حكم الألباني: حسن، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٥٥٦٢).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٧١٥).

الْحَمْدُ لِلهِ، وَسُبْحَانَ اللهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا، اسْتُجِيبَ، فَإِنْ تَوَضَّأَ قُبِلَتْ صَلَاتُهُ»[(١)].

٣- عند رؤية الرؤيا الحسنة في المنام: يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا رَأَىٰ أَحَدُكُمْ رُؤْيَا يُحِبُّهَا، فَإِنَّمَا هِيَ مِنَ اللهِ، فَلْيَحْمَدِ اللهَ عَلَيْهَا وَلْيُحَدِّثْ بِهَا، وَإِذَا رَأَىٰ غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يَكْرَهُ، فَإِنَّمَا هِيَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَلْيَسْتَعِذْ مِنْ شَرِّهَا، وَلَا يَذْكُرْهَا لِأَحَدٍ، فَإِنَّهَا لَا تَضُرُّهُ»[(٢)].

٤- دُبُرَ الصلاة: يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مُعَقِّبَاتٌ لَا يَخِيبُ قَائِلُهُنَّ - أَوْ فَاعِلُهُنَّ - دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ: ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ تَسْبِيحَةً، وَثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ تَحْمِيدَةً، وَأَرْبَعٌ وَثَلَاثُونَ تَكْبِيرَةً»[(٣)].

٥- قبل الدعاء: سَمِعَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا يُصَلِّي فَمَجَّدَ اللهَ وَحَمِدَهُ وَصَلَّىٰ عَلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ادْعُ تُجَبْ، وَسَلْ تُعْطَ»[(٤)].

٦- عندَ حلولِ النعم: يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَىٰ عَبْدٍ مِنْ نِعْمَةٍ فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، إِلَّا كَانَ مَا أَعْطَىٰ أَفْضَلَ مِمَّا أَخَذَ»[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (١١٥٤).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٩٨٥).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٥٩٦).

(٤) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٣٤٧٦)، والنسائي في الكبرىٰ، رقم الحديث: (١٢٠٨)، واللفظ للطبراني، حكم الألباني: صحيح، صفة الصلاة (٣/ ٩٩٠).

(٥) سبق تخريجه.

٧- بعدَ الأكلِ والشربِ: يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَكَلَ طَعَامًا ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»[1].

٨- عند لبس الثوب: يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ لَبِسَ ثَوْبًا، فَقَالَ: الْحَمْدُ للهِ الَّذِي كَسَانِي هَذَا، وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ»[2].

٩- عند رؤيةِ المبتَلَىٰ: يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ رَأَىٰ صَاحِبَ بَلَاءٍ فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ، وَفَضَّلَنِي عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا، إِلَّا عُوفِيَ مِنْ ذَلِكَ الْبَلَاءِ كَائِنًا مَا كَانَ مَا عَاشَ»[3].

١٠- في ختام المجلس: يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسٍ كَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ، فَقَالَ -قَبْلَ أَنْ يَقُومَ-: سُبْحَانَكَ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ ثُمَّ أَتُوبُ إِلَيْكَ، إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ»[4].

١١- عند العطاس: يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلِ الْحَمْدُ

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٥٨٧٢)، والترمذي، رقم الحديث: (٣٤٥٨)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٣٢٨٥)، حكم الألباني: حسن، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٦٠٨٦).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٣٤٣١)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٣٨٩٢)، حكم الألباني: حسن، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٦٠٢).

(٤) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٠٥٥٩)، والترمذي، رقم الحديث: (٣٤٣٣)، والنسائي في الكبرىٰ، رقم الحديث: (١٠١٥٧)، حكم الألباني: صحيح، تخريج الكلم الطيب، رقم الحديث: (٢٢٣).

لِلهِ، وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ أَوْ صَاحِبُهُ: يَرْحَمُكَ اللهُ، فَإِذَا قَالَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللهُ، فَلْيَقُلْ: يَهْدِيكُمُ اللهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ»[1].

اللهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ، ولَكَ الْمُلْكُ كُلُّهُ، وَبِيَدِكِ الْخَيْرُ كُلُّهُ، وَإِلَيْكَ يَرْجِعُ الأَمْرُ كُلُّهُ، نَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ، وَنعُوذُ بِكَ مِنْ الشَّرِّ كُلِّهِ.



(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٢٢٤).

الحيُّ القيُّوم جَلَّجَلَالُهُ



المعنى اللغوي:

أولًا: (الحَيُّ):

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «[حيا] الحياة: ضد الموت والحي: ضد الميت، والمحيا مفعل من الحياة. تقول: محياي ومماتي. والجمع المحايىٰ...»[1].

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(حي) الحاء والياء والحرف المعتل أصلان: أحدهما خلاف الموت... فأما الأول فالحياة والحيوان، وهو ضد الموت والموتان، ويسمىٰ المطر حيًّا؛ لأن به حياة الأرض...»[2].

ثانيًا: (القَيُّومُ):

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوام الأمر بالكسر: نظامه وعماده،... والقيوم: اسم من أسماء الله تَعَالَىٰ»[3].

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « (قوم) القاف والواو والميم أصلان صحيحان،

---

(١) الصحاح (٦/ ٢٣٢٣-٢٣٢٤).

(٢) مقاييس اللغة (٢/ ١٢٢).

(٣) الصحاح (٥/ ٢٩٦).

يدل أحدهما علىٰ جماعة ناس، وربما استعير في غيرهم، والآخر علىٰ انتصاب أو عزم...

قام قيامًا، والقومة: المرة الواحدة، إذا انتصب، ويكون قام بمعنىٰ العزيمة، كما يقال: قام بهذا الأمر، إذا اعتنقه، وهم يقولون في الأول: قيام حتم، وفي الآخر: قيام عزم»[1].

ورود اسم الله (الحي القَيُّوم) ﴾ القرآن الكريم:

أولًا: ورد اسمه سُبْحَانَهُ (الحَي) خمسَ مرات في كتاب الله، ومن وروده ما يلي:

١- قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

٢- وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ﴾ [طه: ١١١].

٣- وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ﴾ [الفرقان: ٥٦].

ثانيًا: ورد اسمه سُبْحَانَهُ **(القَيُّوم) ثلاث مرات في كتاب الله، وهي:**

١- قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

٢- وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [آل عمران:٢].

٣- وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ﴾ [طه: ١١١].

---

(١) مقاييس اللغة (٥/ ٤٣).

ورود اسم الله (الحَي - القَيُّوم) في السنة النبوية:

ورد اسم الله (الحَي القيوم) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

١- عن زيد بن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ غُفِرَ لَهُ، وَإِنْ كَانَ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ**»(١).

٢- عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ قَالَ حِينَ يَأْوِي إِلَىٰ فِرَاشِهِ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، غَفَرَ اللهُ ذُنُوبَهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ، وَإِنْ كَانَتْ عَدَدَ وَرَقِ الشَّجَرِ، وَإِنْ كَانَتْ عَدَدَ رَمْلِ عَالِجٍ، وَإِنْ كَانَتْ عَدَدَ أَيَّامِ الدُّنْيَا**»(٢).

٣- عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَرَبَهُ أَمْرٌ قَالَ: **يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ**»(٣).

معنى اسم الله (الحَي - القَيُّوم) في حقه سُبْحَانَهُ:

أولًا: الحي: هو من له الحياة الكاملة التي لم يسبقها عدم ولا يلحقها زوال، ولا يعتريها نقص، أو سنة، أو نوم، أو مرض.

---

(١) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (١٥١٧)، والترمذي، رقم الحديث: (٣٥٧٧)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٣٥٧٧).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١١٢٣٣)، والترمذي، رقم الحديث : (٣٣٩٧)، حكم الألباني: ضعيف، ضعيف الترغيب والترهيب، رقم الحديث: (٣٤٩).

(٣) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٣٥٢٤)، وابن السني في عمل اليوم والليلة، رقم الحديث: (٣٣٧)، حكم الألباني: حسن، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٤٧٧٧).

وحول هذا المعنىٰ تدور أقوال العلماء:

- **قال الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(الحي) فإنه يعني: الذي له الحياة الدائمة، والبقاء الذي لا أول له بحد، ولا آخر له بأمد؛ إذ كان كل ما سواه فإنه وإن كان حيًّا فلحياته أول محدود، وآخر ممدود، ينقطع بانقطاع أمدها، وينقضي بانقضاء غايتها»[1]، وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضًا: «وصف نفسه بالحياة الدائمة التي لا فناء لها ولا انقطاع، ونفىٰ عنها ما هو حال لكل ذي حياة من خلقه، من الفناء وانقطاع الحياة عند مجيء أجله»[2].

❊ **قال الزجاج** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحي يفيد دوام الوجود، والله تَعَالَى لم يزل موجودًا ولا يزال موجودًا».[3]

❊ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحي من صفة اللهتَعَالَى هو الذي لم يزل موجودًا، وبالحياة موصوفًا، لم تحدث له الحياة بعد موت، ولا يعترضه الموت بعد الحياة، وسائر الأحياء يعتورهم الموت أو العدم في أحد طرفي الحياة أو فيهما معًا، و﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]»[4].

❊ **قال ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحي الذي لا يموت أبدًا، الذي هو ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[الحديد:٣] الدائم الباقي السرمدي الأبدي»[5].

---

(١) تفسير الطبري (٥/ ٣٨٦).

(٢) المرجع السابق (٦/ ١٥٧).

(٣) تفسير أسماء الله الحسنىٰ (ص٥٦).

(٤) شأن الدعاء (ص٨٠).

(٥) تفسير ابن كثير (٦/ ١١٨).

❊ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالحي من له الحياة الكامل المستلزمة لجميع صفات الذات، كالسمع والبصر والعلم والقدرة، ونحو ذلك»[1].

❊ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَالـحَيُّ يَتْلُـوهُ فَأَوْصَـافُ الكَمَـا ... لِ هُـمَـا لِأُفْـقِ سَمَـائِهَا قُطْبَـانِ

فَالـحَيُّ والقَيُّـومُ لَـنْ تَتَخَلَّـفَ الـ ... أَوْصَـافُ أَصْـلًا عَنْهُمَـا بِبَيَـانِ[2]

ثانيًا: (القَيُّومُ):

يدور معنىٰ اسم الله (القيوم) في حقه تَعَالَىٰ حول ثلاثة معان:

١- الدائم الذي لا يزول.

٢- القائم بنفسه.

٣- القائم بغيره؛ فجميع الموجودات مفتقرة إليه، وهو غني عنها، ولا قوام لها بدون أمره، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾[الروم:٢٥].

وحول هذه المعاني الثلاث تدور أقوال العلماء:

❊ **قال أبو عبيدة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(القيوم): القائم، وهو الدائم الذي لا يزول»[3].

❊ **قال الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القائم بأمر كل شيء في رزقه والدفع عنه وكلاءته وتدبيره وصرفه في قدرته، من قول العرب: فلان قائم بأمر هذه البلدة، يعني

---

(١) تفسير السعدي (ص١١٠).

(٢) النونية (ص٢١١).

(٣) مجاز القرآن (١/ ٧٨).

بذلك: المتولي تدبير أمرها»[1].

۞ **قال الزجاجي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(القيوم): فَيْعُول، من قام يقوم، وهو من أوصاف المبالغة في الفعل، وهو من قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد:٣٣] أي: يحفظ عليها ويجازيها ويحاسبها»[2].

۞ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(القيوم) هو: القائم الدائم بلا زوال، ووزنه: فَيْعُول، من القيام، وهو نعت المبالغة في القيامة علىٰ الشيء، ويقال: هو القيم علىٰ كل شيء بالرعاية له، ويقال: قمت بالشيء إذا وليته بالرعاية والمصلحة»[3].

۞ **قال ابن الأثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «و(القيوم): من أسماء الله تَعَالَىٰ المعدودة، وهو القائم بنفسه مطلقًا لا بغيره، وهو مع ذلك يقوم به كل موجود، حتىٰ لا يتصور وجود شيء ولا دوام وجوده إلا به»[4].

۞ **قال القرطبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(القيوم) من قام، أي: القائم بتدبير ما خلق»[5].

۞ **قال ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القيم لغيره، وكان عمر يقرأ: (القيام) فجميع الموجودات مفتقرة إليه، وهو غني عنها، ولا قوام لها بدون أمره، كقوله: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [الروم:٢٥]»[6].

---

(١) تفسير الطبري (٥/ ١٧٨- ١٧٩).

(٢) اشتقاق الأسماء (ص١٠٥).

(٣) شأن الدعاء (ص٨٠).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر (١٤/ ١٣٤).

(٥) تفسير القرطبي (٣/ ٢٧١).

(٦) تفسير ابن كثير (١/ ٦٧٧).

* **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الذي قام بنفسه، فاستغنىٰ عن جميع مخلوقاته، وقام بغيره فافتقرت إليه جميع مخلوقاته في الإيجاد والإعداد والإمداد، فهو الذي قام بتدبير الخلائق وتصريفهم، تدبير للأجسام وللقلوب والأرواح»[1].

* **قال الإمام ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هَـذَا وَمِـنْ أَوْصَافِـهِ: القَيُّـومُ وَالـ ـقَيُّومُ فِـي أَوْصَافِـهِ أَمْـرَانِ
إِحْدَاهُمَـا القَيُّـومُ قَـامَ بِنَفْسِـهِ والكَـوْنُ قَـامَ بِـهِ هُمَـا الأَمْـرَانِ
فَـالأَوَّلُ اسْـتِغْنَاؤُهُ عَـنْ غَيْـرِهِ والفَقْـرُ مِـنْ كُلٍّ إِلَيْـهِ الثَّانِـي

الخلاف في الاسم الأعظم، وقول بعض أهل العلم: إن (الحي القيوم) اسم الله الأعظم[2]:

دلت النصوص علىٰ أن أسماء الله الحسنىٰ وصفاته العليا تتفاضل، فليست كلها علىٰ درجة واحدة، بل ثبت عن رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن لله اسمًا أعظم إذا سُئِل به أعطىٰ، وإذا دُعِي به أجاب، وهذه فضيلة عظيمة اختص بها هذا الاسم، ولم يرد تعيينه صريحًا في النصوص، إلا أنه وردت أحاديث تدل علىٰ أنه (الحي القيوم)، علىٰ خلاف في ذلك بين العلماء، منها:

١- عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، «أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا، وَرَجُلٌ يُصَلِّي، ثُمَّ دَعَا: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ، وَالْأَرْضِ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، إِنِّي أَسْأَلُكَ،

(١) تفسير السعدي (ص١٢١).

(٢) سبق بيان الخلاف فيه، والأدلة في اسم الله الأعظم في اسم الله (الله) جَلَّ جَلَالُهُ.

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **تَدْرُونَ بِمَا دَعَا؟**، قالوا: الله ورسوله أعلم، **قال: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ دَعَا اللهَ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَىٰ**»[1].

٢- عن أبي أمامة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، **عن النبي** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اسْمُ اللهِ الْأَعْظَمُ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ - فِي سُوَرٍ ثَلَاثٍ: الْبَقَرَةِ، وَآلِ عِمْرَانَ، وَطه**»[2].

واختار أنه الحي القيوم جمع من أهل العلم، منهم: شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، وابن عثيمين رَحِمَهُمُ اللهُ.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «ولهذا كان أعظم آية في القرآن: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وهو الاسم الأعظم»[3].

وفي ترجيح كونه الاسم الأعظم، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «صفة الحياة متضمنة لجميع صفات الكمال مستلزمة لها، وصفة القيومية متضمنة لجميع صفات الأفعال؛ ولهذا كان اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطىٰ هو اسم الحي القيوم»[4].

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «اسم الله الأعظم هو الحي القيوم[5]»، وعلل هذا، فقال: «قال أهل العلم: وإنما كان الاسم الأعظم في اجتماع هذين

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه ابن ماجه، رقم الحديث: (٣٨٥٦)، والطبراني في الكبير، رقم الحديث: (٧٧٥٨)، حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، رقم الحديث: (٣٨٥٦).

(٣) مجموع الفتاوىٰ.

(٤) زاد المعاد (٤/ ١٨٥).

(٥) فتاوىٰ نور علىٰ الدرب.

الاسمين؛ لأنهما تضمنا جميع الأسماء الحسنىٰ؛ فصفة الكمال في (الحي)؛ وصفة الإحسان، والسلطان في (القيوم)»[1][2].

اقتران اسم الله (الحَيِّ - القَيُّومِ) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ فِي القرآن الكريم:

لم يقترن اسم الله الحَي إلا باسمه القَيُّوم.

وذلك في ثلاثة مواضع، منها:

١- قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾[البقرة:٢٥٥].

٢- وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾[آل عمران:٢].

٣- وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ [طه:١١١].

وجه الاقتران:

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «انتظم هذان الاسمان صفات الكمال والغنىٰ التام والقدرة التامة، فكأن المستغيث بهما مستغيث بكل اسم من أسماء الرب تَعَالَى، وبكل صفة من صفاته، فما أولىٰ الاستغاثة بهذين الاسمين أن يكونا في مظنة تفريج الكربات وإغاثة اللهفات وإنالة الطلبات»[3].

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفي الجمع بين الاسمين الكريمين (الحي القيوم) استغراق لجميع ما يوصف الله به بجميع الكمالات؛ ففي الحي: كمال

---

(١) تفسير العثيمين (٣/ ٢٥٨).

(٢) سبق بحث اسم الله الأعظم في اسم (الله)، وأن الراجح فيه- والله أعلم- أنه اسم (الله).

(٣) بدائع الفوائد (٢/ ١٨٤).

الصفات، وفي القيوم: كمال الأفعال، وفيهما جميعًا كمال الذات، فهو كامل الصفات والأفعال والذات»[1].

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (الحَي القَيُّوم):

أولًا: إثبات ما يتضمنه اسمي الحي والقيوم من صفات الله تعالىٰ:

فالله سُبْحَانَهُ **هو الحي** دائم الحياة، له البقاء المطلق، لم يسبق وجوده عدم، ولا يلحق بقاؤه فناء ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الفرقان: ٥٦].

وهو **الحي** الذي كمل حال حياته، فلا يدخلها النقص بوجه من الوجوه، ولا يعتريها عيب ولا خلل؛ فلا مرض، ولا تعب ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق:٣٨]، ولا سنة ولا نوم ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾[البقرة:٢٥٥].

فهو **الحي**: الذي لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، فلو نام لضاع الخلق، ولفسدت السموات والأرض كما جاء في الحديث عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ** عَزَّوَجَلَّ **لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ** - وفي رواية أبي بكر: **النَّارُ**- **لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَىٰ إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**»[2][3].

---

(١) تفسير القرآن الكريم (١/ ٧).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٧٩).

(٣) ينظر: النهج الأسمىٰ، للنجدي (٢/ ٧٠-٧١).

وحياته تستلزم كمال صفاته سُبْحَانَهُ من علم، وقدرة، ورحمة، وسمع وبصر إلىٰ غير ذلك من صفات كماله[1]، قال الشيخ الهراس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحياة تعتبر شرطًا للاتصاف بجميع الكمالات في الذات من: العلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام... إلخ؛ فإن غير الحي لا يتصف بهذه الصفات، فمن كملت حياته كان أكمل في كل صفة تكون الحياة شرطًا لها».

وهو الحي الذي أحيا غيره، فالأرض وما عليها من نبات وحيوان وإنسان تحيا بإحياء الله لها، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ [يس: ٣٣]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الروم: ٥٠]، وقال: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة: ٢٨٠].

وهو الحي الذي له وحده البقاء والدوام وما عداه «من إنس، وجن، ودواب، وسائر المخلوقات، يفنىٰ ويموت ويبيد»[2]، قال تَعَالَىٰ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾[الرحمن: ٢٦].

وهو الحي الذي يحي الخلق بعد فنائهم، قال تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: ٤٠]، وقال: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن عثيمين (١/ ٧).

(٢) تفسير السعدي (ص٨٣٠).

ٱللَّهِ حَقًّاۚ إِنَّهُۥ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلۡقِسۡطِۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ﴾[يونس:٤].

وهو سُبْحَانَهُ **القيوم** الذي قام بنفسه واستغنىٰ عن جميع خلقه غنىٰ مطلقًا، كما قال تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾ [فاطر:١٥].

والقيوم هو الذي تمت قيوميته، فلا تشوبه شائبة حاجة ولا نقص، ولا يمكن أن تأخذه سنة ولا نوم: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ ﴾[البقرة:٢٥٥].

والقيوم الذي أقام غيره، فلا قيام لغيره إلا بإقامته، فكل شيء فقير إليه لا يستغني عنه طرف عين، فالعرش والكرسي والملائكة والسموات والأرض، والجبال والأشجار، والناس والحيوان، كلها فقيرة إلىٰ الله، قال تَعَالَى: ﴿ أَفَمَنۡ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۗ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلۡ سَمُّوهُمۡۚ ﴾ [الرعد:٣٣]، فهو الذي أوجدها وأمدها، وأعدها لكل ما فيه بقاؤها وصلاحها وقيامها، وأي شيء منها لو تخلىٰ عنه القيوم لباد وهلك ولما استقام له شأن.

فالمخلوقات كلها إنما قامت به سُبْحَانَهُ، ومن ذلك:

- قيام السماوات والأرض به:

قال تَعَالَى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمۡ دَعۡوَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ إِذَآ أَنتُمۡ تَخۡرُجُونَ ﴾ [الروم:٢٥]، وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ** فهو سُبْحَانَهُ القائم بأمر السموات والأرض فبقيمويته استقرت وثبتت ولم تزل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ

وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴾ [فاطر: ٤١]، وبقيوميته لم تسقط السماء علىٰ الأرض ﴿وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓۚ﴾ [الحج: ٦٥][1].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ثم تأمل الممسك للسموات والارض الحافظ لهما أن تزولا أو تقعا أو يتعطل بعض ما فيهما، أَفَتَرَىٰ مَنِ الممسك لذلك؟! ومَنِ الحافظ له؟ ومَنِ القيم بأمره؟! ومَنِ المقيم له؟! فلو تعطلت بعض آلات هذا الدولاب العظيم والحديقة العظيمة من كان يصلحه ويعيده؟! وماذا كان عند الخلق كلهم من الحيلة في رده كما كان؟! فلو أمسك عنهم قيم السموات والارض الشمس فجعل عليهم الليل سرمدًا، من الذي كان يطلعها عليهم ويأتيهم بالنهار؟! ولو حبسها في الأفق ولم يسيرها فمن ذا الذي كان يسيرها عنهم ويأتيهم بالليل؟! فلو أزال السماء والارض، فمن ذا الذي كان يمسكها من بعده؟!»[2].

- قيام الإنس والجن وسائر الدواب به:

قال صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللهمَّ لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ**»[3] قائم علىٰ ما فيهما من النفوس بالرزق، وتدبير الشؤون وتصريفها، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾ [الرحمن: ٢٩]» يغني فقيرًا، ويجبر كسيرًا، ويعطي قومًا، ويمنع آخرين، ويميت ويحيي، ويرفع ويخفض، لا يشغله شأن عن شأن، ولا تغلطه المسائل، ولا يبرمه إلحاح

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص٦٤٠).

(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ٢١٥).

(٣) سبق تخريجه.

الملحين، ولا طول مسألة السائلين... وهذه الشؤون التي أخبر أنه تَعَالَىٰ كل يوم هو في شأن، هي تقاديره وتدابيره التي قدرها في الأزل وقضاها، لا يزال تَعَالَىٰ يمضيها وينفذها في أوقاتها التي اقتضته حكمته»[١].

وهذا القيام يستلزم كمال أفعاله من الاستواء، والنزول، والكلام، والخلق، والرزق، والإماتة، والإحياء، وسائر أنواع التدبير.

ومن قيامه بهم: إنزاله للكتب بالحق وإرساله للرسل؛ حتىٰ تستنير بصائرهم، ويرشدون لما فيه صلاحهم وفلاحهم، قال تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ﴾ [آل عمران:٢، ٣][٢].

- المقيم أمر أوليائه وأهل طاعته:

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإنه سُبۡحَانَهُ القيوم المقيم لكل شيء من المخلوقات طائعها وعاصيها، فكيف تكون قيوميته بمن أحبه وتولاه وآثره علىٰ ما سواه، ورضىٰ به من الناس حبيبًا وربًّا، ووكيلًا وناصرًا ومعينًا وهاديًا، فلو كشف الغطاء عن ألطافه وبره وصنعه له من حيث يعلم ومن حيث لا يعلم لذاب قلبه حبًّا له وشوقًا إليه ويقع شكرًا له، ولكن حجب القلوب عن مشاهدة ذلك إخلادها إلىٰ عالم الشهوات والتعلق بالأسباب، فصدت عن كمال نعيمها، وذلك تقدير العزيز العليم»[٣].

---

(١) تفسير السعدي (ص٨٣٠).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص١٢١).

(٣) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص١٨٠).

فهو الحي القيوم الذي بهما جمع معاني الأسماء الحسنىٰ، وعليهما دارت الصفات العليا؛ وذلك أن الحياة تستلزم جميع صفات الكمال، ولا يتخلف عنها صفة منها إلا لضعف الحياة، فإذا كانت حياته تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أكمل حياة وأتمها؛ استلزم إثباتها إثبات كل صفة كمال.

وكذلك القيام؛ فإنه مستلزم لكمال الأفعال، ولا يتخلف شيء منها إلا لضعف القيام، فإذا كان قيامه سُبْحَانَهُ أتم قيام وأكمله؛ استلزم إثباته إثبات كل فعل كمال، وبهذا انتظم هذان الاسمان صفات الكمال أتم انتظام[1].

الأثر الثاني: دلالة اسمي الله الحي القيوم علىٰ التوحيد:

إذا علم العبد أن الله جَلَّجَلَالُهُ الحي الباقي الدائم الذي لا يموت، والإنس والجن يموتون، وكل شيء هالك إلا وجهه؛ أيقن أن لا أحد يستحق أن يعبد إلا الحي الباقي، قال تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [غافر:٦٥]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [آل عمران:٢].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «و(الحي) الذي لا يموت ولا يبيد، كما يموت كل من اتُّخِذ من دونه ربًّا، ويبيد كل من ادُّعِيَ من دونه إلهًا، واحتج علىٰ خلقه بأن: من كان يبيد فيزول ويموت فيفنىٰ، فلا يكون إلهًا يستوجب أن يعبد دون الإله الذي لا يبيد ولا يموت، وأن الإله هو الدائم الذي لا يموت ولا يبيد ولا يفنىٰ، وذلك الله الذي لا إله إلا هو»[2].

---

(١) ينظر: بدائع الفوائد، لابن القيم (٢/ ١٨٤).

(٢) تفسير الطبري (٦/ ١٥٧).

وإذا علم العبد أن الله جَلَّجَلَالُهُ هو القيوم الذي استغنىٰ عن كل شيء، وكل شيء افتقر إليه، فلا قوام له إلا بقيوميته؛ علم أنه لا يستحق أن تكون العبادة إلا له وحده لا شريك له، قال تَعَالَىٰ محتجًّا علىٰ خلقه بقيوميته: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَـٰهِرٍ﴾[الرعد:٣٣]».

أيستوي الرب الذي هو دائم لا يبيد ولا يهلك، قائم بحفظ أرزاق جميع الخلق، متضمن لها، عالم بهم وبما يكسبونه من الأعمال، رقيب عليهم، لا يعزب عنه شيء أينما كانوا، كمن هو هالك بائد لا يسمع ولا يبصر ولا يفهم شيئًا، ولا يدفع عن نفسه ولا عمن يعبده ضرًّا، ولا يجلب إليهما نفعًا؟ كلاهما سواء؟»[(١)].

الأثر الثالث: التوكل علىٰ الحي القيوم:

يقين العبد بأن ربه هو الحي الذي له الحياة الكاملة فلا يموت أبدًا،، القيوم الذي يقوم بأموره ويدبر شؤونه، ولا تأخذه سنة ولا نوم ولا غفلة؛ يوجب له التعلق به والتوكل عليه في رغبه ورهبه، ومعاذه وملاذه، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان:٥٨].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: في أمورك كلها كن متوكلًا علىٰ الله الحي الذي لا يموت أبدًا، الذي هو ﴿ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣] الدائم الباقي السرمدي الأبدي، الحي القيوم رب كل

---

(١) المرجع السابق (١٦/ ٤٦٢).

شيء ومليكه، اجعله ذخرك وملجأك، وهو الذي يتوكل عليه ويفزع إليه، فإنه كافيك وناصرك ومؤيدك ومظفرك»[1].

ويوجب له قطع كل تعلق ورجاء بالمخاليق الضعفاء الفقراء الذين يلحقهم الموت والنوم والغفلة والنسيان؛ فإنهم إذا ماتوا ضاع من توكل عليهم، وإذا ناموا أو نسوا أو غفلوا خُذِلَ من توكل عليهم، وهم مع ذلك كله لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا، فضلًا عن أن يملكوا ذلك لغيرهم.

روي أن عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية كان خلًّا لعبد الملك بن مروان، فلما مات عبد الملك وتصدع الناس عن قبره، وقف عليه، فقال له: «أنت عبد الملك الذي كنت تعدني فأرجوك، وتوعدني فأخافك، أصبحت وليس معك من ملكك غير ثوبيك، وليس لك منه غير أربعة أذرع في عرض ذراعين»[2]، فكل حي يموت، ولا يبقىٰ إلا الحي الذي لا يموت.

كما يوجب له التبرؤ من الحول والقوة والافتقار التام للحي القيوم، لسان حاله ومقاله: (**لا حول ولا قوة إلا بالله**)، أي: لا تحول من حال إلىٰ حال، ولا حصول قوة علىٰ القيام بأي أمر من الأمور إلا بالله، أي: إلا بعونه وتوفيقه وتسديده.

وهذه الكلمة شرعها رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأمته، وحثهم عليها في جملة من الأحاديث، منها:

- عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسول الله

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ١١٨).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في الاعتبار وأعقاب السرور، رقم الحديث: (٥٥).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا عَلَىٰ الْأَرْضِ أَحَدٌ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، إِلَّا كُفِّرَتْ عَنْهُ خَطَايَاهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ**»(١).

- وعن أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزَاةٍ، فَجَعَلْنَا لَا نَصْعَدُ شَرَفًا، وَلَا نَعْلُو شَرَفًا، وَلَا نَهْبِطُ فِي وَادٍ إِلَّا رَفَعْنَا أَصْوَاتَنَا بِالتَّكْبِيرِ، قَالَ: فَدَنَا مِنَّا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: **يَا أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا، ثُمَّ قَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ قَيْسٍ أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَةً هِيَ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ**»(٢).

- وعن قيس بن سعد بن عبادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن أباه دفعه إلىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخدمه، قال: فمر بي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد صليت فضربني برجله، وقال: **أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَىٰ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ؟** قلت: بلىٰ، قال: **لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ**»(٣).

الأثر الرابع: مراقبة الحي القيوم والخوف منه:

إذا علم العبد أن ربه الحي القيوم الذي لا ينام ولا يغفل ولا ينسىٰ، يحفظ عليه عمله ويحصيه ويجازيه عليه بالعدل والقسط، كما قال تَعَالَى:

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٧٠٩٣)، والترمذي، رقم الحديث: (٣٤٦٠)، حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٣٤٦٠).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٦١٠)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٧٠٤).

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٥٧١٩)، والترمذي، رقم الحديث: (٣٥٨١)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الترغيب والترهيب، رقم الحديث: (١٥٨٢).

﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد:٣٣][1]، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: حفيظ عليم رقيب علىٰ كل نفس منفوسة، يعلم ما يعمل العاملون من خير وشر، ولا يخفىٰ عليه خافية»[2] أوجب ذلك له الخوف منه سُبْحَانَهُ ومراقبته، وخشيته في السر والعلن.

الأثر الخامس: محبة الله الحي القيوم:

إذا علم العبد أن ربه حي قيوم، واستشعر أن له الحياة الكاملة المطلقة التي بها أحياه وأوجده، وله القيومية والسيادة المطلقة التي أقام بها السموات والأرض وأقام به شؤونه ودبَّرها، واستشعر ما يتضمنه هذان الاسمان من صفات الكمال له عَزَّوَجَلَّ؛ أوجب ذلك له محبته وإجلاله؛ مما يثمر في القلب الابتهاج، واللذة، والسرور وتندفع به الكروب، والهموم، والغموم.

يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فعلم القلب ومعرفته بذلك توجب محبته وإجلاله وتوحيده، فيحصل له من الابتهاج، واللذة، والسرور ما يدفع عنه ألم الكرب، والهم، والغم، وأنت تجد المريض إذا ورد عليه ما يسره ويفرحه، ويقوي نفسه، كيف تقوىٰ الطبيعة علىٰ دفع المرض الحسي، فحصول هذا الشفاء للقلب أولىٰ وأحرىٰ»[3].

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (١٦/ ٤٦٢)، تفسير السعدي (ص٤١٩).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٦٣).

(٣) زاد المعاد (٤/ ٢٠٥).

الأثر السادس: الخضوع والتذلل للحي القيوم:

إذا علم العبد أن ربه حي قيوم تخضع له الخلائق يوم القيامة، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ [طه: ١١١] واستشعر ذلك الموقف العظيم الذي يرىٰ فيه الأغنياء والفقراء، والرجال والنساء، والأحرار والأرقاء، والملوك والسوقة، ذليلين خاضعين، ساكتين منصتين، خاشعة أبصارهم، خاضعة رقابهم، جاثين علىٰ ركبهم، لا يدرون ماذا ينفصل كل منهم به[١]؛ خضع وذل وافتقر واستكان لربه في الدنيا قبل الآخرة.

فـ«العبد ذليل لمولاه الحق بكل وجه من وجوه الذل، فهو ذليل لعزه، وذليل لقهره، وذليل لربوبيته فيه وتصرفه، وذليل لإحسانه إليه، وإنعامه عليه؛ فإن مَن أحسن إليك: فقد استعبدك، وصار قلبك معبَّدًا له»[٢].

والخضوع والذل لله هو أحد أصلَي العبادة، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والعبادة تجمع أصلين: غاية الحب بغاية الذل والخضوع، والعرب تقول: طريق معبَّد، أي: مذلَّل، والتعبد: التذلل والخضوع، فمن أحببته ولم تكن خاضعًا له؛ لم تكن عابدًا له، ومن خضعت له بلا محبة لم تكن عابدًا له، حتىٰ تكون محبًّا خاضعًا»[٣].

فتحقيقهما يكون بتحقيق العبودية لله تَعَالَىٰ وحده، وأعظم العبادات التي فيها عظيم الذل والخضوع لله: الصلاة المفروضة، لا سيما في السجود،

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص٥١٣).

(٢) مفتاح دار السعادة، لابن القيم (١/ ٢٨٩).

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٩٥).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لفظ السجود، فإنه إنما يستعمل في غاية الذل والخضوع، وهذه حال الساجد»(١).

الأثر السابع: الزهد في دار الفناء، والعمل لدار البقاء:

الله تَعَالَى هو الحي الدائم الذي لا يزول، وكل الخلائق إلىٰ زوال ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٦، ٢٧] ومهما أعطي العبد من العمر فلا بد أن ينقضي يومًا ما، أما الحياة الدائمة السرمدية التي يهبها الله لعبادة فإنما هي في الدار الآخرة: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت:٦٤]، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: الحياة الدائمة الحق، الذي لا زوال لها ولا انقضاء، بل هي مستمرة أبد الآباد»(٢).

وجاء عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يُؤْتَىٰ بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ. ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، فَيُذْبَحُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، ثُمَّ قَرَأَ:** ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ **وَهَؤُلَاءِ فِي غَفْلَةٍ أَهْلُ الدُّنْيَا،** ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم:٣٩]»(٣).

---

(١) جامع الرسائل، لابن تيمية (١/ ٣٤).

(٢) تفسير ابن كثير (٦/ ٢٩٤).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٤٧٣٠)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٨٤٩).

فإذا عرف العبد هذا، وعرف حقيقة الدنيا، وأنها ليست دار بقاء، وإنما متاع ولعب ولهو زائل، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام:٣٢]، وقال: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف:٤٥]، وعرف ما جاء في ذمها وحقارتها من النصوص، كما في قول جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِالسُّوقِ دَاخِلًا مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ وَالنَّاسُ كَنَفَيْهِ، فَمَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ[1] مَيِّتٍ، فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ ثُمَّ قَالَ: **أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ**؟ فَقَالُوا مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ، وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: **أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ**؟ قَالُوا: وَاللهِ لَوْ كَانَ حَيًّا كَانَ عَيْبًا فِيهِ لِأَنَّهُ أَسَكُّ، فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ! فَقَالَ: **فَوَاللهِ، لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ**»[2] زهد فيها، ولم يتعلق بها، ممتثلًا قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبُّكَ اللهُ** عَزَّوَجَلَّ، **وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ**»[3].

ولم يقدم ما فيها من ملاذ وشهوات علىٰ الدار الباقية، وجعلها معبرًا للآخرة، وزادًا يبلغ به إلىٰ الجنات؛ فإن الموفق من طال عمره وحسن عمله، كما جاء في الحديث عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه سُئِل مَنْ خَيْرُ النَّاسِ؟ قَالَ: «**مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ**»[4].

---

(١) كنفتيه: جانبيه، الأسك: صغير الأذنين. ينظر: شرح النووي علىٰ مسلم (١٨/ ٩٣).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٩٥٧).

(٣) أخرجه ابن ماجه، رقم الحديث: (٤١٠٢)، والحاكم، رقم الحديث: (٧٩٦٨)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، رقم الحديث: (٤١٠٢).

(٤) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢٠٨٣٤)، والترمذي، رقم الحديث: (٢٣٢٩)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢٣٢٩).

الأثر الثامن: الدعاء باسم الله الحي القيوم:

جاء في جملة من الأحاديث ما يدل علىٰ عظم هذين الاسمين والدعاء بهما مجتمعين، ومنها:

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَرَبَهُ أَمْرٌ قَالَ: **يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ**»[1].

وهناك مناسبة بين التوسل بهذين الاسمين، وبين كشف الكرب والضيق، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفي تأثير قوله: (يا حي يا قيوم، برحمتك أستغيث) في دفع هذا الداء مناسبة بديعة؛ فإن صفة الحياة متضمنة لجميع صفات الكمال، مستلزمة لها، وصفة القيومية متضمنة لجميع صفات الأفعال،... والحياة التامة تضاد جميع الأسقام والآلام، ولهذا لما كملت حياة أهل الجنة لم يلحقهم هم، ولا غم، ولا حزن، ولا شيء من الآفات، ونقصان الحياة تضر بالأفعال، وتنافي القيومية، فكمال القيومية لكمال الحياة، فـ(الحي) المطلق التام الحياة لا تفوته صفة الكمال البتة، و(القيوم) لا يتعذر عليه فعل ممكن البتة، فالتوسل بصفة الحياة والقيومية له تأثير في إزالة ما يضاد الحياة، ويضر بالأفعال»[2].

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يدعو بهما قائلًا: «**اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ**»[3].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) زاد المعاد (٤/ ٢٠٥).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٧١٧).

وعنه أيضًا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قال: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَدْعُو مِنَ اللَّيْلِ: **اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ....**»[١].

وعن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «**أَنَّ رجلاً دعا، فقال: اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ، بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجِلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، إِنِّي أَسْأَلُكُ، فقال النبي** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **لأصحابه: تَدْرُونَ بِمَا دَعَا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ دَعَا بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَىٰ**»[٢].

وعنه أيضًا: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لِفَاطِمَةَ: **مَا يَمْنَعُكِ أَنْ تَسْمَعِي مَا أُوصِيكِ بِهِ: أَنْ تَقُولِي إِذَا أَصْبَحْتِ وَإِذَا أَمْسَيْتِ: يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، وَلَا تَكِلْنِي إِلَىٰ نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ**»[٣]، فعلىٰ العبد أن يحرص علىٰ الدعاء بهما؛ فإن التوسل لله بهما له تأثير في حصول المطلوب ودفع المرهوب[٤].

يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، أَصْلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ، وَلَا تَكِلْنَا إِلَىٰ أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ.



---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه. (ص:١٧).

(٣) أخرجه النسائي في الكبرىٰ، رقم الحديث: (١٠٣٣٠)، وابن السني في عمل اليوم والليلة، رقم الحديث: (٤٩)، حكم الألباني :صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٢٢٧).

(٤) ينظر: النهج الأسمىٰ، للنجدي (٢/ ٧٨-٧٩).

الخالقُ الخلَّاقُ البَارئُ المصوِّرُ جَلَّجَلَالُهُ



المعنى اللغوي:

أولًا: معنىٰ الخالق والخلاق:

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الخلق: التقدير، يقال: خلقت الأديم: إذا قدرته قبل القطع...، والخلاق: النصيب، يقال: لا خلاق له في الآخرة»[1].

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(خلق) الخاء واللام والقاف أصلان؛ أحدهما: تقدير الشيء، والآخر: ملاسة الشيء، فأما الأول: فقولهم: خلقت الأديم للسقاء، إذا قدرته... »[2].

ثانيًا: معنىٰ البارئ:

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «...وبرأ الله الخلق برءًا، وأيضًا هو البارئ، والبرية: الخلق»[3].

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(برأ) فأما الباء والراء والهمزة فأصلان- إليهما ترجع فروع الباب- أحدهما: الخلق، يقال: برأ الله الخلق يبرؤهم برءًا،

---

(١) الصحاح (٤/ ١٥٦).

(٢) مقاييس اللغة (٢/ ٢١٣- ٢١٤).

(٣) الصحاح (١/ ٣٧).

والبارئ الله- جل ثناؤه- قال الله تَعَالَى: ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ﴾ [البقرة:٥٤]... والأصل الآخر: التباعد من الشيء ومزايلته»[١].

ثالثًا: معنى المصور:

قال الجوهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الصور، بالتحريك: الميل، ورجل أصور بين الصور: أي: مائل مشتاق، وأصاره فانصار، أي: أماله فمال، وصوره الله صورة حسنة، فتصور»[٢].

قال ابن فارس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «صور يصور، إذا مال، وصرت الشيء أصوره، وأصرته، إذا: أملته إليك...، ومن ذلك: الصورة، صورة كل مخلوق، والجمع: صور، وهي هيئة خلقته، والله تَعَالَى البارئ المصور»[٣].

ورود اسم الله (الخالق، الخلاق، البارئ، المصور) في القرآن الكريم:

أولًا: ورد اسم الله (الخَالق) إحدىٰ عشر مرة في كتاب الله، ومن وروده ما يلي:

١- قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُ﴾[الحشر:٢٤].

٢- وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾[المؤمنون:١٤].

٣- وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَفَرَءَيۡتُم مَّا تُمۡنُونَ ۝٥٨ ءَأَنتُمۡ تَخۡلُقُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡخَٰلِقُونَ﴾ [الواقعة:٥٨-٥٩].

---

(١) مقاييس اللغة (١/ ٢٣٦).

(٢) الصحاح (٢/ ٢٨٠).

(٣) مقاييس اللغة (٣/ ٣٢٠).

ثانيًا: وورد ذكر (الخلاق) مرتين في كتاب الله، وهما:

١- قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [الحجر: ٨٦].

٢- وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [يس: ٨١].

ثالثا: وورد اسم الله (البارئ) ثلاث مرات في كتاب الله، ومن وروده ما يلي:

١- مرتان في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٥٤].

٢- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٤].

رابعًا: وورد اسم الله (المُصَوِّر) مرة واحدة في كتاب الله، وهي:

قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ﴾ [الحشر: ٢٣].

وورود اسم الله (الخالق، البارئ، المصور) في السنة النبوية:

أولًا: ورود اسم الله (الخالق) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

١- عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: «غَلَا السِّعْرُ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ سَعَّرْتَ، فَقَالَ: **إِنَّ اللهَ هُوَ الْخَالِقُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الرَّزَّاقُ الْمُسَعِّرُ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَلْقَىٰ اللهَ وَلَا يَطْلُبُنِي أَحَدٌ بِمَظْلِمَةٍ ظَلَمْتُهَا إِيَّاهُ فِي دَمٍ وَلَا مَالٍ**»(١).

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٢٧٨٦)، وأبو داود، رقم الحديث: (٣٤٥١)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (١٨٤٦).

٢- وعن النواس بن سمعان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ**»[1].

ثانيًا: ورود اسم الله (الخلاق) في السنة النبوية:

لم يرد اسم الله الخلاق في السنة النبوية.

ثالثًا: ورود اسم الله (البارئ) في السنة النبوية:

لم يرد اسم الله البارئ في السنة النبوية.

رابعًا: ورود اسم الله (المصور) في السنة النبوية:

لم يرد اسم الله المصور في السنة النبوية.

معنى اسم الله (الخالق، الخلاق، البارئ، المصور) في حقه سُبْحَانَهُ:

أولًا: معنىٰ اسم الله الخالق في حق الله تعالىٰ:

۞ **قال مجاهد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في قوله تَعَالَىٰ: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]-: «يصنعون ويصنع الله، والله خير الصانعين»[2].

۞ **قال الزجاج** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالخلق في اسم الله تَعَالَىٰ هو ابتداء تقدير النشء، فالله خالقها ومنشئها، وهو متممها ومدبرها، فتبارك الله أحسن الخالقين»[3].

---

(١) أخرجه البغوي في شرح السنة (٢٤٥٥)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (١٨٠).

(٢) تفسير الطبري (١٩/ ١٩).

(٣) تفسير الأسماء (ص٣٦-٣٧).

❁ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(الخالق) هو المبدع للخلق المخترع له علىٰ غير مثال سابق، قال سُبْحَانَهُ: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣]»[1].

ثانيًا: معنىٰ اسم الله الخلاق في حق الله تعالىٰ:

الخلاق من أفعال المبالغة من الخالق، تدل علىٰ كثرة خلق الله تَعَالَىٰ وإيجاده، فكم يحصل في اللحظة الواحدة من بلايين المخلوقات التي هي أثر من آثار اسمه سُبْحَانَهُ الخلاق: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾ [الحجر:٨٦]».

❁ قال الحليمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الخلاق ومعناه: الخالق خلقًا بعد خلق»[2].

❁ قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن ربك هو الخلاق، أي: المقدر للخلق والأخلاق، العليم بأهل الوفاق والنفاق»[3]

❁ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَكَـذَاكَ يَشْـهَدُ أَنَّـهُ سُـبْحَانَهُ الـ ـخَلَّاقُ بَاعِـثُ هَـذِهِ الأَبْـدَانِ[4]

ثانيًا: معنى اسم الله (البارئ) في حقه سُبْحَانَهُ:

❁ **قال الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «البارئ الذي برأ الخلق، فأوجدهم بقدرته»[5].

---

(١) شأن الدعاء (ص٤٩).

(٢) المنهاج (١/ ١٩٣).

(٣) تفسير القرطبي (١٠/ ٥٤).

(٤) النونية (ص١٩٤).

(٥) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٥٥).

۞ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «البارئ هو الخالق»... ثم قال: «إلا أن لهذه اللفظة من الاختصاص بالحيوان ما ليس لها بغيره من الخلق، وقلما يستعمل في خلق السماوات والأرض والجبال، فيقال:برأ الله السماء كما يقال: برأ الله الإنسان، وبرأ النسم»[١].

۞ **قال ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الخلق هو التقدير، والبراء: هو الفري، وهو التنفيذ وإبراز ما قدره وقرره إلىٰ الوجود، وليس كل من قدر شيئًا ورتبه يقدر علىٰ تنفيذه وإيجاده سوىٰ الله عَزَّوَجَلَّ»[٢].

۞ **قال الشوكاني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «البارئ: الخالق، وقيل: إن البارئ هو المبدع المحدث»[٣].

ثالثًا: معنى اسم الله (المُصَوِّر) في حقه سُبْحَانَهُ:

يقول الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار: ٧]: «صرفك وأمالك إلىٰ أي صورة شاء، إما إلىٰ صورة حسنة، وإما إلىٰ صورة قبيحة، أو إلىٰ صورة بعض قراباته»[٤]، ويقول في قوله تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر:٢٤]-: «هو المعبود الخالق، الذي لا معبود تصلح له العبادة غيره، ولا خالق سواه، البارئ الذي برأ الخلق، فأوجدهم بقدرته،

(١) شأن الدعاء (ص٥١).

(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٨٠).

(٣) فتح القدير (١/ ١٠١).

(٤) تفسير الطبري (٢٤/ ١٧٨).

المصور خلقه كيف شاء، وكيف يشاء»[1].

❊ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(المصور) هو الذي أنشأ خلقه علىٰ صور مختلفة ليتعارفوا بها، فقال: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [غافر: ٦٤]»... **وقال**: التصور التخطيط والتشكيل»، **ثم قال**: وخلق الله جَلَّ وَعَلَا الإنسان في أرحام الأمهات ثلاث خلق: جعله علقة، ثم مضغة، ثم جعلها صورة، وهو التشكيل الذي به يكون ذا صورة وهيئة يعرف بها، ويتميز بها عن غيره بسماتها ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون ١٤]»[2].

❊ **يقول السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في قوله تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾-: «الذي خلق جميع الموجودات وبرأها وسواها بحكمته، وصورها بحمده وحكمته، وهو لم يزل، ولا يزال علىٰ هذا الوصف العظيم»[3].

ومما سبق يتضح لنا اتساق هذه الأسماء الحسنىٰ وأن بينها علاقة وطيدة، إلا أن لكل صفة من هذه الصفات الثلاث ما يخصها من حيث المعنىٰ:

❊ **قال الغزالي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قد يظن أن هذه الأسماء مترادفة، وأن الكل يرجع إلىٰ الخلق والاختراع، ولا ينبغي أن يكون كذلك؛ بل كل ما يخرج من العدم إلىٰ الوجود فيفتقر إلىٰ تقدير أولًا، وإلىٰ الإيجاد علىٰ وفق التقدير ثانيًا، وإلىٰ التصوير بعد الإيجاد ثالثًا، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **خالق** من حيث إنه مقدر، **وبارئ** من حيث إنه مخترع، موجد، **ومصور** من حيث إنه مرتب صور المخترعات أحسن ترتيب»[4].

---

(١) المرجع السابق (٢٢/ ٥٥٥).

(٢) شأن الدعاء (ص٥١-٥٢).

(٣) تفسير السعدي (ص٩٤٧).

(٤) المقصد الأسنىٰ في شرح أسماء الله الحسنىٰ (ص٧٢).

❁ **قال الطِّيبيُّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قيل: إن الألفاظ الثلاثة مترادفة، وهو وهم؛ فإن: (الخالق) من الخلق، وأصله: التقدير المستقيم، ويطلق علىٰ الإبداع، وهو إيجاد الشيء علىٰ غير مثال.

و(البارئ) من البرء، وأصله: خلوص الشيء عن غيره، إما علىٰ سبيل التقصي منه، وعليه قولهم: برئ فلان من مرضه، والمديون من دينه، ومنه استبرأت الجارية، وإما علىٰ سبيل الإنشاء، ومنه برأ الله النسمة، وقيل: البارئ الخالق البريء من التفاوت والتنافر المخلين بالنظام.

و(المصور) مبدع صور المخترعات ومرتبها بحسب مقتضىٰ الحكمة، فالله خالق كل شيء، بمعنىٰ أنه موجده من أصل ومن غير أصل، وبارئه بحسب ما اقتضته الحكمة من غير تفاوت ولا اختلال، ومصوره في صورة يترتب عليها خواصه ويتم بها كماله،- إلىٰ أن قال-: وعلىٰ هذا فالتقدير يقع أولًا، ثم الإحداث علىٰ الوجه المقدر يقع ثانيًا، ثم التصوير بالتسوية يقع ثالثًا»[1].

وهذه الفروق بين هذه الأسماء لله تَعَالَىٰ إنما تتحقق عند اجتماع هذه الأسماء، أما عند افتراقها فإن كل اسم من هذه الأسماء الحسنىٰ يشمل معناه ومعاني الاسمين الآخرين، والله أعلم.

---

(١) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، لابن حجر (٢٠/ ٤٨٥).

اقتران اسم الله (الخالق، البارئ، المصور) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ في القرآن الكريم:

أولًا: اقتران اسم الله (الخالق) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ:

اقتران اسم الخالق باسمي البارئ والمصور:

وذلك في آية واحدة، وهي قوله تَعَالَى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ ﴾.

وجه الاقتران:

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «جعل سُبْحَانَهُ اسمه الجبار مقرونًا بالعزيز والمتكبر، وكل واحد من هذه الأسماء الثلاثة تضمن الاسمين الآخرين، وهذه الأسماء الثلاثة نظير الأسماء الثلاثة، وهي: الخالق، البارئ، المصور؛ فالجبار المتكبر يجريان مجرىٰ التفصيل لمعنىٰ اسم العزيز، كما أن البارئ المصور تفصيل لمعنىٰ اسم الخالق»[1].

يقول صاحب (أضواء البيان): «فالخالق هو المقدر قبل الإيجاد، و(البارئ) الموجد من العدم علىٰ مقتضىٰ الخلق والتقدير، وليس كل من قدر شيئًا أوجده إلا الله، و(المصور) المشكل لكل موجود علىٰ الصورة التي أوجده عليها، ولم يفرد كل فرد من موجوداته علىٰ صورة تختص به إلا الله، كما هو موجود في خلق الله للإنسان والحيوان والنبات كل في صورة تخصه»[2].

---

(١) شفاء العليل (ص١٢١).

(٢) أضواء البيان، لمحمد الأمين الشنقيطي (٨/ ٧٧).

اقتران اسم (الخلاق) باسم (العليم):

وذلك في آيتين، وهما: قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾[الحجر: ٨٦]، وقوله تَعَالَى: ﴿بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [يس: ٨١].

وجه الاقتران:

أن خلقه سُبْحَانَهُ للمخلوقات إنما هو عن علم منه سُبْحَانَهُ بما يخلق، كيف يخلقه، ومتىٰ يخلقه، ويعلم الحكمة من خلقه، فكل شيء عنده بقدر وبعلم ولحكمة.

ثانيًا: اقتران اسم الله (البارئ والمصور) بأسمائه الأخرىٰ سُبْحَانَهُ:

تقدم بيانه في اسم الخالق بالبارئ والمصور.

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (الخالق، الخلاق، البارئ، المصوِّر):

الأثر الأول: اثبات ما تتضمنه أسماء الله (الخالق، الخلاق، البارئ، المصور) من الصفات لله تعالىٰ:

الله سُبْحَانَهُ هو الخالق، الخلاق، البارئ، المصور، الحي، القيوم، القادر، العالم، المريد، الحكيم؛ إذ لا يمكن أن يكون خالقًا غير قادر ولا مريد ولا عالم بما خلق، أو أنه ليس له فيما خلق حكمة ولا علة؛ وفي ذلك يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«فمن طرق إثبات الصفات: دلالة الصنعة عليها؛ فإن المخلوق يدل علىٰ وجود خالقه، علىٰ حياته وعلىٰ قدرته، وعلىٰ علمه ومشيئته؛ فإن الفعل الاختياري يستلزم ذلك استلزامًا ضروريًّا، وما فيه من الإتقان والإحكام

ووقوعه علىٰ أكمل الوجوه يدل علىٰ حكمة فاعله وعنايته، وما فيه من الإحسان والنفع، ووصول المنافع العظيمة إلىٰ المخلوق يدل علىٰ رحمة خالقه، وإحسانه وجوده، وما فيه من آثار الكمال يدل علىٰ أن خالقه أكمل منه، فمعطي الكمال أحق بالكمال»[١].

ومن مظاهر ودلائل عظمة الخالق الخلاق البارئ المصور سُبْحَانَهُ ما يلي:

- **أوجد الخلق من العدم**، وقدر أمورها في الأزل، يقول تَعَالَى: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[العنكبوت:٢٠].

- **نوَّع خلقهم**؛ فاختلفت أشكالهم وألوانهم ولغاتهم، وطباعهم وأجناسهم، وأنواعهم، مع أن أصلهم واحد[٢]، قال تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[النور:٤٥].

- **خلق ما شاء علىٰ ما شاء من الصفات**، فيزيد في خلق بعض خلقه ما يشاء من القوة، والحسن، وزيادة الأعضاء، وحسن الأصوات، ولذة النغمات ونحو ذلك[٣]، قال تَعَالَى: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾ [الروم:٥٤]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[فاطر:١].

---

(١) مدارج السالكين (٣/ ٣٣٠).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٢٠٧)، وتفسير السعدي (ص٥٧١).

(٣) ينظر: تفسير السعدي (ص٦٨٤).

- **خلق الإنسان علىٰ أطوار ومراحل**، وفق تركيب وتركيب دقيق عجيب، يقول تعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾[المؤمنون:١٢، ١٤]، فبدأ بنطفة حتىٰ اكتمل بأحسن صورة، وفي أحسن تقويم، كامل الأعضاء، مستوفي الأجزاء، محكم البناء، كما قال تعَالَىٰ: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [غافر:٦٤]، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[التين:٤].

- **فاوت بين عباده فيما خلق لهم**، «فمنهم من يهب له إناثًا، ومنهم من يهب له ذكورًا، ومنهم من يزوجه، أي: يجمع له ذكورًا وإناثًا، ومنهم من يجعله عقيمًا لا يولد له»[1].

يقول تعَالَىٰ: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾[الشورىٰ: ٤٩، ٥٠].

- **خلق السماوات** بما فيهما علىٰ عظمهما وسعتهما، وإحكامهما، وإتقانهما، وبديع خلقهما، يقول تعَالَىٰ: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [لقمان:١٠]، ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾[يس:٨١].

(١) المرجع السابق (ص٧٦٢).

- **خلق الأرض مهادًا للخلق**، يمكنهم القرار عليها والانتفاع بما عليها، وأودع بها ما أودع، من منافع الخلق ومصالحهم، وضروراتهم وحاجاتهم.

يقول تعالَى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُواْ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ [نوح:١٩]، وقال تعالَى: ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ﴾[الرحمن:١٠ - ١٢].

فأنزل علىٰ هذه الأرض المطر، «وهو لقاح واحد، والأم واحدة، وهي الأرض، والأولاد مختلفو الأصناف والأوصاف، يقول سُبْحَانَهُ: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد:٤]»(١).

- **خلق الشمس والقمر** متعاقبان، لا يفتران، يسعيان لمصالح العباد، من حساب أزمنتهم ومصالح أبدانهم، وحيواناتهم، وزروعهم، وثمارهم.

يقول تعالَى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾[إبراهيم:٣٣]، بهما تعاقب الليل والنهار.

«واختلافا في الحر، والبرد، والتوسط، وفي الطول، والقصر، والتوسط، وما ينشأ عن ذلك من الفصول، التي بها انتظام مصالح بني آدم وحيواناتهم، وجميع ما علىٰ وجه الأرض، من أشجار ونوابت، كل ذلك بانتظام وتدبير، وتسخير، تنبهر له العقول»(٢).

---

(١) تفسير السعدي (ص٥٧١).

(٢) تفسير السعدي (ص٢٦٥).

يقول سُبْحَانَهُ: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۗ أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ﴾ [الزمر:٥].

فمن تأمل في خلق الخالق سُبْحَانَهُ وتصويره وبرئه؛ أيقن بعظمة قدرة الله سُبْحَانَهُ وكمال علمه وحكمته، ورحمته ولطفه، وتصريفه وتدبيره سُبْحَانَهُ.

الأثر الثاني: توحيد الله بأسمائه: الخالق، الخلاق، الباريء، المصور:

- دلالة أسماء الله الخالق، الخلاق، الباريء، المصور، علىٰ توحيد الألوهية والربوبية:

من آمن بهذه الأسماء؛ علم أن الله سُبْحَانَهُ له الخلق والأمر كله، يقول تَعالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤].

«فله الخلق الذي صدرت عنه جميع المخلوقات علويها وسفليها، أعيانها وأوصافها وأفعالها، والأمر المتضمن للشرائع والنبوات، **فالخلق**: يتضمن أحكامه الكونية القدرية، **والأمر**: يتضمن أحكامه الدينية الشرعية، وثم أحكام الجزاء»(١).

«فكما أنه لا خالق سواه، فليس علىٰ الخلق إلزام ولا أمر ولا نهي إلا من خالقهم سُبْحَانَهُ»(٢).

---

(١) المرجع السابق (ص٢٩١).

(٢) تفسير السعدي (ص٥٠١).

وقد جاء التأكيد علىٰ هذا المعنىٰ في قوله تعَالَى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [غافر:٦٢، ٦٣]: «فالله ربكم المنفرد بالإلهية، والمنفرد بالربوبية؛... ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ تقرير أنه المستحق للعبادة وحده، لا شريك له، و﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ تقرير لربوبيته، ثم صرح بالأمر بعبادته، فقال: ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ أي: كيف تصرفون عن عبادته، وحده لا شريك له، بعد ما أبان لكم الدليل، وأنار لكم السبيل؟ ﴿كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ أي: عقوبة علىٰ جحدهم لآيات الله، وتعديهم علىٰ رسله، صرفوا عن التوحيد والإخلاص، كما قال تعَالَى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة:١٢٧]»[(١)].

وقد ضرب الله مثلًا لقبح عبادة الأوثان، وبيان نقصان عقول من عبدها، يقول تعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ [الحج:٧٣].

يقول السعدي عند هذه الآية: «في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ شمل كل ما يدعىٰ من دون الله، ﴿لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا﴾ الذي هو من أحقر المخلوقات وأخسها، فليس في قدرتهم خلق هذا المخلوق الضعيف، فما فوقه من باب أولىٰ، ﴿وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ﴾، بل أبلغ من ذلك لو ﴿يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ﴾، وهذا غاية ما يصير من العجز، ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ﴾

(١) المرجع السابق (ص٧٤١).

الذي هو المعبود من دون الله ﴿وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ الذي هو الذباب، فكل منهما ضعيف، وأضعف منهما، من يتعلق بهذا الضعيف، وينزله منزلة رب العالمين، فهذا ما قدر الله حق قدره، حيث سوىٰ الفقير العاجز من جميع الوجوه، بالغني القوي من جميع الوجوه، سوَّىٰ من لا يملك لنفسه، ولا لغيره نفعًا ولا ضرًّا، ولا موتًا ولا حياة، ولا نشورًا، بمن هو النافع الضار، المعطي المانع، مالك الملك، والمتصرف فيه بجميع أنواع التصريف»[1].

وعليه فالايمان بهذه الأسماء يستلزم الإيمان بوحدانيته سُبْحَانَهُ، وألوهيته، وإفراده وحده بالعبادة، يقول تَعَالَىٰ: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون:٨٤، ٨٩]، ويقول سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت:٦١، ٦٣].

يقول السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذلك: «هذا استدلال علىٰ المشركين المكذبين بتوحيد الإلهية والعبادة، وإلزام لهم بما أثبتوه من توحيد الربوبية، فأنت لو سألتهم من خلق السماوات والأرض، ومن نزل من السماء ماء فأحيا به

(١) تفسير السعدي (ص٥٤٦).

الأرض بعد موتها، ومن بيده تدبير جميع الأشياء؟ ﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ وحده، ولا اعترفوا بعجز الأوثان، ومن عبدوه مع الله علىٰ شيء من ذلك!

فاعجب لإفكهم وكذبهم، وعدولهم إلىٰ من أقروا بعجزه، وأنه لا يستحق أن يدبر شيئًا، وسجل عليهم بعدم العقل، وأنهم السفهاء، ضعفاء الأحلام، فهل تجد أضعف عقلًا وأقل بصيرة، ممن أتىٰ إلىٰ حجر، أو قبر ونحوه، وهو يدري أنه لا ينفع ولا يضر، ولا يخلق ولا يرزق، ثم صرف له خالص الإخلاص، وصافي العبودية، وأشركه مع الرب، الخالق الرازق، النافع الضار»[(١)].

- دلالة أسماء الله الخالق، الخلاق، البارئ، المصور، علىٰ توحيد الأسماء والصفات:

كما أن أسماء الله الخالق، الخلاق، البارئ، المصور، تدل علىٰ توحيد الربوبية والألوهية، فهي تدل - أيضًا- علىٰ توحيد الأسماء والصفات، وتدل علىٰ عدد كبير منها كالقدير، والخبير، والعلي المتعال، وذو الجلال والإكرام، والجبار، وغيرها من الأسماء الدالة علىٰ ذلك.

الأثر الثالث: الله سُبْحَانَهُ خالق الأسباب ومسبباتها:

فالله سُبْحَانَهُ جعل الحياة مبنية في العادة علىٰ ترابط الأسباب بمسبباتها، والعلل بمعلولاتها، فلا يخلق النتيجة إلا إذا خلق السبب أو العلة، فلا يخلق التفكير إلا إذا خلق العقل، ولايخلق الإحراق إلا إذا خلق النار، ولا يخلق النبتة إلا إذا خلق البذرة، ولا يخلق الابن إلا إذا أوجد الأب والأم.

---

(١) تفسير السعدي (ص٦٣٥).

وهذا لا ينفي أن الله تَعَالَىٰ قد يخلق بقدرته العلل والأسباب بغير أسبابها ومعلولاتها، وهو ما يسمىٰ بخوارق العادات أو الكرامات والمعجزات.

وفي ذلك يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الأسباب مظهر حكمته وحمده، وموضع تصرفه لخلقه وأمره فتقدير تعطيلها تعطيل للخلق والأمر، وهو أشد منافاة للحكمة وإبطالًا لها، واقتضاء هذه الأسباب لمسبباتها كاقتضاء الغايات لأسبابها، فتعطيلها منها قدح في الحكمة وتفويت لمصلحة العالم التي عليها نظامه وبها قوامه، وأن الرب سُبْحَانَهُ قد يخرق العادة ويعطلها عن مقتضياتها أحيانًا إذا كان فيه مصلحة راجحة علىٰ مفسدة فوات تلك المسببات، كما عطل النار التي ألقىٰ فيها إبراهيم، وجعلها عليه بردًا وسلامًا عن الإحراق؛ لما في ذلك من المصالح العظيمة، وكذلك تعطيل الماء عن إغراق موسىٰ وقومه وعما خلق عليه من الإسالة والتقاء أجزائه بعضها ببعض، هو لما فيه من المصالح العظيمة والآيات الباهرة والحكمة التامة التي ظهرت في الوجود، وترتب عليها من مصالح الدنيا والآخرة ما ترتب.

فهكذا سائر أفعاله سُبْحَانَهُ، مع أنه أشهد عباده بذلك أنه مسبب الأسباب، وأن الأسباب خلقه، وأنه يملك تعطيلها عن مقتضياتها وآثارها، وأن كونها كذلك لم يكن من ذاتها وأنفسها، بل هو الذي جعلها كذلك وأودع فيها من القوىٰ والطبائع ما اقتضت به آثارها، وأنه إن شاء أن يسلبها إياها سلبها، لا كما يقول أعداؤه من الفلاسفة والطبائعيين وزنادقة الأطباء: إنه ليس في الإمكان تجريد هذه الأسباب عن آثارها وموجباتها، ويقولون: لا تعطيل في الطبيعة، وليست الطبيعة عندهم مربوبة مقهورة تحت قهر قاهر، وتسخير مسخر يصرفها كيف يشاء، بل هي المتصرفة المدبرة.

ولا كما يقول من نقص علمه ومعرفته بأسرار مخلوقاته وما أودعها من القوىٰ والطبائع والغرائز، وبالأسباب التي ربط بها خلقه وأمره وثوابه وعقابه، فجحد ذلك كله ورد الأمر إلىٰ مشيئة محضة مجردة عن الحكمة والغاية، وعن ارتباط العالم بعضه ببعض ارتباط الأسباب بمسبباتها والقوىٰ بمحالها»[1].

وعليه فأهل اليقين ينظرون إلىٰ الأسباب، ويعلمون أنها صادرة عن الخلاق، وأن الله سُبْحَانَهُ تارة ينسب الفعل إليه؛ لأنه الخالق بتقدير وقدرة، وتارة ينسب الفعل إلىٰ عباده عند دعوتهم إلىٰ العمل في الأسباب بمقتضىٰ الشريعة والعقل والحكمة، فمرة يقول سُبْحَانَهُ في بيان التقدير والقدرة: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ [الواقعة:٦٣، ٦٤]، وقال أيضًا: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ [عبس:٢٤ - ٣٢]، فنفىٰ عن الناس خلقهم لأفعالهم وتأثير الأسباب بمفردها في أرزاقهم، وأثبت لنفسه تصريف الأسباب وانفراده بخلقها وتقليبها؛ لأنه الخالق الخلاق علىٰ الحقيقة، فهو الذي علم وكتب، وشاء وخلق، قدر كل شيء بعلمه، وكتبه في أم الكتاب بقلمه، وأمضاه بمشيئته، وخلقه بقدرته.

ثم أمر الناس أن يأخذوا بالأسباب التي خلقها وأحكم ابتلاءهم بها، فقال: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ [يوسف:٤٧]، وقال تَعَالَىٰ أيضا: ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفتح:٢٩]، فسماهم زرَّاعًا، وقال: تزرعون، وسماهم كفارًا؛ لأنهم يضعون

(١) طريق الهجرتين (ص٢٥٧).

البذرة ويغطونها ويغيبونها في الأرض، فكلف عباده بالعمل لأنهم في دار ابتلاء وامتحان، والأخذ بالأسباب حتم علىٰ بني الإنسان؛ فهم مستخلفون في ملكه ومخولون في أرضه، فطالب بالعمل والإنفاق مع الإيمان بأنه الخلاق؛ ليصل كل منهم إلىٰ ما قدر له من الأرزاق، فقال تَعَالَى: ﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾[الحديد:٧].

أما ما يتعلق بخلق الله سُبْحَانَهُ للأسباب والعلل من غير مسبباتها وعللها، فمن شواهد ذلك أيضًا:

- خلق الثمار لمريم بنت عمران من غير نباتها، فكانت تأكل من الثمار بدون أسباب، وفي غير أوانها، كما قال تَعَالَى: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًاۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[آل عمران:٣٧]، قيل: إنها كانت ترزق بفاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف[1].

- اختيار الله سُبْحَانَهُ لمريم- أيضًا- لتكون محلًّا للابتلاء، فتحمل من غير زوج، علىٰ غير عادة النساء، وتلد عيسىٰ، كمعلول بغير علة ونتيجة بلا سبب، يقول تَعَالَى: ﴿ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾[مريم:١٧ - ٢١].

---

(١) تفسير الطبري (٣/ ٢٤٤).

- اختيار الله سُبْحَانَهُ لإبراهيم ليرميه قومه في نار لا يقوىٰ الطير علىٰ المرور من فوقها، وقد توفرت لهم العلة ولكن الله لم يخلق معلولها، فكانت بردًا عليه وسلامًا، يقول تَعَالَى: ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء:٦٨، ٦٩].

- اختيار الله محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لتضع له السم يهودية، ويتخلف السم عن معلوله، فلم يضره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ففي حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ يَهُودِيَّةً أَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَاةٍ مَسْمُومَةٍ فَأَكَلَ مِنْهَا، فَجِيءَ بِهَا، فَقِيلَ: أَلَا نَقْتُلُهَا؟»[1]، وفي رواية مسلم: «فَجِيءَ بِهَا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلَهَا عَنْ ذَلِكَ؟ فَقَالَتْ: أَرَدْتُ لِأَقْتُلَكَ، قَالَ: **مَا كَانَ اللهُ لِيُسَلِّطَكِ عَلَىٰ ذَاكِ**، أَوْ قَالَ: **عَلَيَّ**، قَالَ: قَالُوا: أَلَا نَقْتُلُهَا؟ قَالَ: **لَا**»[2]، إلىٰ غير ذلك من الشواهد والمعجزات الربانية.

الأثر الرابع: الحكمة من خلق الخلق:

إن الإيمان بأسماء الله الخالق الخلاق البارئ المصور سُبْحَانَهُ يستلزم الإيمان بحكمته سُبْحَانَهُ من هذا الخلق، فالله تَعَالَى لم يخلق الخلق عبثًا- تَعَالَى عن ذلك وتقدس-، يقول تَعَالَى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون:١١٥].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٤٧٤).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢١٩٠).

بل إنه سُبْحَانَهُ خلق الخلق لحكمة جليلة وغاية عظيمة، ألا وهي معرفة الله سُبْحَانَهُ بآياته ومخلوقاته، ثم القيام بعبادته علىٰ الوجه الذي أمرنا به.

ودليل الأول: قول الله تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق:١٢].

ودليل الثاني: قول الله تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن سر العبودية، وغايتها وحكمتها إنما يطلع عليها من عرف صفات الرب عَزَّوَجَلَّ، ولم يعطلها، وعرف معنىٰ الإلهية وحقيقتها...، فمن أنكر حقيقة الإلهية ولم يعرفها، كيف يستقيم له معرفة حكمة العبادات؟ وغاياتها ومقاصدها، وما شرعت لأجله؟ كيف يستقيم له العلم بأنها هي الغاية المقصودة بالخلق، والتي لها خلقوا، ولها أرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، ولأجلها خلقت الجنة والنار؟...، إن العبادة هي الغاية التي خلق لها الجن والإنس والخلائق كلها، قال الله تَعَالَى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة:٣٦] أي: مهملًا، قال الشافعي: لا يؤمر ولا ينهىٰ، وقال غيره: لا يثاب ولا يعاقب، والصحيح: الأمران، فإن الثواب والعقاب مترتبان علىٰ الأمر والنهي، والأمر والنهي طلب العبادة وإرادتها، وحقيقة العبادة امتثالهما، وقال تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران:١٩١]»[١].

---

(١) مدارج السالكين (١/ ١١٨).

وقد ضل في هذا الباب- الغاية من خلق الخلق- أكثر الخلق؛ فعرفوا أن الذي خلقهم هو الله وحده لا شريك له، وأنه وحده سُبْحَانَهُ تفرد بخلقهم، وخلق السماء، والأرض، والجبال، والأشجار، وغيرها من المخلوقات، ومع هذا الإقرار، صرفوا العبادة لغير الله، وهذا هو معنىٰ قول الله تَعَالَى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف:١٠٦].

قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «من إيمانهم إذا قيل لهم: من خلق السماء؟ ومن خلق الأرض؟ ومن خلق الجبال؟ قالوا: الله، وهم مشركون»[(١)].

وقال عكرمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تسألهم من خلق السماوات والأرض؟ فيقولون: الله، فذاك إيمانهم بالله وهم يعبدون غيره»[(٢)].

وقال الله تَعَالَى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾[الأنعام:١] أي: «يجعلون له شريكًا في عبادتهم إياه، فيعبدون معه الآلهة والأنداد والأصنام والأوثان، وليس منها شيء شركه في خلق شيء من ذلك، ولا في إنعامه عليهم بما أنعم به عليهم، بل هو المنفرد بذلك كله، وهم يشركون في عبادتهم إياه غيره، فسبحان الله ما أبلغها من حجة، وأوجزها من عظة، لمن فكر فيها بعقل، وتدبرها بفهم!»[(٣)].

---

(١) تفسير الطبري (١٦ / ٢٨٦).

(٢) المرجع السابق (١٦ / ٢٨٦).

(٣) المرجع السابق (١١ / ٢٥٢).

الأثر الخامس: محبة الله الخالق الخلاق، البارئ، المصور سُبْحَانَهُ:

من تأمل في خلقه سُبْحَانَهُ وبرئه وتصويره لعباده في أحسن تقويم، وهدايته وتوفيقه، وتسخير الكون العظيم البديع كله لخدمته، وفق حكمة ربانية وعلم إلهي؛ أورث ذلك في قلبه محبة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وتعلقًا به سُبْحَانَهُ.

الأثر السادس: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾:

ذكر الله سُبْحَانَهُ الاعجاز في خلق الإنسان، والدعوة إلىٰ التأمل في ذلك في مواضع عديدة في كتابه العظيم، ومن ذلك قوله تَعَالَىٰ: ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ﴾ [الطارق:٥] وقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾[الذاريات:٢١]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾[يس:٧٧]، وقال أيضًا: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةً فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمًا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون:١٢ - ١٤].

ويقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في ذلك**: «لما كان أقرب الأشياء إلىٰ الإنسان نفسه، دعاه خالقه وبارئه ومصوره وفاطره من قطرة ماء إلىٰ التبصر والتفكر في نفسه، فإذا تفكر الانسان في نفسه، استنارت له آيات الربوبية، وسطعت له أنوار اليقين، واضمحلت عنه غمرات الشك والريب، وانقشعت عنه ظلمات الجهل، فإنه إذا نظر في نفسه وجد آثار التدبير فيه قائمات، وأدلة التوحيد علىٰ ربه ناطقات شاهدة لمدبره، دالة عليه مرشدة إليه، إذا يجده مكونًا من قطره ماء لحومًا منضدة، وعظامًا مركبة، وأوصالًا متعددة، مأسورة مشددة

بحبال العروق والأعصاب، قد قمطت وشدت وجمعت بجلد متين، مشتمل علىٰ ثلاثمائة وستين مفصلًا، ما بين كبير وصغير، وثخين ودقيق، ومستطيل ومستدير، ومستقيم ومنحن، وشدت هذه الأوصال بثلاثمائة وستين عرقًا؛ للاتصال والانفصال والقبض والبسط والمد والضم والصنائع والكتابة.

وجعل فيه تسعة أبواب: فبابان للسمع، وبابان للبصر، وبابان للشم، وبابان للكلام والطعام والشراب والتنفس، وبابان لخروج الفضلات التي يؤذيه احتباسها.

وجعل داخل بابي السمع مرًّا قاتلًا؛ لئلا تلج فيها دابة تخلص إلىٰ الدماغ فتؤذيه، وجعل داخل بابي البصر مالحًا؛ لئلا تذيب الحرارة الدائمة ما هناك من الشحم، وجعل داخل باب الطعام والشراب حلوًا؛ ليسيغ به ما يأكله ويشربه فلا يتنغص به لو كان مرًا أو مالحًا.

وجعل له مصباحين من نور، كالسراج المضيء مركبين في أعلىٰ مكان منه، وفي أشرف عضو من أعضائه، طليعة له وركب هذا النور في جزء صغير جدًّا يبصر به السماء والأرض وما بينهما، وغشاه بسبع طبقات وثلاث رطوبات بعضها فوق بعض، حماية له وصيانة، وحراسة، وجعل علىٰ محله غلقًا بمصراعين أعلا وأسفل، وركب في ذيل المصراعين أهدابًا من الشعر وقاية للعين وزينة وجمالًا، وجعل فوق ذلك كله حاجبين من الشعر يحجبان العين من العرق النازل ويتلقيان عنها ما ينصب من هناك، وجعل سُبْحَانَهُ لكل طبقة من طبقات العين شغلًا مخصوصًا، ولكل واحد من الرطوبات مقدارًا مخصوصًا، لو زاد علىٰ ذلك أو نقص منه لاختلت المنافع والمصالح المطلوبة.

وجعل هذا النور الباصر في قدر عدسة، ثم أظهر في تلك العدسة صورة السماء والأرض، والشمس والقمر، والنجوم والجبال، والعالم العلوي والسفلي، مع اتساع أطرافه وتباعد أقطاره، واقتضت حكمته سُبْحَانَهُ أن جعل فيها بياضًا وسوادًا، وجعل القوة الباصرة في السواد، وجعل البياض مستقرًّا لها ومسكنًا وزين كلًّا منهما بالآخر.

وجعل الحدقة مصونة بالأجفان والحواجب كما تقدم، والحواجب بالأهداب، وجعلها سوداء؛ إذ لو كانت بيضاء لتفرق النور الباصر، فضعف الإدراك، فإن السواد يجمع البصر ويمنع من تفرق النور الباصر، وخلق سُبْحَانَهُ لتحريك الحدقة وتقليبها أربعًا وعشرين عضلة، لو نقصت عضلة واحدة لاختل أمر العين.

ولما كانت العين كالمرآة التي إنما تنطبع فيها الصور إذا كانت في غاية الصقالة والصفاء، جعل سُبْحَانَهُ هذه الأجفان متحركة جدًّا بالطبع إلىٰ الانطباق من غير تكلف؛ لتبقىٰ هذه المرآة نقية صافية من جميع الكدورات، ولهذا لما لم يخلق لعين الذبابة أجفانًا، فإنها لا تزال تراها تنظف عينها بيدها من آثار الغبار والكدورات...»[1].

(١) التبيان في أقسام القرآن، لابن القيم (ص٣٠٣).

الأثر السابع: الحذر من عيب ما صوره المصور سُبْحَانَهُ:

فالله سُبْحَانَهُ امتن علىٰ عباده بأن صورهم فأحسن صورهم، يقول تَعَالَىٰ: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾، وهذا التصوير يتم علىٰ وجهين:

الأول: تصوير آدم، فقد خلقه الله بيده، وصوره، ثم نفخ فيه الروح، وأسجد له ملائكته: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ﴾ [الأعراف:١١].

والثاني: التصوير الذي تم في الأرحام: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران:١١].

وعليه فمن آمن بأن الله هو الخالق الخلاق البارئ المصور، لم يعب علىٰ أحد خلقه، وشكله، وهيئته؛ لأن عيب الصنعة إنما هو عيب لصانعها، ولذا قيل لمن يعيب بعض الناس: أتعيب الخالق، أم تعيب المخلوق!، وفي ذلك يقول الله تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات:١١].

فالله تَعَالَىٰ لا يقدر الناس بأشكالهم ولا صورهم، وإنما الميزان الحقيقي للتفاضل هو تقواهم التي في قلوبهم وجهادهم في تحقيق ذلك كما في الآية

السابقة، عندما ذكر الله تَعَالَى التفاضل الحقيقي بالتقوىٰ عقَّب النهي عن الغيبة، واحتقار الناس لبعضهم؛ وذلك تنبيهًا منه سُبْحَانَهُ لتساويهم في البشرية، وأن التفاضل إنما يكون بالأمور الدينية[1].

وهذا هو المنهج النبوي والتربية النبوية، يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَىٰ صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ قُلُوبِكُمْ، وَأَعْمَالِكُمْ**»[2]، ومن **شواهد ذلك ما يلي:**

- حديث أنس بن مالك: «أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ يُقَالُ لَهُ زَاهِرُ بْنُ حَرَامٍ، كَانَ يُهْدِي إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْهَدِيَّةَ، فَيُجَهِّزُهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ زَاهِرًا بَادِينَا، وَنَحْنُ حَاضِرُوهُ**، قَالَ: فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَبِيعُ مَتَاعَهُ، فَاحْتَضَنَهُ مِنْ خَلْفِهِ وَالرَّجُلُ لَا يُبْصِرُهُ، فَقَالَ: أَرْسِلْنِي، مَنْ هَذَا؟ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا عَرَفَ أَنَّهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَعَلَ يُلْزِقُ ظَهْرَهُ بِصَدْرِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ يَشْتَرِي هَذَا الْعَبْدَ** ؟ فَقَالَ زَاهِرٌ: تَجِدُنِي يَا رَسُولَ اللهِ كَاسِدًا، قَالَ: **لَكِنَّكَ عِنْدَ اللهِ لَسْتَ بِكَاسِدٍ، أَوْ قَالَ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بَلْ أَنْتَ عِنْدَ اللهِ غَالٍ** »[3].

- حديث عمرو بن الشريد، يحدث عن أبيه، «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَبِعَ رَجُلًا مِنْ ثَقِيفَ حَتَّىٰ هَرْوَلَ فِي إِثْرِهِ حَتَّىٰ أَخَذَ بِثَوْبِهِ، فَقَالَ: **ارْفَعْ إِزَارَكَ،**

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٣٨٥).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٥٦٤).

(٣) أخرجه ابن حبان، رقم الحديث: (٥٧٩٠)، والضياء في المختارة، رقم الحديث: (١٨٠٦)، حكم الألباني: صحيح، مختصر الشمائل، رقم الحديث: (٢٠٤).

فَكَشَفَ الرَّجُلُ، عَنْ رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أَحْنَفُ وَتَصْطَكُّ رُكْبَتَايْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كُلُّ خَلْقِ اللهِ حَسَنٌ**»، فَلَمْ نَرَ ذَلِكَ الرَّجُلَ إِلَّا وَإِزَارُهُ إِلَىٰ نِصْفِ سَاقَيْهِ حَتَّىٰ مَاتَ[(١)].

- حديث معاوية بن قرة، عن أبيه، قال: «كَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ عَلَىٰ شَجَرَةٍ يَجْنِي لَهُمْ مِنْهَا، فَهَبَّتِ الرِّيحُ فَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهِ، فَضَحِكُوا مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أُحُدٍ**»[(٢)].

- حديث أنس، قال: «خَطَبَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ جُلَيْبِيبٍ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ إِلَىٰ أَبِيهَا، فَقَالَ: حَتَّىٰ أَسْتَأْمِرَ أُمَّهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **فَنَعَمْ إِذًا**، قَالَ: فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ إِلَىٰ امْرَأَتِهِ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهَا، فَقَالَتْ: لَا هَا اللهِ إِذًا، مَا وَجَدَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا جُلَيْبِيبًا، وَقَدْ مَنَعْنَاهَا مِنْ فُلَانٍ وَفُلَانٍ؟ قَالَ: وَالْجَارِيَةُ فِي سِتْرِهَا تَسْتَمِعُ، قَالَ: فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ يُرِيدُ أَنْ يُخْبِرَ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ، فَقَالَتِ الْجَارِيَةُ: أَتُرِيدُونَ أَنْ تَرُدُّوا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْرَهُ؟ إِنْ كَانَ قَدْ رَضِيَهُ لَكُمْ فَأَنْكِحُوهُ، قَالَ: فَكَأَنَّهَا جَلَّتْ عَنْ أَبَوَيْهَا، وَقَالَا: صَدَقْتِ، فَذَهَبَ أَبُوهَا إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ قَدْ رَضِيتَهُ فَقَدْ رَضِينَاهُ، قَالَ: **فَإِنِّي قَدْ رَضِيتُهُ**، فَزَوَّجَهَا، ثُمَّ فَزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ فَرَكِبَ جُلَيْبِيبٌ، فَوَجَدُوهُ قَدْ قُتِلَ

(١) أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار، رقم الحديث: (١٧٠٨)، والطبراني في الكبير، رقم الحديث: (٧٢١٤)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (١٤٤١).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٤٠٧٢)، وأبو يعلىٰ، رقم الحديث: (٥٣١٠)، والطبراني في الكبير، رقم الحديث: (٨٤٥٢)، حكم الألباني : صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٣١٩٢).

وَحَوْلَهُ نَاسٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَدْ قَتَلَهُمْ، قَالَ أَنَسٌ: فَلَقَدْ رَأَيْتُهَا، وَإِنَّهَا لَمِنْ أَنْفَقِ بَيْتٍ فِي الْمَدِينَةِ»[1].

الحمدُ لله الذي خلقَ السماواتِ والأرضَ، وجعلَ الظلماتِ والنورَ، اللهمَّ كما حَسَّنْتَ خَلْقِي فَحَسِّنْ خُلُقِي.



---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث (١٢٥٨٨)، وابن حبان، رقم الحديث : (٤٠٥٩)، حكم الألباني : صحيح، التعليقات الحسان، رقم الحديث : (٤٠٤٧).

الخبيرُ جَلَّجَلَالُهُ



المعنى اللغوي:

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الخَبَر: المزادة العظيمة، والجمع: خبور... والخبر بالتحريك: واحد الأخبار...والاسم: الخُبر بالضم، وهو العلم بالشيء. والخبير: العالم. والخبير: الاكار، ومنه المخابرة، وهي: المزارعة ببعض ما يخرج من الأرض...»(١).

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الخاء والباء والراء أصلان: فالأول العلم، والثاني يدل علىٰ لين ورخاوة وغزر، فالأول الخبر: العلم بالشيء، تقول: لي بفلان خبرة وخبر. والله تَعَالَى الخبير، أي العالم بكل شيء، وقال الله تَعَالَى: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[فاطر:١٤]، والأصل الثاني: الخبراء، وهي الأرض اللينة...»(٢).

ورود اسم الله (الخبير) في القرآن الكريم:

ورد اسم الله (الخبير) خمسًا وأربعين مرة في كتاب الله، ومن وروده ما يلي:

١- قوله تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[آل عمران:١٨٠].

٢- قوله تَعَالَى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾[الأنعام:٧٣].

٣- قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ [فاطر:٣١].

---

(١) الصحاح (٢/ ١٤٦).

(٢) مقاييس اللغة (٢/ ٩٣٢).

ورود اسم الله (الخبير) في السنة النبوية:

ورد اسم الله (الخبير) في السنة النبوية، ومن وروده: حديث مُحَمَّد بْنِ قَيْسِ بْنِ مَخْرَمَةَ بْنِ الْمُطَّلِبِ أَنَّهُ قَالَ يَوْمًا: «أَلَا أُحَدِّثُكُمْ عَنِّي وَعَنْ أُمِّي، قَالَ: فَظَنَنَّا أَنَّهُ يُرِيدُ أُمَّهُ الَّتِي وَلَدَتْهُ، قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ: أَلَا أُحَدِّثُكُمْ عَنِّي وَعَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْنَا: بَلَىٰ، قَالَ: قَالَتْ: لَمَّا كَانَتْ لَيْلَتِي الَّتِي كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا عِنْدِي انْقَلَبَ فَوَضَعَ رِدَاءَهُ، وَخَلَعَ نَعْلَيْهِ، فَوَضَعَهُمَا عِنْدَ رِجْلَيْهِ، وَبَسَطَ طَرَفَ إِزَارِهِ عَلَىٰ فِرَاشِهِ، فَاضْطَجَعَ، فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا رَيْثَمَا ظَنَّ أَنْ قَدْ رَقَدْتُ، فَأَخَذَ رِدَاءَهُ رُوَيْدًا، وَانْتَعَلَ رُوَيْدًا، وَفَتَحَ الْبَابَ، فَخَرَجَ، ثُمَّ أَجَافَهُ رُوَيْدًا، فَجَعَلْتُ دِرْعِي فِي رَأْسِي، وَاخْتَمَرْتُ وَتَقَنَّعْتُ إِزَارِي، ثُمَّ انْطَلَقْتُ عَلَىٰ إِثْرِهِ، حَتَّىٰ جَاءَ الْبَقِيعَ، فَقَامَ، فَأَطَالَ الْقِيَامَ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ انْحَرَفَ، فَانْحَرَفْتُ فَأَسْرَعَ، فَأَسْرَعْتُ، فَهَرْوَلَ، فَهَرْوَلْتُ، فَأَحْضَرَ فَأَحْضَرْتُ فَسَبَقْتُهُ، فَدَخَلْتُ فَلَيْسَ إِلَّا أَنِ اضْطَجَعْتُ، فَدَخَلَ فَقَالَ: مَا لَكِ يَا عَائِشُ حَشْيَا رَابِيَةً قَالَتْ: قُلْتُ: لَا شَيْءَ، قَالَ: لَتُخْبِرِينِي، أَوْ لَيُخْبِرَنِّي اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، فَأَخْبَرْتُهُ...»[1].

معنىٰ اسم الله (الخبير):

❊ قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ [البقرة:٢٣٤]: «خبير: يعني ذو خبرة وعلم، لا يخفىٰ عليه منه شيء»[2].

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٤٧٩).

(٢) تفسير الطبري (٥/ ٤٩).

❁ **قال الزجاجي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الخبير: العالم بالشيء، يقال: خبرت الشيء واختبرته، إذا علمته...»[1].

❁ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الخبير: هو العالم بكنه الشيء، المطلع علىٰ حقيقته، كقوله تَعَالَىٰ: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان:٥٩] »[2].

❁ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الخبير: الذي انتهىٰ علمه إلىٰ الإحاطة ببواطن الأشياء وخفاياها، كما أحاط بظواهرها»[3].

❁ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العليم الخبير: هو الذي أحاط علمه بالظواهر، والبواطن، والإسرار، والإعلان، وبالواجبات، والمستحيلات، والممكنات، وبالعالم العلوي والسفلي، وبالماضي، والحاضر، والمستقبل، فلا يخفىٰ عليه شيء من الأشياء»[4].

اقتران اسم الله (الخبير) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ فِي القرآن الكريم:

أولًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (الخبير) باسمه (اللطيف):

اقترن اسم الله (الخبير) باسمه (اللطيف) في خمس آيات من القرآن الكريم، ومنها:

قوله تَعَالَىٰ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام:١٠٣]، وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤].

---

(١) اشتقاق أسماء الله (ص: ٧٢١).

(٢) شأن الدعاء (١/ ٣٦).

(٣) الصواعق المرسلة في الرد علىٰ الجهمية والمعطلة (٢/ ٢٩٤).

(٤) تفسير السعدي (ص: ٥٤٩).

وجه الاقتران[1]:

١- أن خبرة الله عَزَّوَجَلَّ وعلمه أحاط بأفعاله، التي لطفت عن أن تدركها العقول والأفهام، كما أحاط- أيضًا- بكل ما لطف ودق.

٢- أن لطف الله عَزَّوَجَلَّ الذي دق عن إدراك العقول والأفهام، إنما هو جارٍ علىٰ مقتضىٰ خبرته وعلمه وحكمته.

ثانيًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (الخبير) باسمه (العليم):

ورد اقتران اسمه (الخبير) باسمه (العليم) أربع مرات في القرآن الكريم، منها:

قوله تَعَالَىٰ: ﴿إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا﴾ [النساء:٣٥]، وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ﴾ [لقمان:٣٤].

وجه الاقتران:

يدل علىٰ كمال علم الله؛ إذ شمل علمه العالم الظاهر المشهود الذي دل عليه اسم الله (العليم)، وشمل علمه العالم الباطن الغيبي الذي دل عليه اسم الله (الخبير)، وإن كل من الاسمين بمفردهما دال علىٰ العلم بالظاهر والباطن، إلا أنهما إذا اجتمعا خص كل واحد منهما بعلم معين.

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٦٧٨)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور (٧/ ٨١٤).

ثالثًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (الخبير) باسمه (الحكيم):

تقدم بيانه في اسم الله الحكيم.

رابعًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (الخبير) باسمه سُبْحَانَهُ (البصير):

تقدم بيانه في اسم الله البصير.

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (الخبير):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (الخبير) من صفاته سُبْحَانَهُ:

الله عَزَّوَجَلَّ الخبير الذي وسع ودق ولطف علمه وخبرته، حتى أدرك السرائر والخفايا، والخبايا والبواطن، فلم يخف عليه شيء منها، قال تَعَالَى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام:١٠٣]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام:٧٣][1].

ومن مظاهر كمال هذا الاسم ما يلي:

- **أنه الخبير** الذي أحاط علمه بذاته الجليلة، وبأسمائه الحسنىٰ، وبصفاته العلىٰ، وبأفعاله العظيمة التي لا يحيط بها خلقه، قال تَعَالَى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام:١٠٣]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾ [الفرقان:٥٩] «يعني بذلك: نفسه الكريمة،

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٨٦٢).

فهو الذي يعلم أوصافه وعظمته وجلاله»[1].

- **أنه الخبير** الذي أحاط علمه بما في أرجاء السموات والأرض وأقطارهما من مخلوقاته، حتىٰ الصغير الدقيق الخفي منها، قال تَعَالَى: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾[الملك:١٤][2].

فيعلم الخبير حبة الخردل- التي هي من أصغر الأشياء وأحقرها- في داخل الصخر أو في أي جزء من أجزاء السماوات و الأرض، قال تَعَالَى: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ﴾[لقمان:١٦][3].

ويعلم الخبير بسقوط الجزء الصغير من ورق الشجر ونحوه، يعلم من أي موضع سقط، وفي أي مكان من الأرض سقط، وكيف سقط، كما يعلم سُبْحَانَهُ الحبة الصغيرة الساقطة في قاع البحر، المندفنة في تربته، حتىٰ وإن كانت في ليلة مظلمة، مغيمة، ممطرة، قال تَعالَى: ﴿وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾[الأنعام:٥٩]»[4]، ويعلم ما يدخل في باطن الأرض من قطر المطر، أو بذر الأرض، كما يعلم ما يخرج منها من ذلك كله، قال تَعَالَى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ١ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ﴾[سبأ:١، ٢][5].

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٩١/ ٧٨٢)، وتفسير البغوي (٣/ ٣٥٤)، وتفسير السعدي (ص: ٥٨٥).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٧٧٢) (٥/ ٠٥٤)، وتفسير السعدي (ص: ٤٠٦).

(٣) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٩٤٦).

(٤) ينظر: شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين (١/ ٢٣٣-١٣٣).

(٥) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٤٧٦).

- **أنه الخبير** الذي أحاط علمه بما يصلح من الأقدار لخلقه مما خفي وغاب عنهم، ولم يدركوا حكمته وسره، قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾[الأنعام:٧٣]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾[الأنعام:١٨].

ومن تلك الأقدار مايلي:

- **تقدير الأرزاق**؛ إذ مبناها علىٰ علم الله وخبرته بحال عباده وما يصلح لهم ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[الملك:١٤]، فيعطي هذا ويمنع هذا؛ لعلمه وخبرته بحالهما وما يصلح لكل واحد منهما، قال تعالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾[الإسراء:٣٠]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾[الشورىٰ:٢٧]، وقال لأمهات المؤمنين: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾[الأحزاب:٣٤] أي: فبخبرته بحالكن، وأنكن أهل لهذه المنزلة العظيمة من الزواج من رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتنزل الوحي في بيوتكن، وذكر السنة فيها، رزقكن ذلك وخصكن به واختاركن له[1].

- **تقدير الشرائع والأحكام**، قال تعالَى: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾[فاطر:٣١].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فيعطي كل أمة وكل شخص، ما هو اللائق بحاله، ومن ذلك: أن الشرائع السابقة لا تليق إلا بوقتها وزمانها، ولهذا ما زال

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٨٦٢)، وتفسير ابن كثير (٦/ ٤١٦).

الله يرسل الرسل رسولًا بعد رسول، حتىٰ ختمهم بمحمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فجاء بهذا الشرع، الذي يصلح لمصالح الخلق إلىٰ يوم القيامة، ويتكفل بما هو الخير في كل وقت.

ولهذا لما كانت هذه الأمة أكمل الأمم عقولًا وأحسنهم أفكارًا، وأرقهم قلوبًا، وأزكاهم أنفسًا؛ اصطفاهم الله تَعَالَى، واصطفىٰ لهم دين الإسلام، وأورثهم الكتاب المهيمن علىٰ سائر الكتب»[1].

وجاء هذا الكتاب من الخبير سُبْحَانَهُ، قال تعَالَى: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود:١]، فأحكامه من لدن الخبير الذي يعلم ما يصلح لخلقه منها، وأخباره من لدن الخبير الذي لم تخف عليه دقائق الأخبار وتفاصيلها الماضية منها والحاضرة بل والمستقبلة، قال تَعَالَى: ﴿إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر:١٤].

ومن هنا كان كتاب الله أعظم كتاب وأكمله، وأصدق خبر، وأعدل حكمًا وأحسنه؛ إذ لا مثل الله في العلم والخبرة ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤].

- **تقدير الهدىٰ والضلال**، قال تَعَالَى: ﴿قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ٩٦ وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُمۡ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ﴾ [الإسراء:٩٦، ٩٧].

قال ابن كثير رَحِمَهُٱللَّهُ: «عليم بهم بمن يستحق الإنعام والإحسان والهداية،

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٩٨٦).

ممن يستحق الشقاء والإضلال والإزاغة، ولهذا قال: ﴿وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِ﴾[الإسراء:٩٧]»[1].

- **أنه الخبير** الذي أحاط علمه بما دق وخفي من العلوم التي توصل إليها خلقه علمًا وخبرة، والعلوم التي لم يتوصلوا إليها أيضًا، بل علم وخبر سُبۡحَانَهُ ما فوق ذلك من تفاصيل ودقائق وخفايا علم الغيب، قال تَعَالَىٰ: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾[الأنعام:٧٣]، وقال سُبۡحَانَهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ﴾[لقمان:٣٤]، ثم إنه قد يتوهم متوهم أن خبرة الخلق وعلمهم بالعلوم والأشياء كخبرة الله وعلمه، وهذا باطل ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾[الشورى:١١]، فعلم الخالق وخبرته كاملة من كل وجه، وعلم الخلق وخبرتهم قاصرة ناقصة من كل وجه.

ومن أوجه قصور علم الخلق وخبرتهم، ما يلي[2]:

أ- افتقار خبرتهم وعلمهم إلىٰ بذل الأسباب والمقدمات الحسية والعقلية للتوصل إليها.

ب- احتمال الخطأ والغلط، بعد العلم والخبرة بالشيء.

ج- تعلق خبرتهم وعلمهم بشيء معين دون جميع الأشياء، فتجد الواحد منهم عالمًا خبيرًا بشيء ما، جاهلًا أميًّا بغيره.

د- تعلق خبرتهم وعلمهم بالدنيا دون الآخرة.

---

(١) تفسير ابن كثير (٥/ ٢٢١).

(٢) ينظر: شأن الدعاء، للخطابي (١/ ٣٦).

- **أنه الخبير** الذي أحاط علمه بما خفىٰ وبطن مما يصدر من خلقه، سواء أكان ذلك نية أو قولًا، أو فعلًا، حسنًا كان أو سيئًا، قال تعَالَى: ﴿إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ﴾ [الشورىٰ:٢٧][1]، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اعلموا أنه عالم بجميع أعمالكم وأحوالكم، لا تخفىٰ عليه منكم خافية، ولا يغيب عنه من أموركم جليل ولا حقير»[2].

- **فيعلم الخبير** ما يكون في الصدور من الخفايا، وما يكون في القلوب من النوايا والمقاصد، وما يكون في النفوس من الأفكار والوساوس والخواطر وكمائن الخير والشر مما لا يطلع عليه إلا صاحبها، قال تعَالَى: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝١٣ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك:١٣، ١٤][3]، ومن هنا علم الخبير سُبْحَانَهُ بسرائر المتخلفين من الأعراب والمنافقين وما في ضمائرهم مما أخفوه وأظهروا خلافه، قال تعَالَى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَاۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعَۢاۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا﴾ [الفتح:١١]، وقال: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّۖ قُل لَّا تُقْسِمُواْۖ طَاعَةٞ مَّعْرُوفَةٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [النور:٥٣][4].

وعلم مقصد الحكم بين الزوجين ونيته أأرادَ الإصلاح أم غيره، قال تعَالَى:

---

(١) ينظر: النهج الأسمىٰ، للنجدي (١/ ٠٧٢).

(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٧٧).

(٣) ينظر: فتح الرحيم الملك العلام، للسعدي (ص: ٦٤).

(٤) ينظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٧٣٣).

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾[النساء:٣٥](١).

- **ويعلم الخبير** ما يسر من الأقوال، ويهمس من الأصوات كعلمه بما يجهر منها، قال تعالَى: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[الملك:١٣]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ﴾[الرعد:١٠]، كما علم الخبير سُبْحَانَهُ بما أسرَّته بعض أمهات المؤمنين من الخطاب لبعض في حادثة التحريم، وأطلع نبيه صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ ذلك، قال تعَالَى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾[التحريم:٣].

- **ويعلم الخبير** ما يصدر من الأفعال والأعمال ولو علىٰ وجه الخفاء والخباء، قال تعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[الأحزاب:٢]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾[النمل:٨٨] سواءأكان ذلك خيرًا أم شرًّا، قال تعَالَى: ﴿وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[النساء:١٢٨]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[النساء:١٣٥]، وقال: ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرًا ﴾ [الإسراء:١٧]، فيعلم الخبير ما يبذل من الصدقات خفية، قال تعَالَى: ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[البقرة:٢٧١]،

(١) ينظر: تفسير الطبري (٨/ ٣٣٣).

ويعلم **الخبير** ما يكون من مسارقة النظر للحرام، قال تَعَالَى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور:٣٠]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر:١٩]، ويعلم الخبير دفع كفارة الظهار أكانت قبل المساس أم بعده مما يخفىٰ علىٰ الناس ولا يخفىٰ علىٰ الخبير المتعال، قال تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَـٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة:٣]، ويعلم الخبير عدة المرأة المتوفىٰ عنها زوجها أقامت بحقها من مدتها، وحدادها، وامتناعها من النكاح ومقدماته أم لا مما لا يظهر لكثير من الناس، قال تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة:٢٣٤].

فيعلم ذلك كله وغيره من أفعال الخير والشر وإن كان في عتمة الليل وظلمته، أو كان في أماكن الخفاء كالكهوف، والمغارات، والأدغال، وأعماق البحار والقفار، قال تَعَالَى: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ [الرعد:١٠][1].

بل لا يجري في الملك والملكوت شيء، ولا تتحرك ذرة ولا تسكن، ولا يضطرب نفس ولا يطمئن، إلا وقد علمه الخبير اللطيف[2].

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٧٣٤)، وتفسير السعدي (ص: ٥٣٧).

(٢) ينظر: المقصد الأسنىٰ، للغزالي (ص: ٣٠١).

- **أنه الخبير** الذي يحيط علمه بخلقه في الآخرة كما أحاط بهم في الدنيا، قال تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾[العاديات:٩ - ١١] وإنما «خص خبره بذلك اليوم، مع أنه خبير بهم في كل وقت؛ لأن المراد بذلك: الجزاء بالأعمال الناشئ عن علم الله واطلاعه»[١].

وبمقتضىٰ علمه وخبرته تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يجازيهم علىٰ ما كان منهم من الأقوال، والأعمال، والنوايا، قال تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[هود:١١١]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾[العاديات:٩ - ١١]، فلا يخاف المحسن ضياعًا ولا نقصًا ولا نسيانًا لحسناته وثوابها، وإن كانت مجرد نية لم يتبعها عمل كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً**»[٢].

قال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مناسبة ختم قوله تَعَالَى: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[المنافقون:١١] باسمه الخبير: «وإيقاع هذه الجملة بعد ذكر ما يقطعه الموت من ازدياد الأعمال الصالحة؛ إيماء إلىٰ أن ما عسىٰ أن يقطعه الموت من العزم علىٰ العمل إذا كان وقته المعين له شرعًا ممتدًّا، كالعمر للحج علىٰ المستطيع لمن لم يتوقع طرو مانع، وكالوقت المختار للصلوات- أن حيلولة الموت دون إتمامه لا يرزئ المؤمن ثوابه؛ لأن المؤمن إذا اعتاد حزبًا أو عزم علىٰ عمل صالح ثم عرض له ما منعه منه؛ أن الله يعطيه أجره.

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٩٣٣).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٣١).

ومن هذا القبيل: أن من هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، كما في الحديث الصحيح»[1].

وكذا المسيء لا يظن فواتًا ولا نسيانًا لسيئاته وعقابها، إلا أن يتغمده الله برحمته وعفوه.

ومن هنا نجد أن الله عَزَّوَجَلَّ كثيرًا ما يختم أعمال البِر باسمه الخبير ترغيبًا فيها؛ ومن ذلك:

١- قوله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة:٨].

٢- قوله تَعَالَى: ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المجادلة:١٣].

٣- قوله تَعَالَى: ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة:٢٧١].

٤- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة:١١].

وكذا يختم أعمال السوء باسمه الخبير ترهيبًا منها، كما في قوله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٨٢/ ٦٥٢).

وَٱلْأَقْرَبِينَۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء:١٣٥]، وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان:٥٨].

فسبحان **الخبير** الذي أحاط علمه بالظواهر، والبواطن، والإسرار، والإعلان، وبالواجبات، والمستحيلات، والممكنات، وبالعالم العلوي والسفلي، وبالماضي، والحاضر، والمستقبل، فلا يخفىٰ عليه شيء من الأشياء.

الأثر الثاني: دلالة اسم الله الخبير علىٰ التوحيد:

إن الإيمان باسم الله الخبير يدعو العبد إلىٰ توحيد الله في الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات؛ وذلك أن الله أنزل كتابه الصادر عن علمه وخبرته، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود:١]، وأخبر فيه بأنواع التوحيد الثلاثة ودعا الخلق إليها.

فأخبر الخبير بأنه الخالق وحده، وأنه الرازق وحده، وأنه النافع الضار وحده، وأنه المحيي المميت وحده، ونحو ذلك من أفراد الربوبية، وهذا يعني أن يوحد الله فيها، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام:٧٣]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام:١٧، ١٨].

وأخبرهم الخبير بأنه المستحق للعبودية وحده، وأن كل ما سواه لا يستحق منها شيئًا؛ إذ هو فقير عاجز لا يملك شيئًا لنفسه ولا لعابده، فليس بيده نفع ولا ضر ولا تصريف ولا ملك لشيء قليل ولا كثير، بل حتىٰ ولا القطمير ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ﴾[فاطر:١٣]، فما كان كذلك كيف يدعىٰ ويعبد؟ وكيف يجعل ندًّا لله الملك الذي بيده كله شيء؟

ثم إنه في آية فاطر: ﴿إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٍ﴾[فاطر:١٤] أخبر بأمور كل واحد منها كاف لنبذ كل معبود سوىٰ الله، ونبذ العبادة إليه؛ إذ أخبر[1]:

أولًا: أن هذه المعبودات لا تسمع ولا تعلم بعابدها وداعيها؛ لأنهم ما بين جماد، وأموات، وملائكة مشغولين بطاعة ربهم ﴿إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ﴾[فاطر:١٤]، وقال سُبۡحَانَهُۥ: ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ﴾[الأحقاف:٥].

ثانيًا: أن هذه المعبودات من دون الله لو قدر أنها سمعت وعلمت بعابدها وداعيها؛ فهي لا تملك شيئًا ولا حتىٰ الشفاعة التي تعلق بها الكثير ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗا﴾[الزمر:٤٤]، فكيف تجيبهم لمطالبهم؟! ﴿وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡ﴾[فاطر:١٤] .

ثالثًا: أن هذه المعبودات من دون الله تتبرأ يوم القيامة من عابدها وداعيها، ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡ﴾[فاطر:١٤]، وقال سُبۡحَانَهُۥ: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةٗ لِّيَكُونُواْ لَهُمۡ عِزّٗا ﴿٨١﴾ كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا﴾[مريم:٨١، ٨٢].

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٦/ ١٤٥)، وتفسير السعدي (ص: ٧٨٦).

وأخبرهم **الخبير** بأن له الأسماء الحسنىٰ، والصفات العلىٰ، وأن طريق معرفتها الوحي، كما قال سُبۡحَانَهُ: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا﴾ [الفرقان:٥٩]، قال جماعة من المفسرين: يعني بذلك: نفسه الكريمة تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ[١]، وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «استعلم عنه من هو خبير به عالم به فاتبعه واقتد به، وقد علم أنه لا أحد أعلم بالله ولا أخبر به من عبده ورسوله محمد- صلوات الله وسلامه علىٰ سيد ولد آدم علىٰ الإطلاق في الدنيا والآخرة، الذي لا ينطق عن الهوىٰ، إن هو إلا وحي يوحىٰ- فما قاله فهو حق، وما أخبر به فهو صدق...»[٢].

وهذا يعني: إثبات ما أثبتها الله لنفسه ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ من الأسماء والصفات، ونفي ما نفاه الله عن نفسه ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ من الأسماء والصفات.

كل ذلك من غير تحريف ولا تعطيل؛ إذ خبرهما أفصح خبر وأبينه، ومن غير تكييف ولا تمثيل؛ لأخبره سُبۡحَانَهُ أنه لا مثيل ولا شبيه له، قال تَعَالَىٰ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ:١١]، وبهذا يوحد الله في أسمائه وصفاته.

ثم إن هذا الإخبار من الله عَزَّوَجَلَّ بالتوحيد أصدق خبر وأكمله وأحقه، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ﴾ [فاطر:١٤]، فلا يخبرك بالأمور وأحكامها

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٩١/ ٧٨٢)، وتفسير البغوي (٣/ ٣٥٤)، وتفسير القرطبي (٣١/ ٣٦)، وفتح القدير، للشوكاني (٤/ ٨٩).

(٢) تفسير ابن كثير (٦/ ١١٩).

وعواقبها ومآلها، وما تصير إليه أصدق من الله العليم الخبير، «فاجزم بأن هذا الأمر الذي نبأ به كأنه رأي عين، فلا تشك فيه ولا تمتر»[1].

الأثر الثالث: الرجوع للكتاب والسنة في معرفة الله الخبير:

إن الإيمان باسم الله الخبير يدعو العبد للرجوع إلىٰ كتاب الله وسنة رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذا ما أراد أن يتعرف علىٰ معوده الحق الله عَزَّوَجَلَّ، سواء كان ذلك من ناحية التعرف علىٰ أسمائه وصفاته وأفعاله، أو من ناحية التعرف علىٰ محبوباته ومرغوباته ومراضيه، وبالمقابل مكروهاته ومساخطه؛ إذ في الكتاب والسنة خبر ذلك علىٰ وجه التفصيل والإحكام، قال تَعَالَىٰ: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[هود:١].

ثم إنه لا أحد أعرف بالله من الله، ولا أحد من الخلق أعلم بالله، ولا أخبر به من عبده ورسوله محمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا﴾ [الفرقان:٥٩]، يعني بذلك: نفسه سُبْحَانَهُ، وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: يعني به محمدًا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -كما تقدم-، والكل صحيح[2].

وهذا يعني: الرجوع إلىٰ خبر الله ورسوله في العلم بذلك دون غيرهما، سواء أكان عقلًا أو هوىٰ أو شيخًا مبتدعًا أو طريقًا من طرق الصوفية أو غير ذلك.

قال البغوي رَحِمَهُ اللهُ في الآية: «والمعنىٰ: أيها الإنسان لا ترجع في طلب العلم بهذا إلىٰ غيري»[3].

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٧٨٦).

(٢) ينظر: النهج الأسمىٰ، للنجدي (١/ ٠٧٢).

(٣) تفسير البغوي (٣/ ٣٥٤).

الأثر الرابع: إصلاح الباطن:

إذا علم العبد أن ربه الخبير خبير بباطنه كظاهره، وسره كجهره، يعلم خطره وفكره، وما في قلبه من العقائد والمقاصد والأحقاد والأضغان والكبر والعجب، والتعلق بالدنيا، وإضمار الشر مع إظهار الخير، والتجمل بالإخلاص مع الإفلاس ونحو ذلك، وأن الكل مكشوف أمامه لا يخفىٰ عليه ولا يغيب عنه، بل هو محل نظره، كما في الحديث عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَىٰ صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**»(١).

فإذا علم العبد هذا سارع لإصلاح باطنه كما يصلح ظاهره، وتخلص من آفاته كما يتخلص من آفات ظاهره، واعتنىٰ بعمل قلبه كما يعتني بعمل جوارحه، وراقبه دومًا ولم يغفله.

وقد قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في أهمية هذا الأمر: «إن لله علىٰ العبد عبوديتين: عبودية باطنة، وعبودية ظاهرة؛ فله علىٰ قلبه عبودية، وعلىٰ لسانه وجوارحه عبودية، فقيامه بصورة العبودية الظاهرة مع التعري عن حقيقة العبودية الباطنة لا يقربه من الله، ولا يوجب له الثواب، وقبول عمله؛ فإن المقصود امتحان القلوب، وابتلاء السرائر، فعمل القلب هو روح العبودية ولبها، فإذا خلا عمل الجوارح منه كان كالجسد الموات بلا روح، والنية هي عمل القلب الذي هو ملك الأعضاء، والمقصود بالأمر والنهي.

فكيف يسقط واجبه، ويعتبر واجب رعيته وجنده وأتباعه اللاتي إنما شرعت واجباتها لأجله ولأجل صلاحه! وهل هذا إلا عكس القضية وقلب

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٥٦٤).

الحقيقة! والمقصود بالأعمال كلها ظاهرها وباطنها: إنما هو صلاح القلب، وكماله، وقيامه بالعبودية بين يدي ربه وقيومه وإلـهه»[1].

الأثر الخامس: محبة الله الخبير:

إن إيمان العبد باسم الله الخبير وما فيه من تمام العلم والخبرة؛ يورث القلب محبة الله عَزَّوَجَلَّ؛ ذلك أنها صفة كمال، والقلوب فطرت علىٰ محبة من له الكمال.

ثم إن العبد إذا ضم إليها صفات ربه الأخرىٰ كالحكمة، والحلم، والستر، ونحوها، وتأمل كيف أنه قدر له ما فيه مصلحته بمقتضىٰ خبرته وحكمته ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾[الأنعام:١٨]، وتأمل كيف أنه يطلع عليه ويخبره، وهو يتقلب في معاصيه ليل نهار ومع ذلك يحلم عليه ويستره؛ زاد حبه لربه الخبير.

فاللهمَّ يا خبير يا عليم، أصلح لنا ظاهرنا وباطننا، وسرنا وعلانية، وشأننا كله، ولا تكلنا إلىٰ أنفسنا طرفة عين.



---

(١) بدائع الفوائد (٣/ ٢٩١).

ذو الجلال والإكرام جَلَّ جَلَالُهُ



ثبوت الأسماء المبدوءة بـ«ذو» في حق الله تعالىٰ:

يرىٰ بعض أهل العلم أن «الوارد في الكتاب والسنة من الأسماء المبدوءة بـ(ذو) المضافة إلىٰ صفة من صفات الله، أو فعل من أفعاله، أو خلق من مخلوقاته، من أعظم ما يمدح به رب العزة ويدعىٰ به، ولكنها لا تدخل في أسمائه الحسنىٰ التسعة والتسعين... لأن معنىٰ (ذي القوة، وذي الرحمة، وذي الكبرياء): صاحب القوة والرحمة والكبرياء؛ فذو في اللغة بمعنىٰ: صاحب، وهذه الأسماء ثلاثة أقسام:

الأول: ما أضيف منها إلىٰ صفة من صفات الباري، وهذا نوعان:

النوع الأول: أن تكون لهذه الصفات أسماء تدل عليها صرحت بها النصوص، وهي: ذو الرحمة، ذو القوة، ذو المغفرة، ذو الجبروت، ذو الملكوت، ذو الكبرياء، ذو العظمة.

والأسماء التي تضمنت هذه الصفات هي: الرحمن، الرحيم، القوي، الغفار، الغفور، الجبار، الملك، الكبير، العظيم.

والنوع الثاني: صفات ليس لها أسماء تدل عليها في الكتاب والسنة.

وهي: ذو الطول، ذو الفضل، ذو الجلال والإكرام، فإن هذه الصفات أضيفت «ذو» إلىٰ كل منها، وليس لأي منها اسم مصرح به في النصوص.

القسم الثاني: ما أضيف إلىٰ فعل من أفعال الباري تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وهما اسمان هما: ذو عقاب أليم، وذو انتقام.

القسم الثالث: ما أضيف إلىٰ بعض مخلوقاته، وهما اسمان هما: ذو العرش، وذو المعارج»[1].

-أما بالنسبة لحكم تسمية الله بهذه الأسماء المضافة:

فقد اختلف أهل العلم في تسمية الله بـ«ذو الجلال والإكرام»، فمنهم من لم يجعله من أسماء الله، وجعله من الصفات باعتبار أن معنىٰ (ذو): صاحب.

واختار آخرون: أنه من الأسماء؛ للنصوص الصحيحة الواردة فيه، وقد ذكره الشيخ محمد ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أسماء الله في (القواعد المثلىٰ)[2]، يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن أسماء الله تَعَالَىٰ ما يكون مضافًا، مثل: مالك الملك، ذي الجلال والإكرام».

المعنى اللغوي:

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الكرام بالضم، مثل الكريم، فإذا أفرط في الكرم قيل: كرَّام بالتشديد، وكارمت الرجل، إذا فاخرته في الكرم، فكرمته أكرمه بالضم، إذا غلبته فيه، ... والإكرام: مصدر مثل مخرج ومدخل»[3].

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(جل) الجيم واللام أصول ثلاثة، (منها):

(١) أسماء الله الحسنىٰ الهادية إلىٰ الله والمعرفة به، لعمر الأشقر (ص٣٢-٤٢).

(٢) القواعد المثلىٰ (ص: ٦١).

(٣) الصحاح (٥/ ٨٩٢).

جل الشيء: عظم، وجل الشيء معظمه، وجلال الله: عظمته، وهو ذو الجلال والإكرام...»[1].

ورود اسم الله (ذي الجلال والإكرام) في القرآن الكريم:

ورد اسم الله (ذي الجلال والإكرام) مرتين في القرآن الكريم، وهما:

١- قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٧].

٢- وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٧٨].

ورود اسم الله (ذي الجلال والإكرام) في السنة النبوية:

ورد اسم الله (ذي الجلال والإكرام) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

١- عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا، وَقَالَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**». قَالَ الْوَلِيدُ: فَقُلْتُ لِلْأَوْزَاعِيِّ: كَيْفَ الْاسْتِغْفَارُ ؟ قَالَ: تَقُولُ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ[2].

٢- وعن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**أَلِظُّوا بِيَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**»[3].

٣- وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: «كُنْتُ جَالِسًا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فِي الْحَلْقَةِ وَرَجُلٌ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَلَمَّا رَكَعَ وَسَجَدَ جَلَسَ وَتَشَهَّدَ ثُمَّ دَعَا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ

---

(١) مقاييس اللغة (١/ ٧١٤-٨١٤).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٩٥).

(٣) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٤٢٥٣)، وأبو يعلىٰ، رقم الحديث: (٣٣٨٣)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٦٣٥١).

إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ، بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، إِنِّي أَسْأَلُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتَدْرُونَ بِمَا دَعَا؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ دَعَا اللهَ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى**»[1].

- معنى اسم الله (ذي الجلال والإكرام) في حقه تعالى:

يدور معنىٰ اسم الله (ذو الجلال والإكرام) علىٰ أنه سُبْحَانَهُ هو الموصوف بنعوت الجلال، وهي: كمال العز، والملك والتقدس، والعلم والغنىٰ، والقدرة، وغيرها من الصفات.

وحول هذا المعنىٰ تدور أقوال العلماء، ومنها:

❊ **قال ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾: ذو العظمة والكبرياء»[2].

❊ **قال الطبري** رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن:٧٨] يقول- تَعَالَى ذكره-: تبارك ذكر ربك يا محمد ﴿ذِي الْجَلَالِ﴾، يعني: ذي العظمة ﴿وَالْإِكْرَامِ﴾ يعني: ومن له الإكرام من جميع خلقه»[3].

❊ **قال الزجاج** رَحِمَهُ اللَّهُ: «ذو الجلال: أنه المستحق لأن يجل ويكرم»[4].

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٦٠٨٢١)، وأبو داود، رقم الحديث: (٥٩٤١)،، حكم الألباني: صحيح، صحيح أبي داود، رقم الحديث (٢٤٣١).

(٢) تفسير ابن كثير (٧/ ٤٩٤).

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ٨٧٢).

(٤) تفسير الأسماء الحسنىٰ (ص: ٢٦).

❊ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ذو الجلال والإكرام: الجلال: مصدر الجليل. يقال: جليل بين الجلالة والجلال، والإكرام: مصدر أكرم، يكرم، إكرامًا، والمعنىٰ: أن الله- جل وعز- مستحق أن يجل ويكرم فلا يجحد، ولا يكفر به، وقد يحتمل أن يكون المعنىٰ: أنه يكرم أهل ولايته، ويرفع درجاتهم بالتوفيق لطاعته في الدنيا، ويجلهم بأن يتقبل أعمالهم ويرفع في الجنان درجاتهم، وقد يحتمل أن يكون أحد الأمرين- وهو الجلال- مضافًا إلىٰ الله سُبْحَانَهُ، بمعنىٰ: الصفة له، والآخر مضافًا إلىٰ العبد بمعنىٰ: الفعل منه، كقوله سُبْحَانَهُ: ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر:٥٦] فانصرف أحد الأمرين- وهو المغفرة- إلىٰ الله سُبْحَانَهُ، والآخر إلىٰ العباد، وهو التقوىٰ»[(١)].

❊ **قال القرطبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(الجلال) عظمة الله وكبرياؤه واستحقاقه صفات المدح، يقال: جل الشيء، أي: عظم، وأجللته، أي: عظمته... (والإكرام) أي: هو أهل لأن يكرم عما لا يليق به من الشرك، كما تقول: أنا أكرمك عن هذا، ومنه: إكرام الأنبياء والأولياء»[(٢)].

❊ **قال ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٧]: «وقد نعت تَعَالَىٰ وجهه الكريم في هذه الآية الكريمة بأنه ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٧]، أي: هو أهل أن يجل فلا يعصىٰ، وأن يطاع فلا يخالف، كقوله: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الكهف:٢٨]، وكقوله إخبارًا

(١) شأن الدعاء (ص: ١٩-٢٩).

(٢) تفسير القرطبي (٧١/ ٥٦١).

عن المتصدقين: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان:٩]»[1].

❁ **وقال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٧] أي: ذو العظمة والكبرياء والمجد، الذي يعظم ويبجل ويجل لأجله، والإكرام الذي هو سعة الفضل والجود، والداعي لأن يكرم أولياءه وخواص خلقه بأنواع الإكرام، الذي يكرمه أولياؤه ويجلونه، ويعظمونه ويحبونه، وينيبون إليه ويعبدونه»[2].

❁ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في نونيته:**

وَهْوَ العَظِيمُ بِكُلِّ مَعْنًىٰ يُوجِبُ التـ
ـعْظِيمَ لَا يُحْصِيهِ مِنْ إِنْسَانِ
وَهْوَ الجَلِيلُ فَكُلُّ أَوْصَافِ الجَلَا
لِ لَهُ مُحَقَّقَةٌ بِلَا بُطْلَانِ[3]

اقتران اسم الله (ذو الجلال والإكرام) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ فِي القرآن الكريم:

لم يرد اسم الله (ذو الجلال والإكرام) مقترنًا بأي من أسمائه الأخرىٰ.

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٤٩٤).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٠٣٨).

(٣) النونية (ص: ٢٠٣).

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (ذو الجلال والإكرام):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (ذوالجلال والإكرام) من صفات، وتوحيد الله به:

إن الله هو المستحق وحده لأن يجل وينزه ويعظم لكمال ذاته وصفاته وأسمائه، وليس في الوجود من هو بمثل هذه الصفة غيره - جَلَّجَلَالُهُ وتقدست أسماؤه.

ولقد اختص الله سُبْحَانَهُ وحده بالجلال؛ لأن جلاله ليس بأنصار وأعوان وسبب من الأسباب، بل للأوصاف الرفيعة والعزة والعلو التي تلحق به.

وكل جلال وكل كرامة منه، والجلال له في ذاته، والإكرام هو فيض متناه منه علىٰ خلقه، فلا شرف ولا مجد ولا عزة ولا قوة إلا وهي له وبه ومنه، قال الأصمعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا يقال: (الجلال) إلا لله عَزَّوَجَلَّ»(١).

والإكرام فيض منه علىٰ خلقه، وإكرامه لخلقه بالعطايا والمنح، والآلاء والنعم لا يحصر ولا يعد؛ فهو الجدير بالإكرام من خلقه تعظيمًا لجلاله، وعرفانًا بفضله وإكرامه، وتقديرًا لآلائه وإحسانه.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من أعز أنواع المعرفة: معرفة الرب سُبْحَانَهُ بالجمال، وهي معرفة خواص الخلق، وكلهم عرفه بصفة من صفاته، وأتمهم معرفة من عرفه بكماله وجلاله، وجماله، سُبْحَانَهُ ليس كمثله شيء في سائر صفاته!»(٢).

---

(١) اشتقاق الأسماء الحسنىٰ (ص: ١٠٢).

(٢) الفوائد (ص: ٢٨١).

فـ«لا يستطيع بشر النظر إلىٰ جلاله وجماله في هذه الدار، فإذا رأوه سُبْحَانَهُ في جنات عدن أنستهم رؤيته ما هم فيه من النعيم، فلا يلتفتون حينئذ إلىٰ شيء غيره»[1].

فَسُبْحَانَهُ وهب الجمال لبعض خلقه وسلبهم الجلال، ووهب الجلال لبعض خلقه وسلبهم الجمال، ووهب بعض خلقه الجمال مع الجلال، لكنه سلبهم دوام الحال، وتفرد سُبْحَانَهُ الجليل الجميل بالجلال المطلق والجمال التام مع دوام الحال[2].

وحري بالقلب أن يتعلق بصاحب الجلال والإكرام سُبْحَانَهُ، ويوحده بألوهيته وربوبيته، ويديم النظر والتفكر في آلائه وأسمائه وصفاته، ويكثر بالتضرع والخضوع لجلاله سُبْحَانَهُ، وطلب فضله وإكرامه.

وكما أن اسم الله (ذو الجلال والإكرام) دال علىٰ الربوبية والألوهية، فكذا هو دال علىٰ الأسماء والصفات؛ إذ يدل علىٰ اسم الله (ذو الفضل)، و(القدوس)، و(الكريم)، و(الجميل)، إلىٰ غير ذلك من أسمائه سُبْحَانَهُ وما فيها من صفات.

---

(١) روضة المحبين، لابن القيم (ص: ١٢٤).

(٢) سيأتي مظاهر جلال الله وعظمته في اسم الله (العظيم)، وآثار كرمه في اسم الله (الكريم) جَلَّجَلَالُهُ.

الأثر الثاني: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٦]: كتب الله تَعَالَىٰ علىٰ خلقه الفناء، وكتب علىٰ نفسه البقاء، يقول تَعَالَىٰ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٦-٢٧].

وفي تفسير هذه الآية يقول الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كل من علىٰ الأرض، من إنس وجن، ودواب، وسائر المخلوقات، يفنىٰ ويموت ويبيد ويبقىٰ الحي الذي لا يموت ﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٧] أي: ذو العظمة والكبرياء والمجد، الذي يعظم ويبجل ويجل لأجله، والإكرام الذي هو سعة الفضل والجود، والداعي لأن يكرم أولياءه وخواص خلقه بأنواع الإكرام، الذي يكرمه أولياؤه ويجلونه، ويعظمونه ويحبونه، وينيبون إليه ويعبدونه»[١].

والقلب إن استحضر حقيقة فناء كل المخلوقات، وبقاء رب البريات وحده تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ فَهِمَ القاعدة الربانية التي هي أساس الخلق، فالله سُبْحَانَهُ لم يجعل الدنيا دار مقر، وإنما جعلها دار ممر، الرابح فيها من صلح زرعه، والخاسر من فسد ثمره، فالرابح قد أصلح زرعه في الدنيا؛ ليقطف ثمره في الآخرة، وأخلص العمل لذي الجلال والإكرام، الذي يجل من أطاعه ويكرمه في الدنيا والآخرة، ورغب فيما عنده من الثواب، وخشي ما عنده من العقاب.

(١) تفسير السعدي (ص: ٨٣٠).

الأثر الثالث: تكريم ذو الجلال والإكرام للإنسان:

«وهذا التكريم مزية خص بها الله بني آدم من بين سائر المخلوقات الأرضية، والتكريم: جعله كريمًا، أي: نفيسًا غير مبذول ولا ذليل»[1].

ومظاهر تكريم الله لعباده كثيرة، لعل من الأصول الجامعة له ما يلي:

١- تكريم الله للإنسان عند خلقه، وما رافق ذلك الخلق من مظاهر التعظيم والعناية والحفاوة التي خص الله بها هذا المخلوق وذريته منذ البداية، ومن ذلك:

- **خلقه وتسويته في أحسن تقويم**: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين:٤]، يقول ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند هذه الآية: «أي: يمشي قائمًا منتصبًا علىٰ رجليه، ويأكل بيديه، وجعل له سمعًا وبصرًا وفؤادًا، يفقه بذلك كله، وينتفع به، ويفرق بين الأشياء، ويعرف منافعها وخواصها ومضارها في الأمور الدنيوية والدينية».

-**-إسجاد الملائكة له**، يقول سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[البقرة:٣٤].

- **إسكانه الجنة**، يقول سُبْحَانَهُ: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[البقرة:٣٥].

- **تعليمه ما لم تعلمه حتىٰ الملائكة الكرام**، يقول سُبْحَانَهُ: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[البقرة:٣١].

---

(١) التحرير والتنوير (٥١/ ٦٥١).

٢- تكريمه بالاستعدادات التي أودعها فطرته والتي استأهل بها الخلافة في الأرض، يغير فيها ويبدل، وينتج وينشئ، ويركب ويحلل، ويبلغ بها الكمال المقدر للحياة، يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[البقرة:٣٠]، فخصه الله بملكة العقل والفكر، وهي الصفة التي خولت الإنسان القابلية والقدرة على التعلم والتعليم، والتفكير والتدبير، وعن ذلك نشأ وتحصل للإنسان ما لا يعد ولا يحصى من المعارف والعلوم والخبرات الإنسانية المكتسبة.

يقول السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذلك: «وهذا من كرمه عليهم وإحسانه الذي لا يقادَر قدره، حيث كرم بني آدم بجميع وجوه الإكرام، فكرمهم بالعلم والعقل، وإرسال الرسل وإنزال الكتب، وجعل منهم الأولياء والأصفياء وأنعم عليهم بالنعم الظاهرة والباطنة»(١).

٣- تكريمه بتسخير ما لا يحصى من مخلوقات هذا الكون وخيراته ونعمه له، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم:٣٢ - ٤٣]، وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[الجاثية:١٢، ١٣](٢).

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٣٦٤).

(٢) للاستزادة، يراجع: اسم الله الكريم.

٤- **وأعظم تكريم: إرسال الرسل له**، يقول تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[النحل:٦٣]، وإكرامه بالإسلام، وهي كرامة خاصة بالمؤمنين، يقول تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[الحجرات:٣١].

الأثر الرابع: محبة ذي الجلال والإكرام سُبْحَانَهُ:

(ذو الجلال والإكرام) اسم جامع للجلال والجمال؛ فإنه تَعَالَىٰ له جلال مهيب وجمال عجيب، فالجمال له، والإجلال كله منه، فلا يستحق أن يحب بذاته من كل وجه سواه؛ لما له من كمال الجمال في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، فليس في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله صفة نقص وذم، بل هي جميلة جليلة، حسنىٰ طيبة، وخير كلها.

الأثر الخامس: تعظيم الله وإجلاله:

(ذو الجلال والإكرام) سُبْحَانَهُ الذي يكرم عباده، حق علىٰ عباده أن يكرموه بطاعته وتقواه، وبتعظيمه وإجلاله ثناء عليه، وتمجيدًا له وتعظيمًا له، وتنزيهًا له عن كل نقص وعيب، ومن مظاهر إجلال الله:

١) إجلال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

إن أعظم توقير يجب أن يكون لمن أسبغ عليك النعم، ورفع عنك البلاء والنقم، ومن تأمل قول الله تَعَالَىٰ علىٰ لسان نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾[نوح:١٣]؛ أدرك عظمة ذي الجلال وهيبته، ومن إجلاله تَعَالَىٰ ما يلي:

إجلال أسمائه وصفاته، بإثباتها له سُبْحَانَهُ كما أثبتها لنفسه من غير

تحريف أو تعطيل أو تمثيل أو تكييف، يقول تَعَالَىٰ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[الشورى:١١].

من إجلال تَعَالَىٰ **إجلال القرآن العظيم:** فهو كلامه الجليل سُبۡحَانَهُ الذي عظمه، يقول تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ﴾ [الحجر:٨٧]، وتعظيم القرآن يكون بالإيمان بما جاء فيه، وتلاوة كتاب الله آناء الليل وأطراف النهار، وتعلمه وتعليمه والإنصات إليه والعمل به.

ومن عظمة القرآن: جعل الله أهل القرآن هم أهله وخاصته، كما في الحديث: «**أَهْلُ الْقُرْآنِ هُمْ أَهْلُ اللهِ، وَخَاصَّتُهُ**»(١).

٢) إجلال كل ما أجله الجليل سُبۡحَانَهُ من خلقه، ومن ذلك:

- إجلال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وتوقيره، يقول الله تَعَالَىٰ: ﴿لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾[الفتح:٩].

يقول ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ عند هذه الآية: «والتعزير: اسم جامع لنصره وتأييده ومنعه من كل ما يؤذيه، والتوقير: اسم جامع لكل ما فيه سكينة وطمأنينة من الإجلال والإكرام، وأن يعامل من التشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرجه عن حد الوقار، ومن ذلك: أنه خصه في المخاطبة بما يليق به، فقال: ﴿لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗا﴾[النور:٦٣]، فنهىٰ أن يقولوا: يا محمد، أو يا أحمد، أو يا أبا القاسم، ولكن يقولوا: يا رسول الله، يا نبي الله، وكيف لا يخاطبونه بذلك، والله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ أكرمه في مخاطبته

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٢٤٧٣)، والنسائي، رقم الحديث: في الكبرىٰ (٧٧٩٧)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٥١٢)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٥٦١٢).

إياه بما لم يكرم به أحدًا من الأنبياء، فلم يدعه باسمه في القرآن قط، بل يقول تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾[الأحزاب:٢٨] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[الأحزاب:٥٩]»[1].

إجلال ثلاثة نص عليهم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله: «**إِنَّ مِنَ إِجْلَالِ اللهِ: إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ، غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ، وَلَا الْجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ**»[2].

فمن إجلال الله: تعظيم الشيخ الكبير في الإسلام، بتوقيره في المجالس، والرفق به، والشفقة عليه، ونحو ذلك كل هذا من كمال تعظيم الله لحرمته عند الله، وإجلال حامل القرآن وإكرامه لحفظه كتاب الله، وسماه حاملًا له؛ لتحمله المشقة في ذلك، وإجلال السلطان القسط العادل بين الناس[3].

٣) إجلال حرمات ذي الجلال وحدوده:

فعظمة الله تَعَالَى وجلاله في قلب العبد تقتضي تعظيم حرماته؛ «لأن تعظيم حرمات الله من الأمور المحبوبة لله، المقربة إليه، التي مَن عظَّمها وأجلَّها أثابه الله ثوابًا جزيلًا، وكانت خيرًا له في دينه، ودنياه وأخراه عند ربه.

وحرمات الله: كل ما له حرمة، وأمر باحترامه، بعبادة أو غيرها، كالمناسك كلها، وكالحرم والإحرام، وكالهدايا، وكالعبادات التي أمر الله العباد بالقيام بها، فتعظيمها: إجلالـها بالقلب، ومحبتها، وتكميل العبودية

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول (ص: ٢٢٤).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٤٨٤)، والبخاري في الأدب المفرد (٧٥٣)، حكم الألباني: حسن، صحيح الجامع الصغير (٩٩١٢).

(٣) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، للعظيم آبادي (٣١/ ٢٣١).

فيها، غير متهاون، ولا متكاسل، ولا متثاقل»(١)، ويدل علىٰ ذلك قوله تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ﴾[الحج:٣٢].

الأثر السادس: ذو الجلال يُخاف عقابُه، وذو الإكرام يُرجىٰ ثوابُه:

لا ينال العبد المعرفة إلا إذا عرف ذا الجلال والإكرام؛ لأنه جمع بين الرغبة والرهبة والرجاء والخوف.

فلا نجاة للإنسان حقًّا إلا إذا خاف ورجا؛ لأن الخوف المطلق يسلم إلىٰ اليأس، والرجاء المطلق يسلم إلىٰ التفريط.

وقد حثنا الله سُبۡحَانَهُ علىٰ أن نخاف ونرجو، فقال تَعَالَىٰ: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾ [السجدة:١٦] وتدبر قول الله: ﴿خَوۡفٗا وَطَمَعٗا ﴾ أي: جامعين بين الوصفين، خوفًا أن ترد أعمالهم، وطمعًا في قبولها، وخوفًا من عذاب الله(٢).

وفسر بعضهم التقوىٰ بأنها الوقوف بين منزلة الخوف والرجاء، فالمؤمن إذا تذكر جلال الله رهب، وإذا تذكر كرمه طمع ورجا، وهكذا يعيش في مقام الرهبة فيعمل ويجتهد في الطاعة، ويحترز من المعاصي، ويعيش في مقام الرجاء فيأنس ويطمئن قلبه ويأمن.

وفي ذلك يقول الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾[الرحمن:٤٦] «وللذي خاف ربه وقيامه عليه، فترك ما نهىٰ عنه، وفعل ما أمره به، له جنتان من ذهب آنيتهما وحليتهما وبنيانهما وما فيهما،

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٧٣٥).

(٢) المصدر السابق (ص: ٥٥٦).

إحدىٰ الجنتين جزاء علىٰ ترك المنهيات، والأخرىٰ علىٰ فعل الطاعات»[1].

الأثر السابع: الدعاء باسم الله ذو الجلال والإكرام:

هذا الأثر وصية من وصايا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَلِظُّوا بِيَا ذَا الجَلَالِ والإِكْرَامِ**»[2].

و«**أَلِظُّوا**» بظاء معجمة مشددة، وفي رواية بحاء مهملة، «**بِيَا ذَا الجَلَالِ والإِكْرَامِ**»، أي: الزموا قولكم ذلك في دعائكم؛ لئلا تركنوا وتطمئنوا لغيره، وقد ذهب بعضهم إلىٰ أنه اسم الله الأعظم[3].

وقد جاء في الحديث الذي فيه ذكر اسم الله الأعظم الدعاء بذي الجلال والإكرام، وفي الحديث عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «كنت مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جالسا- يعني: ورجل قائم يصلي- فلما ركع وسجد وتشهد دعا، فقال في دعائه: اللهم إني أسألك، بأن لك الحمد لا إله إلا أنت، المنان، بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم، إني أسألك، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه: «**تَدْرُونَ بِمَا دَعَا؟** قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ دَعَا بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَىٰ**»[4].

اللهم يا ذا الجلال والإكرام أكرمنا بطاعتك، واقسم لنا من خشينك ما تحول به بيننا وبين معاصيك.

---

(١) تفسير السعدي (ص: ١٣٨).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) التيسير بشرح الجامع الصغير، للمناوي (١/ ٧٢٢).

(٤) سبق تخريجه.

الربُّ جَلَّجَلَالُهُ



المعنى اللغوي:

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «رب كل شئ: مالكه، والرب: اسم من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ، ولا يقال في غيره إلا بالإضافة، وقد قالوه في الجاهلية للملك... والرباني: المتأله العارف بالله تَعَالَى، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ [آل عمران:٧٩]: وربيت القوم: سستهم، أي: كنت فوقهم، قال أبو نصر: وهو من الربوبية، ومنه قول صفوان: (لأن يربني رجل من قريش أحب إلي من أن يربني رجل من هوازن)، ورب الضيعة، أي: أصلحها وأتمها، ورب فلان ولده يربه ربًّا، ورببه، وتربيه، بمعنًىٰ، أي: رباه»[1].

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(الرب) الراء والباء يدل علىٰ أصول؛ **فالأول**: إصلاح الشيء والقيام عليه، فالرب: المالك، والخالق، والصاحب، والرب: المصلح للشيء، يقال: رب فلان ضيعته، إذا قام علىٰ إصلاحها... والله- جل ثناؤه- الرب؛ لأنه مصلح أحوال خلقه.

والأصل الآخر: لزوم الشيء والإقامة عليه، وهو مناسب للأصل الأول. يقال: أربت السحابة بهذه البلدة، إذا دامت...

---

(١) الصحاح (١/ ٠٣١).

والأصل الثالث: ضم الشيء للشيء، وهو- أيضًا- مناسب لما قبله، ومتىٰ أنعم النظر كان الباب كله قياسًا واحدًا»[1].

ورود اسم الله (الرَّب) في القرآن الكريم:

ورد اسمه سُبْحَانَهُ (الرب) في كتاب الله في مواضع عديدة، وفي سياقات متنوعة، فجاء مضافًا إلىٰ (العالمين)، وإلىٰ (كل شيء)، وإلىٰ (موسىٰ وهارون)، وإلىٰ (العرش العظيم)، وإلىٰ (السماوات والأرض)، وإلىٰ (المشرق والمغرب)، ومضاف للضمير (ربكم...)، ومن وروده ما يلي:

١- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الفاتحة:٢].

٢- وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾[الأنعام:١٦٤].

٣- وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾[الرحمن:١٧].

كما جاء مفردًا في إحدىٰ وخمسين ومائة مرة، ومن ورود ما يلي:

قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾[يس:٥٨].

ورود اسم الله (الرب) في السنة النبوية:

ورد اسم الله (الرب) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

١- عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**يُقَالُ لِجَهَنَّمَ: هَلِ امْتَلَأْتِ، وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، فَيَضَعُ الرَّبُّ** عَزَّوَجَلَّ **قَدَمَهُ عَلَيْهَا، فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ**»[2].

---

(١) مقاييس اللغة (٢/ ٢٨٣).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٩٤٨٤).

٢- وعن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قال: «كشف رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الستارة، والناس صفوف خلف أبي بكر؛ فقال: **أَيُّها النَّاسُ! إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مُبَشِّراتِ النُّبُوَّةِ إِلَّا الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُسْلِمُ، أَوْ تُرَىٰ لَهُ، أَلَا وَإِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَاكِعًا، أَوْ سَاجِدًا؛ فَأَمَّا الرُّكوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ** عَزَّوَجَلَّ، **وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ؛ فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ**»[(١)].

٣- وعن عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَقُولُ: «**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ الْعَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ، فَكُنْ**»[(٢)].

معنى اسم الله (الرب) في حقه تعالى:

❊ **قال الطبري** رَحِمَهُٱللَّهُ: «فربنا جل ثناؤه: السيد الذي لا شبه له، ولا مثل له في سؤدده، والمصلح أمر خلقه بما أسبغ عليهم من نعمه، والمالك الذي له الخلق والأمر»[(٣)].

❊ **قال القرطبي** رَحِمَهُٱللَّهُ: «رب العالمين، أي: مالكهم، وكل من ملك شيئًا فهو ربه، فالرب: المالك... والرب: السيد، ومنه قوله تَعَالَىٰ: ﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾[يوسف:٤٢]، وفي الحديث: (**أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا**)[(٤)]، أي:

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٩٧٤).

(٢) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٩٧٥٣)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي (٩٧٥٣).

(٣) تفسير الطبري (١/ ٣٤١).

(٤) أخرجه مسلم (٨).

سيدتها،... والرب: المصلح والمدبر والجابر والقائم، قال الهروي وغيره: يقال لمن قام بإصلاح شيء وإتمامه: قد رَبَّهُ يُرَبِّهِ فهو ربٌّ له ورابٌّ، ومنه سمي الربانيون لقيامهم بالكتب، وفي الحديث: «**هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا**»[1]، أي: تقوم بها وتصلحها، والرب: المعبود»[2].

❊ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والرب هو السيد، والمالك، والمنعم، والمربي، والمصلح، والله تَعَالَىٰ هو الرب بهذه الاعتبارات كلها»[3].

❊ **قال ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والرب هو المالك المتصرف، ويطلق في اللغة علىٰ السيد، وعلىٰ المتصرف للإصلاح، وكل ذلك صحيح في حق الله تَعَالَىٰ»[4].

❊ **قال الشيخ السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الرب، هو المربي جميع العالمين- وهم من سوىٰ الله- بخلقه إياهم، وإعداده لهم الآلات، وإنعامه عليهم بالنعم العظيمة، التي لو فقدوها، لم يمكن لهم البقاء، فما بهم من نعمة، فمنه تَعَالَىٰ»[5].

اقتران اسم الله (الرب) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ فِي القرآن الكريم:

أولًا: اقتران اسم (الرَّبِّ) باسم (الله) عَزَّوَجَلَّ:

سبق بيانه في اسم الله (الله).

(١) أخرجه مسلم (٧٦٥٢).

(٢) تفسير القرطبي (١/ ١٣٦-١٣٧).

(٣) بدائع الفوائد (٤/ ١٣٢).

(٤) تفسير ابن كثير (١/ ١٣١).

(٥) تفسير السعدي (ص: ٣٩).



ثانيًا: اقتران اسم (الربِّ) باسميه سُبْحَانَهُ (الرحمن، الرحيم):

اقترن اسم (الرب) باسمي (الرحمن، الرحيم) كما في قوله تَعَالَى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة:٢، ٣]، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [النبأ:٣٧]، وقوله: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس:٥٨].

وجه الاقتران:

١- الجمع بين الترغيب والترهيب، قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وصف نفسه تَعَالَى بعد «رب العالمين»، بأنه «الرحمن الرحيم»؛ لأنه لما كان في اتصافه بـ «رب العالمين» ترهيب قرنه بـ «الرحمن الرحيم»، لما تضمن من الترغيب، ليجمع في صفاته بين الرهبة منه، والرغبة إليه، فيكون أعون علىٰ طاعته وأمنع، كما قال تَعَالَى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر:٤٩، ٥٠]، وقال: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ﴾ [غافر:٣]، وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الكَافِرُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ**»(١)»(٢).

٢- بيان سعة رحمته وشمولها، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن شمول الربوبية وسعتها بحيث لا يخرج شيء عنها أقصىٰ شمول للرحمة وسعتها؛ فوسع كل شيء برحمته وربوبيته»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٥٥٧٢).

(٢) تفسير القرطبي (١/ ٩٣١).

(٣) مدارج السالكين (١/ ٤٣).

ثالثًا: اقتران اسم (الربِّ) باسمه سُبْحَانَهُ (الغفور):

اقترن اسم (الرب) باسمه (الغفور) كما في قوله تَعَالَى: ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾[سبأ:١٥].

وجه الاقتران:

التأكيد علىٰ أن من أخص صفات الرب: المغفرة، وأنها من موجبات ربوبيته ولوازمها(١).

رابعًا: اقتران اسم (الربِّ) باسمه سُبْحَانَهُ (العزيز):

اقترن اسم (الرب) باسمه (العزيز) كما في قوله تَعَالَى: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾[ص:٦٦].

وجه الاقتران:

للدلالة علىٰ أن صفة العزة والغلبة من موجبات الربوبية والسؤدد.

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (الرَّبِّ):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (الرب) من صفات الله سُبْحَانَهُ:

الله عَزَّوَجَلَّ الرب الذي خلق الخلق، ولم يتركهم هملًا، بل تصرف فيهم بما يصلح شؤونهم ويقيم أحوالهم، وتعاهدهم بالتربية والرعاية، فجاءت تربيته لهم علىٰ نوعين:

(١) ينظر: المرجع السابق بنفس الصفحة.

النوع الأول: الربوبية العامة:

الشاملة لكل خلقه، فالله سُبْحَانَهُ رب العالمين ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[الفاتحة:٢]، والعالمين: جمع عالم، وكل ما سوىٰ الله عَزَّوَجَلَّ عالم[1]، فشمل بربوبيته كل شيء سواه.

فهو رب العرش العظيم، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة:١٢٩]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾[المؤمنون:١١٦].

وهو رب السموات والأرض وما بينهما وما فيهما، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّـٰرُ﴾[ص:٦٦]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ [الشعراء:٢٣، ٢٤].

وهو رب المشرق والمغرب، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾[المزمل:٩]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن:١٧].

وهو رب الأولين والأخرين: ﴿ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الصافات:١٢٦]، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[الشعراء:٢٦].

وصلت ربوبيته لكل إنس وجن، بر وفاجر، مؤمن وكافر، وكل حيوان، ونبات، وجماد.

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (١/ ١٣١).

لا يخرج شيء عن ربوبيته البتة، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيۡءٖ﴾[الأنعام:١٦٤] ولا أوسع ولا أشمل كلمة و لا أكثر استغراقًا من كلمة شيء؛ فالذرة شيء، وجزئيات الذرة شيء، والنواة شيء، والشمس شيء، والمجرات شيء، والكون شيء...إلخ.

ومن آثار ربوبيته العامة:

- خلقه وإيجاده لهم من عدم، وتصويره إياهم علىٰ ما قضىٰ وقدر، قال تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمۡ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[الأنبياء:٥٦]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ٤٩ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[طه:٤٩]، قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ربنا الذي خلق جميع المخلوقات، وأعطىٰ كل مخلوق خلقه اللائق به، الدال علىٰ حسن صنعه من خلقه، من كبر الجسم وصغره وتوسطه، وجميع صفاته- ﴿وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ﴾[غافر:٦٤]»[١].

- إنعامه ورزقه لهم، فرباهم بما أغدق عليهم من النعم والأرزاق الظاهرة والباطنة التي لو فقدوها لاختلت حياتهم وما كان لهم بقاء، قال تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[غافر:٦٤]، وقال حاكيًا عن فرعون سؤاله: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ٤٩ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[طه:٤٩، ٥٠] إلىٰ أن قال: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ

(١) تفسير السعدي (ص: ٧٠٥).

فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُواْ وَٱرۡعَوۡاْ أَنۡعَٰمَكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴾[طه:٥٣، ٥٤].

- القيام علىٰ شؤنهم وتدبير أمورهم، كما قال تَعالَىٰ: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾[طه:٤٩، ٥٠] هدىٰ كل مخلوق لما خلق له من المنافع، وهداه لدفع المضار عنه، حتىٰ أن الله أعطىٰ الحيوان البهيم من العقل ما يتمكن به من ذلك[١].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قائم علىٰ كل نفس بخيرها وشرها، قد استوىٰ علىٰ عرشه، وتفرد بتدبير ملكه، فالتدبير كله بيديه، ومصير الأمور كلها إليه، فمراسيم التدبيرات نازلة من عنده علىٰ أيدي ملائكته بالعطاء والمنع، والخفض والرفع، والإحياء والإماتة، والتوبة والعزل، والقبض والبسط، وكشف الكروب وإغاثة الملهوفين وإجابة المضطرين: ﴿يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ ﴾[الرحمن:٢٩] لا مانع لما أعطىٰ، ولا معطي لما منع، ولا معقب لحكمه، ولاراد لأمره، ولا مبدل لكلماته، تعرج الملائكة والروح إليه، وتعرض الأعمال- أول النهار وآخره- عليه، فيقدر المقادير ويوقت المواقيت، ثم يسوق المقادير إلىٰ مواقيتها، قائمًا بتدبير ذلك كله وحفظه ومصالحه»[٢].

- تعريف عباده بنفسه وبغايتهم التي خلقوا من أجلها، وتعريفهم ما ينفعهم وما يضرهم؛ فلم يترك عباده سدىٰ هملًا لا يعرفهم بنفسه ولا ما

(١) ينظر: المرجع السابق.

(٢) الصلاة وأحكام تاركها (ص: ٢٤١).

ينفعهم ولا يضرهم في المعاش والمعاد، كما لم يخلقهم عبثًا يأكلون ويشربون ويمرحون دون أمر ولا نهي ولا ثواب ولا عقاب، كما قال تَعَالَى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ [المؤمنون:١١٥، ١١٦] تعاظم عن هذا الظن الباطل الذي يقدح في حكمته تَبَارَكَ وَتَعَالَى[(١)].

النوع الثاني: الربوبية الخاصة:

التي اختص الله بها أولياءه وأهل طاعته، حيث رباهم فوفقهم للإيمان به، والقيام بعبوديته، وغذاهم بمعرفته، ونمىٰ ذلك بالإقامة عليه، وأخرجهم من الظلمات إلىٰ النور، ويسرهم لليسرىٰ وجنبهم العسرىٰ، ودفع عنهم الصوارف، والعوائق الحائلة بينهم وبينه.

فحقيقتها: التوفيق لكل خير، والعصمة عن كل شر[(٢)].

ومن صور هذه التربية: أن يلقي في نفوس أوليائه إذا أقبلوا عليه بالطاعات الراحة والسكينة والانشراح، فيحببها لهم، وإذا عصوه أو هموا بمعصيته الضيق والكآبة والحزن فيبغضها لهم، قال تَعَالَى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ [الحجرات:٧].

فمن وجد في نفسه هداية وإيمانًا فهو محض فضل رب العالمين، فهو سُبْحَانَهُ الذي دفعه وساقه إلىٰ طاعته، وألقىٰ في قلبه محبته ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٥٦٠).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٩٣)، وفتح الرحيم الملك العلام، للسعدي (ص: ٨٤).

أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [الحجرات:١٧].

ومنها: أن يصيب العبد ببعض البلايا والمحن؛ ليرجع ويعود إليه، وتكون سببًا لقربه منه، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ دُونَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [السجدة:٢١]، وكما قال سُبۡحَانَهُ: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة:١١٨] فساق هذه الشدائد ليحملهم علىٰ التوبة والرجوع إليه.

الأثر الثاني: دلالة اسم الله (الرب) علىٰ التوحيد:

اسم الله الرب دال علىٰ أنواع التوحيد الثلاثة: الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات.

- فأما توحيد الربوبية:

فالله سُبۡحَانَهُ هو الرب علىٰ الحقيقة، فلا رب علىٰ الحقيقة سواه، رب كل شيء وخالقه ومليكه، والقادر عليه والمتصرف في جميع أموره، وكل من في السموات والأرض عبد له في قبضته وتحت قهره، يقول تَعَالَىٰ: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدًا﴾ [مريم:٩٣].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالله سُبۡحَانَهُ رب الأرباب، ومعبود العباد، يملك المالك والمملوك وجميع العباد، وهو خالق ذلك ورازقه، وكل رب سواه غير خالق ولا رازق، وكل مخلوق فمملَّك بعد أن لم يكن، ومنتزع ذلك من يده،

وإنما يملك شيئًا دون شيء»[1].

وقد استدل الله علىٰ وحدانيته في الربوبية بدليل التمانع، قال تَعَالَى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[المؤمنون:٩١]، فالعالم العلوي والسفلي، علىٰ ما يرىٰ، في أكمل ما يكون من الصلاح والانتظام، الذي ما فيه خلل ولا عيب، ولا ممانعة، ولا معارضة فالشمس والقمر، والكواكب الثابتة والسيارة، منذ خلقت وهي تجري علىٰ نظام واحد، وترتيب واحد، كلها مسخرة بالقدرة، مدبرة بالحكمة لمصالح الخلق كلهم، ليست مقصورة علىٰ مصلحة أحد دون أحد؛ فدل ذلك علىٰ أن مدبره واحد، وربه واحد، فلو كان له مدبران وربان أو أكثر من ذلك، لاختل نظامه، وتقوضت أركانه؛ فإنهما يتمانعان ويتعارضان، وإذا أراد أحدهما تدبير شيء، وأراد الآخر عدمه، فإنه محال وجود مرادهما معًا، ووجود مراد أحدهما دون الآخر، يدل علىٰ عجز الآخر وعدم اقتداره، واتفاقهما علىٰ مراد واحد في جميع الأمور غير ممكن، فإذًا يتعين أن القاهر الذي يوجد مراده وحده، من غير ممانع ولا مدافع، هو الرب الواحد القهار[2].

وبهذا التوحيد أقر أكثر طوائف المشركين ولم ينكروه، كما حكىٰ الله عنهم في كتابه، قال تَعَالَى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾[يونس:٣١].

---

(١) الأسنىٰ في شرح الأسماء الحسنىٰ، للقرطبي (١/ ٥٩٣).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ١٢٥، ٨٥٥).

ومع هذا الإقرار منهم إلا أنه لم يكفهم في الدخول في الإسلام لإخلالهم بتوحيد الألوهية الذي بعث الله الرسل داعين إليه، كما قال تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[النحل:٣٦].

- وأما توحيد الألوهية:

فاسم (الرب) عَزَّوَجَلَّ يقتضي ويستلزم عبادة الله وحده دون ما سواه؛ إذ إن الخالق للكون وما فيه، والمالك لكل شيء من العالم العلوي، والعالم السفلي، ما نبصره منه، وما لا نبصره، والمتصرف فيه بالإحياء، و الإماتة، والرزق، والتدبير هو المستحق للعبادة وحده، فإن كل من دونه عبيد مربوبون لا خلق لهم ولا ملك، عاجزون من جميع الوجوه، فكيف يتخذون أندادًا وشركاء لله؟!(١).

وقد احتج الله بالربوبية علىٰ الألوهية في مواضع عديدة من كتابه بأساليب متنوعة، منها: قوله تَعَالَى: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ [الأعراف:١٩١]، وقوله: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ۚ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾[الزمر:٣٨].

ففي هذه الآيات احتجاج علىٰ العباد بأن الله هو وحده مالك الأرض والسماء ومن فيها، وخالقهم وربهم ومليكهم، فإذا كان كذلك فهو وحده إلههم ومعبودهم، فكما لا رب لهم غيره، فهكذا لا إله لهم سواه(٢).

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٧٥٥).

(٢) ينظر: مدارج السالكين، لابن القيم (١/ ٣١٤)، وفقه الأسماء الحسنىٰ، للبدر (ص: ٤٩-٥٩).

- وأما توحيد الأسماء والصفات:

فاسم (الرب) عَزَّوَجَلَّ مقتضٍ ومستلزم لسائر أسمائه وصفاته تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ فالخالق المالك الرازق المدبر لا بد أن يكون قادرًا، بارئًا مصورًا، حيًّا قيومًا، عليمًا، سميعًا بصيرًا، غنيًّا، جوادًا، كريمًا إلىٰ غير ذلك من أسمائه وصفاته.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن ربوبيته سُبْحَانَهُ إنما تتحقق بكونه: فعالًا مدبرًا؛ متصرفًا في خلقه؛ يعلم، ويقدر، ويريد، ويسمع، ويبصر، فإذا انتفت أفعاله وصفاته: انتفت ربوبيته، وإذا انتفت عنه صفة الكلام: انتفىٰ الأمر والنهي ولوازمها، وذلك ينفي حقيقة الإلهية»(١).

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن (الرب): هو القادر الخالق البارئ المصور؛ الحي القيوم؛ العليم السميع البصير؛ المحسن المنعم الجواد؛ المعطي المانع؛ الضار النافع؛ المقدم المؤخر؛ الذي يضل من يشاء ويهدي من يشاء؛ ويسعد من يشاء، ويشقي ويعز من يشاء ويذل من يشاء؛ إلىٰ غير ذلك من معاني ربوبيته التي له منها ما يستحقه من الأسماء الحسنىٰ»(٢).

الأثر الثالث: الرضا بالله عَزَّوَجَلَّ ربًّا:

من عرف اسم الله (الرب) وعلم أنه وحده الخالق المالك الرازق المدبر، لم يطلب غيره ربًّا ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾[الأنعام:١٦٤]، بل رضي به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ربًّا، وساقه رضاه به لأنواع من الرضىٰ:

١-الرضىٰ به إلهًا معبودًا.

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة علىٰ الجهمية والمعطلة (ص: ٧٩٤).

(٢) بدائع الفوائد، لابن القيم (٢/ ٩٤٢).

٢-الرضىٰ به حاكمًا مشرعًا، فيرضىٰ عما أمره به ونهاه عنه.

٣-الرضىٰ به قاسمًا قاضيًا، فيرضىٰ عما قسمه وقدره له، ويرضي عما أعطاه واختاره له وعما منعه منه.

فالرضىٰ به ربًّا متعلق بذاته وأسمائه وصفاته وألوهيته وربوبيته العامة والخاصة، فهو الرضىٰ به خالقًا ومدبرًا وآمرًا وناهيًا، ومالكًا ومعطيًا ومانعًا، وحكمًا ووكيلًا ووليًّا وناصرًا، ومعينًا وكافيًا وحسيبًا ورقيبًا، وقابضًا وباسطًا، ومبتليًا ومعافيًا، إلىٰ غير ذلك من صفات أفعاله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ومن كانت هذه صفته ذاق طعم الإيمان وحلاوته، كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ باللهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا**»[1].

ومتىٰ تذوق العبد طعم الإيمان فلا تسأل عن السعادة التي يحيا بها، ولا عن الأنس الذي يشعر به، ولا عن الطمأنينية والثبات حتىٰ ولو احتوشته البلايا والرزايا.

ومن لم يرض بتلك الأنواع أو بعضها لم يكن قد رضي به ربًّا من جميع الوجوه، ولا ذاق حلاوة الإيمان حتىٰ يرضىٰ به من جميع الوجوه.

والرضىٰ بالله ربا يختلف عن الرضا عنه؛ فالرضىٰ به متعلق بأسمائه وصفاته وأفعاله، والرضىٰ عنه متعلق بثوابه وجزائه، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ [الفجر:٧٢] وقوله تَعَالَىٰ: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة:٨]، فربط الرضا عنه بدخول الجنة، بينما في الحديث علق

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٤٣).

رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذوق طعم الإيمان بمن رضي بالله ربًّا، ولم يعلقه بمن رضي عنه، فجعل الرضىٰ به قرينًا للرضىٰ بدينه ونبيه، وهذه الثلاثة هي أصول الإسلام التي لا يقوم إلا بها وعليها.

الأثر الرابع: التوكل علىٰ الربِّ سُبْحَانَهُ:

إذا آمن العبد باسم الله (الرب) وما يدل عليه من اختصاصه بجلب المنافع ودفع المضار، والتكفل بالأرزاق، وتيقن ذلك؛ أورثه التعلق به والتوكل عليه في جلب المصالح، ودفع المساوئ والمخاطر عنه، وفي تصريف جميع أموره، فلا يتعلق إلا باللهتَعَالَىٰ ولا يرجو إلا هو، ولا يخاف إلا منه سُبْحَانَهُ، ولقد قال نبي الله موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو في موقف شديد عصيب؛ أدركه فرعون فيه بجبروته وطغيانه وجنوده وعتاده، كما ذكر الله سُبْحَانَهُ: ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ﴾ [الشعراء:٥٣ - ٥٦] ولا مفر، فالبحر أمامه، وفرعون خلفه، والجبال الشاهقة ترىٰ عن يمينه وشماله، حتىٰ ظن أصحابه أنهم مدركون ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾[الشعراء:٦١] قال واثقًا بربه متوكلًا عليه: ﴿قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾[الشعراء:٦٢].

فكل مخلوق ضعيف لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا، فضلًا عن أن يملكه لغيره، فكيف يخاف أو يرجىٰ أو يتعلق بمن هذا حاله؟

الأثر الخامس: محبة الله الرب:

لما كان من معاني (الرب) أنه الذي يربي عباده بخلقه إياهم علىٰ أحسن صورة، والإنعام عليهم بما يقيم حياتهم ومعاشهم، والقيام علىٰ شؤونهم وحاجتهم أتم قيام وأكمله.

فإن هذه المعاني من شأنها أن تورث في قلب العبد المحبة العظيمة لربه سُبْحَانَهُ، وحب ما يحبه ومن يحبه، وبغض ما يبغضه ومن يبغضه، والمسارعة في مرضاته، وتعظيمه وإجلاله وشكره، وحمده الحمد اللائق بجلاله وعظمته وسلطانه وإنعامه.

الأثر السادس: التضرع باسم الله (الرب):

اسم الله (الرب) تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يقتضي جلب المنافع ودفع المضار، وتفريج الكربات، وقضاء الحاجات، ومن هنا صمد إليه العباد وقصدوه صغيرهم وكبيرهم، برهم وفاجرهم، بل وحتىٰ كافرهم في حاجاتهم ومطالبهم، كما قال الله تَعَالَىٰ عن الكفار: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[لقمان:٣٢]، وقال: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [العنكبوت:٦٥].

وكلما عرف العبد اسم الله (الرب) وزاد يقينه بمعانيه؛ زاد لهجه ودعاؤه به؛ لذا كثر في أدعية الأنبياء والصالحين تكرار الدعاء بقولهم: (ربنا، ربنا)، ومن ذلك:

- دعاء آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، حين تاب الله عليه هو وزوجه: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[الأعراف:٢٣].

- دعاء نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا﴾ [نوح:٢٨].

- دعاء إبراهيم وإسماعيل عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِۦمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٢٧، ١٢٨].

- دعاء يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف:١٠١].

- دعاء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الأَرْضِ وَرَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْراةِ والإِنْجِيلِ والفُرْقَانِ...**»(١)، وكان إذا افتتح صلاته من الليل قال: «**اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ، عَالِمَ الغَيْبِ والشَّهَادَةِ...**»(٢).

- دعاء الراسخين في العلم: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [آل عمران:٨].

- دعاء المتقين: ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران:١٦].

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٣١٧٢).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٠٧٧).

ولعل من أسرار كثرة دعاء الأنبياء بلفظ الرب: أن مطالبهم كلها داخلة تحت ربوبيته الخاصة، فسألوه بالاسم المناسب لمطالبهم؛ فهو الذي يربيهم بتربيته الخاصة[1].

الأثر السابع: التأدب مع الرب في الألفاظ:

الله عَزَّوَجَلَّ هو الرب وحده تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ؛ لذا جاء في البخاري عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: أَطْعِمْ رَبَّكَ، وَضِّئْ رَبَّكَ، وَلْيَقُلْ: سَيِّدِي وَمَوْلَايَ، وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي وَأَمَتِي، وَلْيَقُلْ: فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلَامِي**»[2].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُٱللَّهُ: «وفيه: نهي العبد أن يقول لسيده: (ربي)، وكذلك نهىٰ غيره، فلا يقول له أحد: ربك، ويدخل في ذلك أن يقول السيد ذلك عن نفسه، فإنه قد يقول لعبده: اسق ربك، فيضع الظاهر موضع الضمير علىٰ سبيل التعظيم لنفسه»[3].

والسبب في النهي:

الأول: «أن حقيقة الربوبية لله تَعَالَىٰ؛ لأن الرب هو المالك القائم بالشيء، فلا توجد حقيقة ذلك إلا لله تَعَالَىٰ»[4].

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٩٣).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٥٥٢)، ومسلم، رقم الحديث: (٩٤٢٢). واللفظ للبخاري.

(٣) فتح الباري (٥/ ٩٧١).

(٤) المرجع السابق.

الثاني: «أن الإنسان مربوب متعبد بإخلاص التوحيد لله، وترك الإشراك معه، فكره له المضاهاة في الاسم؛ لئلا يدخل في معنىٰ الشرك»[1].

وهل معنىٰ هذا عدم جواز أن يقال لأحد غير الله: رب؟

إطلاق لفظ الرب إما يكون علىٰ سبيل الإطلاق أو الإضافة، فإما إن كان علىٰ سبيل الإطلاق فلا يجوز؛ لأن هذا مما يختص الله به، **قال ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا يستعمل الرب لغير الله، بل بالإضافة، تقول: رب الدار، رب كذا، وأما الرب فلا يقال إلا لله عَزَّوَجَلَّ»[2]، وقال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والذي يختص بالله تَعَالَىٰ إطلاق الرب بدون إضافة»[3].

أما إن كان مضافًا، فالإضافة يختلف حكمها باختلاف أقسامها، وقد أوضح ذلك الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقال: «**إضافة الربِّ إلىٰ غير الله** تَعَالَىٰ **تنقسم إلىٰ أقسام:**

القسم الأول: أن تكون الإضافة إلىٰ ضمير المخاطب، مثل: أطعم ربك، وضئ ربك، فيكره هذان لمحذورين:

١- من جهة الصيغة؛ لأنه يوهم معنىٰ فاسد بالنسبة لكلمة رب؛ لأن الرب من أسمائه سُبْحَانَهُ، وهو- سُبْحَانَهُ - يطعم ولا يطعم، وإن كان بلا شك أن الرب هنا غير رب العالمين الذي يُطعِم ولا يُطعَم، ولكن من باب الأدب في اللفظ.

---

(١) أعلام الحديث، للخطابي (٢/ ١٧٢١).

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ١٣١).

(٣) فتح الباري (٥/ ٩٧١).

٢- من جهة المعنىٰ أنه يشعر العبد أو الأمة بالذل؛ لأنه إذا كان السيد ربًّا كان العبد أو الأمة مربوبًا.

القسم الثاني: أن تكون الإضافة إلىٰ ضمير الغائب، فهذا لا بأس به كقوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث أشراط الساعة: «**إِذَا وَلَدَتِ الْأَمَةُ رَبَّهَا**»[١] ....

القسم الثالث: أن تكون الإضافة إلىٰ ضمير المتكلم، بأن يقول العبد: هذا ربي، فهل يجوز هذا؟

قد يقول قائل: إن هذا جائز؛ لأن هذا من العبد لسيده، وقد قال تَعَالَىٰ عن صاحب يوسف: ﴿إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَاىَ﴾ [يوسف:٢٣] أي: سيدي؛ ولأن المحذور من قول: (ربي) هو إذلال العبد، وهذا منتف؛ لأنه هو بنفسه يقول: هذا ربي.

القسم الرابع: أن يضاف إلىٰ الاسم الظاهر، فيقال: هذا رب الغلام، فظاهر الحديث الجواز، وهو كذلك ما لم يوجد محذور؛ فيمنع، كما لو ظن السامع أن السيد رب حقيقي خالق ونحو ذلك»[٢].

الأثر الثامن: كن ربانيًّا:

الله عَزَّوَجَلَّ الرب يحب من عباده أن يكونوا ربانيين، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادٗا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ﴾ [آل عمران:٧٩].

وسيتناول الملحق - بإذن الله - ما يوضح هذا المعنىٰ ويساعد علىٰ تحقيقه.

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٠)، ومسلم، رقم الحديث: (٩).

(٢) القول المفيد علىٰ كتاب التوحيد، لابن عثيمين (٢/ ٩٣٣-٠٤٣).

الرَّبَّانِية والرَّبَّانِيون



في هذا الموضوع سنتطرق للمسائل التالية:

أولًا: المقصود بالرَّبَّانية والرَّبَّانيين:

تعددت عبارات العلماء في معنىٰ الرباني، إلا أنها تدور حول ثلاثة معان:

١-العلم الراسخ بالله وشرعه.

٢-العمل بالعلم.

٣-تعليم الناس وتربيتهم عليه بالحكمة، كالبدء بصغار العلم قبل كبارها.

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ [آل عمران:٧٩] «حلماء فقهاء، ويقال: الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره»[١].

وقال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأولىٰ الأقوال عندي بالصواب في (الربانيين): أنهم جمع (رباني)، وأن (الرباني) المنسوب إلىٰ (الربان)، الذي يربُّ الناس، وهو الذي يصلح أمورهم، ويربُّها، ويقوم بها،... فالربانيون إذًا هم عماد الناس في الفقه والعلم وأمور الدين والدنيا، ولذلك قال مجاهد: (وهم فوق الأحبار)؛ لأن الأحبار هم العلماء، والرباني: الجامع إلىٰ العلم والفقه، البصرَ

(١) صحيح البخاري (١/ ٥٢).

بالسياسة والتدبير والقيام بأمور الرعية، وما يصلحهم في دنياهم ودينهم»[(١)].

وقال أبو عمر الزاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سألت ثعلبًا عن هذا الحرف، وهو الرباني، فقال: «سألت ابن الأعرابي، فقال: إذا كان الرجل عالمًا عاملًا معلمًا، قيل له: هذا رباني، فإن خرم عن خصلة منها لم نقل له: رباني»[(٢)].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العالم بدين الرب الذي يعمل بعلمه؛ لأنه إذا لم يعمل بعلمه فليس بعالم»[(٣)].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ- بعدما نقل جملة من تفسيرات العلماء للرباني-: «ولا يوصف العالم بكونه ربانيًّا حتىٰ يكون عاملًا بعمله، معلمًا له»[(٤)].

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «علماء حكماء حلماء، معلمين للناس ومربيهم بصغار العلم قبل كباره، عاملين بذلك، فهم يأمرون بالعلم والعمل والتعليم التي هي مدار السعادة، وبفوات شيء منها يحصل النقص والخلل»[(٥)].

ثانيًا: وسائل تحقيق الربانية:

الربانية تقوم علىٰ ثلاث ركائز، كما يظهر مما نُقِل من كلام العلماء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ سابقًا، وهي:

١-العلم الراسخ بالله وشرعه.

---

(١) تفسير الطبري (٦/ ٥٤٠-٥٤٤).

(٢) مفتاح دار السعادة، لابن القيم (١/ ٤٢١).

(٣) تفسير القرطبي (٤/ ٢٢١).

(٤) مفتاح دار السعادة (١/ ٦٢١).

(٥) تفسير السعدي (ص: ٦٣١).

٢-العمل بالعلم.

٣-تعليم الناس وتربيتهم عليه بالحكمة.

ولكل واحد من هذه الركائز الثلاث أدلته من الكتاب والسنة، منها:

ما يتعلق بالعلم: قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤].

فوصف الله الربانيين والأحبار بأنهم ﴿ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ **قال ابن جرير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بما استودعوا علمه من كتاب الله، الذي هو التوراة»[1].

ووصف الربانين- أيضًا- بالدرس للكتاب الذي به يرسخ العلم ويبقىٰ[2]، قال تَعَالَىٰ: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾[آل عمران:٧٩].

والذي يظهر أن المراد بالعلم: العلم الراسخ الواسع؛ لذا إنما أطلق السلف هذا الوصف علىٰ من تبحر في العلم، ومن ذلك:

لما مات زيد بن ثابت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «اليوم مات رباني هذه الأمة، ولعل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يجعل في ابن عباس مثله خلفًا»[3].

---

(١) تفسير الطبري (٨/ ٤٥٤).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٦٣١).

(٣) الآحاد والمثاني، لابن أبي عاصم (٣٩٣).

وقال محمد ابن الحنفية يوم مات ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «مات رباني هذه الأمة»(١).

ما يتعلق بالعمل: وهذه الركيزة معلومة بنصوص كثيرة، ذمت المقصرين في هذا الباب، كقوله تَعَالَىٰ: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:٤٤] وقوله تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف:٢، ٣].

فلو كان الربانيون لا يعملون بعلمهم، لاستحقوا الذم لا المدح، والله أشاد بهم في مواضع، فدل علىٰ أنهم حققوا العمل بالعلم.

ما يتعلق بالتعليم والتربية: قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران:٧٩] الباء «باء السببية، أي: بسبب تعليمكم لغيركم المتضمن لعلمكم ودرسكم لكتاب الله وسنة نبيه، التي بدرسها يرسخ العلم ويبقىٰ، تكونون ربانيين»(٢).

ووصفهم الله بأنهم استحفظوا الكتاب، كما في قوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤]، والحفظ لا يكون بمجرد الجمع في الفؤاد والعمل به، بل بنقله للأجيال وتربيتهم عليه أيضًا، فالحفظ لا يتم ويكمل بغير التبليغ والنقل للناس.

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر (١/ ٦٥).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٦٣١).

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير هذه الآية: «أي: بسبب أن الله استحفظهم علىٰ كتابه، وجعلهم أمناء عليه، وهو أمانة عندهم، أوجب عليهم حفظه من الزيادة والنقصان والكتمان، وتعليمه لمن لا يعلمه.

وهم شهداء عليه؛ بحيث إنهم المرجوع إليهم فيه، وفيما اشتبه علىٰ الناس منه، فالله تَعَالَىٰ قد حمَّل أهلَ العلم ما لم يحمِّله الجهال، فيجب عليهم القيام بأعباء ما حُمِّلوا.

وأن لا يقتدوا بالجهال، بالإخلاد إلىٰ البطالة والكسل، وأن لا يقتصروا علىٰ مجرد العبادات القاصرة، من أنواع الذكر، والصلاة، والزكاة، والحج، والصوم، ونحو ذلك من الأمور، التي إذا قام بها غير أهل العلم سلموا ونجوا.

وأما أهل العلم فكما أنهم مطالبون بالقيام بما عليهم أنفسهم، فإنهم مطالبون أن يعلِّموا الناس، وينبهوهم علىٰ ما يحتاجون إليه من أمور دينهم، خصوصًا الأمور الأصولية، والتي يكثر وقوعها، وأن لا يخشوا الناس، بل يخشون ربهم»[(١)].

وفي هذه الركائز الثلاث يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والسلف مجمعون علىٰ أن العالـم لا يستحق أن يسمىٰ ربانيًّا حتىٰ يعرف الحق ويعمل به ويعلمه، فمن علم وعمل وعلم فذاك يدعىٰ عظيمًا في ملكوت السماوات»[(٢)].

---

(١) تفسير السعدي (ص٢٣٢).

(٢) زاد المعاد (٣/ ٩).

ثالثًا: صفات الربانيين:

وللربانيين أوصاف، جعلتهم يحوزون هذا الشرف العظيم، منها:

١-خشية الله عَزَّوَجَلَّ التي أورثها العلم بالله عَزَّوَجَلَّ، قال تَعالَى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[فاطر:٢٨].

٢-الثبات على الحق، وعدم التذبذب في الفتن والكروب؛ لعلمه بها.

٣-القيام بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما قال تَعَالَى موضحًا الدور المنبغي على الربانيين القيام به: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ﴾[المائدة:٦٣]، قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن العلماء عليهم أمر الناس ونهيهم، وأن يبينوا لهم الطريق الشرعي، ويرغبوهم في الخير ويرهبوهم من الشر»[١].

٤-الحرص على تحكيم شريعة الله عَزَّوَجَلَّ في جميع الأمور، كما قال تَعَالَى عنهم: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ﴾[المائدة:٤٤]، فيحكِّمون ما أنزل الله من التوراة، ويَحْكُمُونَ به.

٥-الحكم بين الناس بكتاب الله، قال تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ﴾[المائدة:٤٤].

٦-الصبر على العلم وأعباء الدعوة والتعليم، قال تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا

(١) تفسير السعدي (ص: ٧٣٢).

﴿مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]، فبين أنهم وصلوا لهذه المرتبة بالصبر علىٰ التعلم والتعليم، والدعوة إلىٰ الله[1].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فجهاد النفس أربع مراتب أيضًا:

إحداها: أن يجاهدها علىٰ تعلم الهدىٰ ودين الحق الذي لا فلاح لها ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به، ومتىٰ فاتها علمه شقيت في الدارين.

الثانية: أن يجاهدها علىٰ العمل به بعد علمه، وإلا فمجرد العلم بلا عمل إن لم يضرها لم ينفعها.

الثالثة: أن يجاهدها علىٰ الدعوة إليه، وتعليمه من لا يعلمه، وإلا كان من الذين يكتمون ما أنزل الله من الهدىٰ والبينات، ولا ينفعه علمه، ولا ينجيه من عذاب الله.

الرابعة: أن يجاهدها علىٰ الصبر علىٰ مشاق الدعوة إلىٰ الله وأذىٰ الخلق، ويتحمل ذلك كله لله، فإذا استكمل هذه المراتب الأربع صار من الربانيين»[2].

٧-اليقين بآيات الله، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]، فبين أنهم وصلوا لهذه المرتبة الرفيعة بما وصلوا إليه من الإيمان إلىٰ درجة اليقين، وهو العلم التام، الموجب للعمل[3].

---

(١) ينظر: المرجع السابق (ص: ٦٥٦).

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم (٣/ ٩).

(٣) ينظر: تفسير السعدي (٦٥٦).

٨- السمت والوقار، قال ﷺ: «**السَّمْتُ الحَسَنُ، والتؤدَة والاقْتِصَادُ جُزْءٌ مِنْ أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ**»(١)، فالأنبياء أحسن الناس سمتًا وأحسنهم وقارًا، والربانيون ورثة الأنبياء، بهم يقتدون وعلىٰ آثارهم يسيرون، قال رسول الله ﷺ: «**وَإِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ**»(٢).

٩-ملاحظة تقصير النفس وسؤال الله المغفرة، قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[آل عمران:١٤٦، ١٤٧]، ففي هذا الموقف العصيب الذي تزهق فيه الأروح لم يغفلوا عن ملاحظة تقصيرهم وذنوبهم، فسألوا الله مغفرته.

وهذا الاستدلال إنما يصح علىٰ القول بأن الربِّيين بمعنىٰ: الربانيين.

فمن حقق ركائز الربانية الثلاثة، واتصف بصفاتها؛ حقق الربانية، واستحق أن يوصف بكونه ربانيًّا.

فاللهمَّ اسْتَعْمِلْنَا وَلَا تَسْتَبْدِلْنَا، واحشُرْنَا في زمرةِ عبادِكَ الرَّبَّانِيين الصَّالحينَ.



---

(١) أخرجه الترمذي، رقم الحديث (٢٠١٠)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني، رقم الحديث: (١١٠٥)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٣٠١٠).

(٢) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٣٦٤١)، والترمذي، رقم الحديث: (٢٦٨٢)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢٦٨٢).

الرحمن الرحيم جَلَّجَلَالُهُ



المعنى اللغوي:

❁ **قال الجوهري** رَحِمَهُٱللَّهُ: «الرحمة: الرقة والتعطف، والمرحمة مثله، وقد رحمته وترحمت عليه، وتراحم القوم: رحم بعضهم بعضًا، والرحموت من الرحمة... والرحمن والرحيم: اسمان مشتقان من الرحمة، ونظيرهما في اللغة: نديم وندمان، وهما بمعنًىٰ»[(١)].

❁ **قال ابن فارس** رَحِمَهُٱللَّهُ: «(رحم) الراء والحاء والميم أصل واحد يدل علىٰ الرقة والعطف والرأفة، يقال من ذلك: رحمه يرحمه، إذا رق له وتعطف عليه..»[(٢)].

ورود اسم الله (الرحمن - الرحيم) في القرآن الكريم:

أولًا: ورود اسم الله الرحمن في القرآن الكريم:

ورد اسم الله (الرحمن) في كتاب الله سبعًا وخمسين مرة، ومن وروده ما يلي:

١- قوله تَعَالَى: ﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا﴾ [مريم:٨٥].

---

(١) الصحاح تاج اللغة (٥/ ٩٢٩١).

(٢) مقاييس اللغة (٢/ ٨٩٤).

٢- قوله تَعَالَى: ﴿ مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ ﴾ [ق: ٣٣].

٣- قوله تَعَالَى: ﴿ قُلۡ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيۡهِ تَوَكَّلۡنَا ﴾ [الملك: ٢٩].

ثانيًا: ورود اسم الله (الرحيم) في القرآن الكريم:

وورد اسم الله (الرحيم) في كتاب الله مائةً وأربع عشرة مرة، ومن وروده ما يلي:

١- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[الحجر:٤٩]

٢- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾[الشعراء:٢١٧]

٣- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا﴾[الأحزاب: ٣٤].

ورود اسم الله (الرَّحْمَن - الرَّحِيْم) في السنة النبوية:

أولًا: ورود اسم الله (الرحمن) في السنة النبوية:

ورد اسم الله الرحمن في السنة، ومن وروده ما يلي:

١- عن أبي التَّيَّاحِ قَالَ: قُلْتُ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خَنْبَشٍ التَّمِيمِيِّ - وَكَانَ كَبِيرًا -: أَدْرَكْتَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قَالَ: نَعَمْ . قَالَ: قُلْتُ: كَيْفَ صَنَعَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ كَادَتْهُ الشَّيَاطِينُ ؟ فَقَالَ: إِنَّ الشَّيَاطِينَ تَحَدَّرَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْأَوْدِيَةِ وَالشِّعَابِ، وَفِيهِمْ شَيْطَانٌ بِيَدِهِ شُعْلَةُ نَارٍ يُرِيدُ أَنْ يَحْرِقَ بِهَا وَجْهَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَهَبَطَ إِلَيْهِ جِبْرِيلُ [عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ]، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ قُلْ . قَالَ: مَا أَقُولُ ؟ قَالَ: قُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، وَذَرَأَ وَبَرَأَ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، وَمِنْ شَرِّ مَا

يَعْرُجُ فِيهَا، وَمِنْ شَرِّ فِتَنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ طَارِقٍ إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَا رَحْمَنُ . قَالَ: فَطُفِئَتْ نَارُهُمْ، وَهَزَمَهُمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.[1]

٢- عن عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا الرَّحْمَنُ، خَلَقْتُ الرَّحِمَ وَشَقَقْتُ لَهَا مِن اسْمِي اسْمًا، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَتُّهُ»[2].

٣- عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «الخَيْلُ ثَلَاثَةٌ، فَفَرَسٌ لِلرَّحْمَنِ، وَفَرَسٌ لِلْإِنْسَانِ، وَفَرَسٌ لِلشَّيْطَانِ، فَأَمَّا فَرَسُ الرَّحْمَنِ: فَالَّذِي يُرْبَطُ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَعَلَفُهُ وَرَوْثُهُ وَبَوْلُهُ- وذكر ما شاء الله- وَأَمَّا فَرَسُ الشَّيْطَانِ: فَالَّذِي يُقَامَرُ أَوْ يُرَاهَنُ عَلَيْهِ، وَأَمَّا فَرَسُ الإِنْسَانِ: فَالفَرَسُ يَرْتَبِطُهَا الإِنْسَانُ يَلْتَمِسُ بَطْنَهَا، فَهِيَ تَسْتُرُ مِنْ فَقْرٍ»[3].

ثانيًا: ورود اسم الله (الرحيم) في السنة النبوية:

ورد اسم الله الرحمن في السنة، ومن وروده ما يلي:

١- عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي. قَالَ: «قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٩٩٦٥١)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٠٤٨).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢٠٧١)، وأبو داود، رقم الحديث: (٤٩٦١)، حكم الألباني: صحيح، صحيح أبي داود، رقم الحديث: (٧٨٤١). واللفظ لأحمد.

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٤١٨٣)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٠٥٣٣).

كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»[1].

٢- عن مِحْجَنِ بْنِ الْأَدْرَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَدْ قَضَىٰ صَلَاتَهُ وَهُوَ يَتَشَهَّدُ، وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِاللهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ الصَّمَدِ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ أَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، قَالَ: فَقَالَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَدْ غُفِرَ لَهُ، قَدْ غُفِرَ لَهُ، قَدْ غُفِرَ لَهُ، ثَلَاثَ مَرَارٍ»[2].

٣- عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: «إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةَ مَرَّةٍ: رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ»[3].

معنى اسمي الله (الرَّحْمَن - الرَّحِيْم) في حقه تعالى:

هما اسمان جليلان مشتقان من الرحمة علىٰ وجه المبالغة، وحول هذا المعنىٰ تدور أقوال العلماء:

❁ قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «الرحمن، الفعلان من الرحمة، وهو من كلام العرب، قال: الرحمن الرحيم: الرقيق الرفيق بمن أحب أن يرحمه، والبعيد الشديد علىٰ من أحب أن يعنف عليه»[4].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٤٣٨)، ومسلم، رقم الحديث: (٥٠٧٢).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٨٧٢٩١)، وأبو داود، رقم الحديث: (٥٨٩)، حكم الألباني: صحيح، صحيح أبي داود، رقم الحديث: (٥٠٩). واللفظ لأحمد.

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٧١٨٤)، وأبو داود، رقم الحديث: (٦١٥١)، حكم الألباني: صحيح، صحيح أبي داود، رقم الحديث: (٧٥٣١). واللفظ لأبي داود.

(٤) تفسير الطبري (١/ ٩٢١).

❋ قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فربنا– جل ثناؤه– رحمن لجميع خلقه في الدنيا والآخرة، ورحيم بالمؤمنين خاصة في الدنيا والآخرة»[١].

❋ قال الزجاجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «صفتان لله عَزَّوَجَلَّ مشتقتان من الرحمة، فالرحمن فعلان، والرحيم فعيل»[٢].

❋ قال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالرحمن: ذو الرحمة الشاملة التي وسعت الخلق في أرزاقهم، وأسباب معاشهم، ومصالحهم، وعمت المؤمن، والكافر، والصالح، والطالح، وأما الرحيم: فخاص للمؤمنين، كقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا﴾[الأحزاب:٤٣]»[٣].

❋ قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اسمان دالان علىٰ أنه تَعَالَىٰ ذو الرحمة الواسعة العظيمة التي وسعت كل شيء، وعمت كل حي، وكتبها للمتقين المتبعين لأنبيائه ورسله، فهؤلاء لهم الرحمة المطلقة، ومن عداهم فلهم نصيب منها»[٤].

وقال أيضًا: «الرحمن، الرحيم، البر...هذه الأسماء تتقارب معانيها، وتدل كلها علىٰ اتصاف الرب بالرحمة، والبر، والجود، والكرم، وعلىٰ سعة رحمته ومواهبه، التي عم بها جميع الوجود، بحسب ما تقتضيه حكمته، وخص المؤمنين منها بالنصيب الأوفر، والحظ الأكمل، قال تَعَالَىٰ:

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٨٢١).

(٢) اشتقاق أسماء الله (ص: ٨٣).

(٣) شأن الدعاء (١/ ٨٣).

(٤) تفسير السعدي (ص: ٩٣).

﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف:١٥٦] الآية»[1].

الفرق بين اسم الله الرحمن واسمه الرحيم:

ذكر أهل العلم جملة من الفروق بين الاسمين، منها[2]:

١- أن اسم الله «الرحمن» رحمته شاملة لجميع الخلائق في الدنيا، وللمؤمنين في الآخرة، وأما اسم الله الرحيم فرحمته خاصة بالمؤمنين، كما قال تعَالَى: ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا﴾[الأحزاب:٤٣][3].

ولكن يشكل علىٰ هذا قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [البقرة:١٤٣]، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِي يُزۡجِي لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ فِي ٱلۡبَحۡرِ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا﴾[الإسراء:٦٦]؛ إذ ذكرت الرحمة العامة باسم الله الرحيم.

٢- أن اسم الله «الرحمن» دال علىٰ الصفة الذاتية لله عَزَّوَجَلَّ، وأما اسم الله الرحيم فيدل علىٰ الصفة الفعلية لله عَزَّوَجَلَّ.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن (الرحمن) دال علىٰ الصفة القائمة به سُبۡحَانَهُ، و(الرحيم) دال علىٰ تعلقها بالمرحوم-أي: بمن ي رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، فكان الأول للوصف والثاني للفعل، فالأول دال علىٰ أن الرحمة صفته، والثاني دال علىٰ أنه يرحم خلقه برحمته، وإذا أردت فهم هذا فتأمل قول الله عَزَّوَجَلَّ:

---

(١) المرجع السابق (ص: ٦٤٩).

(٢) ينظر: النهج الأسمىٰ، للنجدي (ص: ٨٧-٨٠).

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (١/ ٥٢١-٦٢١).

﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا﴾ [الأحزاب:٤٣] ﴿إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة:١١٧] ولم يجئ قط (رحمن بهم)، فعلم أن الرحمن هو الموصوف بالرحمة، والرحيم هو الراحم برحمته، وهذه نكتة لا تكاد تجدها في كتاب، وإن تنفست عندها مرآة قلبك لم ينجل لك صورتها»[1].

وقال في موضع آخر: «ولم يجئ (رحمن بعباده، ولا رحمن بالمؤمنين)؛ مع ما في اسم (الرحمن) -الذي هو علىٰ وزن فعلان- من سعة هذا الوصف؛ وثبوت جميع معناه للموصوف به؛ ألا ترىٰ أنهم يقولون: غضبان، للممتلئ غضبًا؛ وندمان، وحيران، وسكران، ولهفان، لمن ملئ بذلك، فبناء فعلان للسعة والشمول.

ولهذا يقرن عَزَّوَجَلَّ استواءه علىٰ العرش بهذا الاسم كثيرًا، كقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ [الفرقان:٥٩] فاستوىٰ علىٰ عرشه باسم الرحمن؛ لأن العرش محيط بالمخلوقات؛ قد وسعها، والرحمة محيطة بالخلق؛ واسعة لهم، كما قال تَعَالَى: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ [الأعراف:١٥٦]، فاستوىٰ علىٰ أوسع المخلوقات بأوسع الصفات، فلذلك وسعت رحمته كل شيء»[2].

٣-أن اسم الله «الرحمن» خاص الاسم عام المعنىٰ، واسم الله «الرحيم» عام الاسم خاص المعنىٰ، وتوضيح ذلك: أن اسم الله الرحمن من الأسماء التي لا يجوز أن يتسمىٰ بها مخلوق، قال الله تَعَالَى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَ

---

(١) بدائع الفوائد (١/ ٤٢).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٤٣).

أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾[الإسراء:١١٠]، فعادل به الاسم الذي لا يشركه فيه غيره وهو «الله»، وأما اسم الله «الرحيم» فجائز، وقد وصف الله به نبيه في قوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[التوبة:١٢٨].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن اسم «الرحمن»: «ولما كان هذا الاسم مختصًّا به تَعَالَى حسن مجيئه مفردًا غير تابع، كمجيء اسم الله كذلك، ولم يجئ قط تابعًا لغيره، بل متبوعًا وهذا بخلاف العليم، والقدير، والسميع والبصير، ونحوها؛ ولهذا لا تجيء هذه مفردة، بل تابعة، فتأمل هذه النكتة البديعة»(١).

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والحاصل: أن من أسمائه تَعَالَى ما يسمىٰ به غيره، ومنها ما لا يسمىٰ به غيره، كاسم (الله)، (الرحمن)، (الخالق)، (الرازق) ونحو ذلك...»(٢).

اقتران اسمي الله (الرَّحْمَن - الرَّحِيْم) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ:

أولًا: اقتران اسم الله الرحمن باسمه الرحيم:

اقترن اسم الله الرحمن باسمه الرحيم في ستة مواضع من القرآن، ومنها قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[الفاتحة:٣]، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾[البقرة:١٦٣].

---

(١) بدائع الفوائد (١/ ٤٢).

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ١٢).

وجه الاقتران:

١-للجمع بين صفة الله عَزَّوَجَلَّ المتعلقة بذاته تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، التي يدل عليها اسم الله (الرحمن)، وإيصال الرحمة للخلق التي يدل عليها اسم الله (الرحيم)[١].

٢-للجمع بين الرحمة العامة التي يدل عليها اسم الله الرحمن، والرحمة الخاصة بالمؤمنين التي يدل عليها اسم الله الرحيم، وهذا علىٰ قول من قال: إن الرحيم رحمته خاصة بالمؤمنين.

والناظر يجد أن الله عَزَّوَجَلَّ يقدم اسمه الرحمن علىٰ الرحيم، ووجه ذلك:

١- تقديمًا للاسم الخاص بالله عَزَّوَجَلَّ علىٰ الاسم العام، قال الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«إنما قدمه؛ لأن (الله) اسم خاص بالباري لا يسمي به غيره، لا مفردًا ولا مضافًا فقدمه، والرحيم يوصف به غيره مفردًا ومضافًا فأخره، والرحمن يوصف به غيره مضافًا، ولا يوصف به مفردًا إلا الله تَعَالَىٰ فوسطه»[٢].

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فلهذا بدأ باسم الله، ووصفه بالرحمن؛ لأنه أخص وأعرف من الرحيم؛ لأن التسمية أولًا إنما تكون بأشرف الأسماء، فلهذا ابتدأ بالأخص فالأخص»[٣].

٢- تقديمًا للرحمة العامة التي دل عليها اسم الله «الرحمن» علىٰ الرحمة الخاصة، التي دل عليها اسم الله «الرحيم»[٤].

---

(١) بدائع الفوائد، لابن القيم (١/ ٤٢).

(٢) أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل، للرازي (ص: ٢).

(٣) تفسير ابن كثير (١/ ٦٢١).

(٤) ينظر: مطابقة أسماء الله الحسنىٰ مقتضىٰ المقام في القرآن الكريم، لنجلاء الكردي (ص: ٧٥٣).

ثانيًا: اقتران اسم الله (الرحمن- الرحيم) باسمه (الرب):

تقدم بيانه في اسم الله «الرب».

ثالثًا: اقتران اسم الله الرحيم بأسمائه الأخرىٰ سُبْحَانَهُ:

١- اقتران اسمه (الرحيم) باسمه سُبْحَانَهُ (الغفور):

اقترن اسم الله الرحيم باسمه «الغفور» في اثنين وسبعين موضعًا من القرآن، منها قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[يوسف:٥٣]، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ﴾[سبأ:٢].

وهذا الاقتران يدل علىٰ:

١- أن مغفرته للعبد مع استحقاقه للعقوبة، إن هو إلا أثر من آثار رحمته تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ[1].

٢- أن في ذكرهما جمعًا بين تخلية العبد من الذنوب التي يدل عليها اسم الله «الغفور»، وبين تحليته بفضل الله وثوابه التي يدل عليها اسم الله «الرحيم».

٢-اقتران اسمه (الرحيم) باسمه سُبْحَانَهُ (التواب):

تقدم بيانه في اسم الله «التواب».

٣- اقتران اسم (الرحيم) باسمه سُبْحَانَهُ (الرؤوف):

اقترن اسم الله الرحيم باسمه تَعَالَىٰ الرؤوف في ثمانية مواضع من القرآن الكريم، منها قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[البقرة:١٤٣]، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[النور:٢٠].

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢/ ١٢١).

وهذا الاقتران فيه تأكيد للرحمة؛ إذ فيه عطف للعام علىٰ الخاص، فالرأفة رحمة خاصة تقتضي دفع المكروه وإزالة الضر، والرحمة عامة يدخل فيها ما سبق ويدخل فيها الإنعام والإفضال[1].

٤-اقتران اسمه (الرحيم) باسمه سُبْحَانَهُ (العزيز):

اقترن اسم الله «الرحيم» باسمه تَعَالَىٰ «العزيز» في ثلاثة عشر موضعًا من القرآن الكريم، تسعة منها في سورة الشعراء تعقيبًا علىٰ قصة كل نبي مع قومه، بقوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾[الشعراء:٩]، ومنها: قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾[السجدة:٦]، وقوله: ﴿تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾[يس:٥].

وجه الاقتران:

١-الجمع بين مقام الترهيب والترغيب؛ فهو سُبْحَانَهُ عزيز قوي غالب قاهر، ومع ذلك: رحيم بر محسن رؤوف[2].

٣-تمام قدرته علىٰ تعجيل العقوبة؛ وذلك لاتصافه بالعزة، إلا أن رحمته اقتضت الإمهال والانظار، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ﴾[الكهف:٥٨][3].

٤-أن العزيز بعزته يهلك الأشقياء بأنواع العقوبات، وبرحمته ينجىٰ السعداء من كل شر وبلاء.

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢/ ٥٢).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٩١/ ٢٠١).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٩١/ ٢٠١).

٥-اقتران اسمه (الرحيم) باسمه سُبْحَانَهُ (البَر):

تقدم بيانه في اسم الله «البر».

٦-اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (الرحيم) باسمه عَزَّوَجَلَّ (الودود):

اقترن اسم الله الرحيم باسمه تَعَالَى الودود، في موضع واحد من القرآن الكريم، وذلك في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ﴾[هود: ٩٠].

وجه الاقتران:

أن الرحمة تتوجه إلىٰ من يحب و من لا يحب، فلما كانت كذلك أتبعت باسم الله الودود الدال علىٰ المحبة، وبهذا أجتمع للتائب رحمة الله ومحبته، وقبل ذلك مغفرته.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وما ألطف اقتران اسمه (الودود) بـ(الرحيم) وبـ(الغفور)؛ فإن الرجل قد يغفر لمن أساء إليه ولا يحبه، وكذلك قد يرحم من لا يحب، والرب تَعَالَى يغفر لعبده إذا تاب إليه ويرحمه ويحبه مع ذلك، فإنه يحب التوابين، وإذا تاب إليه عبده أحبه ولو كان منه ما كان»[1].

(١) التبيان في أقسام القرآن (ص: ٣٩).

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (الرَّحْمَن - الرَّحِيْم):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (الرحمن، الرحيم) من الصفات:

الله عَزَّوَجَلَّ الرحمن الرحيم الذي كتب الرحمة علىٰ نفسه تفضلًا منه وإحسانًا[1]، قال تَعَالَى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام:٥٤] ووسعت هذه الرحمة كل شيء، قال تَعَالَى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف:١٥٦]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر:٧][2].

ومن سعتها وعظمتها[3]:

١- أن رحمة الرحمن الرحيم بعباده أرحم من كل رحمة، حتىٰ من رحمة الإنسان بنفسه، ورحمة الأم بولدها التي لا يساويها شيء من رحمات الناس، بل لو جمعت رحمات الراحمين كلهم لم تساو شيئًا عند رحمة أرحم الراحمين، قال تَعَالَى: ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأعراف:١٥١]، وعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**قَدِمَ عَلَىٰ النَّبِيِّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **سَبْيٌ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ قَدْ تَحْلُبُ ثَدْيَهَا تَسْقِي، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أَتَرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟ قُلْنَا: لَا، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَىٰ أَنْ لَا تَطْرَحَهُ، فَقَالَ: لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا**»[4].

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٢٦٢).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٥٠٣).

(٣) ينظر: النهج الأسمىٰ، للنجدي (ص: ٨٨-٩٩).

(٤) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٩٩٩)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٧٥٤). واللفظ للبخاري.

وقال حماد بن سلمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما يسرني أن أمري يوم القيامة إلىٰ أبوي»[1].

٢- أن رحمة الرحمن الرحيم سبقت غضبه؛ إذ استوىٰ سُبۡحَانَهُ علىٰ عرشه وكتب كتابًا عنده وضعه علىٰ عرشه «إن رحمته سبقت غضبه»، فكان كالعهد للخليقة كلهم بالرحمة، والعفو، والصفح، والمغفرة، والتجاوز، والستر، والإمهال، والحلم، والأناة، كما جاء في الحديث عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللَه كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الخَلْقَ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي، فَهُوَ مَكْتُوبٌ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ**»[2]، فقام العالم العلوي والسفلي بمضمون هذا الكتاب، الذي لولاه لكان للخلق شأن آخر[3].

قال الطيبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «في سبق الرحمة إشارة إلىٰ أن قسط الخلق منها أكثر من قسطهم من الغضب، وأنها تنالهم من غير استحقاق، وأن الغضب لا ينالهم إلا باستحقاق، فالرحمة تشمل الشخص جنينًا ورضيعًا وفطيمًا وناشئًا، قبل أن يصدر منه شيء من الطاعة، ولا يلحقه من الغضب إلا بعد أن يصدر عنه من الذنوب ما يستحق معه ذلك»[4].

٣- وضع رحمة واحدة بين خلقه يتراحمون بها فيما بينهم، فيرحم الغني الفقير، والكبير الصغير، والأم أولادها، سواء كانت إنسانًا أو حيوانًا وحشًا

---

(١) حلية الأولياء (٤/ ٠٥١).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٤٥٥٧)، ومسلم، رقم الحديث: (١٥٧٢). واللفظ للبخاري.

(٣) ينظر: مختصر الصواعق المرسلة علىٰ الجهمية والمعطلة، لابن القيم (ص: ٩٦٣).

(٤) فتح الباري، لابن حجر (٦/ ٢٩٢).

أو طيرًا أو هوامًّا، قال تَعالَى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾[الفتح:٢٩].

٤- وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ للهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمةً وَاحِدَةً بَيْنَ الجِنِّ والإِنْسِ والبَهَائِمِ والهَوَام، فَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ، وَبِهَا يَتَرَاحَمُونَ، وَبِهَا تَعْطِفُ الوَحْشُ عَلَىٰ وَلَدِهَا، وَأَخَّرَ اللهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ**»[1]، وفي رواية: «**حَتَّىٰ تَرْفَعَ الفَرَسُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا؛ خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ**»[2].

٥- أن رحمة الرحمن الرحيم بلغت آثارها من الكثرة ما تعجز العقول عن الإحاطة به، والأرقام والأعداد عن حصره؛ إذ جميع ما في العالم العلوي والسفلي من النعم وحصول المنافع والمحاب والمسار والخيرات من آثار رحمته، كما أن ما فيه من صرف المكاره والنقم والمخاوف والأخطار والمضار من آثار رحمته، قال تَعالَى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[النحل:١٨][3].

ورحمته التي وصلت لخلقه قسمان:

أ-رحمة عامة: وسعت كل شيء من العالم العلوي والسفلي، ووصلت لكل حي مكلف وغير مكلف، بر وفاجر، مؤمن وكافر، حتىٰ فرعون الذي قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾[النازعات:٢٤]، يقول تَعالَى: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٥٧٢).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٠٠٠).

(٣) ينظر: فتح الرحيم الملك العلام، للسعدي (ص: ٣٣).

شَيْءٍ﴾[الأعراف:١٥٦]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾[غافر:٧][1]، وعن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في بيان رحمة الله للكافر قال: قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَـمَّا أَغْرَقَ اللهُ فِرْعَوْنَ قَالَ: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[يونس:٩٠] فَقَالَ جِبْرِيلُ: يَا مُحَمَّدُ، فَلَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا آخُذُ مِنْ حَالِ البَحْرِ فَأَدُسُّهُ فِي فِيهِ؛ مَخَافَةَ أَنْ تُدْرِكَهُ الرَّحْمَةُ»[2]، وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ العُقُوبَةِ، مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الكَافِرُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الرَّحْمَةِ، مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ»[3].

وهي رحمة جسدية، دنيوية، دينية، ومن آثارها[4]:

١- خلق المخلوقات وإيجاده من العدم علىٰ صورة محكمة متقنة، قال تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾[السجدة:٦]، فخلق الإنسان وبرحمته جعله في أحسن صورة مكتمل الأعضاء مستوفي الأجزاء، محكم البناء، وعلمه البيان النطقي والخطي، قال تَعَالَىٰ في سورة الرحمن التي جاءت بذكر آثار رحمته التي أوصلها لخلقه: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ [الرحمن:٣، ٤][5].

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٥٠٣)، النهج الأسمىٰ، للنجدي (ص: ٨٨).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٥٦٨٢)، والترمذي، رقم الحديث: (٧٠١٣)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٣٥٣٤). واللفظ للترمذي.

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٩٦٤٦)، ومسلم، رقم الحديث: (٥٥٧٢). واللفظ لمسلم.

(٤) ينظر: مختصر الصواعق المرسلة علىٰ الجهمية والمعطلة، لابن القيم (ص: ٨٦٣، وما بعدها).

(٥) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٨٢٨).

٢- خلق الخلق ذكورًا وإناثًا، وجعل الرحمة والمودة بينهم؛ ليقع التواصل الذي به دوام التناسل وانتفاع الزوجين، وتمتع كل واحد منهما بصاحبه، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[الروم:٢١].

٣- رعاية الخلق بالتدبير، والتصريف، والحفظ، وسوق الأرزاق والمعاش، قال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس:١٠٧]، فبرحمته رعىٰ الخلق بما قدر لهم؛ إذ علم سُبْحَانَهُ مصالحهم ومنافعهم، فقدرها لهم ويسر لهم تحصيلها، ولربما أجرىٰ عليهم المكاره والبلاء ليوصلهم إلىٰ ما يحبون، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾[الكهف:٨٠، ٨١]، وربما منعهم من كثير من شهواتهم ومحاب نفوسهم؛ لعلمه أن ذلك أصلح لهم(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولهذا كان من إتمام رحمة أرحم الراحمين: تسليط أنواع البلاء علىٰ العبد، فإنه أعلم بمصلحته، فابتلاؤه له وامتحانه ومنعه من كثير من أعراضه وشهواته: من رحمته به، ولكن العبد لجهله وظلمه يتهم ربه، ولا يعلم إحسانه إليه بابتلائه وامتحانه»(٢).

٤- خلق هذا الكون علىٰ صفة تكفل للإنسان وغيره من الكائنات حسن العيش؛ فرفع السماء وأمسكها برحمته من أن تقع علىٰ الأرض، قال تعالى:

---

(١) ينظر: فتح الرحيم الملك العلام، للسعدي (ص: ٤٣).

(٢) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (٢/ ٤٧١).

﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡفُلۡكَ تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦ وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [الحج:٦٥].

وخلق الأرض وبرحمته أرساها بالجبال؛ كي لا تميد ولا تحيد، بل جعلها مهدًا وفراشًا يستقر عليها، ويتمكن من حرثها وغرسها وحفرها، وبرحمته شق طرقها ومنافذه ليتصل الشرق بالغرب والشمال بالجنوب، قال تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا﴾ [طه:٥٣]، وقال سُبۡحَانَهُ في سورة الرحمن: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ﴾ [الرحمن:١٠][(١)].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن رحمته: أحوج الخلق بعضهم إلىٰ بعض لتتم مصالحهم، ولو أغنىٰ بعضهم عن بعض لتعطلت مصالحهم، وانحل نظامهم، وكان من تمام رحمته بهم: أن جعل فيهم الغني والفقير، والعزيز والذليل، والعاجز والقادر، والمراعي والمرعي، ثم أفقر الجميع إليه، ثم عمَّ الجميع برحمته»[(٢)].

وقال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في تقرير ما سبق من آثار الرحمة العامة:** «فالله خلق الخلق برحمته، وأرسل إليهم الرسل برحمته، وأمرهم ونهاهم وشرع لهم الشرائع برحمته، وأسبغ عليهم النعمة الظاهرة، والباطنة برحمته، ودبرهم أنواع التدبير وصرفهم بأنواع التصريف برحمته، وملأ الدنيا والآخرة من رحمته، فلا طابت الأمور، ولا تيسرت الأشياء، ولا حصلت المقاصد، وأنواع المطالب إلا برحمته، ورحمتُه فوق ذلك، وأجلُّ وأعلىٰ»[(٣)].

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٧٠٥).

(٢) مختصر الصواعق المرسلة علىٰ الجهمية والمعطلة (ص: ٩٦٣).

(٣) المواهب الربانية من الآيات القرآنية (ص: ١١١).

ب-الرحمة الخاصة: التي خص الله بها عباده الصالحين وأولياءه المتقين، قال تعالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[الأحزاب:٤٣]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾[الأعراف:١٥٦].

وهي رحمة إيمانية، دينية، دنيوية، أخروية، ومن آثارها[(١)]:

١- هداية أوليائه إلىٰ الحق الذي جهله غيرهم، وتبصيرهم بالطريق المستقيم الذي ضل عنه وحاد عنه من سواهم من الدعاة إلىٰ الكفر والبدعة وأشياعهم، قال تعالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[الأحزاب:٤٣].

٢- توفيق أوليائه لطاعته، وتيسير الخير لهم، وإعانتهم عليه، قال تعالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[النور:٢١].

٣- تثبيت أوليائه علىٰ الحق علىٰ الرغم من الدواعي للزيغ، قال تعالَىٰ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[النساء:٨٣].

٤- إجابة دعوات أوليائه، قال تعالَىٰ: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾[الطور:٢٨].

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٦٣٤)، تفسير السعدي (ص: ٧٦٦).

٥- امتنانه علىٰ أوليائه باستغفار ودعاء أفضل ملائكته- حملة العرش- لهم، قال تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ﴾[غافر:٧].

٦- جعل مصائب المؤمنين وبلاءهم كلها خير ورحمة؛ فما ينزل بهم من مصائب وآلام وأحزان إلا تكفر به سيئاتهم، وترفع به درجاتهم، قال تَعَالَىٰ عن مؤمن آل ياسين أنه قال لقومه: ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ﴾[يس:٢٣].

٧- تخفيف أهوال القيامة وشدتها علىٰ أوليائه؛ فيؤمن فزعهم بتلقي الملائكة الكرام لهم بالبشرىٰ، قال تَعَالَىٰ: ﴿نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ﴾[فصلت:٣١، ٣٢].

٨- إدخال أوليائه الجنة التي هي أثر من آثار رحمة الرحمن الرحيم، قال تَعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ﴾[الجاثية:٣٠].

٩- إخراج أهل التوحيد من النار؛ فعن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال في الحديث: «**فَيَقُولُ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي، وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي لَأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»(١)، وفي رواية: أن الله عَزَّوَجَلَّ

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٠١٥٧)، ومسلم، رقم الحديث: (٣٩١). واللفظ للبخاري.

يقول للرسل: «اذْهَبُوا أو انْطَلِقُوا، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلَةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، ثُمَّ يَقُولُ اللهُ: أَنَا الآنَ أُخْرِجُ بِعِلْمِي وَرَحْمَتِي، قال: فَيَخْرُجُ أَضْعَافُ مَا أُخْرِجُوا وَأَضْعَافُهُ، فَيُكْتَبُ فِي رِقَابِهِمْ: عُتَقَاءُ اللهُ، ثُمَّ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ، فَيُسَمَّوْنَ فِيهَا: الجُهَنَّمِيِّينَ»(١).

وبعد هذا فلابد أن يعلم أن رحمته جَلَّجَلَالُهُ في غاية الكمال والجلال، فلا ضعف معها ولا رقة ولا عجز، بل رحمة مع عزة وقوة وقدرة تامة، قال تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾[السجدة:٦].

الأثر الثاني: دلالة اسم الله (الرحمن الرحيم) علىٰ التوحيد:

اسم الله «الرحمن الرحيم» دال علىٰ أنواع التوحيد الثلاثة: الربوبية، والألوهية، والأماء والصفات، وبيان ذلك:

أن اسم الله «الرحمن الرحيم»، وما ورد فيه من النصوص المتكاثرة في الكتاب والسنة دالة علىٰ إثبات صفة الرحمة لله عَزَّوَجَلَّ، وهي صفة كمال لائقة بذات الرب عَزَّوَجَلَّ، كما هو الحال في سائر صفاته، قال تَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورىٰ:١١]، ولا يجوز نفيها أو تأويلها أو تحريفها أو تكيفيها كما هو مقرر في مذهب أهل السنة والجماعة في جميع الصفات، وهذا هو توحيد الأسماء والصفات.

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٥١٧٤١)، وابن حبان (٣٨١)، حكم الألباني: صحيح لغيره، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٤٥٠٣). واللفظ لأحمد.

إلا أنه لا بد أن يعلم أن الرحمة المضاف إليه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قسمان:

١- رحمة ذاتية يتصف بها علىٰ وجه يليق بجلاله وعظيم سلطانه، وهذه الرحمة يجب إثباتها لله عَزَّوَجَلَّ من غير تعطيل ولا تحريف ولا تكييف ولا تمثيل- كما تقدم-.

٢- رحمة مخلوقه أنزل الله منها رحمة واحدة، يتراحم بها الخلائق، وأمسك عنده تسعة وتسعين رحمة، يرحم بها عباده يوم القيامة، كما جاء في الحديث: «**إِنَّ للهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمةً وَاحِدَةً بَيْنَ الجِنِّ والإِنْسِ والبَهَائِمِ والهَوَام، فَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ، وَبِهَا يَتَرَاحَمُونَ، وَبِهَا تَعْطِفُ الوَحْشُ عَلَىٰ وَلَدِهَا، وَأَخَّرَ اللهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ**»(١).

ومن هذه الرحمة: ما جاء في الحديث، أن الله عَزَّوَجَلَّ قال عن الجنة: «**أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ**»(٢)، وسميت بذلك؛ لأنها خلقت بالرحمة وللرحمة، وخص بها أهل رحمة الله، وإنما يدخلها الرحماء.

فهذه الرحمة ليست صفة لله عَزَّوَجَلَّ، بل هي من آثار اتصافه بالرحمة الذاتية، وإنما أضيفت له من باب إضافة المخلوق للخالق.

ثم إذا تقرر اتصاف الله عَزَّوَجَلَّ بالرحمة وتيقن العبد ذلك وتأمله، وجد أن الخلق إنما وجدوا برحمة الرحمن الرحيم، وإنما جلبت النعم لهم برحمته، ودفعت عنهم النقم برحمته، وليس لأحد من الخلق نفع ولا ضر في العاجل

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

ولا الآجل، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس:١٠٧] علم بهذا أن الرحمن الرحيم هو الرب الواحد المستحق لجميع أنواع العبادة، وأن يفرد بالمحبة والخوف، والرجاء، والتعظيم، والتوكل، وغير ذلك من أنواع الطاعات، قال تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الحشر:٢٢]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٣][١].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ففي هذه الآية، إثبات وحدانية الباري وإلهيته، وتقريرها بنفيها عن غيره من المخلوقين، وبيان أصل الدليل علىٰ ذلك، وهو إثبات رحمته التي من آثارها وجود جميع النعم، واندفاع [جميع] النقم، فهذا دليل إجمالي علىٰ وحدانيته تَعَالَىٰ»[٢].

الأثر الثالث: الرجاء والتعلق برحمة الرحمن الرحيم:

إذا نظر الإنسان في سعة رحمة الله وعظمتها؛ أثمر ذلك في نفسه الرجاء وعدم اليأس من رحمة الله ومغفرته؛ إذ إنه سُبْحَانَهُ علم ضعف عباده وعجزهم وسرعان سقوطهم واغترارهم وانحرافهم عن الصراط، لا سيما أن نفوسهم ركب فيها الميل للشهوات، وتسلط عليهم الشيطان وقعد لهم بالمرصاد، يأخذ عليهم كل طريق، ويجلب عليهم بخيله ورجله، ويجدُّ كل الجدِّ في إضلالهم وإيقاعهم في السوء، فلا خلاص لهم من الذنوب والزلات، وكل ابن آدم خطاء.

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٣/ ٢٦٢)، تفسير السعدي (ص: ٧٧).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٧٧).

فلما علم سُبْحَانَهُ ذلك كله من خلقه؛ رحمهم بفتح أبواب التوبة والمغفرة لهم، ولو أسرفوا في الذنوب ما أسرفوا، وظنوا أنهم طُردوا وانتهوا، ولم يعد يُقبل منهم ولا يُستقبل، قال تَعَالَى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]، وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الكَافِرُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ**»[١]، وذكر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قصة الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفسًا، ثم كمل المائة بقتل العابد[٢]، ومع ذلك أدركته رحمة الله ومغفرته.

قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في آية الزمر: «واعلم أن هذه الآية أرجىٰ آية في كتاب الله سُبْحَانَهُ؛ لاشتمالها علىٰ أعظم بشارة؛ فإنه أولًا أضاف العباد إلىٰ نفسه لقصد تشريفهم، ومزيد تبشيرهم، ثم وصفهم بالإسراف في المعاصي، والاستكثار من الذنوب، ثم عقب ذلك بالنهي عن القنوط من الرحمة لهؤلاء المستكثرين من الذنوب، فالنهي عن القنوط للمذنبين غير المسرفين من باب الأولىٰ.. »[٣].

كما أن ملاحظة رحمة الله وسعتها؛ تثمر الأمل في النفوس المكروبة، وتبث فيها الروح وحسن الظن بالرحمن الرحيم، وانتظار الفرج بعد الشدة، لذا قال إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ متذكرًا رحمة الله، مع أن أسباب الولد معدومة:

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم (٦٦٧٢).

(٣) فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٨٣٥).

﴿وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾[الحجر:٥٦]، وقال يعقوب عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، مع أن عود يوسف إليه أشبه بالمحال: ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[يوسف:٦٤]، وقال: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾[يوسف:٨٧].

وضد ما سبق من الأمل والرجاء: القنوط من رحمة الله واليأس من روحه، وهما من كبائر الذنوب، ومن علامات الكفر والضلال، قال تَعَالَى: ﴿قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾[الحجر:٥٦]، وقال سُبۡحَانَهُ: ﴿وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾[يوسف:٨٧]، فعلىٰ المسلم أن يحذر من أن يتسلل اليأس إليه وينسيه رحمة أرحم الرحمين.

الأثر الرابع: عدم الاغترار برحمة الله:

إذا تيقن العبد رحمة ربه الرحمن الرحيم وسعتها، فلا بد أن يضم لهذا العلم علمًا آخر، وهو: أنه سُبۡحَانَهُ شديد العقاب، شديد المحال، ذو البطش الشديد، والعذاب الأليم، قال تَعَالَى: ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ﴾[الحجر:٤٩، ٥٠].

فإذا علم العبد هذا؛ لم يغتر برحمة الله، بل جمع بين رجاء الرحمة، وخوف العقاب كما جمع الله بينهما في كتابه وعلىٰ لسان رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، قال تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمُۢ﴾[الأنعام:١٦٥]، وقال سُبۡحَانَهُ: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[المائدة:٩٨]، وقال تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الرعد:٦] إلىٰ غير ذلك من الآيات.

وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مرفوعًا: «**لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الكَافِرُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الرَحْمَةِ مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ**»[1].

قال ابن كثير رَحِمَهُٱللَّهُ: «وغير ذلك من الآيات المشتملة علىٰ الترغيب والترهيب، فتارة يدعو عباده إليه بالرغبة وصفة الجنة والترغيب فيما لديه، وتارة يدعوهم إليه بالرهبة وذكر النار وأنكالها وعذابها والقيامة وأهوالها، وتارة بهذا وبهذا لينجع في كل بحسبه»[2].

الأثر الخامس: محبة الله الرحمن الرحيم والحياء منه:

إذا تأمل العبد في اسم الله «الرحمن- الرحيم» ونظر في آثار رحمته التي لم تزل سارية في الوجود، مالئة للموجود، تنزل بها الخيرات آناء الليل والنهار، وتوالىٰ بها النعم علىٰ العباد والفواضل في السر والجهار، ورحمته سبقت غضبه وغلبته، والعطاء أحب إليه من المنع؛ قاده ذلك كله إلىٰ محبته تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ؛ إذ النفوس جبلت علىٰ محبة من يحسن إليها ويرفق بها ويعطف، فكيف لا تحب من أفاض عليها من رحمته وعطفه ونعمه ما يفوق الحصر والعد![3].

كما يقوده- أيضًا- إلىٰ الحياء منه والخجل؛ إذ كيف يعصي من يحسن إليه برحمته، ولولا إحسانه ونعمته ما استطاع أن يعصيه، وكيف يعصي من هو علىٰ أخذه وعقابه قادر، إلا أنه يمهله ويحلم عليه برحمته!!

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٥٥٧٢).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٨٣).

(٣) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٧٢٧).

الأثر السادس: الأسباب الجالبة لرحمة الله تعالىٰ:

كتب الله علىٰ نفسه الرحمة، وبين أنها وسعت كل شيء، إلا أنه جعل لها أسبابًا إذا قام بها العبد كانت أقرب إليه وأسرع، وحظه منها أكبر، لا سيما الرحمة الخاصة، وبالمقابل جعل أسبابًا للحرمان منها، إذا قام بها العبد أغلق علىٰ نفسه باب الرحمة، وحرم نفسه من رحمة أرحم الرحمين، وبيان ذلك كالتالي:

أولًا: أسباب نيل رحمة الرحمن الرحيم:

الأسباب كثيرة ومتعددة، ومنها:

١- طاعة الله ورسوله، قال تَعَالَى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [آل عمران:١٣٢]، وقال تَعَالَى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[النور:٥٦] [(١)].

٢- تقوىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، قال تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[الحجرات:١٠].

٣- إقامة الصلاة وأداء الزكاة، قال تَعَالَى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[النور:٥٦].

٤- الإنفاق في سبيل الله، قال تَعَالَى: ﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[التوبة:٩٩].

---

(١) ينظر: النهج الأسمىٰ، للنجدي (ص: ٢٩).

٥- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تَعَالَى: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾[التوبة: ٧١].

٦- التوكل على الله، قال تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا﴾[النساء: ١٧٥].

٧- الاستغفار والتوبة، قال عَزَّوَجَلَّ على لسان صالح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لِمَ تَسۡتَعۡجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِۖ لَوۡلَا تَسۡتَغۡفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [النمل: ٤٦].

٨- الإحسان في عبادة الله وإلى عباد الله، قال تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦][(١)].

٩- الاستماع والإنصات للقرآن الكريم، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

١٠- صلة الرحم؛ فعن عبدالرحمن بن عوف رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، قال: سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ يقول: «**قَالَ اللهُ: أَنَا الرَّحْمَنُ، خَلَقْتُ الرَّحِمَ وَشَقَقْتُ لَهَا مِن اسْمِي اسْمًا، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَتُّهُ**»[(٢)]، وبتته: أي قطعته.

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٢٩٢).

(٢) سبق تخريجه.

ثانيًا: أسباب الحرمان من رحمة الرحمن الرحيم:

رحمة الله- كما تقرر- وسعت كل شيء، فإذا ضاقت عن أحد من الخلق ولم تصبه؛ دل ذلك علىٰ شقائه، ولضيقها وحرمانها أسباب كثيرة، منها:

١- الكفر؛ قال تعالَى: ﴿وَلَا تَاْيْـَسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[يوسف:٨٧].

٢- العمل بما يوجب لعنه وطرده من رحمة الله؛ ومن ذلك:

- كتمان الحق وعدم بيانه، قال تعالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾[البقرة:١٥٩].

- القتل، قال تعالَى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٩٣].

- رمي العفيفات بالفاحشة، قال تعالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[النور:٢٣].

- القسوة وعدم رحمة الخلق؛ فعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَبَّلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسًا، فَقَالَ الْأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ»(١).

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٧٩٩٥)، ومسلم، رقم الحديث: (٨١٣٢). واللفظ للبخاري.

٣- قطيعة الرحم؛ فعن عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**خَلَقَ اللهُ الخَلْقَ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ قَامَتِ الرَّحِمُ، فَأَخَذَتْ بِحَقْوِ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ لَها: مَهْ، قَالَتْ: هَذا مقَامُ العَائِذِ بِكَ مِنَ القَطِيعَةِ، قَالَ: أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ، قَالَتْ: بَلَىٰ يا رَبِّ، قَالَ: فَذَاكِ**»، قال أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم: ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ﴾ [محمد:٢٢][(١)].

٤- الاختلاف والفرقة، قال تَعَالَى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود:١١٨، ١١٩].

الأثر التاسع: اتصاف العبد بالرحمة:

الله عَزَّوَجَلَّ الرحمن الرحيم، ويحب أن يتصف عباده بالرحمة؛ فقد امتدح بها أشرف رسله، فقال تَعَالَى: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة:١٢٨]، وامتدح بها الصحابة، فقال تَعَالَى: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا﴾ [الفتح:٢٩]، لا سيما أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، الذي قال عنه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مادحًا: «**أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ**»[(٢)].

وقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرغبًا فيها: «**وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ**»[(٣)]، وقال: «**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا أَهْلَ الأَرْضِ**

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٩٨٤٠).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٤٢٠٦)، والترمذي، رقم الحديث: (٣٧٩١) وقال: هذا حديث حسن صحيح، حكم الألباني: صحيح، الصحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٨٩٥).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (١٢٨٤)، ومسلم، رقم الحديث: (٩٢٣).

يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ»[1]، فعلىٰ المسلم أن يحرص علىٰ الاتصاف بالرحمة، ويجاهد نفسه علىٰ التخلق بها، ويعلم ما رتب الله عليها من الثواب، وما في فواتها من حرمان الثواب؛ فيرغب في فضل ربه، ويسعىٰ بالسبب الذي ينال به ذلك، ويعلم أن الجزاء من جنس العمل[2] وفي الملحق ما يعين علىٰ ذلك -بإذن الله-.

الأثر التاسع: الدعاء باسم الله «الرحمن الرحيم»:

فالدعاء من أعظم ما تدرك به المطالب والمطامع، والتي من أجلِّها رحمة الله عَزَّوَجَلَّ، لا سيما وأن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ حثنا علىٰ سؤاله إياها بصور مختلفة في كتابه، وعلىٰ لسان رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن ذلك:

١- أن الله عَزَّوَجَلَّ بين أن طلب الرحمة دعوة الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، قال تعالَىٰ: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[الأنبياء:٨٣]، وقال تعالَىٰ عن سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[النمل:١٩]، وقال تعالَىٰ عن دعاء موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[الأعراف:١٥١]، ومن دعائه أيضًا: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[الأعراف:٢٣].

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٥٠٦٦)، وأبو داود (١٤٩٤)، والترمذي، رقم الحديث: (٤٢٩١) وقال: هذا حديث حسن صحيح.حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٢٢٥٣).

(٢) ينظر: بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار، للألباني (ص: ٩٨١).

٢- أن الله عَزَّوَجَلَّ أَمَرَ رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والأمة من بعده بسؤاله الرحمة، قال تَعَالَى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[المؤمنون:١١٨].

٣- أن الله عَزَّوَجَلَّ بيَّن أنها دعوة عباده الناجين من عذاب الله، قال تَعَالَى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [المؤمنون:١٠٩].

٤- أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علَّم أمته سؤال الله الرحمة في يومهم وليلتهم، ومن ذلك:

- ما رواه أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «علمني دعاء أدعو به في صلاتي، قال: قُلْ: **اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ**»(١).

- وما رواه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا أَوَىٰ أَحَدُكُمْ إِلَىٰ فِرَاشِهِ فَلْيَنْفُضْ فِرَاشَهُ بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ: بِاسْمِكَ رَبِّ وَضَعْتُ جَنْبِي وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ الصَّالِحِينَ**»(٢).

- وما رواه أبو بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أنه قال: «**دَعَوَاتُ المَكْرُوبِ: اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو، فَلَا تَكِلْنِي إِلَىٰ نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٤٣٨)، ومسلم، رقم الحديث: (٥٠٧٢).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث:(٠٢٣٦)، ومسلم، رقم الحديث: (٤١٧٢).واللفظ للبخاري.

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٩٥٧٠٢)، وأبو داود (٠٩٠٥)، حكم الألباني: حسن، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٨٨٣٣).

- وما رواه سعد بن أبي وقاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: «جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: عَلِّمْنِي كَلَامًا أَقُولُهُ؟ قَالَ: **قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلهِ كَثِيرًا، سُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ** قَالَ: فَهَؤُلَاءِ لِرَبِّي فَمَا لِي؟ قَالَ: **قُلِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاهْدِنِي، وَارْزُقْنِي**»[1].

وبعد هذا فإن من الأدب في سؤال الله رحمته أن تسأل علىٰ سبيل الجزم لا التعليق علىٰ المشيئة والتردد؛ فقد جاء عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَا يَقُولَن أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ؛ لِيَعْزِمِ المَسْأَلَةَ؛ فَإِنَّه لَا مُكْرِهَ لَهُ**»[2].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنما نهىٰ الرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن هذا القول؛ لأنه يدل علىٰ فتور الرغبة وقلة الاهتمام بالمطلوب، فإن هذا القول يتضمن أن هذا المطلوب إن حصل وإلا استغنىٰ عنه، ومن كان هذا حاله لم يتحقق من حالته الافتقار والاضطرار الذي هو روح عبادة الدعاء، ودليل علىٰ قلة معرفته بذنوبه وبرحمة ربه، وأيضًا فإنه لا يكون موقنًا بالإجابة، وفي الحديث: (**ادْعُوا اللهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ، واعْلَمُوا أَنَّ اللهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لاهٍ**)[3]»[4].

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٦٩٦٢).

(٢) أخرجه البخاري (٩٣٣٦)، ومسلم (٩٧٦٢). واللفظ للبخاري.

(٣) أخرجه أحمد (٥٥٦٦)، والترمذي (٩٧٤٣)، حكم الألباني: حسن، صحيح الجامع الصغير (٥٤٢). واللفظ للترمذي.

(٤) المفهم شرح صحيح مسلم، القرطبي (٢٢/ ٧٨). ينظر: حاشية كتاب التوحيد، لعبد الرحمن ابن قاسم (ص: ٣٤٣).

«الرحمن الرحيم يحب الرحماء»



في موضوع الرحمة سنتطرق للمسائل التالي:

أولًا: تعريف الرحمة:

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الرحمة صفة تقتضي إيصال المنافع والمصالح إلىٰ العبد، وإن كرهتها نفسه، وشقت عليها، فهذه هي الرحمة الحقيقية، فأرحم الناس بك من شق عليك في إيصال مصالحك، ودفع المضار عنك»[١].

وبهذا يتبين أن الرحمة تكون في القلب، وتظهر آثارها علىٰ الجوارح واللسان، وذلك بالسعي في إيصال البر والخير والمنافع إلىٰ الناس، وإزالة الأضرار والمكاره عنهم.

فمن رحمة الأب بولده: أن يكرهه علىٰ التأدب بالعلم والعمل، ويشق عليه في ذلك بالضرب وغيره، ويمنعه شهواته التي تعود بضرره، ومتىٰ أهمل ذلك من ولده كان لقلة رحمته به، وإن ظن أنه يرحمه ويرفهه ويريحه، فهذه رحمة مقرونة بجهل»[٢].

وهذه الرحمة هي الرحمة المحمودة المطلوبة، والتي جاءت النصوص بالترغيب فيها، والحث علىٰ الاتصاف بها؛ إذ الرحمة من حيث المدح والذم قسمان:

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (٢/ ٤٧١).

(٢) إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان (٢/ ٥١٩).

١- رحمة محمودة، وهي الأصل في خلق الرحمة.

٢- رحمة مذمومة، ويراد بها: الرحمة التي تؤدي إلىٰ تعطيل شرع الله، أو التهاون في تطبيق حدوده وأوامره، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن دين الله هو طاعته وطاعة رسوله المبني علىٰ محبته ومحبة رسوله، وأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما؛ فإن الرأفة والرحمة يحبهما الله ما لم تكن مضيعة لدين الله»(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن العقوبات الشرعية كلها أدوية نافعة يصلح الله بها مرض القلوب، وهي من رحمة الله بعباده، ورأفته بهم الداخلة في قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧]، فمن ترك هذه الرحمة النافعة لرأفة يجدها بالمريض، فهو الذي أعان علىٰ عذابه وهلاكه، وإن كان لا يريد إلا الخير؛ إذ هو في ذلك جاهل أحمق»(٢).

لذا نهىٰ الله تَعَالَىٰ المؤمنين أن تأخذهم رأفة أو رحمة في تطبيق حدود الله وإقامة شرعه، فقال: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [النور:٢].

ثانيًا: منزلة الرحمة وفضلها:

الرحمة خلق سامٍ، وسجية كريمة، حث الإسلام علىٰ التخلق والاتصاف بها، ورغب في ذلك ببيان منزلتها وفضلها، ومما ورد في ذلك:

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٥١/ ١٩٢).

(٢) المرجع السابق (٥١/ ٠٩٢).

١- أن الله جعل الرحمة ركيزة من الركائز التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي بين أفراده؛ فعن النعمان بن بشير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَثَلُ المُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ، تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بالسَّهَرِ والحُمَّىٰ**»[1].

٢- أن الله جعل هذه الصفة خلق لصفوة خلقه وخيرة عباده، وهم الأنبياء والمرسلون، ومن سار علىٰ نهجهم من الصالحين، قال تَعَالَىٰ عن نبيه محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾[التوبة:١٢٨]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿**فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ**﴾[آل عمران:١٥٩].

٣- أن الله جعل الرحمة من أهم أسباب نيل رحمته؛ إذ الجزاء من جنس العمل، قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا أَهْلَ الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ**»[2].

٤- أن الله عَزَّوَجَلَّ حكم بالشقاء علىٰ من نزعت منه الرحمة؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت أبا القاسم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ**»[3].

---

(١) أخرجه مسلم (٦٨٥٢).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه أحمد (١٠٠٨)، وأبو داود (٢٤٩٤)، والترمذي (٣٢٩١)، حكم الألباني :حسن، صحيح الجامع الصغير (٧٦٤٧).

ثالثًا: الأسباب المعينة على التخلق بالرحمة:

الرحمة أولًا نوعان:

١- رحمة غريزية جبل الله بعض عباده عليها، وجعل في قلوبهم الرأفة والرحمة والحنان علىٰ الخلق، ففعلوا بمقتضىٰ هذه الرحمة جميع ما يقدرون عليه من نفعهم، بحسب استطاعتهم.

فهم محمودون مثابون علىٰ ما قاموا به، معذورون علىٰ ما عجزوا عنه، وربما كتب الله لهم بنياتهم الصادقة ما عجزت عنه قواهم.

٢- رحمة مكتسبة يكتسبها العبد بسلوكه كل طريق ووسيلة وسبب، يجعل قلبه علىٰ هذا الوصف الكريم، ومما يعين علىٰ ذلك:

أ- مجالسة الرحماء ومخالطتهم، والابتعاد عن ذوي الغلظة والفضاضة، فالمرء يكتسب من جلسائه طباعهم وأخلاقهم.

ب- معرفة الآثار المترتبة عن التحلي بهذا الخلق والثمار، التي يجنيها الرحماء في الدنيا قبل الآخرة.

ج- معرفة جزاء الرحماء وثوابهم، وأنهم هم الجديرون برحمة الله دون غيرهم، ومعرفة عقوبة الله لأصحاب القلوب القاسية؛ فإن هذا مما يدفع للرحمة، ويردع عن القسوة.

د- الاختلاط بالضعفاء والمساكين وذوي الحاجة؛ فإنه مما يرقق القلب ويدعو إلىٰ الرحمة والشفقة بهم، وجاء في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّ رَجُلًا شَكَا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَسْوَةَ قَلْبِهِ، فَقَالَ لَهُ: «**إِنْ أَرَدْتَ أَنْ يَلِينَ**

قَلْبُكَ فَأَطْعِمِ الْمِسْكِينَ، وَامْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ»[1].

ﻫ- تربية الأبناء علىٰ هذا الخلق العظيم ومحاولة غرسه في قلوبهم، ومتىٰ نشأ الناشئ علىٰ الرحمة، ثبتت في قلبه وأصبحت سجية له.

و- القراءة في سيرة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحابته الكرام، الذين قال الله عنهم: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح:٢٩]، وملاحظة اتصافهم بالرحمة، والتأسي بهم في ذلك.

وهنا نماذج من رحمة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحابته الكرام:

أولًا: نماذج من رحمة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

لقد كان له صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النصيب الأوفر من هذا الخلق العظيم، كيف لا والله هو الذي اختصه به كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران:١٥٩]، ومن رحمته:

١- رحمته بالأمة:

عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَىٰ أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلَاةٍ»**[2].

٢- رحمته بأصحابه:

عَنْ مَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَيْنَا النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً، فَظَنَّ أَنَّا اشْتَقْنَا أَهْلَنَا، وَسَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا

---

(١) أخرجه أحمد (١٩٦٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٥٢٣)، حكم الألباني: حسن، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (١٤١٠).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٧٨٨).

فِي أَهْلِنَا فَأَخْبَرْنَاهُ، وَكَانَ رَفِيقًا رَحِيمًا، فقال: «**ارْجِعُوا إِلَىٰ أَهْلِيكُمْ، فَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ، وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي، وَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ، فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، ثُمَّ لِيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ**»(١).

٣- رحمته بالخدم:

عن المعرور بن سويد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، وَعَلَىٰ غُلَامِهِ حُلَّةٌ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَقَالَ لِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ الله تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ**»(٢).

٤- رحمته بالعصاة:

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَىٰ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ مَهْ، فَقَالَ: **ادْنُهْ**، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: **أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ**؟ قَالَ: لَا وَاللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ، قَالَ: **وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ** قَالَ: **أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ**؟ قَالَ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ، قَالَ: **وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ**، قَالَ: **أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ**؟ قَالَ: لَا وَاللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ، قَالَ: **وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ**، قَالَ: **أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ**؟ قَالَ: لَا وَاللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ، قَالَ: **وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ**، قَالَ: **أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ**؟ قَالَ: لَا وَاللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ، قَالَ: **وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ**

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٨٠٠٦)، ومسلم، رقم الحديث: (٤٧٦).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٠٣)، ومسلم، رقم الحديث: (١٦٦١).

لِخَالَاتِهِمْ، قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ، قَالَ: فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَىٰ يَلْتَفِتُ إِلَىٰ شَيْءٍ»[1].

٥- رحمته بالكفار:

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زوج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أنها قالت للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هل أتىٰ عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: **لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَىٰ ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَىٰ مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَىٰ وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ، ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»**[2].

٦- رحمته بالحيوانات:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «أَرْدَفَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَلْفَهُ ذَاتَ يَوْمٍ، فَأَسَرَّ إِلَيَّ حَدِيثًا لَا أُحَدِّثُ بِهِ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ، وَكَانَ أَحَبُّ مَا اسْتَتَرَ بِهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحَاجَتِهِ هَدَفًا، أَوْ حَائِشَ نَخْلٍ قَالَ: فَدَخَلَ حَائِطًا لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَإِذَا جَمَلٌ، فَلَمَّا رَأَىٰ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَنَّ

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٤٦٢٢)، والطبراني في الكبير (٩٧٦٧)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٠٧٣). واللفظ لأحمد.

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (١٣٢٣)، ومسلم، رقم الحديث: (٥٩٧١).

وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ فَسَكَتَ، فَقَالَ: **مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ، لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ** ؟ فَجَاءَ فَتًى مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: لِي يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: **أَفَلَا تَتَّقِي اللهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللهُ إِيَّاهَا فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ**»[1].

فهذه نماذج من رحمة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد أمرنا بالتأسي به، كما قال تعالىٰ: ﴿ **لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا** ﴾[الأحزاب: ٢١].

وما سبق أمثلة علىٰ الرحمة، وإلا فأفرادها وصورها كثيرة جدًّا لا تكاد تحصىٰ؛ لأنه ما من معاملة من المعاملات أو رابطة من الروابط الاجتماعية أو الإنسانية، إلا وأساسها وقوام أمرها الرحمة.

فاللهم يا رحمنا يا رحيم، برحمتك نستغيث، أصلح شأننا كله، ولا تكلنا إلىٰ أنفسنا طرفة عين.



---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٩٦٧١)، وأبو داود، رقم الحديث: (٩٤٥٢)، حكم الألباني: صحيح، صحيح أبي داود، رقم الحديث: (٩٤٥٢).

الرَّزَّاقُ الرَّازِق جَلَّجَلَالُهُ



المعنى اللغوي لاسم (الرَّزَّاق - الرَّازِق):

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الرزق: ما ينتفع به، والجمع: الأرزاق، والرزق العطاء، وهو مصدر قولك: رزقه الله، والرَّزْقَة بالفتح: المرة الواحدة، والجمع: الرَّزَقَات، وهي أطماع الجند.

وارتزق الجند، أي: أخذوا أرزاقهم... وقد يسمىٰ المطر رزقًا، وذلك قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾[الجاثية:٥]»[١].

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الراء والزاء والقاف أصل واحد، يدل علىٰ عطاء لوقت، ثم يحمل عليه غير الموقوت، فالرزق: عطاء الله جل ثناؤه، ويقال: رزقه الله رزقًا، والاسم: الرزق، والرزق بلغة أزدشنوءة: الشكر، من قوله جل ثناؤه: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾[الواقعة:٨٢]. وفعلت ذلك لما رزقتني، أي: لما شكرتني»[٢].

---

(١) الصحاح (٤/ ١٨٤١).

(٢) مقاييس اللغة (٢/ ٣٨٨).

ورود اسم الله (الرَّزَّاق - الرَّازِق) في القرآن:

ورد اسم الله الرزاق مفردًا مرة واحدة في كتاب الله:

وذلك في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨].

وورد بصيغة الجمع خمس مرات، منها:

١- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [المائدة: ١١٤].

٢- وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [الجمعة: ١١].

٣- وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [الجمعة: ١١].

ورود اسم الله (الرزاق - الرازق) في السنة النبوية:

ورد اسم الله (الرزاق - الرازق) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّاسُ: يَا رَسُولَ اللهِ، غَلَا السِّعْرُ فَسَعِّرْ لَنَا. فقال: **إِنَّ اللهَ هُوَ الْمُسَعِّرُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الرَّازِقُ؛ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَلْقَى اللهَ، وَلَيْسَ أَحَدٌ منكم يَطَالِبُنِي بِمَظْلَمَةٍ فِي دَمٍ، وَلَا مَالٍ»**[1].

(١) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (١٥٤٣)، والترمذي، رقم الحديث: (٤١٣١)، حكم الألباني: صحيح، مشكاة المصابيح، رقم الحديث: (٤٩٨٢).

معنى اسم الله (الرَّزَّاق- الرَّازِق):

❁ **قال الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات:٥٨]: «إن الله هو الرزاق خلقه، المتكفل بأقواتهم»[(١)].

❁ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو المتكفل بالرزق، والقائم علىٰ كل نفس بما يقيمها من قوتها، وسع الخلق كلهم رزقه ورحمته، فلم يختص بذلك مؤمنًا دون كافر، ولا وليًّا دون عدو، يسوقه إلىٰ الضعيف الذي لا حيل له، ولا متكسب فيه، كما يسوقه إلىٰ الجلد القوي ذي المرة السوي، قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ [العنكبوت: ٦٠]، وقال تَعَالَى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[هود:٦]»[(٢)].

❁ **قال الحليمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في معنىٰ: (الرازق)-: «المفيض علىٰ عباده ما لم يجعل لأبدانهم قوامًا إلا به، والمنعم عليهم بإيصال حاجتهم من ذلك إليهم؛ لئلا تتنغص عليهم لذة الحياة بتأخره عنهم، ولا يفقدوها أصلًا لفقدهم إياه»[(٣)].

وقال- في معنىٰ (الرزاق)-: «وهو الرزاق رزقًا بعد رزق، والمكثر الواسع لها»[(٤)].

❁ **قال ابن الأثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(الرزاق) وهو الذي خلق الأرزاق، وأعطىٰ

---

(١) تفسير الطبري (١٢/ ٥٥٥-٦٥٥).

(٢) شأن الدعاء (ص: ٤٥).

(٣) المنهاج (١/ ٣٠٢).

(٤) المصدر السابق (١/ ٣٠٢).

الخلائق أرزاقها وأوصلها إليهم»[1].

❁ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(الرزاق) لجميع عباده، فما من دابة في الأرض إلا علىٰ الله رزقها»[2].

❁ **قال الإمام ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَكَذَلِـكَ الـرَّزَّاقُ مِـنْ أَسْـمَائِهِ
والـرِّزْقُ مِـنْ أَفْعَالِـهِ نَوْعَـانِ
رِزْقٌ عَلَـىٰ يَـدِ عَبْـدِهِ وَرَسُـولِهِ
نَوْعَـانِ- أَيْضًـا- ذَانِ مَعْرُوفَـانِ
رِزْقُ القُلُـوبِ العِلْـمِ والإِيمَـان
والـرِّزْقُ الـمعَدُّ لِهَـذِهِ الأَبْـدَانِ
هَـذَا هُـوَ الـرِّزْقُ الحَـلَالُ وَرَبُّنَـا
رَزَّاقُـهُ والفَضْـلُ لِلْمَنَّـانِ
والثَّـاني سَـوْقُ القُـوتِ لِلأَعْضَـاءِ فِي
تِلْـكَ المَجَـارِي سَـوْقُهُ بِـوَزَانِ
هَـذَا يَكُـونُ مِـنَ الحَـلَالِ كَمَـا يَكُـو
نُ مِـنَ الحَـرامِ كِلَاهُمَـا رِزْقَـانِ
واللهُ رَازِقُـهُ بِهَـذا الاعْتِبَـا
رِ وَلَيْـسَ بِالإِطْـلَاقِ دُونَ بَيَـانِ[3]

---

(١) النهاية (٢/ ٩١٢).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٧٤٩).

(٣) النونية، لابن القيم (ص١١٢).

الفرق بين اسم الله (الرَّزَّاق - الرَّازِق):

«الرزاق يعني: هو صاحب العطاء الذي يعطي، فالرزق بمعنىٰ: العطاء، ومنه قوله تَعَالَى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [النساء:٨]، أي: أعطوهم، وكلمة (الرزاق) أبلغ من كلمة (الرازق)؛ لأن (الرزاق) صيغة مبالغة تدل علىٰ كثرة الرزق، وعلىٰ كثرة المرزوق، فرزق الله تَعَالَى كثير باعتبار كثرة المرزوقين، فكل دابة في الأرض علىٰ الله رزقها، من إنسان وحيوان، ومن طائر وزاحف، ومن صغير وكبير»(١).

اقتران اسم الله (الرَّزَّاق - الرَّازِق) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ فِي القرآن الكريم:

أولًا: اقتران اسم الله (الرازق) بغيره من الأسماء الحسنىٰ:

لم يقترن اسم الرزاق بغيره من الأسماء.

ثانيًا: اقتران اسم الله (الرزاق) بغيره من الأسماء الحسنىٰ:

اقترن اسم الله الرزاق باسمه (ذو القوة المتين) في قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات:٥٨].

وجه الاقتران:

في جمع الله اسمه «الرزاق» واسميه «ذو المتين» وصفه بالقوة في قوله تَعَالَى: ﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ﴾ [الذاريات:٥٨]، وفي هذا كمال زائد في القوة، حيث التناهي في القدرة، والتناهي في شدة القوة.

---

(١) تفسير العثيمين، الحجرات- الحديد (ص: ٨٦١).

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (الرَّزَّاق - الرَّازِق):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (الرازق الرزاق) من صفات الله سُبْحَانَهُ:

الله سُبْحَانَهُ الرزاق الذي كثر رزقه، ووسع الخلائق كلها، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود:٦]، خلق الخلق لعبادته وتكفل برزقهم ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات:٥٦ - ٥٨]، فما خلقهم لحاجته إليهم، فما يريد منهم من رزق وما يريد أن يطعموه، تَعَالَى الله الغني المغني عن الحاجة إلىٰ أحد بوجه من الوجوه، وإنما جميع الخلق فقراء إليه، في جميع حوائجهم ومطالبهم[1].

ورزق الله لعباده نوعان:

«١- رزق عام، شمل البر والفاجر، والأولين والآخرين، وهو رزق الأبدان.

٢- ورزق خاص وهو رزق القلوب، وتغذيتها بالعلم والإيمان، والرزق الحلال الذي يعين علىٰ صلاح الدين»[2].

فأما الرزق العام:

فهو رزق عام لجميع المخلوقات إنسهم، وجنهم، وحيوانهم، صغيرهم وكبيرهم، قويهم وعاجزهم، قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [هود:٦]، وقال:

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٣١٨).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٧٤٩).

﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ﴾ [العنكبوت:٦٠]، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: لا تطيق جمعه ولا تحصيله، ولا تدخر شيئًا لغد، ﴿ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا﴾، أي: يقيض لها رزقها- علىٰ ضعفها- وييسره عليها، فيبعث إلىٰ كل مخلوق من الرزق ما يصلحه حتىٰ الذر في قرار الأرض، والطير في الهواء، والحيتان في الماء»(١)، يرزق الثعبان في جحره، والطير في وكره، والسمك في بحره.

يرزق الكل، وكل ذلك بلا ثقل ولا كلفة ولا مشقة ولا نقص في ملكه، قال الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «رازق بلا مؤنة»(٢)، وقال صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يرويه عن ربه عَزَّوَجَلَّ: «**يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ**»(٣)(٤).

وأما الرزق الخاص:

فهو الرزق الذي خص الرزاق عباده المؤمنين به من الهداية والإيمان والتوفيق للعلم به وبشرعه في الدنيا؛ فإن القلوب مفتقرة غاية الافتقار إلىٰ أن تكون عالمةً بالحق مريدةً له متألـهةً لله متعبدةً، وبذلك يحصل غناها ويزول فقرها.

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٢٤).

(٢) العقيدة الطحاوية (ص١٢٥).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) ينظر: مختصر النهج الأسمىٰ (ص: ٦٠١-٧٠١).

وأما في الأخرة: فيرزقهم أعظم الرزق وأجلَّه، ألا وهو رضاه والجنة، قال تَعَالَى: ﴿رَّسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا﴾ [الطلاق: ١١]، وقال تَعَالَى: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ [ص: ٥٣، ٥٤].

وهذا الرزق- الرزق الخاص- أعظم الرزق وأنفعه، وهو الرزق علىٰ الحقيقة، أما رزق البهائم والكفار فهو منقطع ومنتهي؛ ولذلك لما ذكر سُبْحَانَهُ فضله علىٰ العباد عامة، ذكر امتنانه علىٰ عباده الموحدين بالرزق الخاص في الدنيا بالإيمان وبالجنة في الآخرة، قال سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٢]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٢٠، ٢١].

وهذا الرزق مع عظمه، إلا أن كثيرًا من الناس يغفل عنه، لا سيما في حال الدعاء، قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ منبهًا علىٰ استحضاره: «والرزق الذي خص به المؤمنين والذي يسألونه منه شامل للأمرين، ينبغي للعبد إذا دعا ربه في حصول الرزق أن يستحضر بقلبه هذين الأمرين، فمعنىٰ: (اللهم ارزقني) أي: ما يصلح به قلبي من العلم والهدىٰ والمعرفة، ومن الإيمان الشامل لكل عمل صالح وخلق حسن، وما به يصلح بدني من الرزق الحلال الهني الذي لا

صعوبة فيه ولا تبعة تعتريه»[1].

الأثر الثاني: دلالة اسم الله (الرَّزَّاق - الرَّازِق) علىٰ التوحيد:

اسم الله «الرازق، الرزاق» دال علىٰ التوحيد؛ وذلك من جهة: تفرد الله عَزَّوَجَلَّ بالرزق، فهو الرازق الرزاق وحده لا شريك له، قال سُبْحَانَهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾ [فاطر:٣]، وقال مبينًا عجز الخلائق كلهم عن الرزق إن أمسكه ومنعه: ﴿أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي يَرۡزُقُكُمۡ إِنۡ أَمۡسَكَ رِزۡقَهُۥۚ بَل لَّجُّواْ فِي عُتُوّٖ وَنُفُورٍ﴾ [الملك:٢١][2]، فلا يملك أحد أن يفتحه عليهم من دون الله: ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [فاطر:٢].

وكان من دعائه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -دبر كل صلاة إذا سلم-: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ**»[3].[4].

وقد جاء التذكير بهذا- وحدانية الله في الرزق- في القرآن في مقامين:

الأول: مقام التفضل والامتنان.

والثاني: مقام الدعوة إلىٰ توحيد العبادة، والخير والإحسان.

---

(١) الحق الواضح المبين، للسعدي (ص: ٥٨-٦٨).

(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ١٨١)، وتفسير السعدي (ص: ٧٧٨).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) ينظر: مختصر النهج الأسمىٰ، للنجدي (ص: ٥٠١-٦٠١).

فأما الأمثلة على مقام التفضل والامتنان، فمنها:

- قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ﴾ [النحل: ٧٢].

- قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [غافر: ٦٤].

وأما الأمثلة على مقام الدعوة إلى توحيد العبادة والخير والإحسان، فمنها:

- الأمر بالإنفاق في سبيله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

- الأمر بالشكر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢][1].

الأثر الثالث: إدراك التفاوت في الأرزاق، وأنه تابع لعلم الله تعالى:

فاضل الله عَزَّوَجَلَّ بين عباده في الرزق، فمنهم الغني ومنهم الفقير، ومنهم الموسع عليه ومنهم المقتر، وله في ذلك حكم بالغة، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِ﴾ [النحل: ٧١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا﴾ [الإسراء: ٣٠]، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(١) والآيات في هذا المعنى كثيرة، يطول المقام بذكرها.

«أي: خبير بصير بمن يستحق الغنىٰ، ومن يستحق الفقر»[1].

فمن العباد من لا يصلح حاله إلا بالغنىٰ، فإن أصابه الفقر فسد حاله، ومنهم العكس ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٣٠]».

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ- أيضًا- في قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورىٰ: ٢٧] -: «ولو أعطاهم فوق حاجتهم من الرزق؛ لحملهم ذلك علىٰ البغي والطغيان من بعضهم علىٰ بعض أشرًا وبطرًا»[2].

لكن هذا التفضيل في الرزق ليس له ارتباط برضا الله وغضبه ولا محبته وكرهه للعبد، فليس إنعامه علىٰ خلقه بكثرة الرزق وسعة العيش دليل علىٰ محبته لهم، ولا أن تضيقه علىٰ آخرين في أرزاقهم لكرهه لهم، قال تَعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا﴾ [الفجر: ١٥ - ١٧]، «أي: ليس كل من نعمته في الدنيا فهو كريم عليّ، ولا كل من قدرت عليه رزقه فهو مهان لديَّ، وإنما الغنىٰ والفقر، والسعة والضيق، ابتلاء من الله، وامتحان يمتحن به العباد؛ ليرىٰ من يقوم له بالشكر والصبر، فيثيبه علىٰ ذلك الثواب الجزيل، ممن ليس كذلك فينقله إلىٰ العذاب الوبيل»[3][4].

وقد ظن الكفار والمترفون لجهلهم أن الأموال والأولاد دليل علىٰ محبة الله لهم واعتنائه بهم، وأنه ما كان ليعطيهم هذا في الدنيا ثم يعذبهم في

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٨٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٠٤١).

(٣) تفسير السعدي (ص: ٤٢٩).

(٤) ينظر: مختصر النهج الأسمىٰ، للنجدي (ص: ٩٠١-٠١١).

الآخرة، قال تعالى عنهم: ﴿وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [سبأ:٣٥]، فرد عليهم ظنهم هذا بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ:٣٦، ٣٧]، وقوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون:٥٥، ٥٦].

ولم يعلموا أن الدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة؛ ولذلك فإن الله يعطيها من يحب ومن لا يحب، وسع الرزق علىٰ الأخيار أمثال: نبيه داود وسليمان عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ، ووسعه علىٰ الأشرار أيضًا، أمثال: فرعون وهامان وقارون، وضيق علىٰ الأخيار والأشرار؛ ذلك أنه لا يعبأ بالدنيا، فهي هينة عليه، ولو كانت تساوي عنده جناح بعوضة ما سقىٰ منها كافرًا شربة ماء، كما جاء في حديث سهل بن سعد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لو كانتِ الدنيا تَعْدِلُ عندَ الله جناحَ بعوضةٍ مَا سَقَىٰ كَافِرًا منها شربةَ ماءٍ**»(١).

فعلىٰ المؤمن إذا وسع الله عليه في الرزق، أن يعمل عمل داود وسليمان عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ، قال الله عنهما: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل:١٥]، وقال تعالى عن سليمان عَلَيْهِٱلسَّلَامُ: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل:١٩]، ويحذر من عمل قارون ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ

---

(١) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٢٣٢٠)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٤١١٠)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢٣٢٠).

عِندِيٓ﴾[القصص:٧٨] وأمثاله، وإذا ضيق عليه في رزقه أن يصبر ويحتسب، متمثلًا قوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا له، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**»[١].

الأثر الرابع: محبة الله تَعَالَىٰ الرازق الرَّزَّاقِ:

التأمل في خلق الرازق للأرزاق، وإيصالها إلىٰ خلقه رزقًا بعد رزق؛ كل ذلك يورث العبد محبة الرازق والتعلق به لعظيم إحسانه وإفضاله؛ فإن كل ما يراه الإنسان من مظاهر الرزق والعطاء والكرم والجود وما أودع فيها من جودة، وطعم، ومكانة، وسهولة في الوصول إليها كله خلق الله عَزَّوَجَلَّ وفضله.

الأثر الخامس: التوكل علىٰ الرزاق الرازق في طلب الرزق:

اليقين بتفرد الرازق برزق العباد، وتكفله بأقواتهم، وتقديره لرزقهم قبل خلقهم، وتوليه تنفيذ المقدر الذي يخرجه في السماوات والأرض، في السماوات؛ لأنه مقضي مكتوب، وفي الأرض؛ لأنه سينفذ لا محالة، كل ذلك يثمر التوكل الصادق علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ في طلب الرزق، الذي يثمر بدوره الطمأنينة في القلب والسكينة وعدم الهلع والخوف علىٰ الرزق؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ هو المتكفل بأرزاق عباده، ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾[هود:٦]، وقد أقسم الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ أنه ضمن الرزق للعباد: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات:٢٢]، سمعها أعربي فصاح صيحته المشهورة، وقال: «يا سبحان الله! من الذي أغضب الجليل حتىٰ حلف! ألم يصدقوه في قوله حتىٰ ألجأوه

---

(١) سبق تخريجه.

إلىٰ اليمين؟ قالها ثلاثًا، وخرجت بها نفسه»[1].

وتكفل باستكمالها ولو بعد حين، فلن تموت نفس إلا باستكمال رزقها، كما أخبرنا الصادق الأمين صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أيها الناسُ اتَّقوا اللهَ، وأَجْمِلوا في الطَّلَبِ، فَإِنَّ نفسًا لن تموتَ حتىٰ تَسْتَوفِيَ رِزْقَهَا، وإنْ أَبْطَأَ عنها، فاتَّقوا اللهَ وأَجْمِلوا في الطَّلَبِ، خُذُوا مَا حَلَّ، وَدَعُوا مَا حَرُمَ»**[2].

وعن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«نَفَثَ رُوحُ الْقُدُسِ فِي رَوْعِي أَنَّ نفسًا لَنْ تَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّىٰ تَسْتَكْمِلَ أَجَلَهَا، وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا، فَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلَا يَحْمِلَنَّكُم اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعْصِيَةِ اللهِ، فَإِنَّ اللهَ لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ»**[3]، وعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ الرِّزْقَ لَيَطْلُبُ الْعَبْدَ كَمَا يَطْلُبُهُ أَجَلُه»**[4]، وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا «أن النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأىٰ تمرة عائرة[5] فأخذها فناولها سائلًا، فقال: **خُذْهَا، لَوْ لَمْ تَأْتِهَا لَأَتَتْكَ**»[6].

---

(١) تفسير القرطبي (٧١/ ٣٣).

(٢) أخرجه ابن ماجه، رقم الحديث: (٤٤١٢)، وابن حبان، رقم الحديث: (٩٣٢٣)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن ابن ماجة، رقم الحديث: (٤٤١٢). واللفظ لابن ماجه.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير، رقم الحديث: (٤٩٦٧)، وأبو نعيم في الحلية (١٠/ ٦٢)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٥٨٠٢).

(٤) أخرجه ابن حبان، رقم الحديث: (٨٣٢٣)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٦٨)، حكم الألباني: صحيح لغيره، صحيح الترغيب والترهيب، رقم الحديث: (٣٠٧١).

(٥) الأصل: «غائرة»، و«المجمع: غائرة»، والتصحيح من «موارد الضمآن» و«النهاية» وفيه: «العائرة الساقطة لا يعرف لها مالك»، النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٨٢٣).

(٦) أخرجه ابن حبان، رقم الحديث: (٠٤٢٣)، والبيهقي في القضاء والقدر، رقم الحديث: (٠٤٢)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الترغيب والترهيب، رقم الحديث: (٥٠٧١).

وإذا حقق العبد التوكل رزقه الرزاق كما يرزق الطير؛ فعن عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَىٰ الله حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُمْ، كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ، تَغْدُو خِمَاصًا**[1] **وَتَرُوحُ بِطَانًا**[2]»[3]، فـ«لو توكلوا علىٰ الله في ذهابهم، ومجيئهم وتصرفهم، ورأوا أن الخير بيده ومن عنده، لم ينصرفوا إلا سالمين غانمين كالطير، تغدوا خماصًا وتروح بطانًا، لكنهم يعتمدون علىٰ قوتهم وجلدهم، ويغشُّون ويكذبون ولا ينصحون، وهذا خلاف التوكل»[4].

ولا يعني التوكل عدم الأخذ بالأسباب والقعود عن الكسب، بل التوكل: الاعتماد علىٰ الله مع الأخذ بالأسباب؛ لأن هذه الأسباب من رزق الله تَعَالَى الذي يسره لعباده وأقدرهم عليه، وأوصلهم إليه، لكن لا يعتمد الإنسان عليها، وإنما يجعل اعتماده علىٰ الله ويوقن أن مفاتيح الرزق بيده، وأن خزائن السموات والأرض بيده.

كما يثمر هذا اليقين- بوحدانية الرازق في الرزق وتقديره له- في نفس العبد عدم الخوف من المخلوقين في قطع الرزق؛ لعلمه أن الرزق بيد الله وحده وقد قدره وكتبه، ولا بد أن يصله رضي الخلق أو سخطوا.

---

(١) تغدو، أي: تذهب أول النهار، خماصًا، أي: ضامرة البطن من الجوع. ينظر: تحفة الأحوذي، المباركفوري (٧/ ٧).

(٢) تروح، أي: ترجع آخر النهار، بطانًا جمع بطين، أي: عظيمة البطن من الشبع. ينظر: المرجع السابق بنفس الصفحة.

(٣) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٤٤٣٢)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٤٦١٤)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير وزيادته، رقم الحديث: (٤٥٢٥).

(٤) شعب الإيمان، للبيهقي (٢/ ٥٠٤).

وقد رد الله علىٰ المنافقين الذين قالوا: ﴿لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ﴾[المنافقون:٧]، فقال تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ﴾[المنافقون:٧] فبين أن هؤلاء الذين يحاولون أن يتحكموا في أرزاق المؤمنين، إنما هم يرزقون من خزائن الله، فليسوا هم الذين يخلقون رزق أنفسهم، فضلًا عن أن يرزقوا غيرهم أو يمنعوا رزقه، فما أقل فقههم وهم يحاولون قطع الرزق عن الآخرين.

ولضعف هذ اليقين تجد الإنسان يسأل: من الذي يرزقك؟ فيجيب علىٰ البديهة: الله، ثم تجده إذا ضيق عليه مخلوق في الرزق، قال: فلان يريد قطع رزقي!

فلا بد أن يستقر في القلوب إلىٰ درجة اليقين أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين، وأن الله هو المحيي المميت، وأن الله هو الضار النافع، وأن الله هو المعطي والمانع، وأن الله هو المدبر، وأن الله هو الذي بيده كل شيء.

الأثر السادس: الأخذ بأسباب نَيلِ الأرزاقِ:

قد جعل الرزاق تحصيل الأرزاق منوطًا بالأخذ بالأسباب، فبها تنال الأرزاق وتستجلب الخيرات، وتحصل البركات وتدفع عن العباد الشرور والآفات.

وقد بين سُبۡحَانَهُ هذه الأسباب وأوضحها لعباده في كتابه وسنة رسوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، ومنها:

١- الإيمان والتقوىٰ:

من أهم أسباب نيل الرزق: الإيمان بالله والاستقامة علىٰ طريق الحق، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا﴾[الجن:١٦]، وقال

سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف:٩٦]، وقال: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق:٢، ٣]، فـ«يسبب له أسباب الرزق من حيث لا يشعر، ولا يعلم»(١).

وما دام أن التقوىٰ والعمل الصالح باب إلىٰ الرزق والبركة، فإن المعصية تنقص الرزق والبركة، أو تكون بابًا للعاصي إلىٰ النكد والشقاء، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [النحل:١١٢]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم:٤١].

٢- التوبة والاستغفار:

قال تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ [هود:٣] قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذه الآية الكريمة تدل علىٰ أن الاستغفار والتوبة إلىٰ الله تَعَالَىٰ من الذنوب سبب لأن يمتع الله من فعل ذلك متاعًا حسنًا إلىٰ أجل مسمىٰ؛ لأنه رتب ذلك علىٰ الاستغفار والتوبة ترتيب الجزاء علىٰ شرطه.

والظاهر أن المراد بالمتاع الحسن: سعة الرزق، ورغد العيش، والعافية في الدنيا»(٢).

---

(١) تفسير الطبري (٣٢/ ٥٤٤).

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي (٢/ ١٧١).

وقال تَعَالَىٰ: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا﴾ [نوح: ١٠ - ١٢].

فـ«الاستغفار يستنزل به الرزق والأمطار، قال الشعبي: خرج عمر يستسقي فلم يزد علىٰ الاستغفار حتىٰ رجع، فأمطروا فقالوا: ما رأيناك استسقيت؟ فقال: لقد طلبت المطر بمجاديح السماء التي يستنزل بها المطر؛ ثم قرأ: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: ١٠]»[(١)].

٣- شكر الرَّزَّاقِ:

رزق الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عظيم، منه: الإسلام، والعافية، والعقل، والطعام، والشراب، والولد، والمال، والجمال، والشباب، والقوة، والفتوة، والطبيعة، والإلهام.

وقد اعتاد كثير من الناس أن تحصل لهم كل هذه الأشياء بشكل طبيعي معتاد، ولا يتفطنون إلىٰ حقيقة كونها نعمة من عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، بينما الإنسان صاحب القلب الحي يدرك هذا المعنىٰ ويتأمله.

جاء رجل يشتكي إلىٰ حكيم الفقر، فقال له: هل تبيع لي بصرك بمائة ألف دينار؟ قال: لا، قال: هل تبيع سمعك بمائة ألف دينار؟ قال: لا، قال: فيدك، فرجلك، فعقلك، فقلبك، فجوارحك، ... وهكذا عدد له، حتىٰ بلغ الأمر مئات الألوف من الدنانير، في هذا الإنسان، فقال له: يا هذا!! عليك ديون كثيرة، وحقوق مثبتة فمتىٰ تؤدي شكرها، ومع ذلك تطلب الزيادة، إن ربك عفو كريم.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٢٠٩٤)، وابن أبي شيبة في المصنف (٣٤٣٨).

وقد أرشدنا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إلىٰ شكره علىٰ ما تفضل علينا به من رزقه، ووعدنا إن شكرنا زادنا من فضله، قال تَعَالَىٰ: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم:٧].

٤- الإنفاق من هذا الرِّزْق:

لقد أمر الله عَزَّوَجَلَّ عباده بالإنفاق في سبيله، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة:٢٥٤].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ﴾ [إبراهيم:٣١].

وقد وعد سُبْحَانَهُ أن يخلف ما ينفق، قال: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ:٣٩]، وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يرويه عن ربه عَزَّوَجَلَّ: «**قَالَ اللهُ** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: **يَا ابْنَ آدَمَ، أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكِ**»(١)، وقال: «**مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ**»(٢).

٥- الصلاة:

ومن أسباب سعة الرزق في الدنيا والآخرة: الصلاة، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه:١٣٢]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٤٦٨٤)، ومسلم، رقم الحديث: (٩٩٣). واللفظ لمسلم.

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٥٨٨).

﴿هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران:٣٧]، وقال جل شأنه: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٨ فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران:٣٨، ٣٩].

٦- صلة الرحم:

مما يستجلب به الرزق: صلة الرحم، عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَن أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ له في رزقِهِ، وَيُنْسَأَ له في أَثَرِهِ؛ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**»(١)، بل حتىٰ أن الفجرة إذا تواصلوا بسط الله لهم في الرزق، كما جاء في الحديث، عن أبي بكرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنَّ أعجلَ الطاعةِ ثوابًا: صلةُ الرَّحِمِ، حتىٰ إنَّ أهلَ البيتِ ليكونوا فَجَرةً، فتنموَ أموالُهم، ويَكْثُرَ عددُهُم إذا تَوَاصَلُوا**»(٢).

الأثر السابع: طلب الرزق الحلال، والحذر من الرزق الحرام:

اليقين بأن الله الرزاق الذي تكفل للعباد بأرزاقهم؛ يدفع العبد إلىٰ ترك الرزق الحرام في مأكله ومشربه وملبسه وعمله ونحو ذلك، ولو كان كثيرًا موفورًا؛ لأنه يعلم أن الرزاق سيفتح له أبواب من الرزق الحلال، وأنه لن يحصل من الرزق إلا ما قسم له، وأن ما عند الله لا ينال بمعصيته، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**نَفَثَ رُوحُ الْقُدُسِ فِي رَوْعِي أَنَّ نفسًا لَنْ تَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيا حَتَّىٰ**

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٨٩٥)، ومسلم، رقم الحديث: (٧٥٥٢).

(٢) أخرجه ابن حبان، رقم الحديث: (٤٤٠)، والطبراني في الأوسط، رقم الحديث: (٢٩٠١)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع، رقم الحديث: (٥٠٧٥).

تَسْتَكْمِلَ أَجَلَهَا، وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا، فَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلَا يَحْمِلَنَّكُم اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعْصِيَةِ اللهِ، فَإِنَّ اللهَ لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ»[1].

وقد حذر الله عَزَّوَجَلَّ وتوعد من أكل الرزق الحرام، قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إِنَّهُ لَا يَرْبُو لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ**[2] **إِلَّا كَانَتِ النَّارُ أَوْلَىٰ بِهِ**»[3]، وقال: «**أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون:٥١] **وَقَالَ:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة:١٧٢] ثم ذكر **الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّىٰ يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟**»[4].

قال ابن رجب رَحِمَهُٱللَّهُ: «وفي هذا الحديث إشارة إلىٰ أنه لا يقبل العمل ولا يزكو إلا بأكل الحلال، وإنَّ أكل الحرام يفسد العمل، ويمنع قبوله... وما ذكره بعد ذلك من الدعاء، وأنه كيف يتقبل مع الحرام، فهو مثال لاستبعاد قبول الأعمال مع التغذية بالحرام»[5]، وقال: «فيؤخذ من هذا: أن التوسع في الحرام والتغذي به من جملة موانع الإجابة»[6].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) السحت: الحلق، ويطلق في الشريعة علىٰ المال الحرام؛ لأنه يحلق الدين. العرف الشذي، للكشميري (٢/ ٣٩).

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٥٦٦٤١)، والترمذي، رقم الحديث: (٤١٦)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٤١٦).

(٤) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٥١٠١).

(٥) جامع العلوم والحكم، لابن رجب (١/ ٢٦٠).

(٦) المصدر السابق (١/ ٢٧٥).

فعلى المؤمن أن يحذر الرزق الحرام بمختلف صوره وأشكاله، ومنها:

- الربا، وقد تكاثرت النصوص في النهي عنه، ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٧٨].

وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «لَعَنَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آكِلَ الرِّبَا وَمُؤْكِلَهُ، وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدَيْهِ، وَقَالَ: **هُمْ سَوَاءٌ**»(١).

والربا ممحوق البركة منزوع الخير، قال تعالى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة:٢٧٦].

- الرشوة، عن عبد الله بن عمرو قال: «**لَعَنَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **الرَّاشِيَ وَالْمُرْتَشِيَ**»(٢).

- اليمين الغموس، وهو: الحلف كذبًا؛ لاقتطاع مال الغير(٣)، عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ**، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قال: **وَإِنْ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ**»(٤)، وقال: «**مَنِ اقْتَطَعَ مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينٍ كَاذِبَةٍ، لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَان**، قَالَ عَبْدُ اللهِ: ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِصْدَاقَهُ

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٥٩٨).

(٢) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٣٥٨٠)، والترمذي، رقم الحديث: (١٣٣٧)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن ابي داود، رقم الحديث: (٣٥٨٠).

(٣) ينظر: فتح الباري، لابن حجر (١١/ ٥٥٧).

(٤) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٣٧).

مِنْ كِتَابِ اللهِ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾[آل عمران:٧٧] الآية[١].

- سؤال الناس بلا حاجة أو ضرورة، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَزَالُ الْمَسْأَلَةُ بِأَحَدِكُمْ حَتَّىٰ يَلْقَىٰ اللهَ، وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ**»[٢].

- أخذ أموال الناس بقصد السلف والدين، مع إضمار النية بعدم رده وسداده، أو التهاون في ذلك، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ [البقرة:١٨٨]، وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّىٰ اللهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَهَا يُرِيدُ إِتْلَافَهَا أَتْلَفَهُ اللهُ**»[٣].

- الغلول، وهو: الخيانة مطلقًا، وغلب في الاستعمال تخصيصه بالخيانة في الغنيمة[٤]، وللغلول صور عدة، من أهمها: الأخذ من المال العام[٥].

وجاء في الغلول حديث أبي هريرة، قال: «قام فينا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذات يوم، فذكر الغلول، فعظمه وعظم أمره، ثم قال: «**لَا أُلْفِيَنَّ**[٦] **أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَغِثْنِي، فَأَقُولُ:**

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٤٤٧)، ومسلم، رقم الحديث: (٨٣١). واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٠٤٠١).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٧٨٣٢).

(٤) شرح النووي علىٰ مسلم (٢١/ ٦١٢).

(٥) للغلول صور متعددة، منها: أخذ الموظفين من الهدايا، اغتصاب الأراضي والعقارات ونحو ذلك بغير حق.

(٦) ألفين، أي: لا أجدن أحدكم علىٰ هذه الصفة، ومعناه: لا تعملوا عملاً أجدكم بسببه علىٰ هذه الصفة، شرح النووي علىٰ مسلم (٢١/ ٦١٢).

لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ رَقَبَتِهِ فَرَسٌ لَهُ حَمْحَمَةٌ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ رَقَبَتِهِ شَاةٌ لَهَا ثُغَاءٌ(١)**، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ رَقَبَتِهِ نَفْسٌ لَهَا صِيَاحٌ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ رَقَبَتِهِ رِقَاعٌ تَخْفِقُ**(٢)**، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ رَقَبَتِهِ صَامِتٌ**(٣)**، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ»**(٤).

وفي صحيح مسلم: عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: حدثني عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «**لَمَّا كَانَ يَوْمُ خَيْبَرَ أَقْبَلَ نَفَرٌ مِنْ صَحَابَةِ النَّبِيِّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فَقَالُوا: فُلَانٌ شَهِيدٌ، فُلَانٌ شَهِيدٌ، حَتَّىٰ مَرُّوا عَلَىٰ رَجُلٍ، فَقَالُوا: فُلَانٌ شَهِيدٌ، فَقَالَ** رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **كَلَّا، إِنِّي رَأَيْتُهُ فِي النَّارِ فِي بُرْدَةٍ غَلَّهَا- أو عَبَاءَةٍ-**»(٥) .

---

(١) الرغاء، والحمحمة، والثغاء: وصف لصوتها، فصوت البعير الرغاء وصوت الفرس الحمحمة هكذا. ينظر: شرح النووي علىٰ مسلم (٢١/ ٦١٢-٧١٢).

(٢) المراد: ما عليه من الحقوق المكتوبة في الرقاع، تخفق: تتحرك، ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٢/ ١٥٢).

(٣) الصامت، أي: الذهب والفضة، شرح النووي علىٰ مسلم (٢١/ ٧١٢).

(٤) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣٧٠٣)، ومسلم، رقم الحديث: (١٣٨١).

(٥) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٤١١).

وكل رزق فيه شبهة ينبغي للعبد أن يتجنبه؛ لأن المال الحرام يمحق بركة الإنسان في جميع أمره: في ماله وولده وبيته، حتىٰ في دعائه: «**فَأَنَّىٰ يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟**»(١).

الأثر الثامن: الإنفاق من رزق الرزاق الرازق:

إيمان العبد باسمه سُبْحَانَهُ (الرزاق) يبعد عن القلب الشح والبخل؛ لأن الشعور بأن ما في اليد من رزق فهو من الله وحده، وما في القلب من علم وهداية فالمانُّ به سُبْحَانَهُ، فهو رزقه وفضله، وقد أمره بالإنفاق منه: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾[المنافقون:١٠]؛ يدفع المؤمن إلىٰ التواضع، والجود بما رزقه الله سُبْحَانَهُ من علم أو مال أو جاه في سبيل الله تَعَالَى، وإيصاله للمحتاجين إليه.

الأثر التاسع: الاشتغال بطلب الرزق الباقي:

أرزاق الله كثيرة، لا تعد ولا تحصىٰ، إلا أن علىٰ المؤمن أن يكون همه السعي لنيل أحسنها وأكملها وأكرمها، مما خص الله به عباده المؤمنين في الآخرة من النعيم، وهو رزق عظيم واسع، لا يحده حد، ولا يقدر قدره إلا الله، فرزق أهل الجنة لا نفاد له ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾[ص:٥٤]، وهو يرزقهم بغير حساب ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[غافر:٤٠].

---

(١) سبق تخريجه.

ومن طالع صفة الجنة؛ علم سعة رزق أهلها وكثرته وطيبه وتنوعه، قال تَعَالَى: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَاْ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌۖ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان:١٢ – ٢١]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الزخرف:٧١].

وإذا علم العبد ذلك؛ لم يشتغل برزق الدنيا الفاني عن رزق الآخرة الباقي، قال تَعَالَى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٦]، فالعاقل لا يشغله رزق الدنيا وإن كثر عن الغاية التي خلق لأجلها وأوجد لتحقيقها، وهي عبادة الله وإخلاص الدين له، بل يجعل ذلك سبيلًا لنيل رضا الله، وبلوغ جنات النعيم.

فاللهمَّ إنَّا نَسْأَلُك علمًا نافعًا، ورِزْقًا طيِّبًا، وعملًا صالِحًا مُتقَبَّلًا.

اللهمَّ اغفِرْ لنا وارْحَمْنَا، وَاهْدِنَا، وعَافِنَا، وارْزُقْنَا.



الرَّؤُوف جَلَّجَلَالُهُ



المعنى اللغوي:

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الرأفة: أشد الرحمة»[1].

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(رأف) الراء والهمزة والفاء كلمة واحدة، تدل علىٰ رقة ورحمة، وهي الرأفة»[2].

وورود اسم الله (الرؤوف) في القرآن الكريم:

ورد اسمه سُبْحَانَهُ (الرؤوف) في كتاب الله في عشر مرات، ومن وروده ما يلي:

١- قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾[البقرة:١٤٣].

٢- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾[الحج:٦٥].

٣- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾[آل عمران:٣٠].

(١) الصحاح (٤/ ٨٤).

(٢) مقاييس اللغة (٢/ ١٧٤).

وورد اسمه سُبْحَانَهُ (الرؤوف) في السنة النبوية:

من وروده ما يلي:

عن يحيىٰ بن أبي كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال: كتب إلي أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود، يخبرني عن هدي عبد الله بن مسعود في الصلاة، وفعله وقوله فيها، فكان مما ذكره في دعائه: «سبحانك لا إله غيرك، اغفر لي ذنبي، وأصلح لي عملي، إنك تغفر الذنوب لمن تشاء، وأنت الغفور الرحيم، يا غفار اغفر لي، يا تواب تب علي، يا رحمن ارحمني، يا عفو اعف عني، يا رؤوف ارأف بي، يا رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي.. »[1].

معنى اسم الله (الرؤوف):

❊ **قال الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحج:٦٥]: «إن الله بجميع عباده ذو رأفة، والرأفة أعلىٰ معاني الرحمة، وهي عامة لجميع الخلق في الدنيا، ولبعضهم في الآخرة»[2].

❊ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(الرؤوف) هو الرحيم العاطف برأفته علىٰ عباده، وقال بعضهم: الرأفة: أبلغ الرحمة وأرقها، ويقال: إن الرأفة أخص والرحمة أعم، وقد تكون الرحمة في الكراهة للمصلحة، ولا تكاد الرأفة تكون في الكراهة، فهذا موضع الفرق بينهما»[3].

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير، رقم الحديث: (٢٤٩٩).

(٢) تفسير الطبري (٢/ ٢١).

(٣) شأن الدعاء (ص: ١٩).

۞ **قال القرطبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(الرؤوف) ذو الرأفة، والرأفة: شدة الرحمة، فهو بمعنىٰ: الرحيم مع المبالغة»[1].

يظهر مما سبق أن هناك ارتباطًا بين الرأفة والرحمة، وقد يظهر الفرق بينهما في:

- أن الرأفة مبالغة في رحمة خاصة، وهي دفع المكروه وإزالة الضرر، كقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾[النور:٢] أي: لا ترأفوا بهما فترفعوا الجلد عنهما.

وأما الرحمة فإنها اسم جامع يدخل فيه ذلك المعنىٰ، ويدخل فيه الإفضال والإنعام[2].

- الرحمة تكون للمؤمن والكافر والبر والفاجر، ومن رحمة الله: إرسال الرياح والأمطار، وهي رحمة يشترك فيها الإنسان مؤمنًا وكافرًا، والحيوان والأشجار وكثير من مخلوقات الله تَعَالَىٰ.

بينما الرأفة تكون فقط للمؤمنين، تأمل قوله الله تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ طَهُورٗا﴾[الفرقان:٤٨] وهذا عام للمؤمن والكافر، بينما رأفة الله لا تكون إلا للمؤمن، فانظر إلىٰ قوله الله تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾[البقرة:٢٠٧][3].

---

(١) المرجع السابق (ص: ٩٨٢).

(٢) المنهاج الأسنىٰ، للقرطبي (١/ ١٠٢).

(٣) مفاتيح الغيب، للرازي (٤/ ٩٩).

اقتران اسم الله (الرؤوف) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ فِي القرآن الكريم:

اقتران اسم الله (الرؤوف) باسم الله (الرحيم):

لم يقترن اسم الله الرؤوف بغيره من الأسماء إلا باسم الله الرحيم، وجاء هذا الاقتران في تسع آيات من القرآن الكريم، ومن وروده ما يلي:

قوله تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [البقرة:١٤٣].

قوله تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [الحديد:٩].

وقد سبق الحديث عن وجه هذا الاقتران، وذلك عند كلامنا عن اسم الله تَعَالَى (الرحمن الرحيم).

سر تقديم اسم الله الرؤوف علىٰ اسمه الرحيم:

يقول الألوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقدم علىٰ رحيم؛ لأن الرأفة مبالغة في رحمة خاصة، وهي رفع المكروه وإزالة الضرر، كما يشير إليه قوله تَعَالَى: ﴿وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾ [النور:٢] أي: لا ترأفوا بهما فترفعوا الجلد عنهما، والرحمة أعم منه، ومن الإفضال، ودفع الضرر أهم من جلب النفع، وقول القاضي: لعل تقديم (الرؤوف) - مع أنه أبلغ - محافظة علىٰ الفواصل - ليس بشيء؛ لأن فواصل القرآن لا يلاحظ فيها الحرف الأخير كالسجع - فالمراعاة حاصلة علىٰ كل حال -، ولأن الرحمة حيث وردت في القرآن قدمت ولو في غير الفواصل، كما في قوله تَعَالَى: ﴿رَأۡفَةٗ وَرَحۡمَةٗ وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا﴾ [الحديد:٢٧]

في وسط الآية»(١).

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (الرؤوف):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (الرؤوف) من صفاته سُبْحَانَهُ، وتحقيق التوحيد له:

لقد أثبت الله عَزَّوَجَلَّ صفة الرأفة لنفسه، وقرنها بصفة الرحمة؛ ليؤكد مدلول أحدهما بمدلول الآخر، والرأفة هي: صفة شاملة لاستصلاح العباد والرفق بهم في تربيتهم جملة وتفصيلًا، والنظر لهم بما هم عليه من الضعف والحاجة والمسكنة والفقر(٢).

ومن يتأمل في الكون يرىٰ آثار رحمة الله ورأفته في الكون، **ومن مظاهر تلك الرأفة:**

- من رأفته تَعَالَى: إنزاله الكتاب علىٰ رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ليخرجنا من ظلمات الكفر والشرك إلىٰ نور الحق ودين الإسلام: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[الحديد:٩].

- ومن رأفته تَعَالَى أنه لا يضيع لعباده طاعة أطاعوه بها، فلم يبطل عمل عباده الذين صلوا قبل تحويل القبلة، فقد تساءل الصحابة عن عملهم وعمل إخوانهم الذين ماتوا وهم يصلون إلىٰ بيت المقدس، بعد أن حُولت القبلة إلىٰ الكعبة، فأنزل الله تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[البقرة:١٤٣].

---

(١) روح المعاني (١/ ٦٠٤).

(٢) الأسنىٰ في شرح أسماء الله الحسنىٰ، للقرطبي (١/ ٤٧١).

- ومن رأفته تَعَالَى: توبته علىٰ عباده، وأنه يقبل توبة التائبين، ولا يرد عن بابه العاصين المنيبين مهما كثرت سيئاتهم، وتعاظمت خطيئاتهم ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[التوبة:١١٧][1]، فهو يفتح لهم باب التوبة ما لم تغرغر النفس أو تطلع الشمس من مغربها، فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، تَابَ اللهُ عَلَيْهِ**»[2]، وعن أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ اللهَ** عَزَّ وَجَلَّ **يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا**»[3].

- ومن رأفتهسُبْحَانَهُ: تسخيره المخلوقات لخدمتنا، كالجمال والخيول والبغال والحمير قديمًا، والسيارات والطائرات حديثًا: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[النحل:٧]، ففي الأنعام دفء من الجلود والأصواف والأوبار والأشعار، ومنافع في هذه وفي اللبن واللحم وغير ذلك، وفي حمل الأثقال إلىٰ البلد البعيد الذي لا يبلغونه إلا بشق الأنفس، وفيها كذلك جمال عند الإراحة في المساء وعند السرح في الصباح، والتعقيب بقوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ٧] توجيه إلىٰ ما في خلق الأنعام من نعمة، وما في هذه النعمة من رحمة.

---

(١) للاستزادة: يرجع لأسماء الله (الرحمن الرحيم، اللطيف، الرفيق).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٣٠٧٢).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٩٥٧٢).

- ومن رأفته سُبْحَانَهُ: حفظه لعباده في سمعهم وأبصارهم وحركاتهم وسكناتهم، كما ورد عند البخاري من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال في الحديث القدسي: «**إِنَّ اللهَ قَالَ: مَنْ عَادَىٰ لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ،...**»(١)، وهذا منتهىٰ الرأفة بالصادقين.

- ومن رأفته سُبْحَانَهُ: أنه أخبر عباده بما سيلاقونه في يوم القيامة، حيث تجد كل نفس ما عملت من خير محضرًا، وهذا الإخبار من رأفته؛ حتىٰ يستعد الناس لذلك اليوم: ﴿**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ**﴾ [آل عمران: ٣٠].

وحري بمن عرف اسم الله الرؤوف وآمن به أن يوحده سُبْحَانَهُ بألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، ويستغني به عن خلقه، فيسأله وحده رأفته ورحمته.

الأثر الثاني: محبة الله الرؤوف:

حينما يفكر العبد وينظر في مظاهر رأفة الله عَزَّوَجَلَّ بعباده، والتي لا تعد ولا تحصىٰ؛ فإن هذا يثمر تجريد المحبة لله تَعَالَىٰ والعبودية الصادقة له سُبْحَانَهُ، وتقديم محبته عَزَّوَجَلَّ علىٰ النفس، والأهل، والمال، والناس جميعًا، والمسارعة إلىٰ مرضاته، والدعوة إلىٰ توحيده، والجهاد في سبيله، وفعل كل

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٠٥٦).

ما يحبه ويرضاه.

يقول تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[آل عمران:٣١].

والرؤوف سُبْحَانَهُ متصف بصفات الكمال والجلال، والمنزه عن النقائص والعيوب؛ ومن كان هذا وصفه فإن النفوس مجبولة علىٰ حبه وتعظيمه، وهذه المحبة تورث حلاوة في القلب، ونورًا في الصدر، وهذا هو النعيم الدنيوي الحقيقي الذي يصغر بجانبه كل نعيم.

الأثر الثالث: التخلق بخلق الرأفة:

فقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرؤوف الرحيم شديد الرأفة والرحمة بأمته، فهو أرحم بهم من والديهم، عطوف رفيق، وقد أعطاه اللهتَعَالَىٰ في هذه الآية اسمين من أسمائه، وهو في نهاية الكرامة[1].

قال الله تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[التوبة:١٢٨].

ومعنىٰ ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: يشق عليه الأمر الذي يشق عليكم ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾، فيحب لكم الخير ويسعىٰ جهده في إيصاله إليكم، ويحرص علىٰ هدايتكم إلىٰ الإيمان، ويكره لكم الشر، ويسعىٰ جهده في تنفيركم عنه ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: شديد الرأفة والرحمة بهم، أرحم بهم من والديهم، ولهذا كان حقه مقدمًا علىٰ سائر حقوق الخلق،

---

(١) تفسير السمعاني (٢/ ٢٦٣).

وواجب علىٰ الأمة الإيمان به وتعظيمه وتوقيره وتعزيره[1].

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأقرب الخلق إلىٰ الله تَعَالَىٰ: أعظمهم رأفة ورحمة، كما أن أبعدهم منه: من اتصف بضد صفاته»[2].

وكان مِنْ رأفته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأمته:

- أنه ما خُيِّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه[3].

- وما انتقم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله، فينتقم لله بها[4].

- وكان يدخل في الصلاة، وهو يريد أن يطول فيها فيسمع بكاء الصبي؛ فيتجوز في صلاته كراهية أن يشق علىٰ أمه[5].

- وكان يراعي ما ركبه الله بهم من غرائز، فيمكن أصحابه من أن يقضوا وطرهم المباح؛ فعن مالك بن الحويرث رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أتينا إلىٰ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونحن شببة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين يومًا وليلة، وكان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رحيمًا رفيقًا، فلما ظن أنا قد اشتهينا أهلنا أو قد اشتقنا، سألنا

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٦٥٣).

(٢) الروح (ص: ١٥٢).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣٥٦٠)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٣٢٧).

(٤) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣٥٦٠)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٣٢٧). واللفظ للبخاري.

(٥) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٧٠٧)، ومسلم، رقم الحديث: (٤٧٠).

عمن تركنا بعدنا، فأخبرناه، قال: «**ارْجِعُوا إِلَىٰ أَهْلِيكُمْ، فَأَقِيمُوا فِيهِمْ وَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ**- وذكر أشياء أحفظها أو لا أحفظها- **وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ**»(١).

فمالكٌ ورفقته كانوا في سن الشباب، والشباب مظنة قوة الشهوة، فلما قضوا هذه المدة عنده، أمرهم بالرجوع إلىٰ أهلهم؛ ليقضوا وطرهم المباح.

- ومن مظاهر رحمته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: رحمته بالصغار، فقد كان يقبِّل الصغار، ويداعبهم، بل ويكنيهم، فعن أسامة بن زيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْخُذُنِي فَيُقْعِدُنِي عَلَىٰ فَخِذِهِ وَيُقْعِدُ الْحَسَنَ عَلَىٰ فَخِذِهِ الْأُخْرَىٰ، ثُمَّ يَضُمُّهُمَا، ثُمَّ يَقُولُ: **اللهُمَّ ارْحَمْهُمَا؛ فَإِنِّي أَرْحَمُهُمَا**»(٢).

وروىٰ البخاري- أيضًا- من حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: «إِنْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيُخَالِطُنَا حَتَّىٰ يَقُولَ لِأَخٍ لِي صَغِيرٍ: **يَا أَبَا عُمَيْر، مَا فَعَلَ النُّغَيْر**»(٣)، والنغير: تصغير نغر، وهو طائر يلعب به ذلك الصبي، فمات.

وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ أَبْصَرَ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَبِّلُ الْحَسَنَ، فَقَالَ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ وَاحِدًا مِنْهُمْ! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّهُ مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ**»(٤).

- وامتدت رأفة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالحيوانات، يقول سهل بن الحنظلية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: «مرَّ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِبَعِيرٍ قَدْ لَحِقَ ظَهْرُهُ بِبَطْنِهِ، فقال:

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣٠٠٦).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٩٢١٦).

(٤) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٨١٣٢).

اتَّقُوا اللهَ فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ الْمُعْجَمَةِ، فَارْكَبُوهَا صَالِحَةً، وَكُلُوهَا صَالِحَةً»(١).

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ، فَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ، فَرَأَيْنَا حُمَّرَةً مَعَهَا فَرْخَانِ، فَأَخَذْنَا فَرْخَيْهَا، فَجَاءَتِ الْحُمَّرَةُ فَجَعَلَتْ تَفْرِشُ، فَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: **مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بِوَلَدِهَا؟ رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا**»(٢).

وعن معاوية بن قرة عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، «أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي لَأَذْبَحُ الشَّاةَ وَأَنَا أَرْحَمُهَا، أَوْ قَالَ: إِنِّي أَرْحَمُ الشَّاةَ أَنْ أَذْبَحَهَا. فَقَالَ: **وَالشَّاةُ إِنْ رَحِمْتَهَا رَحِمَكَ اللهُ**»(٣).

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَا مِنْ إِنْسَانٍ قَتَلَ عُصْفُورًا فَمَا فَوْقَهَا بِغَيْرِ حَقِّهَا، إِلَّا سَأَلَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهَا**، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا حَقُّهَا؟ قَالَ: **يَذْبَحُهَا فَيَأْكُلُهَا، وَلَا يَقْطَعُ رَأْسَهَا يَرْمِي بِهَا**»(٤).

فانظر إلىٰ الحبيب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كيف رفقه بالحيوان وشفقته عليه، وكيف أنه يوصي أصحابه وأمته من بعده بأن يتقوا الله فيها، ويرأفوا بحالها!

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٥٢٦٧١)، وأبو داود، رقم الحديث: (٨٤٥٢)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٨٤٥٢).

(٢) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٥٧٦٢)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٧٥٦٢).

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٠٩٦٠٢)، والبخاري في الأدب المفرد (٣٧٣)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٦٢).

(٤) أخرجه النسائي، رقم الحديث: (٠٦٣٤)، والدارمي، رقم الحديث: (١٢٠٢)، حكم الألباني: ضعيف، صحيح وضعيف سنن النسائي، رقم الحديث: (٩٤٣٤). واللفظ للنسائي.

- **أما عن رأفته بغير المسلمين**: فانظر إلىٰ هذا الموقف الذي يتجلىٰ فيه رفق النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالكافرين، وهم يتعرضون له بالأذىٰ، حتىٰ أن النبي وصف هذا اليوم بأشد يوم مر عليه؛ لشدة ما وقع به صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أذىٰ بدني ومعنوي؛ لكنه يرأف بهم ويحلم عليهم، ويرفض أن يرد علىٰ إساءاتهم بأي عنف أو شدة، فعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هل أتىٰ عليك يوم أشد من يوم أحد؟ قال: **لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَىٰ ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَىٰ مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَىٰ وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ، ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**»(١).

- ثم هو صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخشىٰ أن تُقبض نفس علىٰ الكفر؛ فتُخلد في نار جهنم، فيسمع بمرض طفل يهودي، فيسارع بالذهاب إليه ويرأف بحاله؛ طلبًا لنجاته من الهلاك وخوفًا من إلقائه في النار، فعن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: **أَسْلِمْ**. فَنَظَرَ إِلَىٰ أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ: أَطِعْ أَبَا الْقَاسِمِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقُولُ: **الحَمْدُ**

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (١٣٢٣).

لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ»[1][2].

الأثر الرابع: الدعاء باسم الله الرؤوف:

﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلًّا للذين آمنوا، ربنا إنك رؤوف رحيم.



(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٥٣١).

(٢) للاستزادة يرجع إلىٰ اسم الله (الرحمن الرحيم).

السَّلامُ جَلَّجَلَالُهُ



المعنى اللغوي:

❁ **قال الجوهري** رَحِمَهُٱللَّهُ: «السلام: الاسم من التسليم، والسلام: اسم من أسماء الله تَعَالَى... والسلام: البراءة من العيوب... »(١).

❁ **قال ابن فارس** رَحِمَهُٱللَّهُ: «(سلم) السين واللام والميم معظم بابه من الصحة والعافية، فالسلامة: أن يسلم الإنسان من العاهة والأذىٰ... والسلام: المسالمة»(٢).

ورود اسم الله (السلام) في القرآن الكريم:

ورد اسم الله السلام مرة واحدة في كتاب الله، وهي:

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾[الحشر:٢٣].

ورود اسم الله (السلام) في السنة النبوية:

ورد اسم الله (السلام) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

١- عن ثوبان رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: «كان رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إذا انصرف

---

(١) الصحاح (٥/ ١٥٩١).

(٢) مقاييس اللغة (٣/ ٩٠).

من صلاته استغفر ثلاثًا، وقال: **اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ ذَا الجَلَالِ والإِكْرَامِ**»[1].

٢- عن شقيق بن سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال عبدالله: «كُنَّا إِذَا صَلَّيْنَا خَلْفَ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْنَا: السَّلَامُ عَلَىٰ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ، السَّلَامُ عَلَىٰ فُلَانٍ وَفُلَانٍ، فَالْتَفَتَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: **إِنَّ اللهَ هُوَ السَّلامُ، فَإِذَا صَلَّىٰ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: التَّحِيَّاتُ لله وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ، السَّلامُ عَلَيْنَا، وَعَلَىٰ عِبَادِ الله الصَّالِحِينَ-؛ فَإِنَّكُمْ إِذَا قُلْتُمُوهَا أَصَابَتْ كُلَّ عَبْدٍ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ- أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ**»[2].

٣- عن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: «إن السلام اسم من أسماء الله، وضعه الله في الأرض، فأفشوه بينكم، إن الرجل إذا سلم علىٰ القوم فردوا عليه كانت له عليهم فضل درجة؛ لأنه ذكرهم السلام، وإن لم يرد عليه رد عليه من هو خير منه وأطيب»[3].

معنى اسم الله (السلام) في حقه تعالى:

يدور معنىٰ اسم الله (السلام) في حق الله علىٰ معنين:

١- السلامة والبراءة من كل عيب ونقص في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله سُبْحَانَهُ.

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٩٥).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (١٣٨)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٠٤).

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، رقم الحديث: (٩٣٠١)، والطبراني في الكبير، رقم الحديث: (١٩٣٠١)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٨٣٦١).

٢- أنه سُبْحَانَهُ منه السلام للخلق عامة، والأمن لعباده المؤمنين خاصة.

وحول هذين المعنيين تدور أقوال العلماء:

من الأقوال في المعنىٰ الأول:

❊ قال الزجاجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ذو سلامة مما يلحق المخلوقين من الفناء والموت والنقص والعيب»[١].

❊ قال الحليمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومنها السلام: لأن معناه السالم من المصائب...»[٢].

❊ قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «السلام؛ أي: من جميع العيوب والنقائص؛ لكماله في ذاته وصفاته وأفعاله»[٣].

❊ قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن أسمائه: القدوس، السلام، أي: المعظم المنزه عن صفات النقص كلها وأن يماثله أحد من الخلق، فهو المتنزه عن جميع العيوب، والمتنزه عن أن يقاربه أو يماثله أحد في شيء من الكمال»[٤].

من الأقوال في المعنىٰ الثاني:

❊ قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «السلام الذي يسلم خلقه من ظلمه، وهو اسم من أسمائه»[٥].

---

(١) اشتقاق أسماء الله (ص: ٥١٢).

(٢) المنهاج في شعب الإيمان (١/ ٦٩١).

(٣) تفسير ابن كثير (٨/ ٠٨).

(٤) القول الحق المبين، للسعدي (ص١٨).

(٥) تفسير الطبري (٣٢/ ٢٠٣).

❁ قال الزجاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويقال السلام: هو الذي سلم من عذابه من لا يستحقه»[1].

من الأقوال التي تجمع بين المعنىٰ الأول والثاني:

❁ قال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو الذي سلم من كل عيب، وبرئ من كل آفة ونقص يلحق المخلوقين، وقيل: هو الذي سلم الخلق من ظلمه»[2].

❁ قال البيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو الذي سلم من كل عيب، وبرئ من كل آفة، وهذه صفة يستحقها بذاته، وقيل: هو الذي سلم المؤمنون من عقوبته»[3].

❁ قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما السلام الذي هو اسم من أسماء الله ففيه قولان: أحدهما: أنه كذلك اسم مصدر، وإطلاقه عليه كإطلاق العدل عليه، والمعنىٰ: أنه ذو السلام، وذو العدل علىٰ حذف المضاف، والثاني: أن المصدر بمعنىٰ الفاعل هنا، أي: السالم؛ كما سميت ليلة القدر سلامًا، أي: سالمة من كل شر، بل هي خير لا شر فيها»[4].

❁ وقال في نونيته:

وَهْوَ السَّلَامُ عَلَىٰ الحَقِيقَةِ سَالِمٌ
مِنْ كُلِّ تَمْثِيلٍ وَمِنْ نُقْصَانِ[5]

---

(١) تفسير أسماء الله الحسنىٰ (ص: ١٣).

(٢) شأن الدعاء (١/ ١٤).

(٣) الاعتقاد (ص: ٩٥).

(٤) بدائع الفوائد (٢/ ٦٦٣).

(٥) النونية (ص:٢١٠).

اقتران اسم الله (السلام) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ فِي القرآن الكريم:

اقترن اسم الله السلام باسمه القدوس:

وذلك في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[الحشر:٢٣].

وجه الاقتران:

اقترن اسم الله (السلام) بـ(القدوس)، وفي اقترانهما دلالة علىٰ براءة الله عَزَّوَجَلَّ من جميع العيوب والنقائص في كل الأوقات؛ إذ القدوس يشير إلىٰ البراءة من جميع العيوب في الماضي والحاضر، والسلام يشير إلىٰ البراءة من أن يطرأ عليه شيء من العيوب في المستقبل(١).

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (السلام):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (السلام) من الصفات:

لما كان لله عَزَّوَجَلَّ الكمال من كل وجه سلم من كل عيب ونقص؛ فهو سُبْحَانَهُ السلام الحق بكل اعتبار، يقول تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ﴾[الحشر:٢٣]، ويقول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ هُوَ السَّلَامُ**»(٢)، فهو سلام في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله.

---

(١) ينظر: تفسير الرازي (٩٢/ ٣١٥).

(٢) سبق تخريجه .

فأما سلامة ذاته: فذاته العلية سالمة من كل عيب ونقص يمكن أن تتخيله الأوهام وتمليه الخواطر والأفكار، فهو بذاته نور سُبْحَانَهُ، يقول تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥]، وحجابه- الذي لولا لطفه، لأحرقت سبحات وجهه ما انتهىٰ إليه بصره من خلقه- نور، وبه استنار العرش، والكرسي، والشمس، والقمر، والسماء والأرض، بل وبه استنارت الجنة[١].

ومن كمال هذه الذات وجلالها: أن أهل الجنة مع عظم ما هم فيه من النعيم الذي لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر، إذا راوا ذاته الجليلة نسوا كل نعيم نظروا إليه؛ إذ هو الجميل الذي سلم من كل عيب ونقص.

وأما سلامة أسمائه: فأسمائه التي لا تحصىٰ عدًّا جميعها سلام من العيب والنقص، وسلام من الدلالة علىٰ ما فيه ذم وقدح، بل كلها حسنىٰ بلغت من الحسن أجمعه، قال تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠]؛ فكلها أسماء مدح وحمد وثناء وتمجيد وسلام.

وأما سلامة صفاته وأفعاله: فكل صفة من صفاته، وكل فعل من أفعاله سلام من كل عيب ونقص وخلل.

وفي تفصيل هذا وتقريره يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولذلك إذا نظرت إلىٰ أفراد صفات كماله وجدت كل صفة سلامًا مما يضاد كمالها: فحياته سلام من الموت ومن السِّنة والنوم، وكذلك قيوميته وقدرته سلام من التعب واللغوب، وعلمه سلام من عزوب شيء عنه، أو عروض نسيان أو حاجة إلىٰ تذكر

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٨٦٥).

وتفكر، وإرادته سلام من خروجها عن الحكمة والمصلحة، وكلماته سلام من الكذب والظلم، بل تمت كلماته صدقًا وعدلًا، وغناه سلام من الحاجة إلىٰ غيره بوجه ما، بل كل ما سواه محتاج إليه، وهو غني عن كل ما سواه، وملكه سلام من منازع فيه، أو مشارك، أو معاون مظاهر، أو شافع عنده بدون إذنه، وإلاهيته سلام من مشارك له فيها، بل هو الله الذي لا إله إلا هو.

وحلمه وعفوه وصفحه ومغفرته وتجاوزه سلام من أن تكون عن حاجة منه، أو ذل، أو مصانعة، كما يكون من غيره، بل هو محض جوده وإحسانه وكرمه، وكذلك عذابه وانتقامه وشدة بطشه وسرعة عقابه سلام من أن يكون ظلمًا، أو تشفيًا، أو غلظة، أو قسوة، بل هو محض حكمته وعدله ووضعه الأشياء مواضعها، وهو مما يستحق عليه الحمد والثناء كما يستحقه علىٰ إحسانه، وثوابه، ونعمه، بل لو وضع الثواب موضع العقوبة لكان مناقضًا لحكمته ولعزته، فوضعه العقوبة موضعها هو من عدله، وحكمته، وعزته، فهو سلام مما يتوهم أعداؤه الجاهلون به من خلاف حكمته.

وقضاؤه وقدره سلام من العبث والجور والظلم، ومن توهم وقوعه علىٰ خلاف الحكمة البالغة، وشرعه ودينه سلام من التناقض والاختلاف والاضطراب وخلاف مصلحة العباد ورحمتهم والإحسان إليهم وخلاف حكمته، بل شرعه كله حكمة، ورحمة، ومصلحة، وعدل، وكذلك عطاؤه سلام من كونه معاوضة أو لحاجة إلىٰ المعطىٰ، ومنعه سلام من البخل وخوف الإملاق، بل عطاؤه إحسان محض لا لمعاوضة ولا لحاجة، ومنعه عدل محض وحكمة لا يشوبه بخل ولا عجز.

واستواؤه وعلوه علىٰ عرشه سلام من أن يكون محتاجًا إلىٰ ما يحمله أو يستوي عليه، بل العرش محتاج إليه، وحملته محتاجون إليه، فهو الغني عن العرش، وعن حملته، وعن كل ما سواه، فهو استواء وعلو لا يشوبه حصر، ولا حاجة إلىٰ عرش ولا غيره، ولا إحاطة شيء به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، بل كان سُبْحَانَهُ ولا عرش، ولم يكن به حاجة إليه، وهو الغني الحميد، بل استواؤه علىٰ عرشه واستيلاؤه علىٰ خلقه من موجبات ملكه وقهره من غير حاجة إلىٰ عرش ولا غيره بوجه ما. ونزوله كل ليلة إلىٰ سماء الدنيا سلام مما يضاد علوه، وسلام مما يضاد غناه وكماله. وسلام من كل ما يتوهم معطل أو مشبه، وسلام من أن يصير تحت شيء أو محصورا في شيء، تَعَالَىٰ الله ربنا عن كل ما يضاد كماله وغناه.

وسمعه وبصره سلام من كل ما يتخيله مشبه أو يتقوله معطل، وموالاته لأوليائه سلام من أن تكون عن ذل كما يوالي المخلوق المخلوق، بل هي موالاة رحمة، وخير، وإحسان، وبر، كما قال الله تَعَالَىٰ: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ﴾[الإسراء:١١١]، فلم ينف أن يكون له ولي مطلقًا، بل نفىٰ أن يكون له ولي من الذل.

وكذلك محبته لمحبيه وأوليائه سلام من عوارض محبة المخلوق للمخلوق من كونها محبة حاجة إليه، أو تملق له، أو انتفاع بقربه، وسلام مما يتقوله المعطلون فيها،وكذلك ما أضافه إلىٰ نفسه من اليد والوجه؛ فإنه سلام عما يتخيله مشبه أو يتقوله معطل»[١].

(١) بدائع الفوائد، لابن القيم (٢/ ٥٣١-٧٣١).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضًا: «ومن بعض تفاصيل ذلك: أنه الحي الذي سلمت حياته من الموت والسنة والنوم والتغير، القادر الذي سلمت قدرته من اللغوب والتعب والإعياء والعجز عما يريد، العليم الذي سلم علمه أن يعزب عنه مثقال ذرة أو يغيب عنه معلوم من المعلومات، وكذلك سائر صفاته علىٰ هذا، فرضاه سُبْحَانَهُ سلام أن ينازعه الغضب، وحلمه سلام أن ينازعه الانتقام، وإرادته سلام أن ينازعها الإكراه، وقدرته سلام أن ينازعها العجز، ومشيئته سلام أن ينازعها خلاف مقتضاها، وكلامه سلام أن يعرض له كذب أو ظلم، بل تمت كلماته صدقًا وعدلًا، ووعده سلام أن يلحقه خلف، وهو سلام أن يكون قبله شيء، أو بعده شيء، أو فوقه شيء، أو دونه شيء، بل هو العالي علىٰ كل شيء، وفوق كل شيء، وقبل كل شيء، وبعد كل شيء، والمحيط بكل شيء، وعطاؤه ومنعه سلام أن يقع في غير موقعه، ومغفرته سلام أن يبالي بها أو يضيق بذنوب عباده أو تصدر عن عجز عن أخذ حقه كما تكون مغفرة الناس ورحمته، وإحسانه، ورأفته، وبره، وجوده، وموالاته لأوليائه، وتحببه إليهم، وحنانه عليهم، وذكره لهم، وصلاته عليهم- سلام أن يكون لحاجة منه إليهم أو تعزز بهم أو تكثر بهم.

وبالجملة، فهو السلام من كل ما ينافي كلامه المقدس بوجه من الوجوه»[1].

ومن سلامة أفعاله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: أنه يسلم عباده بإعطائهم الأمن والسلام كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ**».

فمنه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كل سلام يحصل للخلق صغر أو كبر، قل أو كثر، دنيوي أو ديني أو أخروي.

---

(١) أحكام أهل الذمة (١/ ٤١٤- ٥١٤).

ثم إذا ثبت ما سبق لربنا السلام؛ علم أنه سُبْحَانَهُ سلم بذلك من أن يكون له شبيه أو مثيل، أو كفو أو سمي، لا في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله(١)، وأنى ذلك ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١](٢)، وسلم بهذا من الصاحبة، والولد، والشريك، والند تَعَالَى عن ذلك علوًّا كبيرًا، قال تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر:٢٣].

ويمكن تقسيم مظاهر تسليم السلام لخلقه إلى قسمين، وهما:

١) **التسليم العام:** وهو الذي يعم المسلم والكافر، والبر والفاجر، ومنه:

تسليم الأجنة من السقوط، وتسليم الأبدان من العلل والأمراض، وتسليم الأعضاء من العاهات والتشوهات، وتسليم الأجساد من الحرق والغرق والهدم والحوادث ونحو ذلك، وتسليمها من الجوع والعطش، وتسليم النفوس من السحر والحسد والعين، وتسليمها من كل شر مخلوق فيه شر من شياطين الإنس والجن، وشر السباع والهوام، ونحوهم(٣).

وتسليم البلدان من الحروب والنكبات والزلازل والبراكين ونحو ذلك، وتسليم قلوب أهلها من الخوف والفزع، وتسليم اقتصادها وأموال أهلها من الخسارات والفاقات، وتسليم حياتها الاجتماعية من الظلم والتعدي، وتسليم نفوس أهلها وأموالهم بما شرع لهم من الأحكام والحدود.

---

(١) ينظر: بدائع الفوائد (٢/ ٧٣١).

(٢) ينظر: الحق الواضح المبين (ص: ١٨).

(٣) ينظر: التفسير القيم، لابن القيم (ص: ٥٢٦).

وتسليم الفطر من الشرك بما أرسل من الرسل، وأنزل من الكتب داعين للإسلام، الذي هو الاستسلام والانقياد لله والتخلص الشرك وشوائبه، إلا أنه سعد مَن سعد بالإيمان، وشقي مَن شقي بالتكذيب والكفران، وتسليم الآخرة من الظلم ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٩].

٢) التسليم الخاص: وهو التسليم الذي خص الله به أوليائه وأهل طاعته؛ إذ سلموا اعتقادهم من الباطل، وسلموا جوارحهم من الذنوب والمعاصي، فكان جزاؤهم من جنس عملهم[١]، قال تَعَالَى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل:٥٩]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [طه:٤٧]، أي: سلامة لهم في دنياهم، وسلامة لهم في دينهم، وسلامة لهم في آخرتهم[٢]، كما حصل ليحيىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إذ سلمه الله بقوله تَعَالَى: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم:١٥].

قال سفيان بن عيينة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أوحش ما يكون الخلق في ثلاثة مواطن: يوم يولد، فيرىٰ نفسه خارجًا مما كان فيه، ويوم يموت فيرىٰ قومًا لم يكن عاينهم، ويوم يبعث، فيرىٰ نفسه في محشر عظيم، قال: فأكرم الله فيها يحيىٰ بن زكريا فخصه بالسلام عليه، قال تَعَالَى: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم:١٥]»[٣]، وكذا عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إذ قال: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم:٣٣]»[٤].

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٩٠٧).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٦٠٥).

(٣) تفسير ابن كثير (٥/ ٢١٢).

(٤) وفي الأثر الثالث بسط لمظاهر هذا التسليم.

الأثر الثاني: دلالة اسم الله (السلام) علىٰ التوحيد:

اسم الله السلام دال علىٰ سلامته جَلَّجَلَالُهُ من الشريك والند في الربوبية والألوهية؛ إذ كل من دونه أيًّا كان فيه ما فيه من النقائص والعيوب التي تمنع كونه ربًّا أو إلهًا يعبد، وبالمقابل هو سُبْحَانَهُ سلام سلم من كل نقص وعيب؛ فاستحق بذلك أن يفرد بالربوبية والألوهية، قال تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[الحشر:٢٣].

ثم إن اسم الله (السلام) دال علىٰ ثبوت صفات الكمال له بطريق اللزوم، فانتفاء العيب والنقص يلزم منه ثبوت الكمال كله؛ إذ انتفاء العيب والنقص ليس فيه مدح ولا كمال إلا إذا تضمن إثباتًا، فهو عدم محض، والعدم المحض ليس بشيء فضلًا عن أن يكون مدحًا أو كمالًا[1].

وإذا ثبتت صفات الكمال وسلم فيها سُبْحَانَهُ من كل نقص وعيب؛ كان بهذا واحدًا فيها لا مماثل له ولا مناظر، قال تَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورىٰ:١١]، وبهذا كان اسم ربنا (السلام) دالًّا علىٰ أنواع التوحيد الثلاثة: الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات.

الأثر الثالث: تسليم السلام لعباده المؤمنين في أمور دنياهم وأخراهم:

فمن مظاهر تسليم الله لعباده المؤمنين في أمور دنياهم ما يلي:

- تسليمهم من شر أعدائهم وبطشهم، كما سلم سُبْحَانَهُ إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من كيد قومه؛ إذ جمعوا الحطب الكثير، وأضرموا النيران فيها، ثم ألقوه فيها، فسلمه الله من

---

(١) ينظر: التدمرية، تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع، لابن تيمية (ص: ٧٥).

شرهم وشر النار، فقال تعالى: ﴿قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾[الأنبياء:٦٩].

ويسلمهم من العذاب الذي ينزله بأقوامهم بإنجائهم، كما أنجىٰ الله نوح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ومن معه من المؤمنين من الغرق، قال تعالى: ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾[هود:٤٨].

- تسليمهم من الكفر والشرك والضلال، ومن شياطين الجن والإنس ووساوسهم، ويسلمهم من الضلال وطرق الغواية بالهداية إلىٰ الطريق المستقيم، قال تعالى: ﴿يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[المائدة:١٦][١].

- تسليمهم من الفتنة؛ فتنة الشبهات والشهوات، كما سلم يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ من الوقوع بامرأة العزيز مع قوة الداعي، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾[يوسف:٢٤].

- تسليمهم من الفتنة الكبرىٰ، فتنة المسيح الدجال، كما في تسليمه سُبۡحَانَهُ للرجل الذي أخبر عنه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ بقوله: «**يَأْتِي الدَّجَّالُ، وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِ أَنْ يَدْخُلَ نِقَابَ المَدِينَةِ**[٢]**، فَيَنْزِلُ بَعْضَ السِّبَاخِ**[٣] **الَّتِي تَلِي**

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٨٦).

(٢) النقاب: أي: طرقها وفجاجها، وهو جمع نقب وهو الطريق بين جبلين. شرح النووي علىٰ مسلم (١٨/ ٧١).

(٣) السباخ: جمع سبخة، وهي الأرض التي تعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٣٣٣).

المَدِينَةَ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ يَوْمَئِذٍ رَجُلٌ، وَهُوَ خَيْرُ النَّاسِ - أَوْ مِنْ خِيَارِ النَّاسِ - فَيَقُولُ أَشْهَدُ أَنَّكَ الدَّجَّالُ الَّذِي حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثَهُ، فَيَقُولُ الدَّجَّالُ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ قَتَلْتُ هَذَا، ثُمَّ أَحْيَيْتُهُ، هَلْ تَشُكُّونَ فِي الأَمْرِ؟ فَيَقُولُونَ: لاَ، فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يُحْيِيهِ، فَيَقُولُ: وَاللهِ مَا كُنْتُ فِيكَ أَشَدَّ بَصِيرَةً مِنِّي اليَوْمَ، فَيُرِيدُ الدَّجَّالُ أَنْ يَقْتُلَهُ فَلاَ يُسَلَّطُ عَلَيْهِ»[1].

ومن مظاهر تسليم الله لعباده المؤمنين في أمور أخراهم ما يلي:

- تسليمهم من كل شقاء وعذاب، فيسلمهم عند قبض أرواحهم من الخوف مما هو قادم أمامهم، ويسلمهم من الحزن علىٰ ما خلفوه ورائهم، قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[النحل:٣٢].

- تسليمهم من شدة الموقف وهوله، ويسلمهم من مناقشة الحساب التي قال عنها صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ عُذِّبَ»[2]، ويسلمهم من الصراط وظلمته بما يعطيهم من النور وسرعة السير، ثم يسلمهم السلام الأعظم بالنجاة من النار، فلا يسمعون حسيسها، وهم عنها مبعدون.

- تسليمهم بإدخالهم جنة السلام: ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[الأنعام:١٢٧]، وتتلقاهم الملائكة بالسلام ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾[الرعد:٢٣، ٢٤]، ويسلم بعضهم علىٰ بعض ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[يونس:١٠].

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٨٣٩٢).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٣٥٦).

والأعظم من ذلك كله: سلامه عليهم بنفسه سُبْحَانَهُ، قال تَعَالَىٰ: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٤]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨].

«وإذا سلَّم عليهم الرب الرحيم، حصلت لهم السلامة التامة من جميع الوجوه، وحصلت لهم التحية، التي لا تحية أعلىٰ منها، ولا نعيم مثلها، فما ظنك بتحية ملك الملوك، الرب العظيم، الرؤوف الرحيم، لأهل دار كرامته، الذي أحل عليهم رضوانه، فلا يسخط عليهم أبدًا، فلولا أن الله تَعَالَىٰ قدر أن لا يموتوا، أو تزول قلوبهم عن أماكنها من الفرح والبهجة والسرور، لحصل ذلك»[1].

الأثر الرابع: محبة الله السلام:

إذا تعرَّف العبد علىٰ اسم الله السلام وجد فيه معنيين، كل واحد منهما كفيل بأن يملأ القلب حبًّا لله عَزَّوَجَلَّ، وهما:

الأول: ما فيه من الكمال والجلال والسلامة من كل عيب ونقص؛ وقد جبلت النفوس علىٰ محبة من له الكمال.

الثاني: إحسانه إلىٰ العبد بالتسليم من الشرور والمخاوف؛ وقد جبلت النفوس -أيضًا- علىٰ محبة من أحسن إليها.

فإذا تأمل العبد هذا ولاحظ آثاره؛ قاده ذلك إلىٰ محبة الله عَزَّوَجَلَّ التي تورث القلب حلاوة الإيمان، ويحصل بها النعيم الدنيوي الحقيقي الذي يصغر بجانبه كل نعيم.

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٨٩٦).

الأثر الخامس: التأدب مع الله السلام في الألفاظ:

فالله سُبْحَانَهُ السلام ومنه السلام سُبْحَانَهُ، وقد جاء النهي عن قول العبد: السلام علىٰ الله؛ فعن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: «كنا نصلي خلف النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فنقول: السلام علىٰ الله، فقال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **إِنَّ اللهَ هُوَ السَّلامُ، فَإِذَا صَلَّىٰ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: التَّحِيَّاتُ لله وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ، السَّلامُ عَلَيْنَا، وَعَلَىٰ عِبَادِ الله الصَّالِحِينَ-؛ فَإِنَّكُمْ إِذَا قُلْتُمُوهَا أَصَابَتْ كُلَّ عَبْدٍ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ- أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ**»[(١)].

قال الشيخ عبدالرحمن بن قاسم- صاحب حاشية كتاب التوحيد-: «لما كان حقيقة لفظ (السلام) السلامة والبراءة والخلاص والنجاة من الشرور والعيوب، فإذا قال المسلم: السلام عليكم، فهو دعاء للمسلم عليه، وطلب له أن يسلم من الشر كله، ومرجع السلامة إلىٰ حظ العبد مما يطلبه من السلامة من الآفات والمهالك، والله هو المطلوب منه، لا المطلوب له، وهو المدعو لا المدعو له، وهو الغني له ما في السماوات وما في الأرض، وهو السالم من كل تمثيل ونقص، وكل سلامة ورحمة له ومنه، وهو مالكها ومعطيها؛ استحال أن يسلم عليه سُبْحَانَهُ، بل هو المسلِّم علىٰ عباده، فهو السلام ومنه السلام، لا إله غيره، ولا رب سواه»[(٢)].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) حاشية كتاب التوحيد (ص: ١٤٣).

الأثر السادس: من أراد الأمن والطمأنينة التزم بشرع الله:

إن يقين العبد بأن الله مصدر الأمن والسلام يبعث في قلبه الشعور بالسلامة والطمأنينة وزوال الخوف والوحشة والقلق والهم والغم، ويدعوه للتعلق به سُبْحَانَهُ؛ إذ كل ما يصيبه أو يخشىٰ أن يصيبه قادر سُبْحَانَهُ علىٰ تأمينه وتسليمه منه ووقايته من شره، ألا أنه لا بد أن يعلم أن من أراد الأمن والسلام في الدنيا سواء في نفسه أو بيته أو مجتمعه، وأرادها في الأخرة كذلك، فإنه لن يجدها إلا في الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ والأنس به، والالتزام بأحكامه وشريعته؛ إذ كلها أمن وسلام علىٰ الفرد والأسرة والمجتمع، وكلما كان العبد وكذا البيت والمجتمع أكثر التزامًا بشريعة الله عَزَّوَجَلَّ كان أكثر تحصيلًا للسلام في الدارين، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢]، وعن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْه الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ**»[1].

والعكس بالعكس، قال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ﴾ [طه:١٢٤]، وقال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في تمام الحديث السابق: «**وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ**»[2].

---

(١) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٥٦٤٢)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٧٠٣)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٥٦٤٢).

(٢) سبق تخريجه.

الأثر السابع: إفشاء السلام:

الله عَزَّوَجَلَّ السلام، وشرع لعباده ما ينشر السلام والأمن بينهم، ويحقق المودة والمحبة، ألا وإن ذلك هو السلام تحية أهل الإسلام، قال تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾[النور:٢٧]، وقال سُبۡحَانَهُ: ﴿فَإِذَا دَخَلۡتُم بُيُوتٗا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ تَحِيَّةٗ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةٗ طَيِّبَةٗۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾[النور:٦١]، أي: «فليسلم بعضكم علىٰ بعض، لأن المسلمين كأنهم شخص واحد، من توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم»[(١)].

وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**لَا تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّىٰ تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ**»[(٢)]، وعن عبدالله بن سلام رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: «أول ما قدم رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ المدينة انجفل الناس إليه، فكنت فيمن جاءه، فلما تأملت وجهه واستثبته علمت أن وجهه ليس بوجه كذاب، قال: وكان أول ما سمعت من كلامه أن قال: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ والنَّاسُ نِيَامٌ؛ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلَامٍ**»[(٣)].

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٥٧٥).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٤٥).

(٣) أخرجه والترمذي، رقم الحديث: (٥٨٤٢)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٤٣٣١)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، رقم الحديث: (٤٣٣١).

والمراد بتحية السلام، قول: السلام عليكم، وهي علىٰ مراتب ثلاثة:

١-أدناها، قول: السلام عليكم.

٢-وأوسطها، قول: السلام عليكم ورحمة الله.

٣-وأعلاها، قول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كما دل علىٰ هذا حديث عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ . فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثُمَّ جَلَسَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **عَشْرٌ** ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ . فَرَدَّ عَلَيْهِ فَجَلَسَ، فَقَالَ: **عِشْرُونَ** ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ . فَرَدَّ عَلَيْهِ فَجَلَسَ، فَقَالَ: **ثَلَاثُونَ**»[١] .

وفي معناها قولان[٢]:

١-أن السلام يراد به السلامة، فعلىٰ هذا يكون المعنىٰ: الإعلام بالسلامة من ناحيته، وتأمينه من شره وغائلته، كأنه يقول له: أنا سلم لك غير حرب، وولي غير عدو، فلا تحذر ولا تخف.

٢- أن السلام في التحية يراد به: اسم الله السلام، فعلىٰ هذا يكون المعنىٰ: الله يحفظك ويرعاك، والله تَعَالَى يعيذك، والله تَعَالَى يمنعك ويحميك، ففيه دعاء له بالسلامة من الشرور والآفات.

ثم إن السلام لم يقيد بشيء مخصوص، فيقال: السلام عليك من كذا،

---

(١) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٥٩١٥)، والترمذي، رقم الحديث: (٩٨٦٢)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٥٩١٥).

(٢) ينظر: شأن الدعاء (١/ ١٤)، شرح النووي علىٰ مسلم (٤/ ٧١١).

ولم تتصل به تاء التحديد التي تدل علىٰ الخصلة الواحدة فلم يقل: (السلامة عليكم)، إيذانًا بالسلامة المطلقة وعمومها لكل شر، بل شمولها لحصول الخير أيضًا؛ إذ فوات الخير يمنع السلامة المطلقة، فإن العبد إذا فاته الخير قد يحصل له الهلاك والعطب، أو النقص والضعف(١).

وجاء مع السلام حرف (علىٰ)، وكأن الذي يسلم علىٰ أخيه المسلم يلقي عليه هذا اللفظ إيذانًا باشتمال معناه، كاشتمال ملابسه عليه، فالسلامة تحيط به، كما يحيط به ثوبه.

وأضيف للسلام الرحمة والبركة؛ وذلك لأن الإنسان لا سبيل له إلىٰ انتفاعه بالحياة إلا بثلاثة أشياء(٢):

أ-سلامته من الشر، وقد تضمنها (السلام عليكم).

ب-حصول الخير له، وقد تضمنه (ورحمة الله).

ج-دوام الخير وثباته، وقد تضمنه (وبركاته).

وبهذه المعاني الجليلة كان السلام أولىٰ من جميع تحيات الأمم، وفيما يلي جملة من الفضائل والخصائص التي تدل علىٰ تميز هذه التحية عن سائر التحيات الأخرىٰ، ومن ذلك:

١- أن السلام تحية ربانية، طيبة مباركة؛ فالله عَزَّوَجَلَّ تولىٰ تشريعه بنفسه ورضيه تحية لخير الأمم أمة محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، بخلاف غيره من التحيات التي ترجع للأعراف والثقافات، ويدل علىٰ هذا قوله تَعَالَىٰ: ﴿فَإِذَا دَخَلۡتُم بُيُوتٗا

---

(١) ينظر: أحكام أهل الذمة (١/ ٤٢٠).

(٢) ينظر: بدائع الفوائد (٢/ ٨٧١).

﴿فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[النور:٦١]، وجاء في الحديث عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خَلَقَ اللهُ** عَزَّ وَجَلَّ **آدَمَ عَلَىٰ صُورَتِهِ، طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، فَلَمَّا خَلَقَهُ قَالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَىٰ أُولَئِكَ النَّفَرِ، وَهُمْ نَفَرٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ جُلُوسٌ، فَاسْتَمِعْ مَا يُجِيبُونَكَ، فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ، قَالَ: فَذَهَبَ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ، قَالَ فَزَادُوهُ: وَرَحْمَةُ اللهِ، قَالَ: فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَىٰ صُورَةِ آدَمَ وَطُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، فَلَمْ يَزَلِ الْخَلْقُ يَنْقُصُ بَعْدَهُ حَتَّىٰ الْآنَ**»[١].

٢- أن السلام تحيةٌ صاحبها أولىٰ الناس بالله عَزَّ وَجَلَّ؛ فعن أبي أمامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ أَوْلَىٰ النَّاسِ باللهِ: مَنْ بَدَأَهُمْ بِالسَّلَامِ**»[٢].

٣- أن تحية السلام من خير الإسلام؛ فقد سئل صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟! قال: «**تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَىٰ مَنْ عَرَفْتَ، وَعَلَىٰ مَنْ لَمْ تَعْرِفْ**»[٣].

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفيه بذل السلام لمن عرفت ولمن لم تعرف، وإخلاص العمل فيه لله تَعَالَى لا مصانعة ولا ملقًا، وفيه مع ذلك: استعمال خلق التواضع وإفشاء شعار هذه الأمة»[٤].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٢٣٣)، أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٤٨٢) واللفظ له.

(٢) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٧٩١٥)، والبيهقي في شعب الإيمان، رقم الحديث: (٨٠٤٨)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي دواد، رقم الحديث: (٧٩١٥).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٣٢٦)، ومسلم، رقم الحديث: (٩٣).

(٤) شرح النووي علىٰ مسلم (٢/ ١١).

٤- أن السلام تحية تؤدي إلىٰ الجنة؛ فعن عن عبدالله بن سلام، قال: كان أول ما سمعت من كلامه صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قوله: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلامٍ**»(١)(٢).

٥- أن السلام تحية اختارها الله لأهل الجنة، ولا يختار لهم إلا الطيب الكامل، فيحيىٰ بعضهم بعضًا بها، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡۖ تَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ [إبراهيم:٢٣]، ويحيهم الملائكة بها، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر:٧٣]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد:٢٣]، بل ويحيهم الرب عَزَّوَجَلَّ بها، قال سُبْحَانَهُ: ﴿تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞۚ وَأَعَدَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَرِيمٗا﴾ [الأحزاب:٤٤].

٦- أن السلام تحية تنشر الألفة والمحبة في المجتمعات؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّىٰ تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ**»(٣).

وبهذا يعرف فضل هذه التحية وكمالها علىٰ سائر تحيات الأمم؛ مما يدعو المسلم لتمسك بها علىٰ وجه الاعتزاز، وإشاعتها بين المسلمين.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) ينظر: النهج الأسمىٰ (١/ ٩١١).

(٣) سبق تخريجه.

الأثر الثامن: اتصاف العبد بالسلام:

الله عَزَّوَجَلَّ السلام، ويحب من عباده أن يكون لهم نصيب من اسمه السلام، وذلك: بسلامة النفس، وبسلامة الخلق من شره وأذاه.

فأما سلامة النفس:

فبسلامتها من الذنوب والعيوب والنقائص، قال تَعَالَىٰ: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾[الشمس:٩]، أي: طهرها وسلمها من الذنوب، ونقاها من العيوب[1].

فيسلم جوارحه من مواقعة الحرام، ويسلم قلبه من أمراض الشبهات والشهوات، وأدران الحقد والغل والحسد، فيقدم علىٰ ربه عَزَّوَجَلَّ بقلب سليم يحصل معه فوزه ونجاته، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾[الشعراء:٨٧ - ٨٩].

والقلوب ثلاثة: قلب سليم، وقلب مريض، وقلب ميت.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والقلب السليم هو الذي سلم من الشرك، والغل، والحقد، والحسد، والشح، والكبر، وحب الدنيا والرياسة؛ فسلم من كل آفة تبعده من الله، وسلم من كل شبهة تعارض خبره، ومن كل شهوة تعارض أمره، وسلم من كل إرادة تزاحم مراده، وسلم من كل قاطع يقطع عن الله؛ فهذا القلب السليم في جنة معجلة في الدنيا، وفي جنة في البرزخ، وفي الجنة يوم المعاد.

ولا تتم له سلامته مطلقًا حتىٰ يسلم من خمسة أشياء: من شرك يناقض التوحيد، وبدعة تخالف السنة، وشهوة تخالف الأمر، وغفلة تناقض الذكر،

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٦٢٩).

وهوىٰ يناقض التجريد والإخلاص[1]»[2].

وقد جاء في فضل القلب السليم نصوص عدة، منها:

١- أن القلب السليم سبب للنجاة يوم القيامة من العذاب، قال تعَالَىٰ: ﴿وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ ٨٧ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾ [الشعراء:٨٧ - ٨٩].

٢- أن الله عَزَّوَجَلَّ أثنىٰ علىٰ إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ بالقلب السليم، فقال: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ ٨٣ إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ﴾ [الصافات:٨٣، ٨٤].

٣- أن صاحب القلب السليم من أفضل الناس؛ فقد سئل صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: أي الناس أفضل؟ قال: «**كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ، صَدُوقِ اللِّسَانِ**، قالوا: صدوق اللسان، نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: **هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ، لَا إِثْمَ فِيهِ، وَلَا بَغْيَ، وَلَا غِلَّ، وَلَا حَسَدَ**»[3].

٤- أن القلب السليم سبب لدخول الجنة؛ فعن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: «كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فَقَالَ: **يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**، فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ تَنْطِفُ لِحْيَتُهُ مِنْ وُضُوئِهِ، قَدْ تَعَلَّقَ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشِّمَالِ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ مِثْلَ ذَلِكَ، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مِثْلَ الْمَرَّةِ الْأُولَىٰ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ

---

(١) الداء والدواء (ص: ٢٨٢- ٣٨٢).

(٢) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/ ٧، وما بعدها).

(٣) أخرجه ابن ماجه، رقم الحديث: (٦١٢٤) واللفظ له، والبيهقي في شعب الإيمان، رقم الحديث: (٢٦٤٤)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، رقم الحديث: (٦١٢٤).

مِثْلَ مَقَالَتِهِ أَيْضًا، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَىٰ مِثْلِ حَالِهِ الْأُولَىٰ، فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ ﷺ تَبِعَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، فَقَالَ: إِنِّي لَاحَيْتُ أَبِي، فَأَقْسَمْتُ أَنْ لَا أَدْخُلَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّىٰ تَمْضِيَ فَعَلْتَ . قَالَ: نَعَمْ . قَالَ أَنَسٌ: وَكَانَ عَبْدُ اللهِ يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ تِلْكَ اللَّيَالِيَ الثَّلَاثَ، فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَعَارَّ وَتَقَلَّبَ عَلَىٰ فِرَاشِهِ ذَكَرَ اللهَ عَزَّوَجَلَّ وَكَبَّرَ حَتَّىٰ يَقُومَ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ . قَالَ عَبْدُ اللهِ: غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَسْمَعْهُ يَقُولُ إِلَّا خَيْرًا، فَلَمَّا مَضَتِ الثَّلَاثُ لَيَالٍ، وَكِدْتُ أَنْ أَحْتَقِرَ عَمَلَهُ . قُلْتُ: يَا عَبْدَ اللهِ، إِنِّي لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي غَضَبٌ وَلَا هَجْرٌ ثَمَّ، وَلَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ لَكَ ثَلَاثَ مِرَارٍ: **يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**، فَطَلَعْتَ أَنْتَ الثَّلَاثَ الْمَرَّاتِ [٣]، فَأَرَدْتُ أَنْ آوِيَ إِلَيْكَ لِأَنْظُرَ مَا عَمَلُكَ فَأَقْتَدِيَ بِهِ، فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَثِيرَ عَمَلٍ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ؟ فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ، قَالَ: فَلَمَّا وَلَّيْتُ دَعَانِي، فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ، غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا، وَلَا أَحْسُدُ أَحَدًا عَلَىٰ خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهُ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: هَذِهِ الَّتِي بَلَغَتْ بِكَ، وَهِيَ الَّتِي لَا نُطِيقُ»[١].

وعن سفيان بن دينار رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «قلت لأبي بشير: أخبرني عن أعمال من كان قبلنا؟ قال: كانوا يعملون يسيرًا ويؤجرون كثيرًا، قلت: ولم ذاك؟ قال: لسلامة صدورهم»[٢].

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٤٩٨٢١)، والنسائي في الكبرىٰ، رقم الحديث: (٣٣٦٠١)، وعبد الرزاق في المصنف، رقم الحديث: (٩٥٥٠٢)، ومسند البزار (٨٠٣٦)، والبيهقي في الشعب، رقم الحديث: (١٨١٦)، حكم الألباني: ضعيف، ضعيف الترغيب والترهيب، رقم الحديث: (٨٢٧١).

(٢) الزهد، ابن السري (٢/ ٦٠٠).

وعن زيد بن أسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال: «دُخِل علىٰ أبي دجانة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وهو مريض وكان وجهه يتهلل، فقيل له: ما لوجهك يتهلل؟ فقال: ما من عملي شيء أوثق عندي من اثنتين؛ أما إحداهما: فكنت لا أتكلم فيما لا يعنيني، وأما الأخرىٰ فكان قلبي للمسلمين سليمًا»(١).

وقال قاسم الجوعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أصل الدين: الورع، وأفضل العبادة: مكابدة الليل، وأقصر طرق الجنة: سلامة الصدر»(٢).

وإن من الأسباب التي تعين علىٰ الظفر بالقلب السليم:

١- عدم تعريض النفس لمواطن الشبهات والشهوات؛ إذ النفوس ضعيفة والشيطان يجري منها مجرىٰ الدم، وكل منهما داع للوقوع في أسرها.

٢- مجاهدة النفس علىٰ ترك الشهوات، ودفع الشبهات، قال ابن المنكدر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كابدت نفسي أربعين سنة حتىٰ استقامت لي»(٣)، وقال أبو حفص النيسابوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «حرست قلبي عشرين سنة، ثم حرسني عشرين سنة»(٤).

٣- العلم النافع الذي تدفع معه الشبهات؛ فإن الجاهل قد يمرض قلبه بما يرد عليه من الشبهات التي لا يملك ردها؛ لجهله، بخلاف العالم.

٤- الدعاء بسلامة القلب وطهارته، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، وكان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ

---

(١) الصمت، ابن أبي الدنيا (٣١١).

(٢) تاريخ دمشق، ابن عساكر (٢٥/ ٠٨).

(٣) حلية الأولياء (٣/ ٧٤١).

(٤) صفة الصفوة (٢/ ٢١٣).

يدعو، ويقول: «**رَبِّ أَعِنِّي وَلَا تُعِنْ عَلَيَّ، وَانْصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرْ هُدَايَ إِلَيَّ، وَانْصُرْنِي عَلَىٰ مَنْ بَغَىٰ عَلَيَّ، اللهُمَّ اجْعَلْنِي لَكَ شَاكِرًا، لَكَ ذَاكِرًا، لَكَ رَاهِبًا، لَكَ مِطْوَاعًا إِلَيْكَ، مُخْبِتًا، أَوْ مُنِيبًا، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ قَلْبِي**»[(١)]، والسخيمة، هي: الحقد.

٥- الاشتغال بمعالي الأمور؛ فإن الاشتغال بها يحمل العبد علىٰ الترفع عن سفاسف الأمور من القيل والقال، وما يتبعها من الحقد والغل.

٦- حفظ الأذن من سماع ما ينقل من النميمة؛ فعن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يُبَلِّغُنِي أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِي عَنْ أَحَدٍ شَيْئًا، فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْكُمْ وَأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ**»[(٢)].

٧- أن يحب المرء لأخيه ما يحب لنفسه، فلا يحسده علىٰ ما أعطاه الله من النعم، ولا يحقد عليه ويغل ولو صدر منه ما يزعج؛ إذ لا يحب أن يعامل بذلك فكذا أخيه.

٨- حسن الظن بالإخوان والتماس الأعذار لهم، قال جعفر بن محمد رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا بلغك عن أخيك الشيء تنكره فالتمس له عذرًا واحدًا إلىٰ سبعين عذرًا، فإن أصبته وإلا قل: لعل له عذرا لا أعرفه»[(٣)].

---

(١) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (١٥١٠) واللفظ له، والترمذي، رقم الحديث: (٣٥٥١)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي دواد، رقم الحديث: (١٥١٠).

(٢) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٤٨٦٠)، والترمذي، رقم الحديث: (٣٨٩٦)، حكم الألباني: ضعيف، صحيح وضعيف سنن أبي دواد، رقم الحديث: (٤٨٦٠).

(٣) دليل الواعظ (٢/ ٥٩٩).

٩- الهدية؛ إذ هي مدعاة للمحبة والمودة، كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تَهَادُوْا تَحَابُّوا**»[١]، وقال: «**تَهَادُوْا؛ فَإِنَّ الهَدِيَّةَ تُذْهِبُ وَحَرَ الصَّدْرِ**»[٢].

وأما سلامة الخلق من شره وأذاه:

فبكف الشر والأذىٰ عن المسلمين، سواء كان باللسان كالشتم والسب واللعن والبهتان والغيبة والنميمة، أو كان باليد كالاعتداء علىٰ الأنفس، والدماء، والأموال، والأعراض، ونحو ذلك من صور الأذية.

وفي كف الأذىٰ عن المسلمين نصوص عدة، منها:

١- ما رواه عبدالله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال، قال الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَىٰ الله عَنْهُ**»[٣].

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والمراد بذلك: المسلم الكامل الإسلام، فمن لم يسلم المسلمون من لسانه ويده فإنه ينتفي عنه كمال الإسلام الواجب، فإن سلامة المسلمين من لسان العبد ويده واجبة، فإن أذىٰ المسلم حرام باللسان وباليد، فأذىٰ اليد: الفعل، وأذىٰ اللسان القول»[٤].

٢- ما رواه أبو موسىٰ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ: «**مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ، وَيَدِهِ**»[٥].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: في الأدب المفرد، رقم الحديث: (٤٩٥)، وأبو يعلىٰ، رقم الحديث: (٨٤١٦)، حكم الألباني: حسن، الإرواء، رقم الحديث: (١٠٦١).

(٢) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٠٣١٢)، والطيالسي، رقم الحديث: (٣٥٤٢)، حكم الألباني: ضعيف، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٠٣١٢).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٠١) واللفظ له، ومسلم، رقم الحديث: (١٤).

(٤) فتح الباري (١/ ٧٣-٨٣).

(٥) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٤).

٣- ما رواه عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ: «**الصَّلَاةُ عَلَىٰ مِيقَاتِهَا**»، قُلْتُ: ثُمَّ مَاذَا يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ: «**بِرُّ الْوَالِدَيْنِ**»، قُلْتُ: ثُمَّ مَاذَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**أَنْ يَسْلَمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِكَ**»، ثُمَّ سَكَتَ، وَلَوِ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي»(١).

٤- ما رواه أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: يا رسول الله، أرأيت إن ضعفت عن بعض العمل؟ قال: «**تَكُفُّ شَرَّكَ عَنِ النَّاسِ؛ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَىٰ نَفْسِكَ**»(٢).

٥- ما رواه أبو سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِيَّاكُمْ والجُلُوسَ فِي الطُّرُقَاتِ**، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا لَنَا بُدٌّ مِنْ مَجَالِسِنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا. قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا المَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ**، قالوا: وما حقه؟ قال: **غَضُّ البَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَىٰ، وَرَدُّ السَّلَامِ، والأَمْرُ بالمَعْرُوفِ، والنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ**»(٣).

٦- ما رواه ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صعد المنبر فنادىٰ بصوت رفيع: «**يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفْضِ الإِيمَانُ إِلَىٰ قَلْبِهِ، لاَ تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ وَلاَ تُعَيِّرُوهُمْ وَلاَ تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ**»، قَالَ: وَنَظَرَ ابْنُ عُمَرَ يَوْمًا إِلَىٰ الْبَيْتِ أَوْ إِلَىٰ الْكَعْبَةِ فَقَالَ: مَا أَعْظَمَكِ وَأَعْظَمَ

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، رقم الحديث: (٢٠٨٩)، والبيهقي في شعب الإيمان، رقم الحديث: (٩٧٥٤)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الترغيب والترهيب، رقم الحديث: (٢٥٨٢).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٤٨).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٩٢٢٦)، و مسلم، رقم الحديث: (١٢١٢).

حُرْمَتَكِ وَالْمُؤْمِنُ أَعْظَمُ حُرْمَةً عِنْدَ اللهِ مِنْكِ[1].

وجاء الوعيد علىٰ أذية المسلمين، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب:٥٨]، وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا وَصِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا قَالَ: **هِيَ فِي النَّارِ**، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَإِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ قِلَّةِ صِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا وَصَلَاتِهَا وَإِنَّهَا تَصَدَّقُ بِالْأَثْوَارِ مِنَ الْأَقِطِ وَلَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا قَالَ: **هِيَ فِي الجَنَّةِ**»[2].

وعن أبي شريح رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**واللهِ لَا يُؤْمِنُ، واللهِ لَا يُؤْمِنُ، واللهِ لَا يُؤْمِنُ**، قيل: ومن يا رسول الله؟ قال: **الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَايِقَهُ**»[3].

وهذه النصوص كما قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، تضمنت «أن المسلم لا يحل إيصال الأذىٰ إليه بوجه من الوجوه؛ من قول أو فعل»[4].

ثم إن كف الأذىٰ عن الغير لا يقتصر علىٰ المسلم، بل يشمل الكافر غير الحربي أيضًا، كما في قول إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لأبيه مع أنه من أكفر الكفرة: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ [مريم:٤٧].

---

(١) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٢٣٠٢)،وابن حبان، رقم الحديث ٣٦٧٥، حكم الألباني: حسن صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢٣٠٢).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٦٠٨٩)، والبيهقي في شعب الإيمان، رقم الحديث: (٩٩٠٩)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (١٩٠).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦١٠٦).

(٤) جامع العلوم والحكم (٢/ ٢٨٢).

وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا، أَوِ انْتَقَصَهُ، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ، فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(١).

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: «أَتَىٰ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُنَاسٌ مِنَ الْيَهُودِ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ ! قَالَ: **وَعَلَيْكُمْ** . قَالَتْ عَائِشَةُ: قُلْتُ: بَلْ عَلَيْكُمُ السَّامُ وَالذَّامُ ! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **يَا عَائِشَةُ، لَا تَكُونِي فَاحِشَةً** . فَقَالَتْ: مَا سَمِعْتَ مَا قَالُوا؟ فقَالَ: **أَوَ لَيْسَ قَدْ رَدَدْتُ عَلَيْهِم الَّذِي قَالُوا، قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ**، وفي رواية: **مَهْ يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَالتَّفَحُّشَ**»(٢).

وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ**»(٣): «تنبيه: ذكر المسلمين هنا خرج مخرج الغالب؛ لأن محافظة المسلم علىٰ كف الأذىٰ عن أخيه المسلم أشد تأكيدًا، ولأن الكفار بصدد أن يقاتلوا وإن كان فيهم من يجب الكف عنه»(٤).

وإن من كف الشر والأذىٰ عنهم دعوتهم بالحال والمقال للإسلام الذي هو دين السلام في الأرض والسعي في نشره بينهم؛ إذ فيه كف لأذىٰ الكفر والعصيان والعذاب عنهم.

كما يشمل كف الأذىٰ: الحيوانات؛ فقد نهىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنه، فعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه مر بنفر قد نصبوا دجاجة يترامونها، فلما رأوا ابن

---

(١) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٢٥٠٣)، والبيهقي في السنن الكبرىٰ، رقم الحديث: (٩٩٧٨١)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٢٥٠٣).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٥٦١٢).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) فتح الباري (١/ ٣٥).

عمر تفرقوا عنها، وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: «مَنْ فَعَلَ هَذَا؟ إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَعَنَ مَنْ فَعَلَ»[1] وعن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «نَهَىٰ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تُصْبَرَ الْبَهَائِمُ»[2] أي: أن تحبس حتىٰ تموت.

وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّىٰ مَاتَتْ فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ، لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَسَقَتْهَا، إِذْ حَبَسَتْهَا، وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ**»[3].

الأثر التاسع: سعي العبد لدار السلام:

الله عَزَّ وَجَلَّ السلام خلق الجنة، وسماها دار السلام، قال تَعَالَىٰ: ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:١٢٧].

وأسباب تسميتها بدار السلام الآتي:

- سلمت من كل عيب ونقص، فلا يتبول أهلها فيها ولا يتغوطون، ولا يبزقون، ولا يمتخطون.

- سلمت من كل كدر وكبد، فلا هم ولا حزن ولا نصب، ولا خوف ولا قلق، قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٤٥ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾ [الحجر:٤٥].

- سلمت من الحقد والحسد واللغو والتأثيم، بل كلام أهلها سلام طيب طاهر، مسر للنفوس، مفرح للقلوب، يتعاشرون أحسن عشرة،

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥١٥٥).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣١٥٥)، ومسلم، رقم الحديث: (٦٥٩١).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٦٣٢)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٤٢٢) واللفظ له.

ويتنادمون أطيب المنادمة، قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾[الحجر:٤٧]، ولا يسمعون من ربهم، إلا ما يقر أعينهم، ويدل على رضاه عنهم ومحبته لهم، قال تعالى: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس:٥٨][١]، وهي دار السلام التي سلمت من كل مرض وألم وهرم، قال تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾[الحجر:٤٨].

- سلمت من الموت؛ إذ فيها الحياة الدائمة التي لا انقطاع معها ولا نهاية لها، وفي الحديث عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يُجَاءُ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ**- زاد أبو كُرَيْب: **فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ**، واتفقا في باقي الحديث- **فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، قَالَ: وَيُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ قَالَ: فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، قَالَ: فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُذْبَحُ، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ**»[٢].

- سلمت لكمال نعيمها وتمامه وبقائه، وحسنه من كل وجه حتى لا يقدر على وصفه الواصفون، ولا يتمنى فوقه المتمنون من نعيم الروح والقلب والبدن، ولهم فيها ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين، وهم فيها خالدون[٣].

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٥١٨).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٠٣٧٤)، ومسلم، رقم الحديث: (٩٤٨٢).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٥١/ ٩٥)، وتفسير ابن كثير (٤/ ١٦٢)، وتفسير السعدي (ص: ٢٦٣،٣٧٢).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نونيته:

هِـيَ جَنَّـةٌ طَابَـتْ وَطَـابَ نَعِيمُهَـا ... فَنَعِيمُهَـا بَـاقٍ وَلَيْـسَ بِفَـانِ
دَارُ السَّـلَامِ وَجَنَّـةُ المَـأْوَىٰ وَمَنْـ ... ـزِلُ عَسْـكَرِ الإِيمَـانِ والقُـرْآنِ
فَالـدَّارُ دَارُ سَـلَامَةٍ وَخِطَابُهُـمْ ... فِيهَـا سَـلَامٌ واسْـمُ ذِي الغُفْـرَانِ[1]

فمن علم هذا تاقت نفسه لدار السلام، وسعىٰ للظفر بها، لا سيما وأن الله عَزَّوَجَلَّ داعيه إليها، قال تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يونس:٢٥]، بل وأرسل محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ داعيًا إليها، كما في الحديث: «**جَاءَتْ مَلَائِكَةٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ نَائِمٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: إِنَّ لِصَاحِبِكُمْ هَذَا مَثَلًا، فَاضْرِبُوا لَهُ مَثَلًا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: مَثَلُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَىٰ دَارًا، وَجَعَلَ فِيهَا مَأْدُبَةً، وَبَعَثَ دَاعِيًا، فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ، وَأَكَلَ مِنَ الْمَأْدُبَةِ، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ، وَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ الْمَأْدُبَةِ، فَقَالُوا: أَوِّلُوهَا لَهُ يَفْقَهْهَا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: فَالدَّارُ الْجَنَّةُ، وَالدَّاعِي مُحَمَّدٌ، فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّدًا فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصَىٰ مُحَمَّدًا فَقَدْ عَصَىٰ اللهَ، وَمُحَمَّدٌ فَرْقٌ بَيْنَ النَّاسِ**»[2].

فحري بالعبد أن يجيب دعوة ربه وداعيه محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ أعظم دعوة وأكمل مقام وأطيب عيش، وذلك بالإيمان والعمل الصالح وسلوك

---

(١) النونية (ص٩٠٣).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (١٨٢٧).

الصرط المستقيم، قال تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[يونس:٢٥]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[المائدة:١٦].

فاللهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ، نسألك يا ربنا أن تسلمنا في الدارين.



السَّميعُ جَلَّجَلَالُهُ



المعنى اللغوي:

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «السمع: ...في الاصل مصدر قولك: سمعت الشيء، ... واستمعت كذا، أي: أصغيت، وتسمعت إليه»[1].

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(سمع) السين والميم والعين أصل واحد، ... يقال: سمع بمعنىٰ: استمع»[2].

ورود اسم الله (السميع) في القرآن:

ورد اسمه سُبْحَانَهُ (السميع) في كتاب الله خمسًا وأربعين مرة، ومن وروده ما يلي:

١- قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة:١٢٧].

٢- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ:١١].

٣- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة:١].

(١) الصحاح (٣/ ٦٦٣).

(٢) مقاييس اللغة (٣/ ١٠٢).

ورود اسم الله (السميع) في السنة النبوية:

ورد اسم الله (السميع) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

١- عن أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكُنَّا إِذَا أَشْرَفْنَا عَلَىٰ وَادٍ هَلَّلْنَا وَكَبَّرْنَا ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُنَا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **يَا أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا، إِنَّهُ مَعَكُمْ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ، تَبَارَكَ اسْمُهُ وَتَعَالَىٰ جَدُّهُ**»[1].

٢- وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا قام إلىٰ الصلاة بالليل كبر، ثم يقول: **سُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَىٰ جَدُّكَ، وَلاَ إِلَهَ غَيْرُكَ**، ثم يقول: **الله أَكْبَرُ كَبِيرًا**، ثم يقول: **أَعُوذُ بِاللهِ السَّمِيعِ العَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ**»[2].

٣- وعن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ فِي صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ، وَمَسَاءِ كُلِّ لَيْلَةٍ: بِسْمِ اللهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ ولَا فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَيَضُرَّهُ شَيْءٌ»**[3].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٩٩٢) واللفظ له، ومسلم، رقم الحديث: (٤٠٧٢).

(٢) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٢٤٢)، وأبو داود، رقم الحديث: (٥٧٧)، وحكم الألباني: صحيح، صحيح أبي داود، رقم الحديث: (٥٧٧).

(٣) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٨٨٣٣) واللفظ له، وأبو داود، رقم الحديث: (٨٨٠٥)، والنسائي، رقم الحديث: (٦٠١٠١)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٩٦٨٣)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف ابن ماجه، رقم الحديث: (٩٦٨٣).

معنى اسم الله (السميع) في حقه سُبْحَانَهُ:

يدور معنىٰ اسم الله السميع علىٰ معنيين[1]:

١- السامع لجميع الأصوات الظاهر منها والباطن، والجليل منها والخفي.

٢- المجيب للسائلين والداعين والعابدين.

وحول هذين المعنيين تدور أقوال العلماء:

من الأقوال في المعنىٰ الأول:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورىٰ:١١] «يقول جل ثناؤه واصفًا نفسه بما هو به، وهو يعني نفسه: السميع لما ينطق به خلقه من قول»[2].

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء:١] «أي: السميع لأقوال عباده، مؤمنهم وكافرهم، مصدقهم ومكذبهم...»[3].

من الأقوال التي تجمع بين المعنىٰ الأول والثاني:

قال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «السميع: بمعنىٰ السامع، إلا أنه أبلغ في الصفة، وبناء فعيل: بناء المبالغة، كقولهم: عليم: من عالم، وقدير: من قادر، وهو الذي يسمع السر والنجوىٰ سواء عنده الجهر، والخفوت، والنطق، والسكوت.

---

(١) ينظر: الحق الواضح المبين للسعدي (٥٣)، والنهج الأسمىٰ، النجدي (١/ ٦٢٢-٨٢٢).

(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ٨٧٤).

(٣) تفسير ابن كثير (٥/ ٥-٦).

وقد يكون السماع بمعنىٰ: القبول والإجابة، كقول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «وَمِنْ دُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ»[1]، أي: من دعاء لا يستجاب، ومن هذا قول المصلي: «سمع الله لمن حمده، معناه: قبل الله حمد من حمده»[2].

❁ قال ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ: «السميع الذي قد استوىٰ في سمعه سر القول وجهره...»[3].

وقال في قوله تَعَالَىٰ عن دعوة إبراهيم: ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [إبراهيم:٣٩]: «فالمراد بالسمع هنا: السمع الخاص، وهو سمع الإجابة والقبول، لا السمع العام؛ لأنه سميع لكل مسموع، وإذا كان كذلك فالدعاء هنا يتناول دعاء الثناء ودعاء الطلب، وسمعُ الرب تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ له: إثابته علىٰ الثناء، وإجابته للطلب فهو سميع لهذا وهذا»[4].

❁ قال السعدي رَحِمَهُٱللَّهُ: «وسمعه تَعَالَىٰ نوعان: أحدهما: سمعه لجميع الأصوات الظاهرة والباطنة، الخفية والجلية، واحاطته التامة بها، والثاني: سمع الإجابة منه للسائلين والداعين والعابدين فيجيبهم ويثيبهم»[5].

---

(١) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٨٤٥١)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٠٥٢)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٨٤٥١).

(٢) شأن الدعاء (ص: ٩٥).

(٣) طريق الهجرتين (ص ٨٢١).

(٤) بدائع الفوائد (٣/ ٤).

(٥) الحق الواضح المبين (٥٣).

❊ قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هُــوَ السَّــمِيعُ يَسْــمَعُ وَيَـرَىٰ كُلَّ مَـا
فِـي الكَـوْنِ مِـنْ سِـرٍّ وَمِـنْ إِعْـلَانِ
وَلِـكُلِّ صَـوْتٍ مِنْـهُ سَـمْعٌ حَاضِـرٌ
فَالسِّــرُّ والإِعْـلَانُ مُسْـتَوِيَانِ
والسَّـمْعُ مِنْـهُ وَاسِـعُ الأَصْـوَاتِ لَا
يَخْفَـىٰ عَلَيْـهِ بَعِيدُهَـا والدَّانِـي(١)

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والحَمْـدُ للهِ السَّـمِيعِ لِسَـائِرِ الـ
أَصْـوَاتِ مِـنْ سِـرٍّ وَمِـنْ إِعْـلَانِ(٢)

اقتران اسم الله (السميع) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ في القرآن الكريم:

أولًا: اقتران اسم الله (السميع) باسم الله (العليم):

ورد هذا الاقتران في القرآن الكريم في اثنتين وثلاثين آية، ومن وروده:

قوله تَعَالَى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [يوسف: ٣٤].

قوله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: ١].

(١) النونية (ص: ٣٠٢).

(٢) النونية (ص: ٢١٣).

وجه الاقتران:

يدل علىٰ مزيد من الكمال لله عَزَّوَجَلَّ، فإذا كانت صفة (السميع) تنبئ بإحاطة السمع بكل المسموعات فلا يندر عنه عَزَّوَجَلَّ شيء، ولا يعزب عنه كبير ولا صغير، فإن صفة (العليم) تنبئ بتجاوز علمه المسموعات إلىٰ المشاهدت والغيبيات، والظواهر والبواطن[1].

«والملاحظ أن اسم (السميع) حيثما ورد مع اسم (العليم) قُدّم عليه فالنسق دائمًا: السميع العليم ولا عكس، فلا بد أن يكون من وراء ذلك حكمة، ذكر منها: أن السمع يتعلق بالأصوات، ومن سمع صوتك فهذا أقرب إليك في العادة ممن يقال لك: إنه يعلم، فذكر السميع أوقع في التخويف من ذكر (العليم)، فهو أولىٰ بالتقديم، ولا يقتصر الأمر علىٰ مقام التخويف؛ فإن لتقديم صفة (السميع) في مقام الدعاء أثره في انطلاق اللسان بالدعاء، والطلب، والشكوىٰ حين يستشعر الداعي أنه يخاطب من يسمعه ويصغي إلىٰ نجواه»[2].

ثانيًا: اقتران اسم الله (السميع) باسم الله (البصير):

تقدم بيانه في اسم الله البصير.

ثالثًا: اقتران اسم الله (السميع) باسم الله (القريب):

وذلك في موضع واحد، في قوله تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سبأ: ٥٠].

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٩٩٥)، التحرير والتنوير (٩/ ١٣٢)، مطابقة أسماء الله الحسنىٰ مقتضىٰ المقام في القرآن الكريم، لزينب كردي (ص: ٧٤٢-٨٤٢).

(٢) مطابقة أسماء الله الحسنىٰ مقتضىٰ المقام في القرآن الكريم، لزينب كردي (ص: ٧٤٢-٨٤٢).

وجه الاقتران:

«أن الله لا يغيب عنه شيء من حال من يكذب عليه، فهو جدير بأنه يفضحه كما فضحكم في جميع ما تدعونه ولا يبعد عليه شيء ليحتاج في إدراكه إلىٰ تأخير لقطع مسافة أو نحوها، بل هو مدرك لكل ما أراد كلما أراد»[1].

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (السميع):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (السميع) من صفات الله سُبْحَانَهُ:

يتضمن اسم الله السميع صفة السمع، فالله عَزَّوَجَلَّ السميع الذي له سمع يليق بجلاله وعظمته من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تمثيل ولا تكييف، قال تَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ:١١]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة:١][2]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ﴾ [الكهف:٢٦] «قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وذلك بمعنىٰ المبالغة في المدح، كأنه قيل: ما أبصره وأسمعه»[3].

وسمع الله نوعان[4]:

١- سمع يتعلق بالمسموعات، ومعناه: إدراك الأصوات.

٢- سمع يتعلق بالعبادات والدعوات، ومعناه: الاستجابة.

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (٥١/ ٥٣٥).

(٢) ينظر: النهج الأسمىٰ (١/ ٨٢٢)

(٣) تفسير الطبري (٧١/ ٠٥٦).

(٤) كما تقدم في معنىٰ الاسم.

فالأول: السمع المتعلق بالمسموعات:

فالله عَزَّوَجَلَّ السميع الذي أحاط سمعه بجميع المسموعات، ووسع جميع الأصوات، ومن سعته وإحاطته ما يلي:

١- أنه تَبَارَكَ وَتَعَالَى يسمع الأصوات التي في العالم العلوي والعالم السفلي من أصوات الملائكة والإنس والجن والحيوانات والنباتات والجمادات والسائلات وغيرها، قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾[الأنعام:١٣]، وقال تعَالَى: ﴿ قَالَ رَبِّي يَعۡلَمُ ٱلۡقَوۡلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾[الأنبياء:٤][1]، ومن ذلك:

- سمعه جل في علاه لشكوىٰ خولة بنت ثعلبة، قال تعَالَى: ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة:١].

- وسمعه لقول الجن، قال تعَالَى: ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ١ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا﴾ [الجن:١، ٢]...إلىٰ آخر الآيات.

- وسمعه لقول النملة، قال تعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾[النمل:١٨] .

- وسمعه لقول السماء والأرض لما قال لهما، قال تعَالَى: ﴿ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴾[فصلت:١١].

---

(١) ينظر: الحق الواضح المبين، للسعدي (ص: ٦٣).

- وسمعه تسبيح الجبال، قال تَعَالَى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾ [ص:١٨]، والمخلوقات أجمع، قال تَعَالَى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء:٤٤].

٢- أنه سُبْحَانَهُ يسمع الأصوات علىٰ اختلاف أحوالها، فيسمعها سواء أكانت جهرًا أم سرًّا أم حديث نفس، ظاهرة أم باطنة، جلية أم خفية، فالكل عنده سواء، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ [الرعد:١٠][١]، وقال منكرًا علىٰ من زعم من المشركين وغيرهم أنه لا يسمع السر والنجوىٰ، قال تَعَالَى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف:٨٠][٢].

وعن أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: «كنا مع النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في سفر، فكنا إذا علونا كبرنا، فقال: **ارْبَعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا، وَلَكِنْ تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا**»[٣].

وقوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**ارْبَعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ**» أي: ارفقوا بأنفسكم، ولا تكلفوها رفع الصوت؛ إذ لا حاجة له، فإن من تكبرون سميع بصير، يسمع الأصوات الخفية، كما يسمع الأصوات الجلية، قريب من كل متكلم يسمع كل ما ينطق به ويتفوه، أقرب إليه من حبل الوريد[٤].

---

(١) ينظر: المرجع السابق.

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٠٧٧)، النهج الأسمىٰ، للنجدي (١/ ١٣٢)، فقه الأسماء الحسنىٰ، للبدر (ص: ٧٤١).

(٣) سبق تخريجه .

(٤) ينظر: تفسير الطبري (٠٢/ ٠٢٤)، شرح النووي علىٰ مسلم (٧١/ ٦٢)، فتح الباري، لابن حجر (٦/ ٥٣١)، فقه الأسماء الحسنىٰ، للبدر (ص: ٧٤١).

ويسمعها - أيضًا- سواء نطق بها الخلق حال الانفراد والتفرق أم حال الاجتماع والاختلاط، ففي اللحظة الواحدة يسمع دعاء الداعين وقراءة القارئين، وأنين الشاكين، وبكاء الباكين، ويجتمع الحجيج في بقعة واحده ويلهج الكل بالدعاء، فيسمعهم في نفس الوقت لا تختلط عليه الأصوات ولا اللغات ولا اللهجات، لا تتداخل ولا تشتبه عليه، ولا يشغله سماع عن سماع، ولا مسألة عن مسألة، لا تغلطه كثرة المسائل، ولا تبرمه كثرة السائلين وإلحاحهم[1].

بل لو قام الجن والإنس كلهم من أولهم إلىٰ أن يرث الله عَزَّوَجَلَّ الأرض ومن عليها في صعيد واحد، وسألوا الله جميعًا في لحظة واحدة، وكلٌّ عرض حاجته، وكلٌّ تحدث بلهجته ولغته، لسمعهم أجمعين دون أن يختلط عليه صوت بصوت أو لغة بلغة أو حاجة بحاجة.

ومن الدلائل علىٰ هذا: قوله سُبْحَانَهُ في الحديث القدسي: «**يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ**»[2].

٣- أنه سُبْحَانَهُ يسمع الأصوات علىٰ اختلاف أماكنها، فيسمعها في السماء كانت أم في الأرض أم في الجو، قرب مكانها أم بعد، صدرت في خفي المواضع والجهات أم ظاهرها، قال تَعَالَىٰ: ﴿ **قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾[الأنبياء: ٤][3].

---

(١) ينظر: طريق الهجرتين، لابن القيم (ص: ٨٢١)، الحق الواضح المبين، للسعدي (ص: ٤٣).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٩٩٧)، الحق الواضح المبين، للسعدي (ص: ٦٣).

٤- أنه سُبْحَانَهُ يسمع الأصوات علىٰ اختلاف أزمانها، فيسمعها في جميع الأوقات، سواء صدرت في ظلمة الليل أم في وضح النهار، ويسمعها في الحاضر والمستقبل كما سمعها في الماضي، ولا يزال جل في علاه سميعًا بصيرًا، قال تَعَالَى: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًاۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ:١١]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الحج:٦١](١).

٥- أنه سُبْحَانَهُ يسمع الأقوال علىٰ اختلاف أنواعها، فيسمع مباحها كما في عموم قوله سُبْحَانَهُ: ﴿قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الأنبياء:٤]، ويسمع الخير منها كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف:٢٠٠]، ويسمع الشر منها كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [آل عمران:١٨١].

ثم إنه سُبْحَانَهُ يجازي خلقه عليها، قال تَعَالَى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف:٨٠]، يكتبون ما يقولون وما يعملون، فيحفظ عليهم حتىٰ يردوا يوم القيامة، فيجدون ذلك حاضرًا، ولا يظلم ربك أحدًا(٢).

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٩٩٧).

(٢) ينظر: المرجع السابق (ص: ٠٧٧).

فهذا سمع الله وإحاطته التي لا يقدر قدرها إلا الله، ولا يعلم كنهها إلا هو جل في علاه، وبناء عليها وعلىٰ علمه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يجري الأقدار علىٰ خلقه، فيصطفي منهم من يستحق الاصطفاء، ويزكي منهم من كان لها أهلًا، ويخذل ويرد من لا يستحق، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ﴾[الحج:٧٥]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[آل عمران:٣٣، ٣٤]، وقال: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾[النور:٢١][1].

ويقدر عليهم الشرائع التي تناسبهم وتصلح لهم، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾[الدخان:٤ - ٦]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾[النساء:٥٨]، «وهذا مدح من الله لأوامره ونواهيه، لاشتمالها علىٰ مصالح الدارين ودفع مضارهما؛ لأن شارعها السميع البصير الذي لا تخفىٰ عليه خافية، ويعلم بمصالح العباد ما لا يعلمون»[2].

إلىٰ غير ذلك من التقديرات المبنية علىٰ سمعه وعلمه جل في علاه.

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٩٢١).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٣٨١).

والثاني: السمع المتعلق بالعبادات والدعوات:

فالله عَزَّوَجَلَّ سميع مجيب للعابدين والداعين السائلين، **فيجيب مِن عبده** بالقبول والإثابة، ومنه قول إبراهيم وإسماعيل عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ: ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [البقرة:١٢٧]، وقول امرأة عمران: ﴿إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾[آل عمران:٣٥] فهم في عمل صالح، ويسألون الله تَعَالَى أن يتقبل منهم ويثيبهم؛ إذ هو السميع المجيب(١).

ومنه- أيضًا- قول المصلي في صلاته: سمع الله لمن حمده، أي: «قبل الله حمد من حمده»(٢).

ويجيب من دعاه بالعطاء، فلا يرده صفرًا خائبًا، ومنه قول إبراهيم عَلَيْهِٱلسَّلَامُ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾[إبراهيم:٣٩]، وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[التوبة:١٠٣] والصلاة هنا بمعنىٰ الدعاء، والمعنىٰ: ادع للمؤمنين؛ فإن الله سميع لدعائك بالإجابة والقبول(٣).

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٣/ ٣٧)، تفسير ابن كثير (١/ ٧٢٤).

(٢) شأن الدعاء، للخطابي (ص: ٩٥).

(٣) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٣٠٥)، والتحرير والتنوير (١١/ ٣٢).

الأثر الثاني: دلالة اسم الله السميع علىٰ التوحيد:

إن الإيمان باسم الله «السميع» يدفع العبد إلىٰ تو حيد العبادة إذا ما تفكر فيه ونظر؛ إذ إن كل ما يعبد من دون الله إما لا يسمع كالجمادات والموتىٰ، قال تَعَالَىٰ: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر:١٤]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُواْ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف:١٩٧]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ﴾ [الأعراف:١٩٥]، أو يسمع إلا أن سمعه ناقص كذوات الأرواح من الملائكة والإنس والجن والحيوان، وليس كمال السمع وعظمته إلا لله عَزَّوَجَلَّ كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ:١١] فسمعه لا يشبه ولا يماثل سمع شيء من خلقه، وإنما علىٰ وجه يليق بجلاله وعظمة سلطانه(١).

ثم إذا تقرر هذا: فهل يصح في عقلٍ ونقلٍ أن يُعبد من لا يَسمع؟ أو يُعبد من يَسمع لكن سمعه ناقص كسمع العابد؟ أو كيف يُجعل من هذا حاله ندًّا وشريكًا لله السميع البصير علىٰ وجه الكمال والجلال؟ قال تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [المائدة:٧٦]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص:٤٥٧).

دُونِهِۦ لَا يَقۡضُونَ بِشَيۡءٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[غافر:٢٠]، وقال الله حاكيًا استنكار إبراهيم علىٰ أبيه: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا﴾[مريم:٤٢][١].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فهذا برهان جلي دال علىٰ أن عبادة الناقص في ذاته وأفعاله مستقبح عقلًا وشرعًا، ودل بتنبيهه وإشارته، أن الذي يجب ويحسن: عبادة من له الكمال، الذي لا ينال العباد نعمة إلا منه، ولا يدفع عنهم نقمة إلا هو، وهو الله تَعَالَى»[٢].

وقال في موضع آخر: «فالكامل تَعَالَى الذي هذه أوصافه هو الذي يستحق أن يفرد بجميع أنواع العبادة، ويخلص له الدين»[٣].

ثم إن الإيمان باسم الله «السميع» يدعو العبد- أيضًا- إلىٰ توحيد الأسماء والصفات، فهو يعني: أن تثبت لله سمعًا من غير تعطيل ولا تحريف، ثم تضم لهذا الإثبات قوله تَعَالَى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾[الشورىٰ:١١]، فتثبته علىٰ وجه لا تمثيل فيه ولا تكييف؛ خلافًا للمعطلة والنفاة، سواء من نفىٰ هذا الاسم لفظًا ومعنًىٰ كالجهمية ومن تبعهم في هذا، أو من أثبت اللفظ ولم يثبت المعنىٰ كالمعتزلة ومن تبعهم من المفوضة وأشباههم، وخلافًا للمشبهة والمجسمة، قال تَعَالَى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[الشورىٰ:١١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ففي قوله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾

---

(١) ينظر: المرجع السابق (ص: ٤٩٤).

(٢) المرجع السابق (ص: ٤٩٤).

(٣) تفسير السعدي (ص: ٥٤٢).

رد للتشبيه والتمثيل، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ رد للإلحاد والتعطيل»[1].

ثم إنه لا بد أن يعلم أن الاشتراك بين المخلوق والخالق في اسم الصفة لا يعني: المشابهة والمماثلة في المسميات، فإن صفات المخلوق تناسب صنعته وضعفه وعجزه، وصفات الخالق عَزَّوَجَلَّ كاملة تامة لا يعتريها ضعف أو نقص، بل هي كما تليق بكماله وجلاله وجماله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

الأثر الثالث: مراقبة الله السميع:

إذا علم العبد يقينًا أن ربه السميع يسمع قول لسانه، سواء أسره أم جهر به، وسواء كان ذلك في جماعة أو في خلوة، كما قال سُبۡحَانَهُۥ: ﴿سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ [الرعد:١٠]، وقال: ﴿قَالَ رَبِّي يَعۡلَمُ ٱلۡقَوۡلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾[الأنبياء:٤].

وعلم- أيضًا- أن قوله وفعله مكتوب مسجل، فالله سامع والملائكة كاتبة، كما قال سُبۡحَانَهُۥ: ﴿أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيۡهِمۡ يَكۡتُبُونَ﴾[الزخرف:٨٠]، وقال: ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ﴾[ق:١٨].

أثمر ذلك العلم في قلبه مراقبة الله السميع في الأقوال والأفعال، فيراقبه في عمل الخير فيخلص له فيه، ويقيمه علىٰ أتم وجه وأكمله، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ٢١٧ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ٢١٩ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾[الشعراء:٢١٧ – ٢٢٠].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن ربك هو السميع تلاوتك يا محمد، وذكرك في صلاتك ما تتلو وتذكر، العليم بما تعمل فيها، ويعمل فيها من يتقلب فيها

---

(١) التدمرية (ص:٨).

معك مؤتمًّا بك، يقول: فرتل فيها القرآن، وأقم حدودها، فإنك بمرأىٰ من ربك ومسمع»(١).

ويراقبه- أيضًا- في عمل الشر فيجتنبه قبل الوقوع، ويتوب منه بعد الوقوع، قال تَعَالَى: ﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة:١٨١].

سميع: «يسمع جميع الأصوات، ومنه: سماعه لمقالة الموصي ووصيته، فينبغي له أن يراقب من يسمعه ويراه، وأن لا يجور في وصيته»(٢).

ويراقب ربه السميع- أيضًا- في جوارحه، فيحفظ عينه، وأذنه، ولسانه، ويده، ورجله، وقلبه من الحرام.

وإنَّ حفظ اللسان ومراقبة ما هو قائل من أكد الأمور وأهمها؛ ولذا جاءت النصوص بأساليب عدة مرغبة في حفظ اللسان، و محذرة من إطلاقه، ومن ذلك(٣):

١- بيان بغض الله ومقته لمن يقول السوء، قال تَعَالَى: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾[النساء:١٤٨] «أي: يبغض ذلك ويمقته ويعاقب عليه، ويشمل ذلك جميع الأقوال السيئة التي تسوء وتحزن، كالشتم والقذف والسب ونحو ذلك، فإن ذلك كله من المنهي

(١) تفسير الطبري (٩١/ ٣١٤).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٥٨).

(٣) ينظر: موسوعة الأخلاق الإسلامية - الدرر السنية (١/ ٩٥٣، وما بعدها)، ونضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٧/ ٧٣٦٢، وما بعدها).

عنه الذي يبغضه الله، ويدل مفهومها أنه يحب الحسن من القول كالذكر والكلام الطيب اللين»[1].

٢- بيان أن قول العبد محفوظ مسجل، وسيحاسب عليه في الآخرة، قال تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[ق:١٧، ١٨].

٣- الحث على الصمت إلا من قول الخير؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَسْكُتْ**»[2] أي: «أنه إذا أراد أن يتكلم؛ فإن كان ما يتكلم به خيرًا محققًا يثاب عليه واجبًا أو مندوبًا فليتكلم، وإن لم يظهر له أنه خير يثاب عليه فليمسك عن الكلام، سواء ظهر له أنه حرام أو مكروه أو مباح مستوي الطرفين؛ فعلى هذا يكون الكلام المباح مأمورًا بتركه مندوبًا إلى الإمساك عنه؛ مخافةً من انجراره إلى المحرم أو المكروه، وهذا يقع في العادة كثيرًا أو غالبًا»[3].

٤- بيان أن حفظ اللسان من أسباب النجاة؛ فعن عقبة بن عامر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «**قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا النَّجَاةُ؟ قال: أَمْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ**»[4].

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٢١٢).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٧٤).

(٣) شرح النووي لصحيح مسلم (٢/ ٩١).

(٤) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٥٦٦٢٢)، والترمذي، رقم الحديث: (٦٠٤٢)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٦٠٤٢).

٥- بيان أن من صفات أهل الجنة ورثة الفردوس: الإعراض عن لغو الحديث، قال تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ﴾[المؤمنون:٣].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في اللغو: «وهو الكلام الذي لا خير فيه ولا فائدة، ﴿مُعۡرِضُونَ﴾ رغبة عنه، وتنزيهًا لأنفسهم، وترفعًا عنه، وإذا مروا باللغو مروا كرامًا، وإذا كانوا معرضين عن اللغو، فإعراضهم عن المحرم من باب أولىٰ وأحرىٰ، وإذا ملك العبد لسانه وخزنه- إلا في الخير- كان مالكًا لأمره، كما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ لمعاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ حين وصاه بوصايا قال: «**أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ**؟ قلت: بلىٰ يا رسول الله، فأخذ بلسان نفسه وقال: **كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا**»[(١)](٢).

٦- بيان أن حفظ اللسان سبب لدخول الجنة؛ فعن سهل بن سعد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ**»(٣).

٧- بيان أن إطلاق اللسان سبب لدخول النار؛ فعن معاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ عَلَىٰ مَنَاخِرِهِمْ فِي جَهَنَّمَ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ** ؟»(٤).

---

(١) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٢٦١٦)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٣٧٩٣)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢٦١٦).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٨٤٥).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٤٧٤).

(٤) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢٢٠٦٨)، والطبراني في المعجم الكبير، رقم الحديث: (١١٦)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٣٢٨٤).

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ**»[1].

الأثر الرابع: الثقة بكفاية الله السميع شر الأعداء:

إذا تذكر العبد أنه ربه سميع، لا يخفىٰ عليه شيء مما يقوله أعداء دينه وأوليائه من الكفار والمنافقين والفاسقين ونحوهم، فمكرهم مسموع، وكيدهم مسموع، وكذبهم وبهتانهم وتهمهم الباطلة مسموعة، وسبهم وشتمهم وظلمهم كله مسموع، لا يخفىٰ علىٰ السميع العليم، كما قال سُبْحَانَهُ في الأعراب: ﴿وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغۡرَمٗا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ [التوبة:٩٨]، يسمع ما يتناجون به وما يدبرونه من الترصد، عليم بما يبطنون وبما يقصدون إخفاءه[2].

فإذا تذكر العبد ذلك؛ أثمر في قلبه: الاطمئنان والسكينة والثقة بالله عَزَّوَجَلَّ؛ لعلمه بأن ربه السميع سيكفي دينه وأولياءه شرور الأعداء بقدرته، ويمنعهم بعزته، ويرد كيدهم بقوته، ويحفظهم بحفظه، ويكلؤهم برعايته.

وهذا ما حدث مع موسىٰ وهاورن، لما خافا من مواجهة فرعون، فقالا: ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ﴾ [طه:٤٥] فذكرهم الله بسمعه وبصره، فقال تَعَالَى: ﴿لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه:٤٦] فزال الخوف عنهما واطمأنت قلوبهما، وانطلقا لفرعون بالرسالة، وحصل لهما الحفظ والنصر[3].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث:)٨٧٤٦(.

(٢) يظر: التحرير والتنوير (١١/ ٤١).

(٣) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٦٠٥).

وهذا ما حدث -أيضًا- مع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد وعده الله بالكفاية من شرور أعدائه، مذكرًا إياه بأنه السميع لجميع أصواتهم في أي مكان، وعلىٰ أية حال كانوا، العليم بما بين أيديهم وما خلفهم، قال سُبْحَانَهُ: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[البقرة:١٣٧]، «وقد أنجز الله لرسوله وعده، وسلطه عليهم حتىٰ قتل بعضهم، وسبىٰ بعضهم، وأجلىٰ بعضهم، وشردهم كل مشرد»[1].

وقال تَعَالَىٰ له أيضًا: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[يونس:٦٥] يسمع قولك، وقول أعدائك فيك، ويعلم ذلك تفصيلًا، وهذا يعني أمرين:

١- كفايتك وحفظك وتوليك ونصرك، وكذا أمتك من بعدك.

٢- مجازاة أعدائك علىٰ قولهم ومكرهم وكيدهم، في الدنيا أو الآخرة، أو فيهما معًا، وكذا أعداء أمتك من بعدك[2].

وفي هذا تهديد وتخويف لأعداء دينه وأوليائه.

وهو كقوله تَعَالَىٰ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء:١] يسمع ما يقول المشركون من أهل مكة في مسرىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مكة إلىٰ بيت المقدس، لا يخفىٰ عليه شيء، ولا يعزب عنه،

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٨٦).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٥٤١).

بل هو محيط بجميعه علمًا، ومحصيه عددًا، وهو لهم بالمرصاد؛ ليجزي جميعهم بما هم أهله[1].

كما أن تذكُّر هذا المعنىٰ يحي في القلوب الأمل بالنصر والفرج، وعدم استبطائه أو اليأس منه؛ لأن الله سُبْحَانَهُ يسمع ويعلم، ولكنه يمهل ولا يهمل.

ويثمر أيضًا: الصبر علىٰ الأذىٰ والظلم[2]؛ لعلم العبد بأن ربه السميع يسمع قول ظالمه ويعلم مظلمته؛ فينصره عليه ويجيب دعوته فيه، ولا يردها صفرًا، كما جاء في الحديث: «**اتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ**»[3].

الأثر الخامس: محبة الله السميع:

الله سُبْحَانَهُ السميع الذي يسمع شكوىٰ العبد وأنينه، ويسمع نداءه وتضرعه، ويجيب دعاءه وسؤاله، ما وقف أحد ببابه فردَّه، ولا لاذ به فصدَّه، ولا لجأ إليه فخذله، وهذا كله يدعو العبد المتأمل إلىٰ محبة الله عَزَّوَجَلَّ والتعلق به.

الأثر السادس: حفظ نعمة السمع:

إذا علم العبد أن ربه السميع أنعم عليه بجارحة السمع، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢]، وعلم أن حق النعمة الشكر بالقلب، واللسان، والجوارح، وأن أعظم ما يكون من الشكر استعمال النعمة في الطاعة دون المعصية.

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٧١/ ٢٥٣).

(٢) ينظر: المرجع السابق

(٣) أخرجه البخاري (٢٤٤٨)، ومسلم (٩١).

وعلم أنه مسؤول عن هذه النعمة العظيمة، كما هومسؤول عن سائر النعم، وبقية الحواس، قال تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء:٣٦]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾[التكاثر:٨].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فحقيق بالعبد الذي يعرف أنه مسئول عما قاله وفعله وعما استعمل به جوارحه التي خلقها الله لعبادته أن يعد للسؤال جوابًا، وذلك لا يكون إلا باستعمالها بعبودية الله وإخلاص الدين له، وكفها عما يكرهه الله تَعَالَى»[(١)].

إذا علم العبد هذا؛ **دفعه ذلك كله** إلىٰ استعمال سمعه في طاعة الله من سماع القرآن، والعلم، والمواعظ، ونحوها، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف:٢٠٤]، وقال في صفات المؤمنين: إنهم ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر:١٨]، أي: هم «الذين يستمعون القول من القائلين، فيتبعون أرشده وأهداه، وأدله علىٰ توحيد الله، والعمل بطاعته، ويتركون ما سوىٰ ذلك من القول الذي لا يدل علىٰ رشاد، ولا يهدي إلىٰ سداد»[(٢)].

كما يدفعه أيضًا: إلىٰ كف سمعه عن سماع الحرام، من سماع الغناء، والغيبة، والسخرية، والباطل، ونحو ذلك، فذلك كله لا ينفعه سماعه، بل

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٧٥٤).

(٢) تفسير الطبري (١٢/ ٣٧٢).

يكون عليه وبالًا وعقابًا، حتىٰ يقول يوم القيامة حين يرىٰ العذاب: ﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠].

الأثر السابع: دعاء الله السميع:

إذا علم العبد أن من معاني اسم الله السميع: المجيب للدعاء؛ **دفعه ذلك** العلم إلىٰ الإكثار من مناجاة السميع القريب، وسؤاله من حاجات الدنيا والآخرة، من غير ملل أو يأس من كشفه للشدائد وقضائه للحوائج.

كما يدفعه أيضًا إلىٰ التوسل إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ باسمه «السميع»، لا سيما وأنه مظنة الإجابة؛ فقد دعا زكريا عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ ربه: ﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [آل عمران: ٣٨][1]، فأجابه السميع، فرزقه الولد وأرسل له الملائكة بالبشرىٰ ﴿فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران:٣٩]، بل زاده في الجواب والعطاء، فأصلح له زوجه، كما قال سُبۡحَانَهُ: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓ﴾[الأنبياء: ٩٠].

ودعا إبراهيمُ بالولد، فما لبث أن قال: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾[إبراهيم:٣٩].

ودعا يوسف عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا

---

(١) وفي هذا الدعاء يقول ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ: «فقد قيل: إنه دعاء المسألة؛ والمعنىٰ: أنك عودتني إجابتك وإسعافك، ولم تشقني بالرد والحرمان، فهو توسل إليه تَعَالَىٰ بما سلف من إجابته له وإحسانه إليه، وهذا كقوله: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا﴾[مريم:٤]». بدائع الفوائد (٣/ ٤).

تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [يوسف:٣٣]، فأجابه بقوله تَعَالَىٰ: ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [يوسف:٣٤].

ودعت امرأة عمران: ﴿إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [آل عمران:٣٥]، فأجابها السميع بقوله تَعَالَىٰ: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٖ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنٗا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ [آل عمران:٣٧].

ويدفعه أيضًا: إلىٰ الاستعاذة بالله السميع، والالتجاء إليه عند حصول وساوس شياطين الجن والإنس، لا سيما وأن الله أمره بذلك، مذكرًا إياه بأنه السميع العليم، فقال تَعَالَىٰ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [فصلت:٣٦]، فإنه يسمع قولك وتضرعك، ويعلم حالك وفقرك واضطرارك إلىٰ عصمته وحمايته[١].

فاللهم يا سميع يا عليم، نعوذ بك من شر شياطين الإنس والجن ووساوسهم، فاكفناهم بما شئت.



(١) تفسير السعدي (ص: ٧٥٠).

الشَّكُور الشَّاكِرُ جَلَّجَلَالُهُ



المعنى اللغوي:

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الشكر: الثناء علىٰ المحسن بما أولاكه من معروف، يقال: شكرته وشكرت له، وباللام أفصح»[1].

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الشين والكاف والراء أصول أربعة متباينة بعيدة القياس، فالأول- وهو المراد-: الثناء علىٰ الإنسان بمعروف يوليكه......»[2].

ورود اسمي الله (الشَّكُور - الشاكر) في القرآن الكريم:

ورد اسم (الشكور) في كتاب الله تَعَالَىٰ في أربع آيات، ومن وروده مايلي:

١- قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٠].

٢- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [الشورىٰ: ٢٣].

٣- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١٧].

---

(١) الصحاح (٢/ ٥٦٢).

(٢) مقاييس اللغة (٣/ ٢٠٧).

وورد اسم (الشاكر) في آيتين، وهما:

١- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة:١٥٨].

٢- قوله سُبْحَانَهُ: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾[النساء:١٤٧].

ورود اسمي الله (الشكُور- الشاكر) في السنة النبوية:

لم يرد اسم الله تَعَالَى (الشكور) في السنة النبوية، إلا في حديث سرد الأسماء[١].

أما اسم الله (الشاكر) سُبْحَانَهُ فقد ورد في بعض الأحاديث، ومن وروده ما يلي:

١- قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنِ اصْطَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَجَازُوهُ، فَإِنْ عَجَزْتُمْ عَنْ مُجَازَاتِهِ فَادْعُوا لَهُ، حَتَّىٰ يَعْلَمَ أَنَّكُمْ قَدْ شَكَرْتُمْ، فَإِنَّ اللهَ شَاكِرٌ يُحِبُّ الشَّاكِرِينَ**»[٢].

٢- عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: «لما أذن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالحج قال الأقرع ابن حابس: أكل عام يا رسول الله؟ قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **لَا، بَلْ حَجَّةٌ، فَمَنْ حَجَّ بَعْدَ ذَلِكَ، فَهُوَ تَطَوُّعٌ، وَلَوْ قُلْتُ: نَعَمْ، لَوَجَبَتْ، وَلَوْ وَجَبَتْ لَمْ تَسْمَعُوا وَلَمْ تُطِيعُوا**»[٣].

---

(١) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٧٠٥٣)، وابن ماجه، رقم الحديث: (١٦٨٣)، حكم الألباني: ضعيف، صحيح وضعيف سنن الترمذي ، رقم الحديث: (٧٠٥٣).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط، رقم الحديث: (٩٢)، والخطيب في الجامع لأخلاق الراوي، رقم الحديث: (١٠٥)، حكم الألباني: ضعيف جدًّا، السلسلة الضعيفة، رقم الحديث: (٠١٣٥).

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٩٧٥٣) واللفظ له، والنسائي، رقم الحديث: (٠٢٦٢)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف النسائي، رقم الحديث: (٠٢٦٢).

معنى اسمي الله (الشكُور والشاكر) في حقه تعالى:

❁ **قال قتادة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند قوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[فاطر: ٣٠]: «إنه غفور لذنوبهم، شكور لحسناتهم»، وقال: «إن الله غفور للذنوب، شكور للحسنات يضاعفها»[١].

❁ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الشكور هو الذي يشكر اليسير من الطاعة، فيثيب عليه الكثير من الثواب، ويعطي الجزيل من النعمة، فيرضىٰ باليسير من الشكر، كقوله سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾[فاطر: ٣٤]»[٢].

❁ **قال ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة:١٥٨] أي: يثيب علىٰ القليل بالكثير»[٣].

❁ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو الذي يشكر القليل من العمل الخالص النقي النافع، ويعفو عن الكثير من الزلل، ولا يضيع أجر من أحسن عملًا، بل يضاعفه أضعافًا مضاعفة بغير عد ولا حساب»[٤].

❁ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في نونيته:**

وَهْوَ الشَّكُورُ فَلَنْ يُضَيِّعَ سَعْيَهُمْ ... لَكِنْ يُضَاعِفُهُ بِلَا حُسْبَانِ

مَا لِلْعِبَادِ عَلَيْهِ حَقٌّ وَاجِب ... هُوَ أَوْجَبَ الأَجْرَ العَظِيمَ الشَّانِ

---

(١) النهج الأسمىٰ (١/ ٢٩٢).

(٢) شأن الدعاء (ص٥٦-٦٦).

(٣) تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٧٤).

(٤) تفسير أسماء الله الحسنىٰ، للسعدي (ص: ٢١٠).

كَلَّا وَلَا عَمَلٌ لَدَيْهِ ضَائِعٌ   إِنْ كَانَ بِالإِخْلَاصِ والإِحْسَانِ
إِنْ عُذِّبُوا فَبِعَدْلِهِ أَوْ نُعِّمُوا   فَبِفَضْلِهِ والحَمْدُ لِلمَنَّانِ[1]

اقتران اسمي الله (الشَّكُور - الشاكر) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ في القرآن الكريم:

أولًا: اقتران اسم الله الشَّكُور باسم الله الحليم:

تقدم بيانه في اسم الله (الحليم) سُبْحَانَهُ.

ثانيًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (الشكور) باسمه سُبْحَانَهُ (الغفور):

ورد هذا الاقتران ثلاث مرات في القرآن الكريم، ومن ذلك قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر:٣٠]، وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[الشورى:٢٣].

وجه الاقتران:

«وجملة ﴿إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر:٣٠] تذييل وتعليل للزيادة؛ لقصد تحقيقها بأن الله كثيرة مغفرته لمن يستحقها، كثير شكره للمتقربين إليه»[2].

---

(١) النونية (ص: ٢٠٨-٢٠٩).

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٥/ ٨٥).

ثالثًا: اقتران اسم الله (الشاكر) باسم الله (العليم):

ورد هذا الاقتران مرتين في القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة:١٥٨]، وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾[النساء:١٤٧].

وجه الاقتران:

قال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ دليل الجواب؛ إذ التقدي:ر ومن تطوع خيرًا جوزي به؛ لأن الله شاكر، أي: لا يضيع أجر محسن، عليم لا يخفى عنه إحسانه، وذكر الوصفين؛ لأن ترك الثواب عن الإحسان لا يكون إلا عن جحود للفضيلة أو جهل بها؛ فلذلك نفيا- بقوله: شاكر عليم»[(١)].

«وأما عن المعنى الزائد في اجتماع هذين الاسمين الكريمين (الشاكر)، (والعليم) فهو- والله أعلم-: أن الله سُبْحَانَهُ عليم بمن يستحق الشكر على عمله وقبوله وإثابته عليه، فليس كل عامل ومتطوع بالخير يقبل الله سعيه ويشكره عليه، فهوسُبْحَانَهُ أعلم بالشاكرين حقيقة، وبالمتقربين المخلصين في تقربهم له- سُبْحَانَهُ، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأنعام:٣٥]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢]»[(٢)].

---

(١) المرجع السابق (٢/ ٥٦).

(٢) ولله الأسماء الحسنى، لعبد العزيز الجليل (ص ١٥٣).

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (الشكور- الشاكر):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (الشكور) من صفات الله تعالىٰ:

إن شكر الله تَعَالَى لعباده في حقيقته امتنان منه سُبْحَانَهُ، وكمال إحسان وكرم وحلم وفضله منه، رغم أن ملكه سُبْحَانَهُ لا يزداد شيئًا بشكر الناس له ونسبتهم الفضل إليه، كما أنه لا يتضرر بكفرهم؛ لأنه الغني الحميد، ولكنه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يحب أن يحمد ويشكر، ويرضىٰ عن العبد بذلك، ويكره أن يكفر به وبنعمته، ويسخط علىٰ العبد بذلك.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذلك: «وأما شكر الرب تَعَالَى فله شأن آخر كشأن صبره، فهو أولىٰ بصفة الشكر من كل شكور، بل هو الشكور علىٰ الحقيقة»[(١)].

ثم ذكر ابن القيم بعض مظاهر شكر الله لعباده، ومنها:

- من شكره سُبْحَانَهُ: أن العبد إذا ذكر ربه وأثنىٰ عليه في ملأ أو مجلس ذكر؛ شكره الله وأثنىٰ عليه وذكره في ملأ أعلىٰ وأخير منه، يقول الله تَعَالَى في الحديث القدسي: «**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ،...**»[(٢)].

- من شكره سُبْحَانَهُ: أنه إذا أحب عبدًا ألقىٰ محبته بين العباد، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَىٰ جِبْرِيلَ: إِنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّ**

---

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ٢٨٠).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٠٤٧)، ومسلم، رقم الحديث: (٥٧٦٢).

فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي جِبْرِيلُ فِي السَّمَاءِ: إِنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، وَيُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي أَهْلِ الأَرْضِ»[1].

- من شكره سُبْحَانَهُ: توفيقه لعباده إلىٰ الخير، ثم إعطاؤهم وإثابتهم علىٰ العمل به، فالله عَزَّوَجَلَّ يشكر القليل من العمل، ويعطي عليه ثوابًا جزيلًا أكثر من العمل نفسه، فيضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلىٰ أضعاف مضاعفة، إلىٰ سبعمائة ضعف إلىٰ أضعاف كثيرة، وقد يجزي الله العبد علىٰ العمل بأنواع من الثواب العاجل قبل الآجل، يقول صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث القدسي: «**يقول الله تعالىٰ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»**[2].

- من شكره سُبْحَانَهُ: أنه لا يجزي بالسيئة إلا سيئة واحدة مثلها؛ يقول سُبْحَانَهُ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[الأنعام:١٦٠] وقال سُبْحَانَهُ: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[غافر:٤٠].

- من شكره سُبْحَانَهُ: أن الهم بالحسنة يكتبها حسنة كاملة، والهم بالمعصية وتركها من أجل الله يكتب بها حسنة، قال صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ**

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٨٤٧)، ومسلم، رقم الحديث: (٧٣٦٢).

(٢) سبق تخريجه.

كَتَبَ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا الله لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا الله لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَىٰ سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ إِلَىٰ أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا الله لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا الله لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً»(١).

- من شكره سُبْحَانَهُ: أنه لا يقتصر شكره لعباده المؤمنين، بل يجازي حتىٰ عدوه بما يفعله من الخير والمعروف في الدنيا، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً، يُعْطَىٰ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَيُجْزَىٰ بِهَا فِي الْآخِرَةِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا، حَتَّىٰ إِذَا أَفْضَىٰ إِلَىٰ الْآخِرَةِ، لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَىٰ بِهَا»، وفي رواية: «إِنَّ الْكَافِرَ إِذَا عَمِلَ حَسَنَةً أُطْعِمَ بِهَا طُعْمَةً مِنَ الدُّنْيَا، وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ، فَإِنَّ اللهَ يَدَّخِرُ لَهُ حَسَنَاتِهِ فِي الْآخِرَةِ وَيُعْقِبُهُ رِزْقًا فِي الدُّنْيَا عَلَىٰ طَاعَتِهِ»(٢).

- من شكره سُبْحَانَهُ: غفرانه للكثير من الزلل شكرًا للقليل من العمل، فيثيب الثواب الجزيل ولو كان العمل قليلًا، ومن ذلك ماثبت من غفرانه للمرأة البغىٰ بسقيها كلبًا، يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ قَدْ كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ فَنَزَعَتْ مُوقَهَا، فَاسْتَقَتْ لَهُ بِهِ، فَسَقَتْهُ إِيَّاهُ، فَغُفِرَ لَهَا بِهِ»(٣)، وغفرانه لآخر بتنحيته غصن شوك عن طريق المسلمين، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَىٰ الطَّرِيقِ

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (١٩٤٦)، ومسلم، رقم الحديث: (١٣١).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٨٠٨٢).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٧٦٤٣).

فَأَخَّرَهُ، فَشَكَرَ الله لَهُ فَغَفَرَ لَهُ»[1]، وفي الحديث الآخر يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ، فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ، كَانَتْ تُؤْذِي النَّاسَ**»[2].

- من شكره سُبْحَانَهُ: إخراجه للعبد من النار بأدنىٰ مثقال ذرة من خير، وشكر هذا القدر له، ففي الحديث: «**فَأَخْرِج مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَىٰ أَدْنَىٰ أَدْنَىٰ مِثْقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخرجهُ مِنْ النَّارِ**»[3].

- من شكره سُبْحَانَهُ: أن العبد من عباده يقوم له مقامًا يرضيه بين الناس فيشكر له، وينوه بذكره، يخبر ملائكته وعباده المؤمنين، كما شكر لمؤمن آل فرعون، وأثنىٰ به عليه، ونوه بذكره بين عباده، وكذلك شكره لصاحب يس مقامه ودعوته إليه.

- من شكره سُبْحَانَهُ: أن العبد إن ترك شيئًا لله أعطاه أفضل منه، وإذا بذل له شيئًا رده عليه أضعافًا مضاعفة، وهو الذي وفقه للترك والبذل، ولكنه شكره علىٰ هذا وذاك[4]، **ومن شواهد ذلك:**

* «لما عقر نبيه سليمان الخيل غضبًا له؛ إذ شغلته عن ذكره فأراد ألا تشغله مرة أخرىٰ أعاضه عنها بمتن الريح.

* و لما احتمل يوسف الصديق ضيق السجن؛ شكر له ذلك بأن مكن له في

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٥٦)، ومسلم، رقم الحديث: (٤١٩١).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٤١٩١).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٠١٥٧).

(٤) انظر: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ابن القيم (ص:٠٨٢).

الأرض يتبوأ منها حيث يشاء، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف:٥٦].

* ولما بذل الرسل كافة أعراضهم فيه لأعدائهم، فنالوا منهم وسبوهم؛ أعاضهم من ذلك بأن صلىٰ عليهم هو وملائكته، وجعل لهم أطيب الثناء في سماواته وبين خلقه، فأخلصهم بخالصة؛ ذكرىٰ الدار.

* ولما ترك الصحابة ديارهم وخرجوا منها في مرضاته؛ أعاضهم عنها أن ملكهم الدنيا، وفتح لهم ملك فارس والروم، فمما روي عن أبي ذر أنه عندما فتح قبرص بكىٰ بكاءً أبكىٰ من حوله، قالوا: تبكي وهو يوم عظيم فتح الله بلاد الكفر لأهل الإيمان؟ قال: أبكي؛ لأنه لما غيروا نعمة الله عليهم غير الله ما بهم؛ فأورثنا أرضهم.

* ولما بذل الشهداء أبدانهم له حتىٰ مزقها أعداؤه؛ شكر لهم ذلك بأن أعاضهم منها طيرًا خضرًا أقر أرواحهم فيها ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها إلىٰ يوم البعث، فيردها عليهم أكمل ما تكون وأجمله وأبهاه»[1].

ولذلك كله: نُهينا أن نستصغر شيئًا من أعمال البر، ولو كان يسيرًا، يقول تَعَالَىٰ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦١]، وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي ذر: «**لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَىٰ أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ**»[2].

(١) عدة الصابرين، لابن القيم (ص ١٨٢).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٦٢٦٢).

الأثر الثاني: دلالة اسم الله (الشكور) علىٰ التوحيد:

من تأمل في اسم الله (الشكور) وما فيه من جزيل العطايا والكرم والامتنان الإلهي، علم أن أعظم الشكر هو توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له؛ لأنه هو الذي خلق وأوجد من العدم، ورزق الإنسان الأرزاق الكثيرة، ولم يشاركه في ذلك أحد، فلا يستحق أحد العبادة معه، ولكن أكثر الناس أعرضوا عن هذه الحقيقة، كما قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾[النمل:٧٣] وجعلوا له أندادًا، ونسبوا لها الضر والنفع، والتصرف في الأرزاق، ودفع الأمراض، وقضاء الحاجات، وتفريج الكربات.

فمن الشرك الذي يقع من العباد: نسبتهم ما يحصل لهم من الأرزاق إلىٰ المخلوقين، قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه: باب قول الله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾[الواقعة:٨٢]، قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «شُكركم»[1].

وروىٰ زيد بن خالد الجهني رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: «صَلَّىٰ لَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ، عَلَىٰ إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَقْبَلَ عَلَىٰ النَّاسِ فَقَالَ: **هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟** قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قال: «**أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالكَوْكَبِ**»[2]، وفي رواية: «**ما أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ بَرَكَةٍ إِلَّا أَصْبَحَ فَرِيقٌ مِنَ النَّاسِ بِهَا كَافِرِينَ، يُنْزِلُ اللهُ الْغَيْثَ**

---

(١) فتح الباري، لابن حجر (٢/ ٢٢٥).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٨٣٠١)، ومسلم، رقم الحديث: (١٧).

فَيَقُولُونَ: الْكَوْكَبُ كَذَا وَكَذَا»[1].

وكما أن اسم الله (الشكور) دال علىٰ الربوبية والألوهية، فكذا هو دال علىٰ الأسماء والصفات؛ إذ يدل علىٰ اسم الله المحسن، الرزاق، الرحمن، الرحيم، الكريم، الحليم إلىٰ غير ذلك من أسمائه سُبْحَانَهُ وما فيها من صفات.

الأثر الثالث: كل عمل صالح يشكره الله، وهناك أعمال مخصوصة ورد شكر الله عليها:

من فضل الشكور وعظيم شكره وامتنانه، أن كل عمل صالح يقبله الله ويشكره لعباده، إلا أن هناك أعمالًا جاء النص علىٰ شكر الله لها علىٰ سبيل التخصيص، ومنها:

- الإيمان الصادق والشكر لله تَعَالَىٰ علىٰ إنعامه:

قال سُبْحَانَهُ: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾[النساء:١٤٧].

- قراءة القرآن:

قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[فاطر:٢٩، ٣٠]، فالذي يتلو كتاب الله له بكل حرف حسنة، والحسنة بعشر أمثالها إلىٰ سبعمائة ضعف.

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٧).

- الحج والعمرة:

قال تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة:١٥٨].

الصدقة:

قال تَعَالَى: ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾[التغابن:١٧]، و يقول سُبْحَانَهُ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة:٢٦١].

وبالإجمال- فكما تقدم-: الله تَعَالَى يشكر لعبده كل حسنة يفعلها بمضاعفة أجرها، يقول تَعَالَى: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[الشورى:٢٣].

ولذلك إذا دخل أهلُ الجنةِ الجنةَ تقالُّوا عملهم فيما يرون من الجنة، يقول تَعَالَى عنهم: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾[فاطر:٣٣، ٣٤]، فأهل الجنة يدركون تمامًا أن الله تَعَالَى غفر لهم السيئات، وضاعف لهم الحسنات، وبرحمته أدخلهم الجن؛ وذلك لأن عبادة ستين أو سبعين سنة، لا تعادل ماهم فيه من نعيم الجنة العظيم، وفي الحديث: «**لَوْ أَنَّ رَجُلًا يُجَرُّ عَلَىٰ وَجْهِهِ مِنْ يَوْمِ وُلِدَ إِلَىٰ أَنْ يَمُوتَ هَرَمًا فِي مَرْضَاةِ اللهِ، لَحَقَرَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[1].

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٤٢٩٧١)، والطبراني في الكبير، رقم الحديث: (٣٠٣)، حكم الألباني:صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٦٤٤).

وعليه فإن كل ما يتقرب به إلىٰ الله سُبْحَانَهُ من صلاة وصيام وحج وصدقة وجهاد، وغيرها من أعمال البر المحدودة بالأعمار القصيرة، والتي يتخللها التقصير والسهو والنسيان، لا يمكن بحال أن تكون ثمنًا لدخول الجنة السرمدية، فدخول العبد الجنة والفوز بها إنما هو بفضل الله تَعَالَىٰ ورحمته(١)، ولذا جاء في الحديث عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**سَدِّدُوا، وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا؛ فَإِنَّهُ لَنْ يُدْخِلَ الجَنَّةَ أَحَدًا عَمَلُهُ**، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟، قال: **وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِمَغْفِرَةٍ وَرَحْمَةٍ**»(٢).

ولا تعارض بين هذا الحديث وبين قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[الزخرف:٧٢] فالباء هنا ليست للعوض، فليست الجنة عوضًا للعمل، وإنما باء السببية، فمن أسباب دخول الجنة: العمل، وقيل: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ الأعمال التي قبلها الله برحمته.

الأثر الرابع: الله سُبْحَانَهُ يشكر أعمال عباده جملة وتفصيلًا:

فالله سُبْحَانَهُ يعطي المتاجرين معه أجرًا علىٰ العمل الصالح جملة مرة، وتفصيلًا مرة أخرىٰ، وبيان ذلك ما يلي:

١) **في عبادة الصلاة:** يعطي عباده الأجر عليه جملة كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الصَّلاةُ الخَمْسُ، والجُمُعَةُ إِلَىٰ الجُمُعَةِ، كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ، مَا لَمْ تُغْشَ**

---

(١) ينظر: النهج الأسمىٰ في شرح أسماء الله الحسنىٰ، للنجدي (١/ ٦٩٢)، ومنهج الإمام ابن القيم الجوزية في شرح أسماء الله الحسنىٰ، لمشرف الغامدي (ص٤٣٣).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٧٦٤٦).

الكَبَائِرُ»[1]، ثم يعطيهم الأجر علىٰ كل عمل في الصلاة أو تابع لها، علىٰ وجه التفصيل، فمثلًا:

- قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أجر الوضوء والذكر بعده: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ**- أو **فَيُسْبِغُ**- **الْوَضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ**»[2].

- قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أجر الخطوات نحو الصلاة: «**مَنْ غَدَا إِلَىٰ المَسْجِدِ وَرَاحَ، أَعَدَّ اللهُ لَهُ نُزُلَهُ مِنَ الجَنَّةِ كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ**»[3].

- قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أجر من مشىٰ إلىٰ الصلاة في الظلمات: «**بَشِّرِ الْمَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَىٰ الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[4].

- قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أجر السجود: «**عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ لِلَّهِ، فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً، إِلَّا رَفَعَكَ اللهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً**»[5].

- قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أجر الأذكار بعد الصلاة: «**مَنْ سَبَّحَ اللهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَحَمِدَ اللهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبَّرَ اللهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَتِلْكَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، وَقَالَ: تَمَامَ الْمِائَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ؛ غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ**»[6].

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٣٣).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٣٤).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٦٢)، ومسلم، رقم الحديث: (٦٦٩).

(٤) أخرجه أبو داود (٥٦١)، والترمذي، رقم الحديث: (٢٢٣)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٧٨١) حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٥٦١).

(٥) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٤٨٨).

(٦) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٥٩٧).

٢) **في عبادة الصيام**: يعطي عباده الأجر عليه جملة كما قال صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»(١)، ثم يعطيهم الأجر علىٰ كل عمل في الصيام أو تابع له، علىٰ وجه التفصيل، فمثلًا:

- قال صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أجر صوم اليوم الواحد في سبيل الله: «**مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللهِ، بَعَّدَ اللهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا**»(٢).

- قال صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أجر رائحة فم الصائم: «**وَلَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ المِسْكِ**»(٣).

٣) **في عبادة الحج**: يعطي عباده الأجر عليه جملة، كما قال صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**»(٤)، ثم يعطيهم الأجر علىٰ كل عمل في الحج أو تابع له، علىٰ وجه التفصيل، فمثلًا:

- قال صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أجر التلبية: «**مَا مِنْ مُلَبٍّ يُلَبِّي، إِلَّا لَبَّىٰ، مَا عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ، مِنْ حَجَرٍ، أَوْ شَجَرٍ، أَوْ مَدَرٍ، حَتَّىٰ تَنْقَطِعَ الْأَرْضُ، مِنْ هَا هُنَا وَهَا هُنَا**»(٥).

- قال صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أجر يوم عرفة: «**مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللهُ**

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٨٣)، ومسلم، رقم الحديث: (٠٦٧).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٠٤٨٢) واللفظ له، ومسلم، رقم الحديث: (٣٥١١).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٧٢٩٥) واللفظ له، ومسلم، رقم الحديث: (١٥١١).

(٤) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (١٢٥١)، ومسلم، رقم الحديث: (٠٥٣١).

(٥) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٨٢٨)، وابن ماجه، رقم الحديث: (١٢٩٢)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٨٢٨).

فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ، مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو، ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمِ الْمَلَائِكَةَ، فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟»[1].

- قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ في أجر الصلاة في المسجد الحرام: «**وَصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ**»[2].

وهكذا في كل الأعمال الصالحة، فالله يشكرها جملة وتفصيلًا، منة منه وفضلًا وكرمًا وإحسانًا.

الأثر الخامس: محبة الله الشكور سُبْحَانَهُ:

إن التأمل في اسم الله الشكور وما يتصف به سُبْحَانَهُ من إثابة العمل القليل قبل الكثير، وشكر المذنب العاصي والمؤمن الصالح جميعًا، وعظم هذا الشكر والجزاء في الدنيا والآخرة مقابل يسر العمل وقلته؛ لا شك أن ذلك يورث العبد حياء من ربه ويملأ قلبه حبًّا له وعرفانًا تجاه إنعامه ومننه، فَسُبْحَانَهُ قد غمر العباد بفضله وإحسانه وكرمه، وهو الذي أنعم عليهم بنعمة الإيجاد والإعداد والإمداد، ومع ذلك فهو يجازيهم علىٰ العمل الصالح القليل الذي هو بتوفيقه وفضله؛ يشكرهم عليه ويضاعف لهم الأجور ويغفر لهم الذنوب، فَسُبْحَانَهُ من إله شكور بر رحيم جواد كريم يستحق الحمد كله والحب كله، وإفراده وحده بالعبادة لا شريك له.

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٣٤٨).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٥٥٠٤)، وابن ماجه، رقم الحديث: (١٤٠٦)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، رقم الحديث: (١٤٠٦).

الأثر السادس: الكفر بنعم الله مؤذن بزوالها عمن كفر بها:

علىٰ المؤمن أن يدرك أن النعم التي يتفضل الله بها علىٰ عباده المؤمنين؛ جزاء لهم علىٰ أعمالهم الصالحة ليست جزاء توفية، بل إنها بعض نعمته العاجلة لهم، وأنهم إذا أطاعوه زادهم إلىٰ هذه النعم نعمًا أخرىٰ، ثم في الآخرة يوفيهم أجور أعمالهم تامة غير منقوصة ويزيدهم من فضله، يقول تَعَالَى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٞۚ وَلَدَارُ ٱلْأٓخِرَةِ خَيْرٞۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [النحل:٣٠]، وقال تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجْرُ ٱلْأٓخِرَةِ أَكْبَرُۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾[النحل:٤١]، والعبد الشاكر لربه الشكور يعلم علمًا يقينيًّا أن لشكره عاقبة ومنزلة عظمىٰ، فبالشكر تقيد للنعم الحاضرة، وجلب للنعم المفقودة، فضلًا علىٰ أن الشكر سبب لزيادة النعم وبقائها، يقول سُبْحَانَهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ﴾[إبراهيم:٧].

وبالمقابل: كفران النعم وجحودها مؤذن بزوالها، يقول تَعَالَى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرْيَةٗ كَانَتْ ءَامِنَةٗ مُّطْمَئِنَّةٗ يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ١١٢ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٞ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾[النحل:١١٢، ١١٣].

يقول السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في تفسير الآية**: وهذه القرية هي مكة المشرفة التي كانت آمنة مطمئنة لا يهاج فيها أحد، وتحترمها الجاهلية الجهلاء، حتىٰ إن أحدهم يجد قاتل أبيه وأخيه، فلا يهيجه مع شدة الحمية فيهم، والنعرة العربية، فحصل لها من الأمن التام ما لم يحصل لسواها وكذلك الرزق الواسع، كانت

بلدة ليس فيها زرع ولا شجر، ولكن يسَّر الله لها الرزق يأتيها من كل مكان، فجاءهم رسول منهم يعرفون أمانته وصدقه، يدعوهم إلىٰ أكمل الأمور، وينهاهم عن الأمور السيئة، فكذبوه وكفروا بنعمة الله عليهم، فأذاقهم الله ضد ما كانوا فيه، وألبسهم لباس الجوع الذي هو ضد الرغد، والخوف الذي هو ضد الأمن؛ وذلك بسبب صنيعهم وكفرهم وعدم شكرهم قال تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾[النحل:٣٣][1].

ولذا كان النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يستعيذ من زوال النعمة في دعائه، كما جاء في حديث ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا، قال: كان من دعاء النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ**»[2].

الأثر السابع: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس»:

قال ابن الأثير رَحِمَهُٱللَّهُ في شرح حديث: «**لَا يَشْكُرُ الله مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ**»[3]: «معناه أن اللهتَعَالَىٰ لا يقبل شكر العبد علىٰ إحسانه إليه، إذا كان العبد لا يشكر إحسان الناس، ويكفر أمرهم؛ لاتصال أحد الأمرين بالآخر، وقيل معناه: أن من كان عادته وطبعه كفران نعمة الناس وترك شكره لهم؛ كان من عادته كفر نعمة الله عَزَّوَجَلَّ وترك الشكر له، وقيل: معناه أن من لا يشكر الناس كان كمن لا يشكر الله عَزَّوَجَلَّ، وأن شكره كما تقول: لا يحبني من لا

---

(١) تفسير السعدي (ص: ١٥٤).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٩٣٧٢).

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٦٥١٩)، وأبو داود (١١٨٤)، والترمذي، رقم الحديث: (٤٥٩١)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٤٥٩١).

يحبك، أي: أن محبتك مقرونة بمحبتي، فمن أحبني يحبك، ومن لا يحبك فكأنه لم يحبني»[1].

وفي الحديث الآخر: «**وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ، فَادْعُوا لَهُ حَتَّىٰ تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ**»[2]، وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مرفوعًا «**مَنْ أُتِيَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ، فَلْيُكَافِئْ بِهِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، فَلْيَذْكُرْهُ، فَمَنْ ذَكَرَهُ، فَقَدْ شَكَرَهُ**»[3].

وعن النعمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا «**مَنْ لَمْ يَشْكُرِ الْقَلِيلَ، لَمْ يَشْكُرِ الْكَثِيرَ، وَمَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ، لَمْ يَشْكُرِ اللهَ، التَّحَدُّثُ بِنِعْمَةِ اللهِ شُكْرٌ، وَتَرْكُهَا كُفْرٌ، وَالْجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ، وَالْفُرْقَةُ عَذَابٌ**»[4]، وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «إن المهاجرين قالوا يا رسول الله: ذهبت الأنصار بالأجر كله، قال: **لَا، مَا دَعَوْتُمُ اللهَ لَهُمْ وَأَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِمْ**»[5].

وأولىٰ الناس بالشكر هما: الوالدان، فقد قرن الله شكرهما بشكره، قال تَعَالَى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ [لقمان:١٤]، فأمر بشكره ثم بشكر الوالدين؛ إذ كانا سبب وجوده في الدنيا، وسهرًا وتعبًا في تربيته وتغذيته، فمن عقهما أو

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٢/ ١٠٢١).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢٣٢٥٢)، حكم الألباني: حسن لغيره، صحيح الترغيب والترهيب، رقم الحديث: (٢٧٩).

(٤) أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند (١٨٤٧٠)، حكم الألباني: حسن، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٦٦٧).

(٥) أخرجه أبو داود (٤٨١٢)، والترمذي، رقم الحديث: (٢٤٨٧)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٤٨١٢).

أساء إليهما فما شكرهما علىٰ صنيعهما؛ بل جحد أفضالهما عليه، ومن لم يشكرهما فإنه لم يشكر الله الذي أجرىٰ تلك النعم علىٰ أيديهما، وقال الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ**، قيل: من يا رسول الله؟ قال: **مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ، أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا، ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ**»[1].

من أذم الخصال: أن لا تشكر المرأة زوجها مع إحسانه، فأكبر إحسان أنه اختار المرأة من نساء العالمين، وربط اسمه باسمها، وجعلها موطن الولد له، وأسكنها بيته، وإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لما زار بيت ابنه إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ وسأل كيف رزقكم؟ فذمت، فقال: قولي لزوجك إذا أتىٰ يغير عتبة داره، ولما أتىٰ أسماعيل قال: ذاك أبي أبراهيم وأمرني أن أطلقك[2]؛ لأنها امرأة لا تشكر، وفي الصحيحين أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، تَصَدَّقْنَ وَأَكْثِرْنَ الاسْتِغْفَارَ، فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ**، فقالت امرأة منهن جزلة: وما لنا أكثر أهل النار؟ قال: **تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ العَشِيرَ**»[3] «جزلة» بفتح الجيم وسكون الزاي أي: ذات عقل ورأي، والجزالة: العقل والوقار، فقد توعد علىٰ كفران العشير، وهو في الأصل: المعاشر، والمراد هنا: الزوج، توعد علىٰ كفران العشير والإحسان بالنار؛ فدل علىٰ أنه كبيرة علىٰ نص أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ بخلاف اللعن، فإنه قال: «**تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ**» والصغيرة تصير كبيرة بالكثرة.

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٥٢).

(٢) أخرجه البخاري (٤٦٣٣).

(٣) أخرجه مسلم (٠٨).

الأثر الرابع: وجوب شكر الله تَعَالَىٰ علىٰ نعمائه:

علىٰ العبد أن يستشعر وجوب الشكر علىٰ كل مكلف بالاتفاق، فهو أساس الإيمان، يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومقام الشكر جامع لجميع مقامات الإيمان؛ ولذلك كان أرفعها وأعلاها، وهو فوق الرضا، وهو يتضمن الصبر من غير عكس، ويتضمن التوكل والإنابة، والحب والإخبات، والخشوع والرجاء، فجميع المقامات مندرجة فيه، لا يستحق صاحبه اسمه علىٰ الإطلاق إلا باستجماع المقامات له، ولهذا كان الإيمان نصفين: نصف صبر، ونصف شكر، والصبر داخل في الشكر، فرجع الإيمان كله شكرًا، والشاكرون هم أقل العباد، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ:١٣]»(١).

وفي الملحق ما يعين- بإذن الله- علىٰ تحقيق هذه العبادة العظيمة والمنزلة الكريمة.

الأثر الخامس: دعاء الله باسمه الشكور:

لم يرد الدعاء بالاسم، ولكن ورد الدعاء بمقتضىٰ الاسم، كقوله تَعَالَىٰ: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة:١٥٢]، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِيٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم:٣٧].

وثبت في السنة والسيرة النبوية أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كان كثير الشكر

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٧٥١).

لربه، ومن دعائه: «**رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَكَّارًا**»[1]، ومما روت عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قولها: «كان رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إذا صلىٰ، قام حتىٰ تفطر رجلاه، فتقول: يا رسول الله! أتصنع هذا، وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: **يَا عَائِشَةُ أَفَلا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا**»[2]، وهي وصيته لمعاذ بن جبل رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ففي الحديث قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**يَا مُعَاذُ، وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، واللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ**، فقال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَىٰ ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**»[3].



---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢٢٠٢)، والترمذي، رقم الحديث: (١٥٥٣) وابن ماجه، رقم الحديث: (٠٣٨٣)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف الترمذي، رقم الحديث: (١٥٥٣).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه أبو داود (٢٢٥١)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٢٢٥١).

«الشكور يحب الشاكرين»



في موضوع الشكر لله سنتطرق للمسائل التالية:

أولًا: تعريف الشكر:

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الشكر: ظهور أثر نعمة الله علىٰ لسان عبده ثناء واعترافًا، وعلىٰ قلبه شهودًا ومحبة، وعلىٰ جوارحه انقيادًا وطاعة»[1].

ويقول أيضًا: «الشكر مبني علىٰ خمس قواعد: خضوع الشاكر للمشكور، وحبه له، واعترافه بنعمته، وثناؤه عليه بها، وأن لا يستعمله فيما يكره، فهذه الخمس هي أساس الشكر، وبناؤه عليها، فمتىٰ عدم منها واحدة اختل من قواعد الشكر قاعدة، وكل من تكلم في الشكر وحده فكلامه إليها يرجع، وعليها يدور»[2].

ثانيًا: فضائل الشكر:

لشكر الله فضائل عديدة، ومنافع عظيمة، منها:

١- الشاكرون هم من أكثر المنتفعين بآيات الله تَعَالَىٰ، فهم ينظرون بعين البصيرة إلىٰ من قص الله أخبارهم في القرآن، كقصة سبأ في سورة سبأ، وقصة أصحاب الجنة في سورة القلم، فيعرفون أن تلك العقوبة جزاء كفرهم

---

(١) مفهوم الشكر عند ابن تيمية (ص: ٥٢).

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٤٤٢).

نعمة الله تَعَالَى، وأن من فعل مثل فعلهم فعل به مثلهم، هي سنة الله، ولهذا قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عند ذكره لقصة سبأ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [سبأ:١٩].

٢- الشكر من مقامات الإيمان؛ ولذلك عمل الشيطان جاهدًا علىٰ صد العباد عنه، قال تَعَالَى عن إبليس: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف:١٦، ١٧].

٣- تحقيق الشكر لله تَعَالَى دليل العبودية الحقة، قال تَعَالَى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [النحل:١١٤].

٤- الشكر وسيلة لنيل رضىٰ الرب، قال تَعَالَى: ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾[الزمر:٧].

٥- الشكر إن قُرن بالإيمان مَنَع من العذاب، يقول تَعَالَى: ﴿مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾[النساء:١٤٧].

٦- ثناء الله تَعَالَى في كتابه علىٰ أهل الشكر، ووصفه بعض خواص خلقه بهذه الخصلة، قال تَعَالَى عن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء:٣]، وقال تَعَالَى عن إبراهيم: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ﴾[النحل:١٢٠، ١٢١].

٧- الشكر مطلب عباد الله الصالحين، فجاء في القرآن علىٰ لسان سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ قوله تَعَالَى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ﴾

[النمل:١٩]، وورد أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَكَّارًا»(١) وأوصىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ معاذًا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لحبه له أن يستعين بالله علىٰ شكره فقال: «**يَا مُعَاذُ، وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، والله إني لَأُحِبُّكَ، فقال: أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَىٰ ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**»(٢).

٨- جعل الله الشكر سببًا للمزيد من النعم، فقال تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[إبراهيم:٧].

٩- جعل الله تَعَالَىٰ شكره هدفًا من أهداف تفضله بالنعم، يقول سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[النحل:٧٨]، وقال في شأن تسخيره الأنعام: ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[الحج:٣٦].

١٠- جعل اللهُ شكرَه هدفًا من أهداف العفو والنصر، يقول تَعَالَىٰ في العفو: ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[البقرة:٥٢]، ويقول في النصر: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[الأنفال:٢٦].

١١- وعد الله تَعَالَىٰ الشاكرين بأحسن الجزاء فقال تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[آل عمران:١٤٥] وبين أنه تَعَالَىٰ وإن كان يحب الشاكرين إلا أنه لا يعود عليه شيء من النفع بشكرهم، بل النفع لهم، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ﴾[لقمان:١٢].

١٢- الشكر يرفع منزلة المفطر إلىٰ منزلة الصائم، فقد روىٰ الترمذي وحسنه عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**الطَّاعِمُ الشَّاكِرُ بِمَنْزِلَةِ الصَّائِمِ الصَّابِرِ**»(١).

ثالثا: مسألة: أيهما أفضل الشكر أم الصبر؟

يقول ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ: «حكىٰ ابن الجوزي في ذلك ثلاث أقوال:

القول الأول: أن الصبر أفضل.

القول الثاني: أن الشكر أفضل.

القول الثالث: أنهما سواء، كما قال عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: (لو كان الصبر والشكر بعيرين ما باليت أيهما ركبت)(٢).

ثم قال: «وانبنىٰ علىٰ هذه المسألة مسألة: الغني الشاكر، والفقير الصابر، أيهما أفضل؟

والتحقيق أن يقال: أفضلهما أتقاهما لله تَعَالَىٰ، فإن فرض استواؤهما في التقوىٰ استويا في الفضل، فإن الله سُبۡحَانَهُ لم يفضل بالفقر والغنىٰ كما لم يفضل بالعافية والبلاء، وإنما فضل بالتقوىٰ، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾[الحجرات:١٣].

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٢٩٧)، والترمذي، رقم الحديث: (٦٨٤٢)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٤٦٧١)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث (٦٨٤٢).

(٢) الرسالة القشيرية (١/ ٧٢٣).

والتقوىٰ مبنية علىٰ أصلين: الصبر والشكر، وكل من الغنىٰ والفقير لا بد له منهما، فمن كان صبره وشكره أتم كان أفضل، فإن قيل: فإذا كان صبر الفقير أتم وشكر الغني أتم فأيهما أفضل؟ قيل: أتقاهما لله في وظيفته ومقتضىٰ حاله، ولا يصح التفضيل بغير هذا البته، فإن الغني قد يكون أتقىٰ لله في شكره من الفقير في صبره، وقد يكون الفقير أتقىٰ لله في صبره من الغني في شكره، فلا يصح أن يقال: هذا بغناه أفضل، ولا هذا بفقره أفضل، ولا يصح أن يقال: هذا بالشكر أفضل من هذا بالصبر، ولا بالعكس، لأنهما مطيتان للإيمان لا بد منهما»[1].

رابعًا: أركان شكر الله تعالىٰ:

الشكر في حقيقته هو القيام بثلاثة أركان، وهي: (شكر القلب، وشكر اللسان، وشكر الجوارح)، مع ما يكمل ذلك من محبة المشكور والخضوع له، واستعمال نعمه في مرضاته، علىٰ أن الإنسان لا يمكن أن يكافئ نعم الله عليه، ولا أن يقوم بوظيفة الشكر لله تَعَالَى، كما دل علىٰ ذلك قوله تَعَالَى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[النحل:١٨]، وقد دل آخر الآية علىٰ تقصير بني آدم في شكر النعم؛ لأن من لا يستطيع إحصاء النعم كيف يقوم بشكرها؟ بل وأي نعمة يعرفها قد لا يدرك حقيقتها، فكيف يقوم باتمام شكرها؟ ولكن حسب الإنسان أن يسدد ويقارب.

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، لابن القيم الجوزية (ص: ٦٧).

وفيما يلي بيان موجز لهذه الأركان:

١- شكر القلب:

وهو معرفة القلب وإقراره بأن ما بالعبد من نعمة فهي فضل من الله تَعَالَى وحده، وأن ذلك إحسان منه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حتىٰ لو وصلت بعض هذه النعم علىٰ يد عبد من عباد الله، إلا أن الشكر أولًا وأخيرًا لله الذي سخر ذلك العبد ليوصلها إليك، فالله تَعَالَى هو الذي أجراها علىٰ يديه، وإلا فهو لا يد له فيه ولا صنع، يقول سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ﴾[النحل:٥٣].

وهذا ما أرشد إليه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، حين أمر المسلم أن يقول إذا أصبح وإذا أمسىٰ: «**مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ: اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ، أَوْ بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ، فَمِنْكَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، فَلَكَ الحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْرُ، فَقَدْ أَدَّىٰ شُكْرَ ذَلِكَ اليَوْمِ**»[1].

ومن هنا ندرك أن العبد لا خروج له عن نعمة ربه وفضله ومنته وإحسانه طرفة عين، لا في الدنيا ولا في الآخرة، فالله تَعَالَى هو الذي يمنح النعم لا أحد سواه يشاركه، فلا يقول الإنسان كما قال قارون في قوله تَعَالَى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾[القصص:٧٨].

ويقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في ذلك**: «الشكر: اسم لمعرفة النعمة؛ لأنها السبيل إلىٰ معرفة المنعم، ولهذا سمىٰ الله تَعَالَى الإسلام والإيمان في القرآن: شكرًا، فمعرفة النعمة: ركن من أركان الشكر، لا أنها جملة الشكر...، فالشكر

---

(١) أخرجه ابن حبان (١٦٨)، حكم الألباني: ضعيف، ضعيف الجامع الصغير، رقم الحديث: (٠٣٧٥).

اسم لمعرفة النعمة، مستلزمًا لمعرفة المنعم، ومعرفته تستلزم محبته، ومحبته تستلزم شكره»[1].

٢- شكر اللسان:

وهو الثناء علىٰ الله تَعَالَىٰ بنعمه، وحمده عليها مع محبته والتحدث بها علىٰ سبيل الاعتراف بفضله وإظهار الفاقة، لا لرياء وسمعة وخيلاء؛ ليكون الذكر داعيًا إلىٰ شكر القلب والجوارح.

«وشكر اللسان المتعلق بالنعمة نوعان:

١- عام: وهو وصفه بالجود والكرم، والبر والإحسان، وسعة العطاء، ونحو ذلك.

٢- خاص: وهو التحدث بنعمته، والإخبار بوصولها إليه من جهته، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحىٰ: ١١]، وفي هذا التحديث المأمور به قولان:

- **أحدهما**: أنه ذكر النعمة، والإخبار بها، وقوله: أنعم الله عليَّ بكذا وكذا، قال مقاتل: يعني اشكر ما ذكر من النعم عليك في هذه السورة: من جبر اليتم، والهدىٰ بعد الضلال، والإغناء بعد العيلة، والتحدث بنعمة الله شكر، كما في حديث جابر مرفوعًا: **«مَنْ أُتِيَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ، فَلْيُكَافِئْ بِهِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، فَلْيَذْكُرْهُ، فَمَنْ ذَكَرَهُ، فَقَدْ شَكَرَهُ، وَمَنْ تَشَبَّعَ بِمَا لَمْ يَنَلْ، فَهُوَ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ»**[2].

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٨٣٢).

(٢) سبق تخريجه.

فذكر أقسام الخلق الثلاثة: شاكر النعمة المثني بها، والجاحد لها والكاتم لها، والمظهر أنه من أهلها، وليس من أهلها، فهو متحل بما لم يعطه.

- **والقول الثاني**: أن التحدث بالنعمة المأمور به في هذه الآية: هو الدعوة إلىٰ الله، وتبليغ رسالته، وتعليم الأمة، قال مجاهد: هي النبوة، قال الزجاج: أي بلغ ما أرسلت به، وحدث بالنبوة التي آتاك الله. وقال الكلبي: هو القرآن، أمره أن يقرأه.

- **والصواب**: أنه يعم النوعين؛ إذ كل منهما نعمة مأمور بشكرها والتحدث بها، وإظهارها من شكرها»[1].

٣- شكر الجوارح:

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما الشكر فهو القيام له بطاعته والتقرب إليه بأنواع محابه ظاهرًا وباطنًا»[2]، وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الشكر هو الاعتراف بالنعمة، والقيام بالخدمة»[3].

فشكر الجوارح معناه: قيام الجوارح بالعبودية لله رب العالمين؛ لأن كل جارحة لها حظها من العبودية، ولا يتم ذلك إلا بالعمل بطاعة الله تَعَالَىٰ وطاعة رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وذلك بفعل المأمور واجتناب المحذور، ويدخل في ذلك صرف نعمه فيما يحبه ويرضاه، والاستعانة بها علىٰ طاعته، والحذر من صرفها في معصيته، أو الاستعانة بها علىٰ ذلك، ومن لوازم ذلك معرفة ما يحبه

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم (٢/ ٩٣٢).

(٢) الفوائد (ص: ٤٣٢).

(٣) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني (٣/ ٥١).

الله تَعَالَى لأجل أن تستعمل نعمه في محابه، قال تَعَالَى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ:١٣]، فجعل سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ العمل شكرًا، ذلك أن الشكر سلوك عملي، وليس كلمة تقال باللسان، كما أن الإيمان سلوك عملي وليست كلمة تقال باللسان، يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**يُصْبِحُ عَلَىٰ كُلِّ سُلَامَىٰ مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَىٰ**»(١)، وهذا الحديث دليل بين علىٰ أن الشكر يكون بالعمل والطاعة.

«ومما روي أن رجلًا سأل أبا حازم: ما شكر العينين يا أبا حازم؟ قال: إن رأيت بهما خيرًا أعلنته، وإن رأيت بهما شرًّا سترته، قال: فما شكر الأذنين؟ قال: إن سمعت بهما خيرًا وعيته، وإن سمعت بهما شرًّا دفعته، قال: شكر اليدين؟ قال: لا تأخذ بهما ما ليس لهما، ولا تمنع حقًّا لله هو فيهما، قال: فما شكر البطن؟ قال: أن يكون أسفله طعامًا، وأعلاه علمًا، قال: فما شكر الفرج؟ قال: قال الله تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ﴾ [المؤمنون:٥ – ٧]، قال: فما شكر الرجلين؟ قال: إن علمت ميتًا تغبطه استعملت بهما عمله، وإن مقته رغبت عن عمله وأنت شاكر لله، وأما من شكر بلسانه، ولم يشكر بجميع أعضائه، فمثله كمثل رجل له كساء فأخذ بطرفه ولم يلبسه، فما ينفعه ذلك من الحر والبرد والثلج والمطر»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٧٢٠).

(٢) عدة الصابرين، لابن القيم (ص ٤٣١).

ومن هذا الباب: شُرع سجود الشكر عند تجدد النعم أو اندفاع النقم، سواء كانت عامة أو خاصة، وذلك بأن يخر المسلم لله ساجدًا، فيضع أشرف عضو من أعضائه- وهو الوجه - علىٰ الأرض، ويذكر الله ربه في هذا السجود، وهو علىٰ هذه الحال بأنواع الذكر من الشكر والتسبيح والدعاء والاستغفار وغيرها، فيكون قد شكر المنعم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذا السجود بقلبه ولسانه وجوارحه، وقد ثبت في قصة كعب بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه لما جاءه البشير بتوبة الله عليه خر ساجدًا لله تَعَالَىٰ[1].

خامسًا: تحقيق مرتبة الشكر لله تعالىٰ:

لا بد للعبد- ليكون من الشاكرين- أن يستحضر عدة أمور ويستشعرها، ويحرص أن لا تغيب عن ذهنه، ومنها:

١- **التفكر في نعم الله تَعَالَىٰ واستحضارها وتذكرها**؛ فالإنسان في كل حالة من أحواله في نعمة، بل لا يمر عليه لحظة في حياته إلا وهو يتقلب في نعم الله تَعَالَىٰ، واستحضار هذه النعم والوقوف عليها يوجه انتباهه لنعم كثيرة كان غافلًا عنها فيزداد شكرًا لله تَعَالَىٰ، وفي هذا استجابة لأمر الله تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾ [فاطر:٣] .

٢- **النظر إلىٰ من هو أقل في أمور الدنيا**؛ إن نظر الإنسان إلىٰ من هو دونه في الدنيا يجعله يعلم ويستعظم ما أعطاه الله تَعَالَىٰ وفضله به من نعم علىٰ غيره، فمن كان دخله مئتين فلينظر إلىٰ من دخله مئة، ومن كان بعين واحدة فلينظر إلىٰ من فقد كلتا عينيه، ومن كان مريضًا بمرض واحد فلينظر إلىٰ من مرض

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٨١٤٤)، ومسلم، رقم الحديث: (٩٦٧٢).

بعدة أمراض، وهذا أجدر لمعرفة النعم واستشعارها، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**انْظُرُوا إِلَىٰ مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَىٰ مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ؛ فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ**»[1]، وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا رَأَىٰ أَحَدُكُمْ مُبْتَلًى، فَقَالَ: الحَمْدُ للهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ، وَفَضَّلَنِي عَلَيكَ، وَعَلَىٰ كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ تَفْضِيلًا؛ كَانَ شَكَرَ تِلْكَ النِّعْمَةِ**»[2].

٣- أن يفكر الإنسان في حاله، ويتأمل حياته لو أنه خسر هذه النعمة؛ فينظر كيف حاله، فإن كان غنيًّا فإلىٰ حاله لو كان فقيرًا، وإن كان صحيحًا فإلىٰ حاله لو كان في عداد المرضىٰ، وهكذا كل نعمة لديه ينظر إلىٰ حاله لو خسرها؛ ليعرف بذلك قدرها فيشكرها.

٤- دعاء العبد ربه وسؤاله إياه أن يجعله من الشاكرين؛ فالعبد لا يستطيع أن يصل إلىٰ مقام من مقامات الإيمان إلا بتوفيق الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ ولذلك لم يقل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمعاذ بن جبل: كن ذاكرًا شاكرًا وأحسن العبادة، وإنما أمره أن يدعو الله أن يعينه علىٰ ذلك ؛ فقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له: «**لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَىٰ ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**»[3].

٥- قراءة أخبار الشاكرين؛ فمن وقف علىٰ تراجم الشاكرين من العلماء والعباد والزهاد؛ اقتدىٰ بهم؛ فازداد شكرًا لله تَعَالَىٰ.

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٣٦٩٢).

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، رقم الحديث: (٩٢١٤)، حكم الألباني: حسن، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٥٥٥).

(٣) سبق تخريجه.

٦- استشعار سؤال الله عباده يوم القيامة عن شكر النعمة؛ فالعاقل يسأل نفسه الآن، فالوقت بين يديه، يستطيع إن لم يجد جوابًا أن يعمل ويحسن ويستعد بالجواب والصواب؛ لأن الله تَعَالَىٰ سيسأله في يوم لايستطيع فيه العمل، يقول الله تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾[التكاثر:٨]، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: ثم لتسألن يومئذ عن شكر ما أنعم الله به عليكم، من الصحة والأمن والرزق وغير ذلك، ماذا قابلتم به نعمه من شكر وعبادة؟»[(١)].

٧- أن يعلم الإنسان يقينًا أن النعم إذا شُكرت استقرت وزادت، وإذا كُفرت فرَّت وزالت؛ يقول تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[إبراهيم:٧].

٨- عدم نسبة النعمة لغير الرب رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ فنسبة النعمة لغير الله من كفر النعمة، فمن كان مريضًا فشفي، فشفاؤه بفضل الله أولًا، ثم بالأسباب الأخرىٰ التي من فضل الله سُبْحَانَهُ أن سخرها له، يقول تَعَالَىٰ في ذلك: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾[النحل:٨٣] يقول ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره لهذه الآية: «أي: يعرفون أن الله تَعَالَىٰ هو المسدي إليهم ذلك، وهو المتفضل به عليهم، ومع هذا ينكرون ذلك، ويعبدون معه غيره، ويسندون النصر والرزق إلىٰ غيره»[(٢)].

اللهم اجعلنا لك شاكرين، لك ذاكرين، لك طائعين، إليك مخبتين، لك أواهين منيبين، اللهم اقبل توبتنا، واغسل حوبتنا، وثبت حجتنا، وسدد ألسننا، واسلل سخيمة قلوبنا.

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٨/ ٤٩٤).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٢٩٥).

الشَّهِيدُ جَلَّجَلَالُهُ



المعنى اللغوي:

❁ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الشهادة: خبر قاطع، تقول منه: شهد الرجل علىٰ كذا، وربما قالوا: شهد الرجل، بسكون الهاء للتخفيف»(١).

❁ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(شهد) الشين والهاء والدال أصل يدل علىٰ حضور وعلم وإعلام، لا يخرج شيء من فروعه عن الذي ذكرناه، من ذلك الشهادة، يجمع الأصول التي ذكرناها من الحضور، والعلم، والإعلام... والشاهد: الملك»(٢).

ورود اسم الله (الشهيد) في القرآن الكريم:

ورد اسم الله (الشهيد) في كتاب الله ثماني عشرة مرة، ومن وروده ما يلي:

١- قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾[النساء:١٦٦].

٢- قوله عَزَّوَجَلَّ:﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[المائدة:١١٧] .

٣-قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾[يونس:٤٦].

---

(١) الصحاح (٢/ ٦٥).

(٢) مقاييس اللغة (٣/ ١٢٢).

ورود اسم الله (الشهيد) في السنة النبوية:

ورد اسم (الشهيد) في السنة النبوية، و من وروده ما يلي:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسْلِفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ، فَقَالَ: ائْتِنِي بِالشُّهَدَاءِ أُشْهِدُهُمْ، فَقَالَ: كَفَىٰ باللهِ شَهِيدًا، قال: فَأْتِنِي بالكَفِيلِ، قال: كَفَىٰ باللهِ كَفِيلًا، قال: صَدَقْتَ»[1]، وسيأتي -بإذن الله- تتمة الحديث في الأثر الثالث من الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (الشهيد).

معنى اسم الله (الشهيد) في حقه سُبْحَانَهُ:

❊ **قال الطبري** رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تَعَالَى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٦، ١١٧]: «وأنت تشهد علىٰ كل شيء؛ لأنه لا يخفىٰ عليك شيء»[2].

❊ **قال الخطابي** رَحِمَهُ اللَّهُ، قال: «هو الذي لا يغيب عنه شيء، يقال: شاهد وشهيد، كعالم وعليم، أي: كأنه الحاضر الشاهد الذي لا يعزب عنه شيء»[3].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (١٩٢٢).

(٢) تفسير الطبري (٩/ ٧٣١).

(٣) شأن الدعاء (ص: ٥٧).

❁ **قال ابن الأثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «في أسماء الله تَعَالَى «الشهيد» هو الذي لا يغيب عنه شيء، والشاهد: الحاضر وفعيل من أبنية المبالغة في فاعل، فإذا اعتبر العلم مطلقًا فهو العليم، وإذا أضيف إلىٰ الأمور الباطنة فهو الخبير، وإذا أضيف إلىٰ الأمور الظاهرة فهو الشهيد»(١).

❁ **قال ابن الأثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير اسم الله الشهيد: «أنه يشهد علىٰ الخلق يوم القيامة بما علم»(٢).

❁ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من أسمائه: (الشهيد) الذي لا يغيب عنه شيء ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء؛ بل هو مطلع علىٰ كل شيء، مشاهد له، عليم بتفاصيله»(٣).

❁ **قال ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ [الحج:١٧] «عليم بسرائرهم وما تُكِنُّ ضمائرهم»(٤).

قال عند قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾[الحج:١٧]: «أي: شهيد علىٰ أفعالهم، حفيظ لأقوالهم»(٥).

---

(١) النهاية في غريب الحديث (٢/ ٣١٥).

(٢) النهاية في غريب الحديث (٢/ ٣١٥).

(٣) مدارج السالكين (٣/ ٣٣٤).

(٤) تفسير ابن كثير (٥/ ٢٠٤).

(٥) المرجع السابق (٥/ ٢٠٤).

❊ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا﴾[النساء:٣٣]: «مطلعًا علىٰ كل شيء بعلمه لجميع الأمور، وبصره لحركات عباده، وسمعه لجميع أصواتهم»[(١)].

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ موضحًا العلاقة بين اسم الله الرقيب واسمه الشهيد: «(الرقيب) و(الشهيد) مترادفان، وكلاهما يدل علىٰ إحاطة سمع الله بالمسموعات، وبصره بالمبصرات، وعلمه بجميع المعلومات الجلية والخفية، وهو الرقيب علىٰ ما دار في الخواطر، وما تحركت به اللواحظ، ومن باب أولىٰ الأفعال الظاهرة بالأركان، قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾[المجادلة:٦]»[(٢)].

اقتران اسم الله (الشهيد) بأسمائه الأخرى سُبۡحَانَهُ في القرآن الكريم:

لم يقترن اسم الله الشهيد بأي اسم من أسماء الله تَعَالَىٰ.

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (الشهيد):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (الشهيد) من الصفات، ودلالته علىٰ التوحيد:

الله سُبۡحَانَهُ الشهيد الذي شهد بعلمه وسمعه وبصره، فعلمه أحاط بالمعلومات، وسمعه أحاط بالمسموعات، وبصره أحاط بالمبصرات، فلا يخفىٰ عليه شيء من مخلوقاته ظاهرها وباطنها، كبيرها وصغيرها، يرىٰ

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٦٧١).

(٢) الحق الواضح المبين، للسعدي (ص: ٨٥-٩٥).

مكانها، ويسمع أصواتها، ويعلم أحوالها كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[آل عمران:٥].

- ومن مظاهر شهوده سُبْحَانَهُ:

- هو الشهيد الذي يرىٰ الكون كله وهو مستو علىٰ عرشه، يرىٰ الهباءة الطائرة والجبال الشاهقة، ويرىٰ الحيوانات والنباتات والذرات في قعر البحر الأسود، ويسمع دبيب النملة السوداء علىٰ الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء فسبحان ﴿ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[البروج:٩].

- هو الشهيد القريب من خلقه، الذي يراهم جميعًا في آن واحد، ويسمع ما يتناجون به ويرىٰ ما يخوضون فيه، ويعلم ما يجول في خواطرهم، وما تهجس به ضمائرهم، ولا يغيب عنه من أمرهم شيء يقولونه أو يفعلونه أو يكتمونه قال تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ(١) وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[يونس:٦١].

- هو الشهيد الذي يشهد أعمال العباد، ظاهرها وباطنها، خيرها وشرها، ويحصيها عليهم قبل فعلها وبعد فعلها؛ لأنه علم ذلك وكتبه في اللوح المحفوظ، قال تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[المجادلة:٦](٢).

---

(١) تخصيص القرآن بالذكر مع أنه داخل فيما قبله ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾ وما بعده ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾ تعظيمًا لشأنه ودعوة للعناية به.

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٨١٩).

- هو الشهيد علىٰ ما يكون بين العباد من حقوق ومظالم وخصومات، فيشهد ويفصل بينهم يوم القيامة، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ شَهِيدٌ﴾[الحج:١٧].

- هو الشهيد الذي شهد بالحق، فشهد لنفسه بالتوحيد، فقال سُبْحَانَهُ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[آل عمران:١٨] «فتضمنت هذه الآية أجل شهادة وأعظمها، وأعدلها وأصدقها، من أجل شاهد بأجل مشهود»[1].

شهد لكتابه بأنه منزل من عنده، فقال سُبْحَانَهُ: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء:١٦٦].

وشهد لرسوله بالرسالة والصدق، فقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلٗاۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾[الرعد:٤٣].

- وشهادته سُبْحَانَهُ أعظم وأعلىٰ وأرفع شهادة، شهادة حضور ومعاينة، فلا يخفىٰ عليه شيء من جوانب الحقيقة كما يحدث للبشر، لا غلط فيها ولا ظلم تَعَالَى عن ذلك، فمن شهد الله له فهو حسبه، ولا يحتاج إلىٰ شهادة غيره، ولذلك أمر الله رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقول للمشركين الذين ينازعونه في التوحيد وفي صدق ما جاء قال تَعَالَى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً

(١) مدراج السالكين، لابن القيم (٣/ ٨١٤).

أُخۡرَىٰۚ قُل لَّآ أَشۡهَدُۚ قُلۡ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴾ [الأنعام:١٩][1]، وفي حجة الوداع أشهد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ ربه على إبلاغه الرسالة، وأداءه الأمانة، فقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**اللَّهُمَّ اشْهَدْ، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ، فَإِنَّهُ رُبَّ مُبَلِّغٍ يُبَلِّغُهُ لِمَنْ هُوَ أَوْعَىٰ لَهُ**»[2].

ومن رضي بشهادة «الشهيد» -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- لم يخيبه أبدًا، بل إنه سُبۡحَانَهُ يملأ قلبه طمأنينة ورضا بأنه شهيد له وعليه، وكفىٰ به شهيدًا، فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسْلِفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ، فَقَالَ: ائْتِنِي بِالشُّهَدَاءِ أُشْهِدُهُمْ، فَقَالَ: كَفَىٰ بِاللهِ شَهِيدًا، قَالَ: فَأْتِنِي بِالكَفِيلِ، قَالَ: كَفَىٰ بِاللهِ كَفِيلًا، قَالَ: صَدَقْتَ، فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّىٰ، فَخَرَجَ فِي البَحْرِ فَقَضَىٰ حَاجَتَهُ، ثُمَّ التَمَسَ مَرْكَبًا يَرْكَبُهَا يَقْدَمُ عَلَيْهِ لِلْأَجَلِ الَّذِي أَجَّلَهُ، فَلَمْ يَجِدْ مَرْكَبًا، فَأَخَذَ خَشَبَةً فَنَقَرَهَا، فَأَدْخَلَ فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ وَصَحِيفَةً مِنْهُ إِلَىٰ صَاحِبِهِ، ثُمَّ زَجَّجَ**[3] **مَوْضِعَهَا، ثُمَّ أَتَىٰ بِهَا إِلَىٰ البَحْرِ، فَقَالَ: اللهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ تَسَلَّفْتُ فُلَانًا أَلْفَ دِينَارٍ، فَسَأَلَنِي كَفِيلاَ، فَقُلْتُ: كَفَىٰ بِاللهِ كَفِيلًا، فَرَضِيَ بِكَ، وَسَأَلَنِي شَهِيدًا، فَقُلْتُ: كَفَىٰ بِاللهِ شَهِيدًا، فَرَضِيَ بِكَ، وَأَنِّي جَهَدْتُ أَنْ أَجِدَ مَرْكَبًا أَبْعَثُ إِلَيْهِ الَّذِي لَهُ فَلَمْ أَقْدِرْ، وَإِنِّي أَسْتَوْدِعُكَهَا، فَرَمَىٰ بِهَا فِي البَحْرِ حَتَّىٰ وَلَجَتْ فِيهِ، ثُمَّ انْصَرَفَ وَهُوَ فِي**

---

(١) ينظر: المصدر السابق (٥٣٦).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٨٧٠٧)، ومسلم، رقم الحديث: (٩٧٦١).

(٣) أي: سوىٰ موضع النقر وأصلحه، ويحتمل أن يكون مأخوذًا من الزج، وهو النصل، كأن يكون النقر في طرف الخشبة، فشد عليه زجًّا ليمسكه ويحفظ ما فيه، وقيل: معناه: سمرها بمسامير كالزج أو حشىٰ شقوق لصاقها بشيء ورقعه بالزج. ينظر: النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير (٢/ ٦٩٢)، وفتح الباري، ابن حجر (٤/ ١٧٤).

ذَلِكَ يَلْتَمِسُ مَرْكَبًا يَخْرُجُ إِلَىٰ بَلَدِهِ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ، يَنْظُرُ لَعَلَّ مَرْكَبًا قَدْ جَاءَ بِمَالِهِ، فَإِذَا بِالخَشَبَةِ الَّتِي فِيهَا المَالُ، فَأَخَذَهَا لِأَهْلِهِ حَطَبًا، فَلَمَّا نَشَرَهَا وَجَدَ المَالَ وَالصَّحِيفَةَ، ثُمَّ قَدِمَ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ، فَأَتَىٰ بِالأَلْفِ دِينَارٍ، فَقَالَ: وَاللهِ مَا زِلْتُ جَاهِدًا فِي طَلَبِ مَرْكَبٍ لِآتِيَكَ بِمَالِكَ، فَمَا وَجَدْتُ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي أَتَيْتُ فِيهِ، قَالَ: هَلْ كُنْتَ بَعَثْتَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ؟ قَالَ: أُخْبِرُكَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي جِئْتُ فِيهِ، قَالَ: فَإِنَّ اللهَ قَدْ أَدَّىٰ عَنْكَ الَّذِي بَعَثْتَ فِي الخَشَبَةِ، فَانْصَرِفْ بِالأَلْفِ الدِّينَارِ رَاشِدًا»[١].

فإذا تيقن العبد عِظم شهادة الشهيد، وأنه لا أكبر منها ولا أعظم، وأيقن إقامته للشهود، ثم علم أنه شهد لنفسه بالتوحيد وأشهد خواص خلقه من الملائكة وأهل العلم عليه، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران:١٨]؛ أقام نفسه علىٰ توحيده سُبْحَانَهُ وإفراده بالعبادة، فلم يتوجه ولم يقصد غيره سُبْحَانَهُ[٢].

الأثر الثاني: الشهيد سُبْحَانَهُ يقيم شهودًا من خلقه يوم القيامة؛ لكمال عدله:

ومع أن شهادته سُبْحَانَهُ تعتبر أكبر شهادة وكفىٰ بها، إلا أن الله من تمام عدله لا يكتفي بشهادة نفسه سُبْحَانَهُ بل يقيم الشهود يوم القيامة، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[الزمر:٦٩].

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (١٩٢٢).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٤٢١-٥٢١).

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ ليسألوا عن التبليغ، وعن أممهم، ويشهدوا عليهم، ﴿وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ من الملائكة، والأعضاء والأرض ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ أي: العدل التام والقسط العظيم؛ لأنه حساب صادر ممن لا يظلم مثقال ذرة، ومن هو محيط بكل شيء، وكتابه الذي هو اللوح المحفوظ، محيط بكل ما عملوه، والحفظة الكرام، والذين لا يعصون ربهم، قد كتبت عليهم ما عملوه، وأعدل الشهداء قد شهدوا علىٰ ذلك الحكم»(١).

فيشهد الأنبياء علىٰ أممهم، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النحل:٨٩]، وقال أيضًا: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء:٤١].

وتشهد أمة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ الأمم بتبليغ الأنبياء رسالات الله إليهم، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [الحج:٧٨]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة:١٤٣].

وجاء تفسير هذه الآية عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد أخرج الشيخان عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يُدْعَىٰ نُوحٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ،**

---

(١) المرجع السابق (ص: ٠٣٧).

فَيُقَالُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ، فَيَقُولُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ: ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا﴾ [البقرة:١٤٣] فَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا﴾[البقرة:١٤٣]» والوسط: العدل.(١)

وأيضًا هذه الأمة يشهد بعضها علىٰ بعض، فتقبل شهادتها: عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «مَرُّوا بِجِنَازَةٍ، فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا خيرًا، فقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَجَبَتْ». ثُمَّ مَرُّوا بِأُخْرَىٰ فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا شَرًّا، فقَالَ: وَجَبَتْ». فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: مَا وَجَبَتْ؟ قال: هَذَا **أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا فَوَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ، وَهَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا فَوَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الأَرْضِ**»(٢).

وتشهد **الملائكة** الكرام الكاتبون الذين يرقبون أعمال العبد وأقواله، ويتلقيان أعماله كلها، كما قال تَعَالَى: ﴿إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ ۝١٧ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ﴾[ق:١٧] ويشهدان عليه بما عمل، قال تَعَالَى: ﴿وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ﴾[ق:٢١]، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ملك يسوقه إلىٰ المحشر، وملك يشهد عليه بأعماله»(٣).

وتشهد **الجوارح والأعضاء** علىٰ أصحابها، فإن الكافر يوم القيامة يحاول الفرار من عذاب الله بكتمان ما عمل كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿فَأَلۡقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعۡمَلُ مِن سُوٓءِۭۚ بَلَىٰٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾[النحل:٢٨]، وقال حكاية

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٧٣٤٩).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (١٣٦٧) واللفظ له، ومسلم، رقم الحديث: (٩٤٩).

(٣) تفسير ابن كثير (٧/ ٤٠٤).

عن قولهم: ﴿بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُواْ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا﴾[غافر:٧٤] وقولهم: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾[الأنعام:٢٣]، فإذا أنكرت ألسنتهم ما عملوه، أقام الشهيد عليهم شهادة الجوارح والأعضاء فيشهد عليهم كل عضو من أعضائهم، فكل عضو يقول: أنا فعلت كذا وكذا، يوم كذا وكذا[(١)] كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾[يس:٦٥]، وقال تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[فصلت:٢٠، ٢١].

وروىٰ مسلم عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «كنا عند رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فضحك فقال: **هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ**؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: **مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ، يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ قَالَ: يَقُولُ: بَلَىٰ، قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَىٰ نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي، قَالَ: فَيَقُولُ: كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا، وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا، قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَىٰ فِيهِ، فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ: انْطِقِي، قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ، قَالَ: ثُمَّ يُخَلَّىٰ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ، قَالَ فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ**»[(٢)].

وكما أن هذه الأعضاء تشهد علىٰ أصحابها بكل سوء عملوه، كذلك تشهد لهم بكل خير عملوه، يقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الأصابع حين يسبح بها الله: «**عَلَيْكُنَّ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّقْدِيسِ، وَاعْقِدْنَ بِالأَنَامِلِ فَإِنَّهُنَّ مَسْئُولَاتٌ**

---

(١) تفسير السعدي (٧٤٧).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٩٦٩٢).

مُسْتَنْطَقَاتٌ، وَلاَ تَغْفُلْنَ فَتَنْسَيْنَ الرَّحْمَةَ»[1].

بل لو قدر الله بعدله دخول أحد من عباده النار لذنوبه، فإن من كرمه تَعَالَى أن النار لا تمس مواضع الوضوء والسجود، جاء في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «وَحَرَّمَ اللهُ عَلَىٰ النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ، فَكُلُّ ابْنِ آدَمَ تَأْكُلُهُ النَّارُ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ»[2].

وتشهد **الأرض** بما عمل عليها من خير أو شر، كما قال تَعَالَى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾[الزلزلة:٤]، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «تحدث بما عمل العاملون علىٰ ظهرها، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «قرأ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾[الزلزلة:٤]، قال: أَتَدْرُونَ مَا أَخْبَارُهَا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فَإِنَّ أَخْبَارَهَا أَنْ تَشْهَدَ عَلَىٰ كُلِّ عَبْدٍ وَأَمَةٍ بِمَا عَمِلَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا، أَنْ تَقُولَ: عَمِلْتَ عَلَيَّ كَذَا وَكَذَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، قال: فَهُوَ أَخْبَارُهَا»[3]»[4].

فإذا علم العبد هذا حرص أن يطيع الله بهذه الجوارح والجلود، وحرص علىٰ أن لا يعصي الله علىٰ أرضه، وإذا حصلت منه معصية حاول محيها بفعل طاعة في نفس الموطن، مستشعرًا قول الله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٣٧٧٢)، والترمذي، رقم الحديث: (٣٨٥٣). حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف سنن الترمذي (٣٨٥٣).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٠٨).

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٩٨٩٨)، والترمذي، رقم الحديث: (٩٢٤٢)، حكم الألباني: ضعيف، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٩٢٤٢).

(٤) تفسير ابن كثير (٨/ ١٦٤).

ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [هود:١١٤]، ولذلك قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا**»[١] قالوا: الحسنة قول العبد: أستغفر الله، وقيل: فعل الطاعة.

الأثر الثالث: مراقبة الله الشهيد:

إذا أيقن المؤمن بشهادة الشهيد جَلَّ جَلَالُهُ، وعلم أن ربه شهيد عليم خبير يراه، ويسمع كلامه ويعلم سره وعلانيته، أورثه ذلك مراقبة الله التي توجب له حراسة باطنه عن كل فكر وهاجس يبغضه الله، وحفظ ظاهره عن كل قول أو فعل يسخط الله، وتعبد بمقام الإحسان فعبد الله كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فإن الله يراه[٢].

كما يورث العبد تحري الإخلاص في أقواله وأعماله؛ لأن الله عَزَّ وَجَلَّ شاهد علىٰ ما في القلوب من النوايا والمقاصد، قال تَعَالَىٰ: ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ﴾[غافر:١٩]، ولا يقبل إلا ما كان خالصًا صوابًا.

ويقين العبد باسم الله الشهيد يورثه- أيضًا- الحذر من ظلم العباد والتعدي علىٰ حقوقهم؛ لأن الله شاهد علىٰ ذلك، قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾[الحج:١٧].

الأثر الثالث: الحياء من الله الشهيد جَلَّ جَلَالُهُ:

إذا علم العبد أن الله شهيد مطلع عليه، عالم بسره ونجواه، وغيبه وشهادته؛ أورثه ذلك الحياء منه، فاستحيا أن يراه حيث نهاه، وألا يكون حيث أمر الله.

---

(١) أخرجه أحمد (٢١٧٥٠)، والترمذي، رقم الحديث: (١٩٨٧)، حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (١٩٨٧).

(٢) ينظر: الحق الواضح المبين، للسعدي (ص: ٨٥-٩٥).

والحياء من الله أعظم الحياء شأنًا وأعلاه مكانة، وينشأ عن **أمور ثلاثة:**

الأول: رؤية نعمة الله ومنته وفضله علىٰ العبد.

الثاني: رؤية تقصير العبد في حق الله، وقيامه بما يجب عليه من امتثال أوامره واجتناب نواهيه.

الثالث: رؤية اطلاع الله علىٰ العبد في كل أحواله وشؤونه.

فإذا اجتمعت هذه الأمور الثلاثة في القلب، تحرك فيه الحياء من الله، الذي ينشأ عنه كل خير وفضيلة كما قال صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**الحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ**»[1]، فإذا وجد انكفت النفس عن الأخلاق الرذيلة، والمعاملات السيئة والأفعال المحرمة، وأقبلت النفس علىٰ فعل الواجبات، والعناية بمكارم الأخلاق وعظيم الآداب وجميلها.

الأثر الرابع: محبة الله الشهيد:

إذا علم العبد أن الله شهيد، وأنه يراه ويسمع كلامه، ويعلم سره وعلانيته، وهو أقرب إليه من نفسه وشهد ذلك كله، أورثه هذا حبه والسعي إلىٰ مرضاته.

الأثر الخامس: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ قَآئِمُونَ﴾ [المعارج:٣٣]:

علىٰ العبد إذا علم أن الله شاهد علىٰ جميع شئونه أن يؤدي حق الشهادة، ومن ذلك:

١-الإشهاد فيما أمر الله أن يشهد فيه، كالإشهاد في أداء مال اليتيم، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦١١٧)، ومسلم، رقم الحديث: (٣٧).



وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾[النساء:٦].

٢-أداءها وعدم كتمانها، قال تَعَالَى: ﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟﴾ [البقرة:٢٨٢]، فإذا دعي الشاهد لأدائها فعليه الإجابة(١).

وقد حرم الله تَعَالَى كتمانها، فقال سُبْحَانَهُ: ﴿فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥۗ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾[البقرة:٢٨٣]؛ لأن الحق مبني عليها لا يثبت بدونها، فكتمها من أعظم الذنوب، لأنه يترك ما وجب عليه من الخبر الصدق ويخبر بضده وهو الكذب، ويترتب علىٰ ذلك فوات حق من له الحق(٢).

٣- إقامتها من غير خيانة ولا تزوير، قال تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ﴾ [المعارج:٣٣].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا يشهدون إلا بما يعلمونه، من غير زيادة ولا نقص ولا كتمان، ولا يحابي فيها قريبًا ولا صديقًا ونحوه، ويكون القصد بها وجه الله»(٣).

ووردت نصوص تحذر من شهادة الزور، فقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ**، ثَلَاثًا، قَالُوا: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ، **قَالَ: الْإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ**

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٥٢٧).

(٢) تفسير السعدي (ص: ١٢٠).

(٣) المصدر السابق (ص: ٨٨٧).

الْوَالِدَيْنِ وَجلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا، **فَقَالَ أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ** قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّىٰ قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ»[1]؛لأن مفسدة الزور متعدية إلىٰ غير الشاهد بخلاف مفسدة الشرك؛ إذ إنها قاصرة عليه.

٤-عدم شهادة مجالس الزور، قال تَعَالَىٰ في وصف عباده: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا﴾[الفرقان:٧٢] أي: لا يحضرون الزور من القول والفعل المحرم، فيجتنبون جميع المجالس المشتملة علىٰ الأقوال المحرمة أو الأفعال المحرمة، كالشهادة بالباطل، والخوض في آيات الله، والجدال الباطل، والغيبة والنميمة، والسب والقذف، والاستهزاء، والغناء المحرم، وشرب الخمر، وفرش الحرير، والصور، ونحو ذلك[2].

الأثر السادس: الحرص علىٰ شهود الأوقات الفاضلة:

معرفة العبد بأن ربه شهيد؛ يجعله حريصًا كل الحرص علىٰ شهود الأوقات التي تتنزل فيها الرحمات، ويتقرب فيها من الحق عَزَّوَجَلَّ، ومن تلك الأوقات:

١- صلاة الفجر: قال تَعَالَىٰ: ﴿وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا﴾[الإسراء:٧٨].

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قيل: يشهده الله عَزَّوَجَلَّ، وملائكته، وقيل: يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار، فيتفق نزول هؤلاء وصعود أولئك، فيجتمعون في صلاة الفجر؛ وذلك لأنها أول ديوان النهار وآخر ديوان الليل، فيشهدها

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٤٥٦٢)، ومسلم، رقم الحديث: (٧٨).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٧٨٥).

ملائكة الليل والنهار، واحتج لهذا القول بما في الصحيح من حديث الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَضْلُ صَلَاةِ الْجَمِيعِ عَلَىٰ صَلَاةِ الْوَاحِدِ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ دَرَجَةً، وَتَجْتَمِعُ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ**». يقول أبو هريرة: واقرأوا إذا شئتم: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء:٧٨][١]، وهذه الشهادة شهادة خاصة، وهي شهادة حضور ودنو متصل بدنو الرب، ونزوله إلىٰ سماء الدنيا في الشطر الأخير من الليل، كما جاء في الأحاديث الصحاح التي أثبتت نزول الرب- رَحِمَهُ اللَّهُ-، وهو نزول يليق بجلاله وعظمته وندائه لأهل الأرض: «**إِذَا مَضَىٰ شَطْرُ اللَّيْلِ، أَوْ ثُلُثَاهُ، يَنْزِلُ اللهُ** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَىٰ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ يُسْتَجَابُ لَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ يُغْفَرُ لَهُ؟ حَتَّىٰ يَنْفَجِرَ الصُّبْحُ**»[٢].

ففي هذه الأحاديث: أن النزول يدوم إلىٰ صلاة الفجر، وعلىٰ هذا يكون شهود الله لقرآن الفجر مع شهود ملائكة الليل والنهار له هذه خاصة بصلاة الصبح ليست لغيرها من الصلاة، (**حَتَّىٰ يَسْطَعَ الفَجْرُ**)[٣]، وذلك هو وقت صلاة الفجر...»[٤].

فإذا علم العبد ذلك الفضل العظيم حرص علىٰ هذا الوقت الشريف وشهوده، كما جاء في الحديث: «**مَنْ صَلَّىٰ صلاة الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللهِ**»[٥] أي:

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٧١٧٤).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث (٨٥٧).

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٨٩٨٣)، وابن خزيمة في التوحيد، رقم الحديث: (١/ ٧٣١).

(٤) طريق الهجرتين، ابن القيم (ص: ٢١٢-٣١٢).

(٥) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٧٥٦).

حفظه، وفي رواية: «وَمَنْ صَلَّىٰ الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّىٰ اللَّيْلَ كُلَّهُ»[1].

٢- **يوم الجمعة:** لأن هذا اليوم يشهد عليك أو يشهد لك أمام الله، وقد فسر بعض العلماء الشاهد في قوله تَعَالَى: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾[البروج:٣] بالجمعة، قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأقسم بشاهد، قالوا: وهو يوم الجمعة، ومشهود، قالوا: وهو يوم عرفة»[2].

٣- **يوم عرفة:** الذي يدنو فيه الرب عَزَّوَجَلَّ، ويباهي بأهل الموقف أهل سمواته، ثم يقول سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: «مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟»[3]، وقد فسر بعض العلماء المشهود في قوله تَعَالَى: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾[البروج:٣] بعرفة، قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومشهود، قالوا: وهو يوم عرفة»[4].

٤-**مجالس الذكر:** التي تحفُّها الملائكة وتغشاها الرحمة، كما قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»[5].

فاللهم يا شهيد يا مجيد، اجعلنا ممن يعبدك كأنه يراك، واجعلنا ممن يشهد كل خير.



---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٦٥٦).

(٢) تفسير الطبري (٤٢/ ٣٦٢).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) تفسير الطبري (٤٢/ ٣٦٢).

(٥) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٩٩٦٢).

الصَّمدُ جَلَّجَلَالُهُ



المعنى اللغوي:

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «... والمصمد: لغة في المصمت، وهو الذي لا جوف له... وصمده يصمده صمدًا، أي: قصده. والصمد: السيد؛ لأنه يُصمد إليه في الحوائج»(١).

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(صمد) الصاد والميم والدال أصلان: أحدهما القصد، ...

فالأول: الصمد: القصد. يقال: صمدته صمدًا، وفلان مصمد؛ إذا كان سيدًا يقصد إليه في الأمور، وصمد أيضًا، والله جل ثناؤه الصمد؛ لأنه يصمد إليه عباده بالدعاء والطلب... »(٢).

ورود اسم الله (الصمد) في القرآن الكريم:

ورد اسمه سُبْحَانَهُ **(الصمد) في كتاب الله مرة واحدة، وذلك في قوله تعالى:** ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص:١-٢].

---

(١) الصحاح، للجوهري (٢/ ٤٩٩).

(٢) مقاييس اللغة، لابن فارس (٣/ ٣٠٩).

ورود اسم الله (الصمد) في السنة النبوية:

ورد اسم الله (الصمد) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

١- عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه، قال: «سَمِعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ، وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **قَدْ سَأَلَ اللهَ بِاسْمِ اللهِ الأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ**»[(١)].

٢- عن محجن بن الأدرع، حدثه «أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دخل المسجد إذا رجل قد قضى صلاته، وهو يتشهد فقال: اللهم إني أسألك يا الله بأنك الواحد الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، أن تغفر لي ذنوبي، إنك أنت الغفور الرحيم، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **قَدْ غُفِرَ لَهُ**. ثلاثًا»[(٢)].

معنى اسم الله (الصمد) في حقه سُبْحَانَهُ:

❁ قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «(الصمد): الذي ليس بأجوف» [(٣)]

❁ قال ابن عباس أيضًا: «هو السيد الذي قد كمل في سؤدده، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد عظم في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والغني الذي قد كمل في غناه، والجبار الذي قد كمل في

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٥٦٩٢٢)، وأبو داود (٣٩٤١)، والترمذي، رقم الحديث: (٥٧٤٣)، حكم الألباني: صحيح، صحيح سنن أبي داود، رقم الحديث: (٣٩٤١).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) تفسير الطبري (٤٢/ ١٣٧).

جبروته، والعالم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله سُبْحَانَهُ هذه صفته، لا تنبغي إلا له»[1].

❊ قال الشعبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(الصمد) الذي لا يأكل الطعام، ولا يشرب الشراب»[2].

❊ قال عكرمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الذي لم يخرج منه شيء، ولم يلد، ولم يولد»[3].

❊ قال الطبري: الصمد عند العرب: هو السيد الذي يصمد إليه، الذي لا أحد فوقه، وكذلك تسمىٰ أشرافها»[4].

❊ قال الزجاجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الصمد: السيد الذي قد انتهىٰ سودده، فالناس يصمدونه في حوائجهم، أي: يقصدونه ويعتمدونه»[5].

❊ قال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(الصمد): هو السيد الذي يصمد إليه في الأمور، ويقصد في الحوائج والنوازل»[6].

❊ قال الحليمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومنها الصمد: ومعناه المصمود بالحوائج، أي المقصود»[7].

---

(١) تفسير الطبري (٤٢/ ٦٣٧).

(٢) تفسير الطبري (٤٢/ ٢٣٧).

(٣) تفسير الطبري (٤٢/ ٦٣٧).

(٤) ينظر: تفسير الطبري (٤٢/ ١٩٦-٣٩٦).

(٥) اشتقاق أسماء الله (ص: ٢٥٢).

(٦) شأن الدعاء، للخطابي (ص٨٥).

(٧) المنهاج في شعب الإيمان، للحليمي (١/ ١٠٢).

❁ قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن الصمد من تصمد نحوه القلوب بالرغبة والرهبة؛ وذلك لكثرة خصال الخير فيه، وكثرة الأوصاف الحميدة له»[(١)].

❁ قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الصمد: هو الذي تقصده الخلائق كلها في جميع حاجاتها وأحوالها وضروراتها؛ لما له من الكمال المطلق في ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله»[(٢)].

وقال أيضًا: «و(الصمد): المعنىٰ الجامع، الذي يدخل فيه كل ما فسر به هذا الاسم الكريم، فهو الصمد الذي تصمد إليه أي: تقصده جميع المخلوقات بالذل والحاجة والافتقار، ويفزع إليه العالم بأسره، وهو الذي قد كمل بعلمه وحكمته وحلمه وقدرته وعظمته ورحمته وسائر أوصافه»[(٣)].

وكل ما سبق من الأقوال يصح أن يوصف به ربنا عَزَّوَجَلَّ**؛ لأن الصمد اسم دال علىٰ جملة من الأوصاف، لا علىٰ صفة معينة**[(٤)].

❁ قال أبو القاسم الطبراني رَحِمَهُ ٱللَّهُ- كما نقل ابن كثير بعد إيراده لكثير من الأقوال في تفسير الصمد-: «وكل هذه صحيحة، وهي صفات ربنا عَزَّوَجَلَّ، وهو الذي يصمد إليه في الحوائج، وهو الذي قد انتهىٰ سؤدده، وهو الصمد الذي لا جوف له، ولا يأكل ولا يشرب، وهو الباقي بعد خلقه»[(٥)].

---

(١) الصواعق المرسلة، لابن القيم (٣/ ١٠٢٥).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٩٤٥).

(٣) الحق الواضح المبين، للسعدي (ص٧٥).

(٤) ينظر: النهج الأسمىٰ، للنجدي (٢/ ٩٩).

(٥) تفسير ابن كثير (٨/ ٥٢٩).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَهـوَ الإلَـهُ السَّـيِّدُ الصَّمَـدُ الَّـذِي ... صَمَـدَتْ إِلَيْـهِ الخَلْـقُ بِالإِذْعَـانِ
الكَامِلُ الأَوْصَافِ مِنْ كُلِّ الوُجُو ... هِ كَمَالُـهُ مَـا فِيـهِ مِـنْ نُقْصَـانِ[1]

اقتران اسم الله (الصمد) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ فِي القرآن الكريم:

- اقتران اسم الله الصمد باسمه الأحد:

لم يقترن اسم الله «الصمد» إلا باسم الله «الأحد»، وذلك في قوله تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾[الإخلاص:١-٢].

وجه الاقتران راجع إلىٰ أمرين:

١- للدلالة علىٰ أن الأحد المتفرد بالكمال في أسمائه وصفاته وأفعاله هو المستحق بأن تصمد له القلوب وتنزل به الحوائج.

٢- للدلالة علىٰ انفراد الله عَزَّوَجَلَّ بجميع صفات الكمال، قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالصمدية تثبت الكمال المنافي للنقائص، والأحدية تثبت الانفراد بذلك»[2].

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (الصمد):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (الصمد) من الصفات:

الله عَزَّوَجَلَّ الصمد السيد العظيم الذي له الكمال المطلق في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، قال تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾[الإخلاص:٢][3].

---

(١) نونية ابن القيم (ص: ٩٠٢).

(٢) تفسير ابن رجب الحنبلي (٢/ ١٧٦).

(٣) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٩٤٥).

فهو الصمد في ذاته التي لا يقدر قدرها ولا كمالها ولا جلالها إلا هو سُبْحَانَهُ، فتعالت ذاته العلية عن النقائص فلم تحتج إلىٰ جوف ولا أحشاء ولا طعام ولا شراب ولا داخل ولا خارج، كما هو الحال في المخاليق، قال تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾[الإخلاص:٢، ٣]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾[الأنعام:١٤] وقرأ بعضهم بالفتح: «ولا يَطْعَمُ» أي: لا يأكل[(١)].

وهو الصمد في أسمائه فكلها حسنىٰ بلغت من الكمال المنتهىٰ، قال تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[الأعراف:١٨٠]، و تعالت عن الدلالة علىٰ الذم والقدح، أو الدلالة علىٰ الاسم المجرد عن الصفة قال تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورىٰ:١١].

وهو الصمد في صفاته، فلم يبق صفة كمال إلا اتصف بها، ووصف بغايتها وكمالها[(٢)].

فهو صمد في غناه، فلم يحتج للوالد ولا للولد فضلًا عن الصاحبة، قال تَعَالَى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾[الإخلاص:٣]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[الأنعام:١٠١]، أي: «كيف يكون لله الولد، وهو الإله السيد الصمد الذي لا صاحبة له، أي: لا زوجة له، وهو الغني عن مخلوقاته، وكلها فقيرة إليه، مضطرة في جميع أحوالها إليه، والولد لا بد أن يكون من جنس والده، والله

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٢٤٣).

(٢) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار، للسعدي (ص: ٢٠٢).

خالق كل شيء، وليس شيء من المخلوقات مشابهًا لله بوجه من الوجوه»[1].

ولم يحتج للشريك ولا للوزير ولا للمعين ولا للنصير، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾[الإسراء:١١١].

ولم يحتج للطعام ولا للشراب، قال تَعَالَىٰ: ﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾[الذاريات:٥٧، ٥٨]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾[الأنعام:١٤].

وهو **صمد في حياته**، فلم يحتج معها إلىٰ خالق ولا والد ولا حافظ، قال تَعَالَىٰ: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾[الإخلاص:٣]؛ فهو الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، كما جاء في الحديث: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ**»[2].

ولا يعتري حياته ما ينقص كمالها من النوم والنعاس، ولا يهددها الموت، وإنما حياة دائمة، وبقاء لا انقطع معه، قال تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾[البقرة:٢٥٥]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، وقال تَعَالَىٰ أيضًا: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧].

وهو **صمد في علوه**، فما زال جَلَّجَلَالُهُ ولا يزال عاليًا بذاته مستويًا علىٰ عرشه، عاليًا بأسمائه وصفاته وأفعاله، لا يعلوه أحد، ولا يكون فوقه أحد لا في

(١) تفسير السعدي (ص: ٧٦٢).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٣١٧٢).

الذات ولا في الأسماء ولا في الصفات ولا في الأفعال، قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢]، وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ**»(١).

وهو الصمد في أفعاله فكلها حكمة، ورحمة، ومصلحة، وعدل كما جاء في الحديث: «**لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، والخَيْرُ كُلُّه بيدِكَ، والشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ**»(٢).

تعالت أفعاله سُبْحَانَهُ عن العبث واللهو، والظلم والجور، ونحو ذلك من النقائص.

وبذلك اجتمعت في الصمد صفات الشرف جميعها في الذات والأسماء والصفات والأفعال، واجتمعت فيه صفات السيادة كلها علىٰ وجه الكمال والدوام، فهي باقية لم تزل ولا تزال أبدًا، لا يطرأ عليها النقص ولا الآفات ولا الاختلال، كما هو الحال في المخلوق الذي يكون سؤدده وكماله في حال دون حال، ويعتيريه من النقص ما يعتريه(٣).

الأثر الثاني: دلالة اسم الله (الصمد) علىٰ التوحيد:

إن اسم الله «الصمد» وما فيه من الدلالة علىٰ صفات الكمال لله عَزَّوَجَلَّ؛ دال علىٰ أنواع التوحيد الثلاثة، وبيان ذلك علىٰ النحو الآتي:

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) ينظر: تفسير ابن رجب الحنبلي (٢/ ١٧٦)، والحق الواضح المبين، للسعدي (ص: ٥٧)، والنهج الأسمىٰ، للنجدي (٢/ ٢٠١)، وفقه الأسماء الحسنىٰ، للبدر (ص: ١٣١-١٣١).

١- دلالته علىٰ توحيد الألوهية والربوبية:

إن اسم الله «الصمد» يضم جملة من الأسماء والصفات الدالة علىٰ الربوبية كالخلق، والرزق، والملك، والتدبير، والإحياء والإماتة ونحو ذلك، فإثباته إثبات لها علىٰ وجه الكمال؛ لما سبق من دلالة الصمد علىٰ الكمال.

ثم إن كل صفة من صفات الربوبية منفردة تدعو العبد إلىٰ إفراد الله عَزَّوَجَلَّ بها، قال تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾[الإخلاص:١، ٢]، فلا مثيل ولا نظير ولا شريك ولا والد ولا ولد، قال تَعَالَى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[الإخلاص:٤][1]، ولا يستحق العبادة إلا هو سُبْحَانَهُ، وعبادة ما سواه باطل[2]، وحينئذ يفرد العبد ربه الصمد بجميع أنواع العبادة، فلا يَسجد ولا يركع ولا يصلي إلا لله، ولا يستغيث ولا يستعين، ولا يستعيذ إلا بالله، ولا يخاف ولا يرهب، ولا يشفق إلا من الله، ولا يتوكل إلا علىٰ الله، ولا يرجو ولا يدعو ولا يسأل إلا الله الصمد تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

٢- دلالته علىٰ توحيد الأسماء والصفات:

إن اسم الله «الصمد» وما فيه من الدلالة علىٰ قصد الخلائق له وصمودهم بين يديه؛ دال علىٰ اتصافه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بصفات الكمال، قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن السيد الذي يصمد إليه لا يكون إلا متصفًا بجميع صفات الكمال التي استحق لأجلها أن يكون صمدًا»[3]، وذلك كالحياة والعلم، والسمع، والبصر،

(١) ينظر: النهج الأسمىٰ، للنجدي (٢/ ١٠٠-١٠١).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٨٩٤).

(٣) ينظر: تفسير ابن رجب الحنبلي (٢/ ١٧٦).

والغنىٰ، والقدرة، والكلام، والاستواء، والعلو، ونحو ذلك، كما يدل- أيضًا- علىٰ انتفاء النقائص عنه سُبْحَانَهُ.

الأثر الثالث: محبة الله الصمد:

لا شك أن اسم الله «الصمد» يقود مَن تدبره وتأمل فيه لمحبة الله عَزَّوَجَلَّ؛ وذلك لأنه دال علىٰ صفات الكمال والجمال علىٰ الدوام للرب عَزَّوَجَلَّ من الحياة، والغنىٰ، والعلو، وقصد الخلائق وهرعهم إليه في قضاء الحاجات وتفريج الكربات، إلىٰ غير ذلك مما يدل عليه من الكمالات، ومن المعلوم أن القلوب فطرت علىٰ محبة من له الكمال والجمال.

ثم إذا تذكر العبد- أيضًا- أن كل كمال للمخلوق يشاهده أويسمع به، فيعجبه ويحب صاحبه لا شيء أمام كمال الله عَزَّوَجَلَّ يورثه ذلك محبة الله الذي هو أولىٰ مَن يُحَب وَيُجَل.

الأثر الرابع: الزهد في الدنيا وعدم الاغترار بها:

إذا علم العبد أن ربه الصمد باق دائم بعد خلقه، قال تَعَالَىٰ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]، فكل شيء زائل فان، المال والمتاع والجاه والسلطة والقوة، بل والأرض ومن عليها، والسماء وما فيها ومن فيها، والكون كله ما نعلم منه وما نجهل، كله هالك إلا وجه الله الصمد الباقي المتفرد بالبقاء ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٦-٢٧].

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «لما نزلت هذه الآية قالت الملائكة: هلك أهل الأرض، فنزلت: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص:٨٨]، فأيقنت الملائكة بالهلاك»[1].

---

(١) تفسير القرطبي (٧١/ ٥٦١).

فمن عرف ذلك وتيقنه؛ زهد في الدنيا ومتاعها، وطلب الآخرة ونعيمها، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [القصص: ٦٠].

بخلاف من غفل عن ذلك أو تغافل، فألهته الدنيا بزخرفها، وصارت غايته وأكبر همه، وراح يطلبها بالمباح وبالحرام، حتىٰ إنه ليعمل الصالحات يريد بها عرضًا من الدنيا غافلًا عن ثواب الآخرة، قال تَعَالَىٰ: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا﴾ [الإسراء: ١٨]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [هود: ١٥-١٦].

وقوله تَعَالَىٰ: ﴿نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ﴾ [هود: ١٥] أي: نعطيهم من متاع الدنيا ما كتب وقدر لهم في اللوح المحفوظ، لا ينقصون شيئًا منه، ولا يزيدون شيئًا منه، وإن بلغوا من الحرص عليها كل مبلغ(١).

وجاء في الحديث عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، قال: «**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، والدِّرْهَمِ، والقَطِيفَةِ، والخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ**»(٢).

قال ابن حجر رَحِمَهُٱللَّهُ: «قال الطيبي: قيل: خص العبد بالذكر؛ ليؤذن بانغماسه في محبة الدنيا وشهواتها، كالأسير الذي لا يجد خلاصًا...

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص ٨٧٣).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٨٨٢).

وفيه إشارة إلىٰ الدعاء عليه بما يثبطه عن السعي والحركة وسوغ الدعاء عليه؛ كونه قصر عمله علىٰ جمع الدنيا واشتغل بها عن الذي أمر به من التشاغل بالواجبات والمندوبات»[1].

الأثر الخامس: قصد الله الصمد في جميع الحاجات:

لما كان ربنا عَزَّوَجَلَّ صمد، متصف بالكمال المطلق، فلا شيء فوقه، ولا شيء يعجزه، ولا شيء يفقره؛ صمدت إليه جميع المخلوقات، وقصدته كل الكائنات، وفزع إليه العالم بأسره، أهل سمائه وأرضه، صغيره وكبيره، ذكره وأنثاه، غنيه وفقيره، مسلمه وكافره، فالكل مفتقر إليه غاية الافتقار، قاصد إياه في جميع أحواله وشؤونه في أمر دينه ودنياه وآخرته، طارق بابه في مطالبه ومساعيه الضروري منه، والحاجي، والكمالي، يسأله بلسان الحال والمقال، لا يستغني عنه طرفة عين ولا أقل من ذلك فلا ملجأ ولا منجىٰ منه إلا إليه، إليه وحده المفر، وفيه المرغب والمطمع، قال تَعَالَىٰ: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾[الرحمن:٢٩].

فهؤلاء الملائكة صمدوا إليه، فسألوه لأهل الإيمان، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ﴾[غافر:٧، ٨] الآيات.

وهؤلاء الأنبياء والمرسلين صمدوا إليه في مختلف أحوالهم، فسألوه في حال عبادتهم، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[البقرة:١٢٧].

---

(١) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، لابن حجر (١١/ ٤٥٢).

وسألوه في حال تقصيرهم وخطئهم، قال تَعَالَىٰ عن آدم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف:٢٣]، وقال تَعَالَىٰ عن موسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لما قتل القبطي: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [القصص:١٦].

وسألوه في حال كربهم وشدتهم، كما قال سُبۡحَانَهُۥ: ﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٨٣ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء:٨٣، ٨٤].

وسألوه في حال نعمته عليهم، كما قال سُبۡحَانَهُۥ عن سليمان عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل:١٩].

وسألوه ما يتعلق بالآخرة، كما قال سُبۡحَانَهُۥ عن إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ٨٥ وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ٨٦ وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ﴾ [الشعراء:٨٥ – ٨٧].

وصمد إليه كذلك عباده الصالحون، كما قال سُبۡحَانَهُۥ: ﴿إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا﴾ [الكهف:١٠]، وقال: ﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٢٥٠].

بل وصمد إليه الكافرون المشركون، كما قال سُبۡحَانَهُۥ: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٌ

﴿وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[يونس:٢٢]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ﴾[العنكبوت:٦٥].

وكل هذا يوجب للعبد ألا يلجأ إلا لربه الصمد، ولا يطلب حاجته إلا منه، ولا تكون استعانته إلا به، ولا يكون توكله إلا عليه؛ كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا معلمًا ولغيره من الأمة: «**يَا غُلامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ**»(١)(٢).

فتجد المؤمن يصمد إلىٰ ربه الصمد، فيرفع حوائجه إليه، ولا يشكو فاقته إلا إليه، ويتعلق به، ويتضرع إليه، ويرفع كفيه إليه يناديه ويناجيه، فما يلبث إلا ودعاؤه مجاب، وفاقته مسدوده، وحاجته مقضيه، كما جاء عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ، فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ، لَمْ تُسَدَّ فَاقَتُهُ، وَمَنْ أَنْزَلَهَا بِاللهِ، أَوْشَكَ اللهُ لَهُ بِالْغِنَىٰ، إِمَّا بِمَوْتٍ عَاجِلٍ، أَوْ غِنًىٰ عَاجِلٍ**»(٣).

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٣١٧٢)، والترمذي، رقم الحديث: (٦١٥٢)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٦١٥٢).

(٢) ينظر: النهج الأسمىٰ، للنجدي (٢/ ٦٠١).

(٣) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٥٤٦١)، حكم الألباني:صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٥٤٦١).

ولا يقتصر في سؤاله علىٰ مطالب الدنيا، بل يضم إلىٰ ذلك مطالب الدين والآخرة؛ فيقصد ربه الصمد بسؤال الهداية والإعانة علىٰ الطاعة، والمغفرة والرحمة، والفوز بالجنة، والنجاة من النار ونحو ذلك؛ كما جاء في حديث محجن بن الأدرع «أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دخل المسجد فإذا رجل قد قضىٰ صلاته، وهو يتشهد فقال: اللهم إني أسألك يا الله بأنك الواحد الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، أن تغفر لي ذنوبي، إنك أنت الغفور الرحيم، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **قَدْ غُفِرَ لَهُ**. ثلاثًا»[1].

ويقصده- أيضًا- بالاستغفار والتوبة عند الوقوع في المعصية، قال تعالَى: ﴿ **وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ [آلعمران:١٣٥]، وجاء عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**قَالَ الله** تَبَارَكَ وَتَعَالَى: **يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَىٰ مَا كَانَ فِيكَ وَلاَ أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، وَلاَ أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لاَ تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً**»[2].

الأثر السادس: عدم قصد المخلوق بالسؤال:

إذا تأمل العبد في اسم الله (الصمد) وما فيه من الترغيب في قصد بابه، باب من بيده مقاليد كل شيء، باب من هو علىٰ كل شيء قدير، باب الكريم

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٣٥٤٠)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٣٥٤٠).

الجواد الذي يحب أن يسأل ويرغب إليه في الحوائج والنوائب والمزعجات، ويحب أن يتضرع إليه في الشدائد والكربات والملمات، ويحب أن يستغاث به في المصاعب والمشقات، ويحب الإلحاح في السؤال والدعاء، ويغضب علىٰ من لا يسأله، ويدعو عباده لسؤاله: هل من داع فأستجيب له؟ هل من سائل فأعطيه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ وهو عند حاجة خلقه، ولديه تفريج كربهم، السميع لندائهم، العليم بحالهم، واسع الرحمة والرأفة والحنان والكرم، عظيم القدرة والعزة والسلطان[1].

ثم نظر متأملًا في المخلوق وما فيه من الفقر والعجز والشح والكره للسؤال والإلحاح فيه، والرغبة في عدمه؛ **دعاه هذا** إلىٰ الزهد في سؤال المخلوق وقصد بابه، وقطع تعلق القلب به وإن عظم جاهه وعلا منصبه، ولهذا قال وهب بن منبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ لرجل كان يأتي الملوك: «ويحك، تأتي من يغلق عنك بابه، ويظهر لك فقره، ويواري عنك غناه، وتدع من يفتح لك بابه نصف الليل ونصف النهار، ويظهر لك غناه، ويقول: ادعني أستجب لك؟!»[2].

وقال عطاء رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال لي طاوس: يا عطاء، لا تُنزلن حاجتك بمن أغلق دونك أبوابه، وجعل عليها حجابه، ولكن أنزلها بمن بابه مفتوح لك إلىٰ يوم القيامة، أمرك أن تدعوه، وضمن لك أن يستجيب لك، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[غافر: ٦٠]»[3].

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص:٠٣٨، ٧٣٩)، الحق الواضح المبين، للسعدي (ص: ٥٧).

(٢) صفة الصفوة، لابن الجوزي (١/ ٤٥٤).

(٣) المصدر السابق (١/ ٤٥٤).

ودخل هشام بن عبدالملك الكعبة، فإذا هو بسالم بن عبدالله، فقال له: يا سالم سلني حاجة، فقال له: إني لأستحيي من الله أن أسأل في بيت الله غير الله، فلما خرج خرج في أثره، فقال له: الآن قد خرجت، فسلني حاجة، فقال له سالم: حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة؟ فقال: بل من حوائج الدنيا، فقال له سالم: ما سألت من يملكها فكيف أسأل من لا يملكها[1].

ومن هنا كان سؤال المخلوق مذمومًا، ووبالًا علىٰ صاحبه يوم القيامة إن كان من غير حاجة؛ فعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَا تَزَالُ الْمَسْأَلَةُ بِأَحَدِكُمْ حَتَّىٰ يَلْقَىٰ اللهَ، وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ**»[2].

وقد تكفل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجنة لمن ترك السؤال، فعن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ تَكَفَّلَ لِيْ أَنْ لاَ يَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئًا وَأَتَكَفَّلُ لَهُ بِالْجَنَّةِ**؟ فقال ثوبان: أنا، فكان لا يسأل الناس شيئًا»[3]، فحري بالعبد أن يزهد في سؤالهم، ويرغب في باب ربه الصمد.

الأثر السابع: دعاء الله باسمه الصمد:

إن يقين العبد باسم الله «الصمد» الذي تصمد إليه الخلائق كلها، وتقصده بالدعاء في الشدائد والمسرات ومختلف الأحوال، يدعو العبد إلىٰ قصد باب

---

(١) المصدر السابق (١/ ٣٥٣).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٠٤٠).

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢٢٠٨٧)، وأبو داود، رقم الحديث: (١٦٤٣)، وابن ماجه، رقم الحديث: (١٨٣٧)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (١٦٤٣).

الصمد، والتضرع إليه بالدعاء والسؤال، ولا سيما باسمه الصمد؛ امتثالًا لقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

ولا سيما - أيضًا - بما ورد في السنة مما هو مظنة الإجابة؛ فعن محجن بن الأدرع رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، «أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دخل المسجد، فإذا رجل قد قضىٰ صلاته، وهو يتشهد فقال: اللهم إني أسألك يا الله بأنك الواحد الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، أن تغفر لي ذنوبي، إنك أنت الغفور الرحيم، فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **قَدْ غُفِرَ لَهُ**. ثلاثًا»[1].

وعن عبدالله بن بريدة، عن أبيه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: «سمع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجلًا، يقول: اللهم إني أسألك بأنك أنت الله الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **لَقَدْ سَأَلَ اللهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَىٰ، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ**»[2].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الدعاء: «فهذا توسل إلىٰ الله بتوحيده، وشهادة الداعي له بالوحدانية، وثبوت صفاته المدلول عليها باسم الصمد... وبنفي التشبيه والتمثيل عنه، بقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤]، وهذه ترجمة عقيدة أهل السنة، والتوسل بالإيمان بذلك»[3].

فاللهم إنا نسالك يا الله بأنك الواحد الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، أن تغفر لنا ذنوبنا؛ إنك أنت الغفور الرحيم.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٧٤).

الظَّاهر والباطنُ جَلَّ جَلَالُهُ



المعنى اللغوي:

أولًا: المعنى اللغوي لاسم (الظاهر):

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الظهر: خلاف البطن، وقولهم: لا تجعل حاجتىٰ بظهر، أي: لا تنسها»(١).

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الظاء والهاء والراء أصل صحيح واحد يدل علىٰ قوة وبروز، من ذلك: ظهر الشيء يظهر ظهورًا فهو ظاهر؛ إذا انكشف وبرز، ولذلك سمي وقت الظهر والظهيرة، وهو أظهر أوقات النهار وأضوؤها، والأصل فيه كله: ظهر الإنسان، وهو خلاف بطنه، وهو يجمع البروز والقوة...»(٢).

ثانيًا: المعنى اللغوي لاسم (الباطن):

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «البطن: خلاف الظهر»(٣).

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الباء والطاء والنون أصل واحد لا يكاد يخلف، وهو إنسي الشيء والمقبل منه، فالبطن خلاف الظهر، تقول: بطنت الرجل: إذا

---

(١) الصحاح (٢/ ٣٩٢).

(٢) مقاييس اللغة (٣/ ١٧٤).

(٣) الصحاح (٥/ ٧٥٣).

ضربت بطنه، قال بعضهم: إذا ضربت موقرًا فابطن له، وباطن الأمر دخلته، خلاف ظاهره، والله تَعَالَى هو الباطن؛ لأنه بطن الأشياء خبرًا، تقول: بطنت هذا الأمر: إذا عرفت باطنه»[1].

ورود اسم الله (الظاهر و الباطن) في القرآن الكريم:

ورد اسمه سُبْحَانَهُ **(الظاهر و الباطن) في كتاب الله مرة واحدة، وهي**: قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد:٣].

ورود اسم الله (الظاهر و الباطن) في السنة النبوية:

ورد اسم الله (الظاهر و الباطن) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

عن أبي هريرة، قال: «كان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأمرنا إذا أخذ أحدنا مضجعه أن يقول: «**اللهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ**»[2].

---

(١) مقاييس اللغة (١/ ٩٥٢).

(٢) أخرجه مسلم (٣١٧٢).

معنى اسم الله (الظاهر و الباطن) في حقه سُبْحَانَهُ:

أولًا: معنىٰ اسم «الظاهر» في حقه تعالىٰ:

يدور معنىٰ اسم الله «الظاهر» في حقه تَعَالَىٰ حول علو الله تَعَالَىٰ وفوقيته، وأحسن التفسيرات للمعنىٰ وأكملها ما قاله النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ**»(١).

ومن أقوال العلماء في ذلك:

❊ قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهو الظاهر علىٰ كل شيء دونه، وهو العالي فوق كل شيء، فلا شيء أعلىٰ منه»(٢).

❊ قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «اسمه (الظاهر) من لوازمه: أن لا يكون فوقه شيء، كما في الصحيح عن النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ**»(٣)؛ بل هو سُبْحَانَهُ فوق كل شيء، فمن جحد فوقيته سُبْحَانَهُ فقد جحد لوازم اسمه الظاهر، ولا يصح أن يكون الظاهر هو من له فوقية القدر فقط،... مقابلة الاسم بـ«الباطن»، وهو الذي ليس دونه شيء، كما قابل الأول الذي ليس قبله شيء، بـ«الآخر» الذي ليس بعده شيء»(٤).

❊ قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «والظاهر: يدل علىٰ عظمة صفاته، واضمحلال كل شيء عند عظمته من ذوات وصفات، وعلىٰ علوه»(٥).

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) تفسير ابن جرير (٢٢/ ٥٨٣).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) مدارج السالكين (١/ ٥٥).

(٥) تفسير أسماء الله الحسنىٰ (ص: ٢١٠).

۞ وقد ذكره ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نونيته:

والظَّاهِـرُ العَالِـي الَّـذِي مَـا فَوْقَـهُ ... شَـيْءٌ كَمـا قَـدْ قَـالَ ذُو البُرْهَـانِ

حَقًّـا رَسُـولُ اللهِ ذَا تَفْسِـيرُهُ ... وَلَقَـدْ رَوَاهُ مُسْـلِمٌ بِضَمَـانِ

ثانيًا: معنىٰ اسم الله «الباطن» في حقه تعالىٰ:

۞ أحسن التفاسير وأكملها ما قاله النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَأَنْتَ البَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ**»(١).

۞ قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾[الحديد:٣] يقول: وهو الباطن جميع الأشياء، فلا شيء أقرب إلىٰ شيء منه، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق:١٦]»(٢).

۞ قال الزجاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الباطن هو العالم ببطانة الشيء، يقال: بطنت فلانًا وخبرته، إذا عرفت باطنه وظاهره، والله تَعَالَىٰ عارف ببواطن الأمور وظواهرها، فهو ذو الظاهر وذو الباطن»(٣).

۞ قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والباطن: يدل علىٰ اطلاعه علىٰ السرائر والضمائر والخبايا والخفايا، ودقائق الأشياء، كما يدل علىٰ كمال قربه ودنوه، ولا يتنافىٰ الظاهر والباطن؛ لأن الله ليس كمثله شيء في كل النعوت؛ فهو العلي في دنوه القريب في علوه»(٤).

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٨٣).

(٣) تفسير أسماء الله الحسنىٰ (ص: ١٦).

(٤) تفسير أسماء الله الحسنىٰ (ص: ٠٧١).

اقتران اسم الله (الظاهر و الباطن) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ فِي القرآن الكريم:

لم يقترن اسم الله الظاهر والباطن إلا باسم الله الأول الآخر، وذلك في آية واحدة، وهي قوله تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد:٣]، وقد تقدم بيان مناسبة الاقتران في اسمي الله الأول والآخر.

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (الظاهر و الباطن):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسمي الله (الظاهر والباطن) من صفاته سُبْحَانَهُ، وتحقيق التوحيد له:

إن مدار هذين الاسمين علىٰ بيان إحاطة الرب بكل شيء، فقد أحاطت ظاهريته وباطنيته بكل ظاهر وباطن، فما من ظاهر إلا والله فوقه، وما من باطن إلا والله دونه، فالله سُبْحَانَهُ هو العليم، الخبير، المحيط، المطلع علىٰ خفايا الأمور وأسرارها، العلي الأعلىٰ المتعال، فهو مع كمال علوه علىٰ عرشه قريب من خلقه، محيط بهم، فلا تواري منه سماءٌ سماءً، ولا أرض أرضًا، ولا يحجب عنه ظاهر باطنًا؛ بل الباطن له ظاهر والغيب عنده شهادة، والبعيد منه قريب، والسر عنده علانية، تستوي في علمه الأمور، يقول تَعَالَى: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ [الرعد:١٠]، يستوي عنده من هو مختف في قعر داره، ومن هو سائر في سربه طريقه في بياض النهار وضيائه، فعلم الله يتعقب كل فرد من بين يديه ومن خلفه، ويقيد عليه كل شاردة وكل واردة آناء الليل وأطراف النهار، يقول تَعَالَى

في معرفته ببواطن الأمور وخفاياها مع علوه سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق:١٦].

فهو سُبْحَانَهُ المتفرد بخلق جنس الإنسان، ذكورهم وإناثهم، ويعلم أحواله، وما يسره، ويوسوس في صدره، فهو أقرب إليه من حبل الوريد، الذي هو أقرب شيء إلىٰ الإنسان[١].

فـ«الظاهر» سُبْحَانَهُ هو المدرك بالعقول والدلائل الدالة عليه، والأفعال المؤدية إلىٰ العلم به ومعرفته، وهو الباطن سُبْحَانَهُ غير المشاهد، كسائر الأشياء المشاهدة في الدنيا تَعَالَىٰ الله عزوجل عن ذلك علوًّا كبيرًا، يظهر ويتجلىٰ لبصائر المتفكرين، ويحتجب عن أبصار الناظرين، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[الأنعام:١٠٣].-

ومن آمن باسمي الله «الظاهر» و«الباطن»؛ تعلق قلبه بالله، وشهد وجود الله محيطًا به في كل لحظة من لحظات حياته، وأخلص له في توحيده بألوهيته وربوبيته، حتىٰ يصل لمقام الإحسان، فيعبد الله كأنه يراه، فإن لم يكن يراه، فإن الله يراه.

وكما أن اسمي الله «الظاهر» و«الباطن» دالان علىٰ الربوبية والألوهية، فكذا هما دالان علىٰ الأسماء والصفات؛ إذ يدلان علىٰ اسم الله العليم، والمحيط، والقدير، والعلي، والقريب، إلىٰ غير ذلك من أسمائه سُبْحَانَهُ وما فيها من صفات.

---

(١) انظر: تفسير السعدي (ص: ٥٠٨).

الأثر الثاني: الثقة بنصر الله لدينه:

من علم أن الله هو «الظاهر» الغالب؛ علم أنه ناصر لدينه علىٰ جميع الأديان بعز عزيز أو بذل ذليل، يقول تَعَالَى: ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[التوبة:٣٢]، ويقول تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:٣٣].

فأهل هذا الدين منصورون غالبون عالون، ويتفاوت نصرهم وعلوهم بقدر ما معهم من الإيمان قولًا وعلمًا وعملًا ظاهرًا وباطنًا، فمن نقص إيمانه نقص نصيبه من النصر والتأييد، يقول الله تَعَالَى: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[آل عمران:١٣٩].

وقد أطال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذكر الحكمة من ظهور الكفار في بعض الأحيان، وذكر أصولًا كثيرة، منها:

«.... الأصل الثاني: أن ما يصيب المؤمنين في الله تَعَالَى مقرون بالرضا والاحتساب، فإن فاتهم الرضا فمعولهم علىٰ الصبر، وعلىٰ الاحتساب، وذلك يخفف عنهم ثقل البلاء ومؤنته؛ فإنهم كلما شاهدوا العوض هان عليهم تحمل المشاق والبلاء، والكفار لا رضا عندهم ولا احتساب، وإن صبروا فكصبر البهائم، وقد نبه تَعَالَى علىٰ ذلك في قوله: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء:١٠٤]؛ فاشتركوا في الألم، وامتاز المؤمنون برجاء الأجر والزلفىٰ من الله تَعَالَى.

... الأصل الثامن: أن ابتلاء المؤمنين بغلبة عدوهم لهم وقهرهم، وكسرهم لهم أحيانًا، فيه حكمة عظيمة لا يعلمها علىٰ التفصيل إلا الله عَزَّوَجَلَّ.

فمنها: استخراج عبوديتهم وذلهم لله، وانكسارهم، وافتقارهم إليه، وسؤاله نصرهم علىٰ أعدائهم، ولو كانوا دائمًا منصورين قاهرين غالبين لبطروا وأشروا.

ولو كانوا دائمًا مقهورين مغلوبين منصورًا عليهم عدوهم لما قامت للدين قائمة، ولا كانت للحق دولة، فاقتضت حكمة أحكم الحاكمين أن صرفهم بين غلبهم تارةً، وكونهم مغلوبين تارةً؛ فإذا غلبوا تضرعوا إلىٰ ربهم، وأنابوا إليه، وخضعوا له، وانكسروا له، وتابوا إليه، وإذا غلبوا أقاموا دينه وشعائره، وأمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر، وجاهدوا عدوه، ونصروا أولياءه.

ومنها: أنهم لو كانوا دائمًا منصورين، غالبين، قاهرين؛ لدخل معهم من ليس قصده الدين ومتابعة الرسول؛ فإنه إنما ينضاف إلىٰ من له الغلبة والعزة، ولو كانوا مقهورين مغلوبين دائمًا لم يدخل معهم أحد، فاقتضت الحكمة الإلهية أن كانت لهم الدولة تارة، وعليهم تارة، فيتميز بذلك بين من يريد الله ورسوله، ومن ليس له مراد إلا الدنيا والجاه.

ومنها: أنه سُبْحَانَهُ يحب من عباده تكميل عبوديتهم علىٰ السراء والضراء، وفي حال العافية والبلاء، وفي حال إدالتهم والإدالة عليهم، فلله سُبْحَانَهُ علىٰ العباد في كلتا الحالين عبودية بمقتضىٰ تلك الحال لا تحصل إلا بها، ولا يستقيم القلب بدونها؛ كما لا تستقيم الأبدان إلا بالحر والبرد،

والجوع والعطش، والتعب والنصب، وأضدادها، فتلك المحن والبلايا شرط في حصول الكمال الإنساني والاستقامة المطلوبة منه، ووجود الملزوم بدون لازمه ممتنع.

ومنها: أن امتحانهم بإدالة عدوهم عليهم يمحصهم، ويخلصهم، ويهذبهم؛ كما قال تَعَالَى في حكمة إدالة الكفار علىٰ المؤمنين يوم أحد: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران:١٣٩ - ١٤١]»[١].

الأثر الثالث: استشعار قرب الله الخاص من عباده المؤمنين:

ولأنه سُبْحَانَهُ «الباطن» الذي ليس دونه شيء، فهو سُبْحَانَهُ أقرب إلىٰ كل شيء، ومن أعظم ثمرات الإيمان به سُبْحَانَهُ: استشعار قرب الله الخاص من عباده المؤمنين.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما القرب المذكور في القرآن والسنة فقرب خاص من عابديه وسائليه وداعيه، وهو من ثمرة التعبد باسمه الباطن، قال تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦].

ومن رام هذا القرب سعىٰ لتحصيل أسبابه[٢]، فهو القريب سُبْحَانَهُ لمن دعاه ﴿فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦] وهو القريب

---

(١) إغاثة اللهفان (٢/ ٧٨١).

(٢) ستأتي مفصلة في اسم الله «القريب» سُبْحَانَهُ.

سُبْحَانَهُ ممن أحسن ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف:٥٦]، فوجد الخبر، وهو: «قريب» عن لفظ الرحمة، وهي مؤنثة؛ إيذانًا بقربه تَعَالَىٰ من المحسنين، فكأنه قال: إن الله برحمته قريب من المحسنين.

وأقرب الهيئات إلىٰ الله: السجود له، وفي الصحيح عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ العَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ**»(١)، وأقرب الأوقات له سُبْحَانَهُ جوف الليل، «**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنْ العَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الآخرِ**»(٢)، فهذا قرب خاص غير قرب الإحاطة وقرب البطون، وفي الصحيح من حديث أبي موسىٰ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أنهم كانوا مع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سفر، فارتفعت أصواتهم بالتكبير، فقال: «**أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، فإنكم لا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلا غَائِبًا، إِنَّه معكم سَمِيعٌ قَرِيبٌ، تباركَ اسمُه وتعالىٰ جدُّه**»(٣)، فهذا قربه من داعيه وذاكره، يعنيٰ: فأي حاجة بكم إلىٰ رفع الأصوات وهو لقربه يسمعها وإن خفضت، كما يسمعها إذا رفعت؛ فإنه سميع قريب، وهذا القرب هو من لوازم المحبة، فكلما كان الحب أعظم كان القرب أكثر، والتعبد بهذا الاسم هو التعبد بخالص المحبة وصفو الوداد، وأن يكون الإله أقرب إليه من كل شيء وأقرب إليه من نفسه، مع كونه ظاهرًا ليس فوقه شيء.

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٨٤).

(٢) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٩٧٥٣)، والنسائي، رقم الحديث: (١٧٥)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٩٧٥٣).

(٣) سبق تخريجه.

الأثر الرابع: محبة الله الظاهر والباطن سُبْحَانَهُ:

يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في طريق الهجرتين: «...والمقصود: أن التعبد باسمه (الظاهر) يجمع القلب علىٰ المعبود، ويجعل له ربًّا يقصده، وصمدًا يصمد إليه في حوائجه، وملجأً يلجأ إليه، فإذا استقر ذلك في قلبه وعرف ربه باسمه (الظاهر) استقامت له عبوديته، وصار له معقل وموئل يلجأ إليه، ويهرب إليه، ويفر في كل وقت إليه... وأما التعبد باسمه (الباطن) فإذا شهدت إحاطته بالعوالم وقرب البعيد منه، وظهور البواطن له، وبدو السرائر وأنه لا شيء بينه وبينها؛ فعامِله بمقتضىٰ هذا الشهود، وطهِّر له سريرتك؛ فإنها عنده علانية، وأصلِح له غيبك؛ فإنه عنده شهادة، وزكِّ له باطنك؛ فإنه عنده ظاهر»[1]، ومَن فَقه ما تقدم أحبَّ «الظاهر» الباطن سُبْحَانَهُ.

الأثر الخامس: الشوق لرؤية الله تعالىٰ، والعمل له:

إيماننا بأنه سُبْحَانَهُ «الباطن» الذي لا تدركه أبصار خلقه في الدنيا، تجعلنا نسعىٰ لرؤيته سُبْحَانَهُ في الآخرة، عند البخاري من حديث جرير بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أَمَا إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا، لاَ تُضَامُّونَ أَوْ لاَ تُضَاهُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لاَ تُغْلَبُوا عَلَىٰ صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا، ثُمَّ قَالَ: فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا»**[2].

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص: ١٢).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٤٥٥)، ومسلم، رقم الحديث: (٣٣٦) واللفظ له.

ومن تلك الأسباب التي توصل لرؤية الله في الآخرة:

- المحافظة علىٰ صلاة العصر والفجر في وقتها، فعن جرير بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «كنا عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ نظر إلىٰ القمر ليلة البدر، فقال: **أَمَا إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا، لاَ تُضَامُّونَ أَوْ لاَ تُضَاهُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لاَ تُغْلَبُوا عَلَىٰ صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا، ثُمَّ قَالَ: فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا**»[(١)].

- الإحسان، يقول تعالىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦]، فالحسنىٰ: الجنة، والزيادة: هي النظر إلىٰ وجهه الكريم، فسرها بذلك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصحابة من بعده، كما روىٰ مسلم في صحيحه عن صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «قرأ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦] قال: **إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: **تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ** عَزَّ وَجَلَّ»[(٢)].

اللهم إنا نسألك لذة النظر إلىٰ وجهك الكريم، والشوق إلىٰ لقائك، وأن تجعلنا من عبادك السابقين، وأوليائك الصالحين.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٨١).

الأثر السادس: ترك الذنوب والمعاصي في السر والعلن:

من آمن بالظاهر والباطن سُبْحَانَهُ، ترك ظاهر الإثم وباطنه، يقول تَعَالَىٰ: ﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٠]، قال مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾ المعصية في السر والعلانية، وفي رواية عنه: هو ما ينوي مما هو عامل، وقال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾ أي: سره وعلانيته قليله وكثيره[1].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المراد بالإثم: جميع المعاصي التي تؤثم العبد، أي: توقعه في الإثم والحرج من الأشياء المتعلقة بحقوق الله، وحقوق عباده، فنهىٰ الله عباده، عن اقتراف الإثم الظاهر والباطن، أي: السر والعلانية، المتعلقة بالبدن والجوارح والمتعلقة بالقلب، ولا يتم للعبد ترك المعاصي الظاهرة والباطنة إلا بعد معرفتها، والبحث عنها، فيكون البحث عنها ومعرفة معاصي القلب والبدن والعلم بذلك واجبًا متعينًا علىٰ المكلف، وكثير من الناس تخفىٰ عليه كثير من المعاصي، خصوصًا معاصي القلب، كالكبر والعجب والرياء، ونحو ذلك، حتىٰ إنه يكون به كثير منها، وهو لا يحس به ولا يشعر، وهذا من الإعراض عن العلم، وعدم البصيرة.

ثم أخبر تَعَالَىٰ أن الذين يكسبون الإثم الظاهر والباطن، سيجزون علىٰ حسب كسبهم، وعلىٰ قدر ذنوبهم، قلت أو كثرت، وهذا الجزاء يكون في الآخرة، وقد يكون في الدنيا، يعاقب العبد، فيخفف عنه بذلك من سيئاته»[2].

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٦٠٢).

(٢) تفسير السعدي (ص: ١٧٢).

الأثر السابع: قمع وساوس الشيطان المهلكة للإنسان:

في اسم الله الظاهر والباطن جماع المعرفة بالله وجماع العبودية له، كما أن فيها قمعًا للوساوس المهلكة، والشكوك المردية التي يلقيها الشيطان في قلب الإنسان؛ بغية إهلاكه وصرفه عن الإيمان.

وقد بين لنا ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا العلاج من وساوس الشيطان، عن أبي زميل سماك بن الوليد رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «سَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ فَقُلْتُ: مَا شَيْءٌ أَجِدُهُ فِي صَدْرِي قَالَ: مَا هُوَ ؟ قُلْتُ: وَاللهِ مَا أَتَكَلَّمُ بِهِ . قَالَ: فَقَالَ لِي: أَشَيْءٌ مِنْ شَكٍّ ؟ قَالَ وَضَحِكَ قَالَ: مَا نَجَا أَحَدٌ مِنْ ذَلِكَ، حَتَّىٰ أَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ [يونس:٩٤] الآية، قَالَ: فَقَالَ لِي: إِذَا وَجَدْتَ فِي نَفْسِكَ شَيْئًا فَقُلْ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد:٣]»(١)، فأرشد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ هذا الذكر الحكيم لطرد الوساوس، وقطع الشكوك.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فأرشدهم بهذه الآية إلىٰ بطلان التسلسل الباطل ببديهة العقل، وأن سلسلة المخلوقات في ابتدائها تنتهي إلىٰ أول ليس قبله شيء، كما تنتهي في آخرها إلىٰ آخر ليس بعده شيء، كما أن ظهوره هو العلو الذي ليس فوقه شيء، وبطونه هو الإحاطة التي لا يكون دونه فيها شيء، ولو كان قبله شيء يكون مؤثرًا فيه لكان ذلك هو الرب الخلاق، ولا بد أن ينتهي الأمر إلىٰ خالق غير مخلوق وغني عن غيره، وكل شيء فقير إليه قائم بنفسه، وكل شيء قائم به موجود بذاته، وكل شيء موجود به.

---

(١) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٥١١٠)، والبيهقي في الدعوات الكبير، رقم الحديث: (٣١٦)، حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٥١١٠).

قديم لا أول له، وكل ما سواه فوجوده بعد عدمه باق بذاته، وبقاء كل شيء به فهو الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، الظاهر الذي ليس فوقه شيء، الباطن الذي ليس دونه شيء»[1].

الأثر الثامن: التقرب للباطن سُبْحَانَهُ بخبيئة لا يعلمها غيره.

الباطن سُبْحَانَهُ يحب أن يكون لعبده خبايا من أعمال صالحة يتقرب بها إليه، يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند قوله تَعَالَى: ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[البقرة:٢٧١]: «فأخبر أن إعطاءها للفقير في خفية خير للمنفق من إظهارها وإعلانها، وتأمل تقييده تَعَالَىٰ الإخفاء بإيتاء الفقراء خاصة، ولم يقل: (وإن تخفوها فهو خير لكم)، فإن من الصدقة ما لا يمكن إخفاؤه كتجهيز جيش، وبناء قنطرة، وإجراء نهر أو غير ذلك، وأما إيتاؤها الفقراء ففي إخفائها من الفوائد؛ الستر عليه، وعدم تخجيله بين الناس وإقامته مقام الفضيحة، وأن يرىٰ الناس أن يده هي اليد السفلىٰ، وأنه فقير لا شيء له، فيزهدون في معاملته ومعاوضته، وهذا قدر زائد من الإحسان إليه بمجرد الصدقة مع تضمنه الإخلاص، وعدم المراءاة وطلبهم المحمدة من الناس، وكان إخفاؤها للفقير خيرًا من إظهارها بين الناس، ومن هذا مدح النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صدقة السر وأثنىٰ علىٰ فاعلها، وأخبر أنه أحد السبعة الذين هم في ظل عرش الرحمن يوم القيامة»[2]، وفي الحديث الصحيح: «**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ العَبْدَ التَّقِيَّ، الغَنِيَّ،**

(١) زاد المعاد (٢/ ٢٢٤).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٦٠)، ومسلم، رقم الحديث: (١٣٠١).

الخَفِيَّ»[1]، وفي الحديث عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ لَهُ خَبْءٌ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ فَلْيَفْعَلْ**»[2].

الأثر التاسع: الدعاء باسم الله الظاهر و الباطن:

عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: «كان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأمرنا إذا أخذ أحدنا مضجعه أن يقول: «**اللهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ**»[3].

اللهم يا من أظهر الجميل وستر القبيح، نسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة.



---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٥٦٩٢).

(٢) أخرجه الضياء في المختارة، رقم الحديث: (٣٨٨)، والخطيب في تاريخ بغداد، رقم الحديث: (٤٢٠٦)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٨١٠٦).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٣١٧٢).

العزيز جَلَّجَلَالُهُ



المعنىٰ اللغوي:

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العز: خلاف الذل..والاسم: العزة، وهي القوة والغلبة»[1].

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(عز): العين والزاي أصل صحيح واحد، يدل علىٰ شدة وقوة وما ضاهاهما من غلبة وقهر، قال الخليل: العزة لله جل ثناؤه، وهو من العزيز»[2].

ورود اسم الله (العزيز) في القرآن الكريم:

ورد اسم الله (العزيز) في كتاب الله اثنتين وتسعين مرة، ومن وروده ما يلي:

١- قوله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [البقرة:٢٦٠].

٢- قوله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [آل عمران:٤].

٣- قوله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ﴾ [ص:٦٦].

---

(١) الصحاح (٣/ ٨٨٥-٨٨٦).

(٢) مقاييس اللغة (٤/ ٣٨).

ورود اسم الله (العزيز) في السنة النبوية:

ورد اسم (العزيز) في السنة النبوية، ومن وروده يلي:

١- عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: «كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا تضور- أي: تقلب- من الليل قال: **لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ، رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ**»[1].

٢- جاء أعرابي إلىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: «علمني كلامًا أقوله، قال: **قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، والحَمْدُ للهِ كَثِيرًا، سُبْحَانَ اللهِ رَبِّ العَالَمِينَ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا باللهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ**، قال: فهؤلاء لربي، فما لي؟ قال: **قُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي، واهْدِنِي وارْزُقْنِي**»[2].

معنى اسم الله (العزيز) في حق الله تعالى:

العزيز الذي له العزة بجميع معانيها، قال تَعَالَى: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر:١٠] عزة القوة، وعزة القهر والغلبة، وعزة الغنىٰ والامتناع.

وحول هذه المعاني تدور أقوال العلماء رَحِمَهُمُ اللَّهُ:

❊ **قال قتادة** رَحِمَهُ اللَّهُ: «(العزيز) أي: في نقمته إذا انتقم»[3].

❊ **قال الطبري** رَحِمَهُ اللَّهُ: «(العزيز) في انتقامه ممن أراد الانتقام منه، لا يقدر

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرىٰ، رقم الحديث: (١٠٦٠١)، وابن حبان، رقم الحديث: (٥٥٣٠)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٢٠٦٦).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٦٩٦٢).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٤٥١).

أحد يدفعه عنه»[1]، **وقال أيضًا**: «القوي الذي لا يعجزه شيء أراده»[2].

❊ **قال الزجاج** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والله تَعَالَى هو الغالب كل شيء، فهو العزيز الذي ذل لعزته كل عزيز»[3].

❊ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العزيز: هو المنيع الذي لا يغلب»[4].

والعز في كلام العرب علىٰ ثلاثة أوجه: أحدها: بمعنىٰ الغلبة...والثاني: بمعنىٰ الشدة والقوة... والوجه الثالث: أن يكون بمعنىٰ: نفاسة القَدْر، يقال منه: عز الشيء يعز- بكسر العين- من يعز، فيتأول معنىٰ العزيز علىٰ هذا، أنه الذي لا يعادله شيء، وأنه لا مثل له، ولا نظير»[5].

❊ **قال الحليمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الذي لا يوصل إليه ولا يمكن إدخال مكروه عليه»[6].

❊ **قال القرطبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(والعزيز) معناه: المنيع الذي لا ينال ولا يغالب»[7].

❊ **قال ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(العزيز) أي: الذي قد عز كل شيء فقهره وغلب الأشياء؛ فلا ينال جنابه لعزته وعظمته وجبروته وكبريائه»[8].

---

(١) تفسير الطبري (٩/ ٩٣١).

(٢) تفسير الطبري (٣/ ٨٨).

(٣) تفسير أسماء الله الحسنىٰ (ص: ٤٣).

(٤) شأن الدعاء (ص٧٤) .

(٥) شأن الدعاء (١/ ٧٤- ٨٤).

(٦) المنهاج في شعب الإيمان (١/ ٥٩١).

(٧) تفسير القرطبي (٢/ ١٣١).

(٨) تفسير ابن كثير (٨/ ٠٨).

❁ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(العزيز) الذي له العزة كلها: عزة القوة، وعزة الغلبة، وعزة الامتناع، فامتنع أن يناله أحد من المخلوقات، وقهر جميع الموجودات، دانت له الخليقة وخضعت لعظمته»[1].

❁ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَهُـوَ العَزِيـزُ فَلَـنْ يُـرَامَ جَنَابُـهُ ... أَنَّىٰ يُـرَامُ جَنَـابُ ذِي السُّـلْطَانِ؟!
وَهُـوَ العَزِيـزُ القَاهِـرُ الغَـلَّابُ لَـمْ ... يَغْلِبْـهُ شَـيْءٌ هَـذِهِ صِفَتَـانِ
وَهُـوَ العَزِيـزُ بِقُـوةٍ هِـيَ وَصْفُـهُ ... فَالعِـزُّ حِينَئِـذٍ ثَـلاثُ مَعَـانِ
وَهِـيَ التِـي كَمُلَـتْ لَـهُ سُـبْحَانَهُ ... مِـنْ كُلِّ وَجْـهٍ عَـادِمِ النُّقْصَـانِ[2]

اقتران اسم الله (العزيز) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ في القرآن الكريم:

اقترن اسمه سُبْحَانَهُ (العزيز) بأسمائه سُبْحَانَهُ: الغفور، الغفار، الوهاب، المقتدر، العليم، القوي، الحكيم، الرحيم، الحميد.

أولًا: اقتران اسم الله (العزيز) باسمه سُبْحَانَهُ (الغفور- الغفار):

اقترن اسم الله (العزيز) باسمه (الغفور- الغفار) في خمس مواضع من كتاب الله، في موضعين اقترن بالغفور، وفي ثلاث اقترن بالغفار، ومن وروده ما يلي:

قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر:٢٨]، وقوله تَعَالَى: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾ [ص:٦٦].

(١) تفسير السعدي (ص: ٦٤٩).

(٢) النونية، (ص: ٥٠٢).

وجه الاقتران:

أن الله عَزَّوَجَلَّ العزيز الغالب لكل شيء، قادر علىٰ أن يأخذ عباده بذنوبهم، ولكنه سُبْحَانَهُ غفور رحيم عن عزة وقدرة، لا عن ضعف وعجز؛ فهو كامل في عزته، وكامل في مغفرته .

ثانيًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (العزيز) باسمه سُبْحَانَهُ (الوهاب):

اقترن اسم الله (العزيز) باسمه الوهاب في قوله تَعَالَىٰ: ﴿أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ﴾ [ص:٩] للدلالة علىٰ أن تصرفه التام في صنوف العطاء المادي والمعنوي لا ينازعه فيه منازع، ولا يغالبه فيه مغالب، لا مانع لما أعطىٰ، ولا معطي لما منع، ولا ينوب عنه نائب، ولا يصل عطاء من معط إلىٰ معطًىٰ إلا بإذنه سُبْحَانَهُ، فعزته متضمنة الإنعام علىٰ خلقه، والتفضل عليهم، وتفضله وإنعامه سُبْحَانَهُ صادران عن عزة وقدرة وغنًىٰ وتفضل، لا لجلب نفع أو دفع ضر.

ثالثًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (العزيز) باسمه سُبْحَانَهُ (المقتدر):

اقترن اسم الله (العزيز) باسمه المقتدر في قوله تَعَالَىٰ: ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذۡنَٰهُمۡ أَخۡذَ عَزِيزٖ مُّقۡتَدِرٍ﴾ [القمر:٤٢]، والعزيز الظاهر الذي لا يغلب أبدًا، والمقتدر الذي لا يعجزه شيء، واقترانهما فيه معنًىٰ زائد، وكمال آخر يفيد قوة الأخذ والعقاب.

رابعًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (العزيزِ) باسمه سُبْحَانَهُ (العليمِ):

اقترن اسم الله (العزيز) باسمه (العليم) في خمس آيات من كتاب الله، ومن وروده ما يلي:

قوله تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [الأنعام: ٩٦]، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [النمل: ٧٨].

وجه الاقتران:

أن عزة الله وقهره وغلبته صادرة عن علم شامل وإحاطة تامه بكل شيء، فعزته تنفذ بعلم ومعرفة بمواطن الأمور وعواقبها، ليس كعزة وقوة المخلوق التي تنطلق في الغالب من الهوىٰ والظلم، لا من العلم والحكمة.

خامسًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (العزيز) باسمه سُبْحَانَهُ (القوي):

اقترن اسم الله (العزيز) باسمه (القوي) في سبع آيات، منها:

قوله تَعَالَىٰ: ﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٧٤]، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: ٢٥].

وجه الاقتران:

أن في اجتماعهما معنىٰ زائد، وهو أن العزة التي يتضمنها اسم الله عَزَّوَجَلَّ (العزيز) هي عزة القوة، وعزة الغلبة، وعزة الامتناع، ووصف الله عَزَّوَجَلَّ بالقوة راجع إلىٰ كمال عزته.

سادسًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (العزيز) باسمه سُبْحَانَهُ (الحكيم):

تقدم بيانه في اسم الله الحكيم.

سابعًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ العزيز باسمه «الرحيم»:

تقدم بيانه في اسم الله «الرحيم».

ثامنًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ العزيز باسمه «الحميد»:

تقدم بيانه في اسم الله «الحميد».

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (العزيز):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (العزيز) من صفاته سُبْحَانَهُ:

الله العزيز الذي له العزة كلها: عزة القوة، والقهر، والغنىٰ والامتناع، قال تَعَالَىٰ: ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًا﴾[فاطر:١٠].

١- عزة القوة:

الله العزيز القوي الذي لا يعجزه شيء أراده، ولا يلحقه ضعف ولا نصب، ولا يغلبه غالب ولا يقهره قاهر ولا يقدر عليه قادر، قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[الحديد:٢٥].

بعزته وقوته خلق المخلوقات وسخرها لما خلقها له، فجرت مذللة مسخرة بأمره، لا تتعدىٰ ما حده لها، ولا تتقدم عنه ولا تتأخر منقادة لعزته، خاضعة لجلاله.

فخلق السموات والأرض في ست أيام مع عظمهما وسعتهما، وإحكامهما، وإتقانهما، وبديع خلقهما، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ﴾[الزخرف:٩]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾[فصلت:١٢][1].

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص:٦٦٢، ٤٢٤).

وخلق الليل والنهار والشمس والقمر، وقدر ذلك كله على منوال عجيب لا اختلاف فيه ولا تعاكس، قال تعالى: ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾[الأنعام:٩٦]، وقال سبحانه: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۗ أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ﴾[الزمر:٥][1].

وخلق المتضادات التي أصلها واحد، ومادتها واحدة، وفيها من التفاوت والفرق ما هو مشاهد معروف، قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٖ مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهَاۚ وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٞ وَحُمۡرٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٞ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[فاطر:٢٧][2].

وبعزته وقوته تبارك وتعالى أحيا الموتى ويحيهم، قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾[البقرة:٢٦٠].

وبعزته وقوته غلب، ويغلب أعداءه ونصر، وينصر جنده، فلا ينفع أهل القوة قوتهم، ولا أهل العزة عزتهم، فتبارك القوي العزيز[3].

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٧٧٥).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٨٨٦).

(٣) ينظر: المرجع السابق (ص: ٢٦٦).

غلب أحزاب الكفر: قوم نوح ولوط، وعاد وثمود وأصحاب الأيكة وفرعون وجنده، وجعل في ذلك كله آية وعبرة، قال تَعَالَى بعد ذكر هلكهم: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: ١٩٠، ١٩١].

وغلب اليهود وما دبروه من مكائد لقتل عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال تَعَالَى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٧، ١٥٨].

وغلب جمع الأحزاب الذين تحزبوا علىٰ رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال تَعَالَى: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢٥ - ٢٧].

وبعزته وقوته ينصر أولياءه وإن ضعف عَددهم وعُددهم، وقوي عدد عدوهم وعدتهم، قال تَعَالَى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠][1].

٢- عزة القهر:

الله العزيز القاهر القهار الذي بعزته قهر جميع الكائنات، وذلت له جميع

(١) ينظر: المرجع السابق (ص: ٤٥٠).

المخلوقات، ودانت له البريات، فلهج الحيوان الناطق منه والصامت مسبحًا بحمده، ومنزهًا له عما لا يليق بجلاله، قال تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحديد: ١][1].

وبعزته وقهره ينفذ حكمه وأمره في عباده، فيحكم بما يشاء ويقضي بما أراد، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: ٤]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٦].

وبعزته وقهره يعز من يشاء ويذل من يشاء، بلا معقب علىٰ حكمه، وبلا مجير عليه، وبلا راد لقضائه، فهو صاحب الأمر كله، الفعال لما يريد، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦].

أعز كتابه، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢] منيعًا من كل من أراد تحريفه أو تبديله، لا يقربه شيطان من شياطين الإنس والجن، لا بسرقة، ولا بإدخال ما ليس منه به، ولا بزيادة ولا نقص، فهو محفوظ في تنزيله، محفوظة ألفاظه ومعانيه، قد تكفل من أنزله بحفظه، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

كما أعزه بحججه وكماله وشموله، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، فصار حجة

---

(١) ينظر: المرجع السابق (ص: ٧٣٨).

الله علىٰ العالمين التي انقطعت به حجة الظالمين، وانتفع به المسلمون، فصار هدىً لهم يهتدون به إلىٰ أمر دينهم ودنياهم، ورحمة ينالون به كل خير في الدنيا والآخرة[1].

وأعز دينه وأهل طاعته، قال تعالَى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون:٨]، وأذل الكفر وأهل معصيته، قال تعالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾[النساء:١٣٩][2].

وأذل أعداءه وقهرهم، فانتقم وينتقم منهم، لا يفوتونه ولا يعجزونه، قال تعالَى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر:٤١، ٤٢]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾[آل عمران:٤]، وقال: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾[إبراهيم:٤٧].

٣-عزة الغنىٰ والامتناع:

الله العزيز الذي بعزته اغتنىٰ بذاته، فلا يحتاج إلىٰ ما يحتاج إليه خلقه، ولا يفتقر إلىٰ شيء مما يفتقرون إليه، قال تعالَى: ﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾[الذاريات:٥٧].

وبعزته وتمام غناه ملك خزائن كل شيء، قال تعالَى: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ﴾[ص:٩] ويرزق منها من يشاء من عباده، قال تعالَى: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ﴾[الشورىٰ:١٩].

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٣٨١)، وتفسير السعدي (ص: ٧٤٤، ٠٥٧).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٢١٠).

وعزة الامتناع وهي التي بمعنىٰ الغنىٰ التام، والامتناع عن أن يضره أحد أو ينفعه، وفي الحديث القدسي: «**يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي**»(١).

وغاية الأمر: أنه العزيز الذي كمل من كل وجه، فكان له من العزة ومن كل شيء أكمله وأتمه، وبرئ من كل نقص وسوء، قال تَعَالَىٰ: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[النحل:٦٠]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[الصافات:١٨٠] قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «عز؛ فقهر كل شيء، واعتز عن كل سوء يصفونه به»(٢).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العزيز الذي له العزة التامة، ومن تمام عزته: براءته عن كل سوء وشر وعيب؛ فإن ذلك ينافي العزة التامة»(٣).

الأثر الثاني: دلالة اسم الله (العزيز) علىٰ التوحيد:

إذا تعرف العبد علىٰ اسم ربه العزيز وما يتضمنه من كمال القوة، والقهر، والغنىٰ والامتناع، وتيقن ذلك كله؛ علم أنه لا يستحق أحد كائنًا من كان أن يُعبد مع العزيز تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ إذ كيف يسوىٰ بين الفقير العاجز من جميع الوجوه بالغني القوي من جميع الوجوه، ومن لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعًا ولا ضرًّا، ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا، بالنافع الضار، المعطي المانع، مالك الملك، والمتصرف فيه بجميع أنواع التصريف، قال تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٧٧٥٢).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٩٠٧).

(٣) شفاء العليل (ص: ٠٨١).

لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج:٧٣، ٧٤]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَۖ كَلَّاۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [سبأ:٢٧]، وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران:٦٢] [١].

ثم إن هذا لازم عزته تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فعزته تستلزم توحيده وحده لا شريك له؛ إذ الشركة تنافي كمال العزة، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذه العزة مستلزمة للوحدانية؛ إذ الشركة تنقص العزة، ومستلزمة لصفات الكمال؛ لأن الشركة تنافي كمال العزة، ومستلزمة لنفي أضدادها، ومستلزمة لنفي مماثلة غيره له في شيء منها» [٢].

الأثر الثالث: الثقة بإعزاز العزيز دينه:

إذا آمن العبد أن ربه العزيز الذي بيده العزة، يعز من يشاء ويذل من يشاء، لا يغلبه غالب ولا يقهره قاهر، فليثق أن العزة والغلبة لدينه وأوليائه، قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون:٨] ولا تغرنه قوة الباطل وظهوره فإنه زاهق، كما قال تَعَالَى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء:١٨].

تحزبت الأحزاب في الخندق، واجتمعت جيوش الكفر للقضاء على الإسلام وأهله، ثم ماذا كان؟

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٦٤٥).

(٢) مدارج السالكين، لابن القيم (٣/ ٢٤٢).

مات رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فارتدت جموع العرب ما خلا أهل مكة، والمدينة، والطائف، ثم ماذا كان؟[1]

دخل القرامطة المسجد الحرام وأخذوا الحجر الأسود، وقال قائلهم: أين الطير الأبابيل، أين الحجارة من سجيل؟ ومكث عندهم اثنتين وعشرين سنة، ثم ماذا كان؟[2].

وفي أواخر القرن الخامس أخذ الفرنج بيت المقدس، وقتلوا في وسطه أزيد من ستين ألف قتيل من المسلمين، وجاسوا خلال الديار، وتبروا ما علوا تتبيرًا، ثم ماذا كان؟[3].

وفي القرن السابع جاء التتار، فقتلوا حتىٰ صار لا يقال: كم قتلوا، بل كم أبقوا؟[4].

قال ابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعظيم هذا الخطب الجسيم: «فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام، فيا ليت أمي لم تلدني، و يا ليتني مت قبل حدوثها، ثم حثني جماعة علىٰ تسطيرها، فنقول: هذا الفصل يتضمن ذكر الحادثة العظمىٰ والمصيبة الكبرىٰ التي عقمت الدهور عن مثلها، عمت الخلائق، وخصت المسلمين، فلو قال قائل: إن العالم منذ خلقه الله إلىٰ

---

(١) ينظر: الكامل في التاريخ، لابن الأثير (٢/ ١٠٢) وتاريخ الإسلام، للذهبي (٢/ ٠٢)، والبداية والنهاية، ابن كثير (٦/ ١١٣).

(٢) ينظر: البداية والنهاية، لابن كثير (١١/ ٠٦١).

(٣) ينظر: البداية والنهاية، لابن كثير (٢١/ ٦٥١).

(٤) ينظر: الكامل في التاريخ، لابن الأثير (٠١/ ٣٣٣)، تاريخ الإسلام، للذهبي (٤٤/ ٧٣)، البداية والنهاية، لابن كثير (٣١/ ٦٨).

الآن لم يبتلوا بمثلها؛ لكان صادقًا، فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها، ومن أعظم ما يذكرون: فعل بخت نصر ببني إسرائيل بالبيت المقدس، وما البيت المقدس بالنسبة إلىٰ ما خرب هؤلاء الملاعين؟! وما بنو إسرائيل بالنسبة إلىٰ ما قتلوا؟!»(١).

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ متمًّا لكلام ابن الأثير: «ولعل الخلائق لا يرون مثل هذه الحادثة إلىٰ أن ينقرض العالم وتفنىٰ الدنيا، إلا يأجوج ومأجوج، وأما الدجال فإنه يبقي علىٰ من اتبعه ويهلك من خالفه، وهؤلاء لم يبقوا علىٰ أحد، بل قتلوا الرجال والنساء والأطفال، وشقوا بطون الحوامل وقتلوا الأجنة، فإنا لله وإنا إليه راجعون»،(٢) ثم ماذا كان؟

أعز الله دينه، فولىٰ الأحزاب، والمرتدون، والقرامطة، والفرنج وحتىٰ التتار ولم يبق إلا الإسلام، قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ [الأنفال:٣٦] فلم تجد أموالهم، ولا أسلحتهم ولا قوتهم وجموعهم شيئًا؛ لأنهم أرادوا إطفاء نور الله وظهور كلمتهم علىٰ كلمة الحق، والله متم نوره ولو كره الكافرون، وناصر دينه، ومعلن كلمته، ومظهر دينه علىٰ كل دين.

فهذا الخزي لهم في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب النار، فمن عاش منهم، رأىٰ بعينه وسمع بأذنه ما يسوءه، ومن قُتل منهم أو مات، فإلىٰ الخزي الأبدي والعذاب السرمدي(٣).

---

(١) الكامل في التاريخ، لابن الأثير (١٠/ ٣٣٣).

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير (١٣/ ٧٨).

(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٥).

فعلىٰ المسلم أن يثق بأن العزة للإسلام وأهله، ولو بدا يومًا من الأيام ضعيفًا ذليلًا مقهورًا، فإن مصيره العزة والنصرة والغلبة.

وقد تتابعت النصوص في تقرير هذه الحقيقة[1]، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ ٢٠ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ﴾ [المجادلة: ٢٠، ٢١]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١]، وقال صلى الله عليه وسلم في حديث تميم الداري رضي الله عنه: «**لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ والنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ**[2] **إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللهُ بِهِ الإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللهُ بِهِ الكُفْرَ**»، وكان تميم رضي الله عنه يقول: «قَدْ عَرَفْتُ ذَلِكَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، لَقَدْ أَصَابَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمُ الْخَيْرَ وَالشَّرَفَ وَالْعِزَّ، وَلَقَدْ أَصَابَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ كَافِرًا الذُّلَّ وَالصَّغَارَ وَالْجِزْيَةَ»[3].

والثقة بنصر الله وغلبته لدينه دأب رسل الله وأوليائه، فهذا إبراهيم الخليل عليه السلام يلقىٰ في النار، فيقول واثقًا بربه: «حسبنا الله ونعم الوكيل»، فجاء النصر، قال تعالى: ﴿قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩].

---

(١) للاستزادة يراجع اسم الله «الناصر النصير».

(٢) المدر جمع مدرة، أي: اللبن بكسر الباء، الذي تتخذ منه بيوت المدن والقرىٰ.

والوبر: شعر الإبل الذي يتخذ منه ومن نحوه الخيام بيوتًا لسكان البوادي.

والمعنىٰ: أن دين الاسلام يبلغ جميع سكان الأمصار والقرىٰ والبوادي. الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، للساعاتي (١/ ٠٩).

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٣٢٧١)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٣).

وهذا موسىٰ الكليم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فرعون بعدته وعتاده وراءه والبحر أمامه، فيقول واثقًا بنصرة الله: ﴿قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾[الشعراء:٦٢]، فجاء النصر: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ﴾[الشعراء:٦٣ - ٦٦].

وهذا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدخل الغار فارًّا من قريش، فيبلغون مبلغًا حتىٰ لو أن أحدهم نظر إلىٰ قدمه لأبصره صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصاحبه، فقال ثقة بالله: قال: «**يا أَبَا بكرٍ، ما ظَنُّكَ باثنينِ الله ثالِثُهُمَا**»[1]، فجاء نصر الله: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[التوبة:٤٠].

الأثر الرابع: محبة الله العزيز:

إذا تيقن العبد أن ربه العزيز الذي كمل في عزته، فاقترن معها: رحمته، وعفوه، ولطفه، وكرمه، وعلمه، وحكمته .. إلخ؛ ازداد حبًّا لربه وشوقًا إليه، لا سيما وأن القلوب فطرت علىٰ محبة من له صفات الكمال، وربنا العزيز لا أكمل منه ولا أجل تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣٥٦٣)، ومسلم، رقم الحديث: (١٨٣٢).

الأثر الخامس: دعاء الله والاستعاذة بعزته:

الله العزيز الذي شرع لعباده سؤاله بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلا، فقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾[الأعراف:١٨٠]، وكان من هديه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ سؤال الله بأسمائه وصفاته، ومن ذلك: عزته التي سأل الله بها وعلم أمته سؤال الله بها، فجاء في حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا أن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، كان يقول: «**اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، والجِنُّ والإِنْسُ يَمُوتُونَ**»(١)، وجاء في حديث أنس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «**إِذَا اشْتَكَيْتَ فَضَعْ يَدَكَ حَيْثُ تَشْتَكِي، ثُمَّ قُلْ: بِسْمِ اللهِ، أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ مِنْ وَجَعِي هَذَا، ثُمَّ ارْفَعْ يَدَكَ ثُمَّ أَعِدْ ذَلِكَ وِتْرًا**»(٢).

وأتىٰ عثمان بن أبي العاص رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وبه وجع كاد يهلكه، قال: فقال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**امْسَحْهُ بِيَمِينِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ، وَقُلْ: أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ، مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ**». **قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ، فَأَذْهَبَ اللهُ مَا كَانَ بِي، فَلَمْ أَزَلْ آمُرُ بِهِ أَهْلِي وَغَيْرَهُمْ**(٣).

فحري بالمسلم أن يسأل الله بعزته، ويتحرىٰ ما ورد عن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في ذلك؛ فإنه أعظم الدعاء وأنفعه.

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣٨٣٧)، ومسلم، رقم الحديث: (٧١٧٢) واللفظ له.

(٢) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٨٨٥٣)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٨٨٥٣).

(٣) أخرجه ابن ماجه، رقم الحديث: (٢٢٥٣)، وأبو داود، رقم الحديث: (١٩٨٣)، حكم الألباني: صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (١٩٨٣).



الأثر السادس: الاتصاف بالعزة بالدين:

إذا علم العبد أن الله سُبْحَانَهُ العزيز الذي أعز دين الإسلام وأعز أهله فأرسل خير الرسل صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لبلاغه، وأنزل لبيانه كتابًا عزيزًا، ونصر أهله، ومكنهم حتىٰ بلغوا مشارق الأرض ومغاربها، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾[النور:٥٥].

قاده ذلك لشعور بالعزة والأنفة، فاعتز بالدين وتمسك به في سفره وحضره أنىٰ كان، وأثمر في نفسه التعالي علىٰ الباطل وأهله، وعدم الاستكانة لهم.

وسيأتي في المحلق التالي تفصيل لذلك- بإذن الله-.



العزيز يحب العزة



في موضوع العزة سنتطرق للمسائل التالية:

أولًا: تعريف العزة:

العزة تنقسم إلىٰ قسمين:

١- عزة شرعية.

٢- عزة غير شرعية.

القسم الأول: العزة الشرعية:

هي العزة المرادة، ويقصد بها: العزة المرتبطة بالله تَعَالَىٰ ودينه، فيعتز المرء بدينه ويرتفع بنفسه عن مواضع المهانة، فلا يريق ماء وجهه، ولا يبذل عرضه فيما يدنسه، ويتحرر من رق الأهواء ومن ذل الطمع، لا يسير إلا وفق ما يمليه عليه إيمانه والحق الذي يحمله ويدعو إليه.

ومصدرها: الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ، ولو لم توجد المقومات المادية؛ قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون:٨]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٩]، وقال لموسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لما رأىٰ قوة وعزة ملأ فرعون، فأصابه شيء من الخوف أو التردد، قال تَعَالَىٰ: ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [طه:٦٨] أعلىٰ بما معك من الإيمان، لا بعدتك وعتادك.

وهذه العزة- العزة بالإيمان- هي العزة الحقيقة الدائمة الباقية وكل عزة تستمد من غيرها فهي باطلة مكذوبة، وعاقبتها الذل، كما قال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «نحن أمة أعزنا الله بالإسلام، فمهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله»(1).

القسم الثاني: العزة غير شرعية:

وهي: الاعتزاز بغير الله ودينه، كالاعتزاز بالقبلية، والقومية، والعروبة، والجاه ونحو ذلك، وهذه العزة صورها متعددة، وقد جاءت النصوص بشيء منها، وبينت أن عاقبتها الذل والهوان، ومن تلك الصور:

- الاعتزاز بالكفار وما يظهرونه من قوة، قال تَعَالَىٰ عن المنافقين: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾[النساء:١٣٨، ١٣٩].

- الاعتزاز بالآباء والأجداد والقبيلة، قال تَعَالَىٰ عن قوم شعيب: ﴿قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[هود:٩١، ٩٢].

- الاعتزاز بالمال، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾[الكهف:٣٤] فكان عاقبته الذل والندامة، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ [الكهف:٢٤، ٣٤].

---

(1) أخرجه الحاكم، رقم الحديث: (٢٠٧)، والطبراني في الكبير، رقم الحديث: (١٦٤).

- الاعتزاز بالجاه والسلطان، قال تعَالَى عن فرعون: ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الزخرف:١٥] فكانت نتيجة هذه العزة: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ﴾ [الزخرف:٥٥، ٥٦].

ثانيًا: مظاهر العزة الشرعية:

مظاهر هذه العزة عديدة، ومنها:

١- التمسك بالدين والثبات عليه ولو قل السالكون؛ فقد قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَدَأَ الإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَىٰ لِلْغُرَبَاءِ»[١].

٢- قول الحق وفعله من غير أن يخشىٰ في الله لومة لائم، قال تعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة:٥٤].

٣- إظهار شعائر الله من غير حياء ولا خجل، قال تعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج:٣٢]، ولا شك أن من تعظيمها القيام بها علىٰ أتم وجه من غير شعور بخجل أو حياء.

٤- التحدث باللغة العربية؛ إذ هي مظهر من مظاهر الدين وشعائره، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإن اللسان العربي شعار الإسلام وأهله، واللغات من أعظم شعائر الأمم التي بها يتميزون»[٢].

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٤٥).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (١/ ٥١٩).

٥-الدعوة للإسلام والتمسك به، قال تَعَالَىٰ: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾[النحل:١٢٥].

٦-ترك مشابهة الكفار في الظاهر والباطن، كما قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ محذرًا من ذلك: «**مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ**»(١).

٧-عدم الخضوع والذلة للباطل وأهله، حتىٰ حال الهزيمة، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[آل عمران:١٣٩]، وقال أبناء عامر بن صعصعة لرسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، حينما كان يعرض نفسه علىٰ القبائل في بداية الدعوة: نبايعك علىٰ أن تجعل لنا الملك من بعدك، فقال لهم صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**الأَمْرُ إِلَىٰ اللهِ، يَضَعُهُ حَيْثُ يَشَاءُ**»(٢).

ولم يُذَلَّ المسلمون في أُحُد رغم انهزامهم، بل أظهروا العزة والقوة، فهذا أبو سفيان يقول: «أَفِي الْقَوْمِ مُحَمَّدٌ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَنَهَاهُمُ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أَنْ يُجِيبُوهُ، ثُمَّ قَالَ: أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قَالَ: أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ الْخَطَّابِ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَىٰ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: أَمَّا هَؤُلَاءِ فَقَدْ قُتِلُوا، فَمَا مَلَكَ عُمَرُ نَفْسَهُ، فَقَالَ: كَذَبْتَ وَاللهِ يَا عَدُوَّ اللهِ، إِنَّ الَّذِينَ عَدَدْتَ لَأَحْيَاءٌ كُلُّهُمْ، وَقَدْ بَقِيَ لَكَ مَا يَسُوءُكَ . قَالَ: يَوْمٌ بِيَوْمِ بَدْرٍ، وَالْحَرْبُ سِجَالٌ، إِنَّكُمْ سَتَجِدُونَ فِي الْقَوْمِ مُثْلَةً، لَمْ آمُرْ بِهَا وَلَمْ تَسُؤْنِي، ثُمَّ أَخَذَ يَرْتَجِزُ: أُعْلُ هُبَلْ، أُعْلُ هُبَلْ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: **أَلَا تُجِيبُوا لَهُ** قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ مَا نَقُولُ؟

---

(١) أخرجه أحمد (٩٠٢٥)، وأبو داود (١٣٠٤)، حكم الألباني: حسن صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود (١٣٠٤).

(٢) ينظر: الرحيق المختوم، للمباركفوري (ص: ٨١١).

قَالَ: قُولُوا: **اللهُ أَعْلَىٰ وَأَجَلُّ**. قَالَ: إِنَّ لَنَا الْعُزَّىٰ وَلَا عُزَّىٰ لَكُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **أَلَا تُجِيبُوا لَهُ**، قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ مَا نَقُولُ؟ قَالَ: قُولُوا: **اللهُ مَوْلَانَا وَلَا مَوْلَىٰ لَكُمْ**»[1].

ثالثًا: وسائل تحقيق العزة:

الله العزيز الذي بيده العزة، يهبها من يشاء وينزعها ممن يشاء، وقد جعل لها سُبْحَانَهُ أسبابًا، يستطيع المرء من خلالها تحصيلها بإذن الله، منها:

١- الإيمان بالله وطاعته، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون:٨]، وقال: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾[فاطر:١٠]، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: فليطلبها بطاعة الله، فإنه لا يجدها إلا في طاعته، وكان من دعاء بعض السلف: اللهم أعزني بطاعتك، ولا تذلني بمعصيتك»[2].

وعلىٰ قدر الإيمان والطاعة تكون العزة، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «للعبد من العلو بحسب ما معه من الإيمان، وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[المنافقون:٨]، فله من العزة بحسب ما معه من الإيمان وحقائقه، فإذا فاته حظ من العلو والعزة، ففي مقابلة ما فاته من حقائق الإيمان، علمًا وعملًا، ظاهرًا وباطنًا»[3].

وقد نص الله في كتابه علىٰ وسائل تحصيل العزة، فقال تَعَالَىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٩٣٠٣).

(٢) الداء والدواء (١/ ٦٤١).

(٣) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (٢/ ١٨١).

[فاطر:١٠]: «أي: يا من يريد العزة، اطلبها ممن هي بيده، فإن العزة بيد الله، ولا تنال إلا بطاعته، وقد ذكرها بقوله تَعَالَى: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر:١٠] من قراءة وتسبيح وتحميد وتهليل وكل كلام حسن طيب»(١).

٢- الإيمان باليوم الآخر، وذلك أن العبد إذا تيق فناء الدنيا لم يذل نفسه لأجل تحصيل متاعها، ولم يتحسر علىٰ فواتها، ولا يحزن علىٰ فراق لذاتها، قال تَعَالَى: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ﴾[غافر:٣٩].

٣- العلم الشرعي الصحيح؛ قال تَعَالَى: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾[المجادلة:١١].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن العلم يرفع صاحبه في الدنيا والآخرة مالا يرفعه الملك ولا المال ولا غيرهما، فالعلم يزيد الشريف شرفًا، ويرفع العبد المملوك حتىٰ يجلسه مجالس الملوك ... قال أبو العالية: كنت آتي ابن عباس وهو علىٰ سريره وحوله قريش، فيأخذ بيدي، فيجلسني معه علىٰ السرير، فتغامز بي قريش، ففطن لهم ابن عباس، فقال: كذا هذا العلم، يزيد الشريف شرفًا، ويجلس المملوك علىٰ الأسرة»(٢).

كتاب الله عَزَّوَجَلَّ علمًا وعملًا وتلاوة وحفظًا؛ فعن أبي الطفيل **عَامِرِ بْنِ وَاثِلَةَ أَنَّ نَافِعَ بْنَ عَبْدِ الْحَارِثِ لَقِيَ عُمَرَ بِعُسْفَانَ - وَكَانَ عُمَرُ يَسْتَعْمِلُهُ عَلَىٰ مَكَّةَ - فَقَالَ: مَنِ اسْتَعْمَلْتَ عَلَىٰ أَهْلِ الْوَادِي ؟ فَقَالَ: ابْنَ أَبْزَىٰ قَالَ: وَمَنِ ابْنُ أَبْزَىٰ ؟ قَالَ: مَوْلًى مِنْ مَوَالِينَا . قَالَ: فَاسْتَخْلَفْتَ عَلَيْهِمْ مَوْلًى، قَالَ: إِنَّهُ قَارِئٌ لِكِتَابِ**

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٥٨٦)

(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ٤٦١- ٥٦١).

الله عَزَّوَجَلَّ **وَإِنَّهُ عَالِمٌ بِالْفَرَائِضِ . قَالَ عُمَرُ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد قال: «**إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ**»[1].

٤- الجهاد في سبيل الله بشروطه؛ فإن تركه سبب للذلة، كما جاء في الحديث عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إِذَا تَبَايَعْتُمْ بالعِينَةِ، وَأَخَذْتُم أَذْنَابَ البَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الجِهَادَ، سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّىٰ تَرْجِعُوا إِلَىٰ دِينِكُمْ**»[2].

٥- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فقد جعله الله سببًا لعزة الأمة وتكريمها، قال تعالى: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ**﴾[آل عمران: ١١٠].

٦- العفو مع القدرة علىٰ الانتقام ممن اعتدىٰ عليه عليه وأخطأ في حقه.

٧- التواضع وعدم التعالي والكبر.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ للهِ إِلَّا رَفَعَهُ**»[3].

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «**(وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا)** فيه- أيضًا- وجهان، أحدهما: أنه علىٰ ظاهره، وأن من عرف بالعفو والصفح ساد عظم في القلوب وزاد عزه وإكرامه، والثاني: أن المراد أجره في الآخرة وعزه هناك.

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٧١٨).

(٢) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٢٦٤٣)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٢٦٤٣).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٨٨٥٢).

قوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ للهِ إِلَّا رَفَعَهُ**» فيه أيضًا وجهان، أحدهما: يرفعه في الدنيا ويثبت له بتواضعه في القلوب منزلة، ويرفعه الله عند الناس ويجل مكانه، والثاني: أن المراد: ثوابه في الآخرة ورفعه فيها بتواضعه في الدنيا، قال العلماء: وهذه الأوجه في الألفاظ الثلاثة موجودة في العادة معروفة، وقد يكون المراد الوجهين معًا في جميعها في الدنيا والآخرة»[1].

٨- الصبر على الظلم ولو كان فيه ذل له؛ فعن أبي كبشة الأنماري رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، أنه سمع رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يقول: «**وَلَا ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً فَصَبَرَ عَلَيْهَا، إِلَّا زَادَهُ اللهُ عِزًّا، وَلَا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ، إِلَّا فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ**»[2].

٩- الاستغناء عن الناس وترك سؤالهم؛ قال تعالى: ﴿**لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا**﴾ [البقرة:٢٧٣] وعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: **جَاءَ جِبْرِيلُ** عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ **إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَأَحْبِبْ مَنْ أَحْبَبْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ « ثُمَّ قَالَ: « يَا مُحَمَّدُ شَرَفُ الْمُؤْمِنِ قِيَامُ اللَّيْلِ وَعِزُّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ**»[3].

وقد ربى رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أصحابه على ذلك؛ فقال لأبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: «**لَا تَسْأَلِ النَّاسَ شَيْئًا**» قلت: نعم، قال: «**وَلَا سَوْطَكَ إِنْ سَقَطَ مِنْكَ،**

---

(١) شرح النووي على مسلم (٦١/ ١٤١).

(٢) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٥٢٣٢)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٥٢٣٢).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك، رقم الحديث: (٦١٠٨)، حكم الألباني: حسن، صحيح الجامع الصغير وزيادته، رقم الحديث: (٣٧).

حَتَّىٰ تَنْزِلَ إِلَيْهِ فَتَأْخُذَهُ»[1] وعن ثوبان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: قال رسول الله: «مَنْ يَكْفُل لِي أَنْ لَا يَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئًا، فَأَتَكَفَّل لَهُ بِالجَنَّةِ؟ فقال ثوبان: أنا، فكان لا يسأل أحدًا شيئًا»[2]، وقال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «اسْتَغْنُوا عَنِ النَّاسِ وَلَوْ بِشَوْصِ سِوَاكٍ»[3].

وذلك كله؛ لأن السؤال فيه ذلة، والمسلم مطالب بالعزة؛ فعن سمرة بن جندب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «الْمَسَائِلُ كُدُوحٌ[4] يَكْدَحُ بِهَا الرَّجُلُ وَجْهَهُ، فَمَنْ شَاءَ أَبْقَىٰ عَلَىٰ وَجْهِهِ، وَمَنْ شَاءَ تَرَكَ، إِلَّا أَنْ يَسْأَلَ الرَّجُلُ ذَا سُلْطَانٍ، أَوْ فِي أَمْرٍ لَا يَجِدُ مِنْهُ بُدًّا»[5]، فسائل الناس يسعىٰ بسؤاله إلىٰ ذهاب عرضه وإراقة ماء وجه وذله، ومن أراد بقاء عزه وماء وجهه ترك السؤال وتعفف وسيغنيه الله[6].

١١- سؤال الله العزة والتعلق به في تحصيلها دون خلقه؛ فإن العزة جميعها ملك لله، وليس شيء منها عند أحد سواه، قال تَعَالَىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًا﴾[فاطر:١٠]، فمن أرادها طلبها من مصدرها الذي ليس لها مصدر غيره، فالخلق كلهم ليسوا مصدرًا للعزة، ولا يملكون أن يعطوها

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٩٠٩١٢)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير وزيادته، رقم الحديث: (٧٠٣٧).

(٢) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٣٤٦١)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٣٤٦١).

(٣) أخرجه البيهقي في الشعب، رقم الحديث: (١٥٢٣)، والبزار (٤٢٨٤-البحر الزخار). حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير وزيادته، رقم الحديث: ٧٤٩.

(٤) كدوح من الكدح، بمعنىٰ: الجرح أو هي آثار الخموش. عون المعبود وحاشية ابن القيم (٥/ ٤٣).

(٥) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٩٣٦١)، حكم الألباني: صحيح وضعيف أبي داود، رقم الحديث: (٩٣٦١).

(٦) ينظر: عون المعبود وحاشية ابن القيم، (٥/ ٤٣).

أحدًا أو يمنعوها، وإن كانت لهم قوة فمصدرها الله عَزَّوَجَلَّ، وإن كانت لهم منعة فواهبها الله عَزَّوَجَلَّ، فكيف بعد هذا يتوجه إلىٰ الآخذ المستمد لها من الله وهم مثله طلاب محاويج ضعاف؟!

إلهنا، لا إله إلا أنت العزيز الحكيم، تعز من من تشاء وتذل من تشاء، أعزنا يا عزيز بدينك.



الفهرس



